

ሕዝብና ሕዝብ ሕዝብ

History: Sayfo

Beth Mardutho Library



کتابخانه

مکتبہ کبیرہ، جامعہ اسلامیہ، لاہور

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

کتابخانه کبیرہ، جامعہ اسلامیہ، لاہور
مکتبہ کبیرہ، جامعہ اسلامیہ، لاہور
مکتبہ کبیرہ، جامعہ اسلامیہ، لاہور
مکتبہ کبیرہ، جامعہ اسلامیہ، لاہور
مکتبہ کبیرہ، جامعہ اسلامیہ، لاہور

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

القطاري في نكبات النطاري

سلسلة المسيحية في الشرق

- 1 - أخبار بطاركة كرسي المشرق وهو أقدم المصادر في تاريخ النصارى في الإسلام تأليف ماري بن سليمان وصليبا بن يوحنا مع دراسة ومدخل بعنوان النساطرة والإسلام: جدلية علاقة للدكتور لويس صليبا، 420 ص.
- 2 - خلاصة تاريخ المسيحية في مصر ويليها منتخبات تهذيبية من تاريخ الأمة القبطية تأليف لجنة التاريخ القبطي، 325 ص.
- 3 - تاريخ نواحي مصر وأديرتها والبلدان المجاورة لها للشيخ أبو صلح الأرمني، 150 ص.
- 4 - نبذة في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية وخفايا دور أخوية القبر المقدس لجرجس عبدالله العيسى، 140 ص.
- 5 - تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا وأميركا الجنوبية، للخوري موسى حجّار، 370 ص.
- 6 - القصارى في نكبات النصارى، للأب إسحق أرملة، 520 ص.
- 7 - الصادق في خدمة الحقائق، بحث في الخلافات التاريخية والعقائدية بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، 522 ص.
- 8 - المجلد في تاريخ الكنيسة الجامعة، وهو تاريخ مكثف للمسيحية في الشرق والغرب للأب أنطون فرغاني ويليها جداول مفصلة لبابوات روما وبطاركة القسطنطينية والأقباط وأنطاكية للروم الأرثوذكس والكاثوليك والموارنة، 290 ص.
- 9 - مرشد الزائرين للقدس بأورشليم، تاريخ موجز للقدس ووصف لأبرز معالمها وضواحيها لشفيق جرجس روفائل، 260 ص.

سلسلة املسيحية في الشرق 6

الأب إسحق أرمله

القهارى في نكبات القهارى

دراسة وتقديم العلامة الخورأسقف بولس الفغالي



دار ومكتبة بيبليون

جبيل - لبنان



دار ومكتبة بيبليون

طريق المريميين - حي مار بطرس

جبيل / بيبلوس - لبنان

هـ : 09/540256 - 03/847633 ف: 09/546736

byblion1@gmail.com

www.thoughts.com/lwiissaliba

2011 - جميع الحقوق محفوظة للناشر

مقدمات

الخوري بولس الفغالي

سلسلة المسيحية في الشرق

- 10 - تاريخ الكنيسة وهو أقدم المصادر في تاريخ المسيحية وفرقها وعقائدها وعلمائها تأليف يوسابيوس القيصري (ت 264 م). تحقيق وترجمة القس مرقس داود، 470 ص.
- 11 - موجز تاريخ المسيحية، من كتب التراث القبطي يتناول المسيحية في العصور الرومانية والدولة الإسلامية تأليف العلامة، ديسفورس، تحقيق ميخائيل إسكندر، 560 ص.
- 12 - المعرفة الباطنية، دراسة للتقليد الباطني للأرثوذكسية الشرقية مع مقدّمة عن سوء التفاهم التاريخي بين الأرثوذكسية والإسلام، عربي/فرنسي: ترجمة وتقديم فؤاد رامز، 650 ص.
- 13 - فصل الخطاب في الوعظ للمطران جرمانوس فرحات ويليه ثلاث محاورات في علم الخطابة ترجمة سعيد الشرتوني، 330 ص.
- 14 - الصمت في المسيحية: مفهومه الإنجيلي واختباراته في كنائس المشرق والغرب. د. لويس صليباً، 425 ص.
- 15 - عناية الرحمان في هداية السريان وهو تاريخ للسريان في العراق ولبنان وسائر المشرق للمطران ديونوسيوس نقاشة، 690 ص.
- 16 - تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية مع دراسة للعلاقات والصراع بين الكنيستين من القرن الأول إلى اليوم للمطران جراسيموس مرّة، 3 أجزاء في مجلدين، 1120 ص.

القصارى في نكبات النصارى 3

انطلقت المسيحية باكراً من اورشليم فوصلت إلى أرض السامرة والجليل، وأخذت تمتدُّ أولاً على الساحل الرومانيّ، في صور وصيدا وطرابلس وصولاً إلى أنطاكية حيث دُعي التلاميذ للمرة الأولى مسيحيين. فسفر الأعمال يخبرنا عن بولس الآتي إلى اورشليم. قال الراوي: "أتَّجها إلى سورية فنزلنا صور... ووجدنا تلاميذ هناك، فأقمنا عندهم سبعة أيَّام". ويواصل الراوي كلامه: "ومن صور وصلنا إلى بتولمايس (أي عكا الحاليَّة) فسلمنا على الإخوة هناك وأقمنا عندهم يوماً واحداً".

ويروي الخبر المنسوب إلى كليمان، أسقف رومة، كيف أن بطرس وعظ في صور وصيدون وبيروت قبل أن يصل إلى طرابلس. "لبث بطرس عند أهل بيروت عدداً كبيراً من الأيام، فعلم الكثيرين ديانة المعلم الأوحدهم. وبعد أن أقام لهم أسقفاً من الكهنة الذين تبعوه، مضى إلى بيبلس (جبيل). ويتواصل الكلام: "حين دخل بطرس إلى طرابلس، انضمَّ إليه أناس من صور وصيدا وجبيل وبيروت، ومن الجوار... نشير هنا إلى أن بطرس أقام سنة كاملة في طرابلس.

وما قلناه عن الشاطئ البحريّ، نقوله عن الداخل حيث يكلمنا متى عن "الجليل والمدن العشر (دمشق، جرش، عمان...) وأورشليم واليهودية وعبر الأردن". أمّا سفر الأعمال الذي دُوّن حوالي سنة 85، فذكر المناطق التي كان فيها مسيحيون: إيران (برثية، ماداي، عيلام)، العراق (ما بين النهرين)، تركيا (كبادوكيا، بنطس، آسية الصغرى وعاصمتها أفسس)، فريجية، بمفيلية. وذكر أيضاً مصر، ليبيا والعرب.

هي منطقة الشرق الأوسط التي فيها انتشرت المسيحية، فعدت تركيا القديمة مثلاً ما يقارب 500 أسقف. ولما توقّف الاضطهاد مع قرار ميلانو سنة 313، راحت المسيحية تعمُّ الإمبراطورية الرومانية كلها. وعن كنيسة ما بين النهرين باتجاه الشرق الأقصى، نقرأ قصة البطريرك يهبالاها الثالث المغولي الذي قال إن رفيقه الربان صوما قال إن كنيسة أسسها مار توما وأداي وماري، وأنهم ما يزالون متمسكين بتعاليم هؤلاء المبشرين الأولين. أما الرسول الأوّل لهذه المنطقة والدافع إلى تبشيرها، فهو القديس توما.

هناك أعمال مار توما التي دوّنت في السريانية، في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث، في الرها، وربما في بلاد فارس. تروي الأعمال هذه علاقة توما مع الملك غوندوفاريس، الذي كان ملكاً في الهند سنة 45-46 كما تقول مدونة وجدت في البنجاب.

ارتبط خبر توما بمدينة الرها. وهناك نقرأ تعليم أداي. أما تعليم ماري فيروي كيف أنّ الرسول جال في الطريق التجارية بين الرها ونصيبين حتى أرسون في أرمينيا، كما جال في بلاد الرافدين من الشمال إلى الجنوب: بيت زبداي، بيت عرباي، حدياب، بيت جرماي ثم مضى إلى المدائن وإلى كوزخستان، وفي النهاية وصلت الكنيسة الشرقية إلى الصين ومنغوليا.



واليوم، أين صار هؤلاء المسيحيون؟ في القرون الأولى اعتُبروا أعداء النظام الحاكم فرفضوا أن يسجدوا لآلهة رومة، للإمبراطور، ويقدموا له البخور. فنالوا الاضطهاد والموت إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين فأعطى الحرية الدينية في قرار ميلانو، سنة 313. وفي الشرق أراد الفرس أن

القصارى في نكبات النصارى 5

يجمعوا البلاد تحت راية المزدويّة فاضطهدت الكنيسة اضطهاداً مريعاً ودمّرتها. "فالذي ليس من ديانتي هو عدوّي". وكذلك الغريب هو من استُبيح ماله وعرضه. ليس له من يدافع عنه، لهذا يصبح عرضة لأن يُسلب ويُنهَب ويعذب.

في الإمبراطوريّة البيزنطيّة، حاولت السلطة أن توحدّ الناس، فأرادت للمسيحيّين عقيدة واحدة، ولكنّها لم تستطع وهكذا تشبّت المؤمنون في جماعات وجماعات. ولما جاء الفاتح العربيّ، منهم من سار معه، بل صار جزءاً منه. ومن رفض أُجبر على دفع الجزية التي كانت قاسية وبعض المرّات قاسية جداً بل ظالمة، فترك المسيحيّ إيمانه ليتهرّب من الجزية. أمّا من رفض الالتحاق والجزية فكان نصيبه الموت. في الماضي، لم يكن مجال للهرب كبير. مثلاً، النساطرة لجأوا إلى شرقيّ الفرات. واليعاقبة احتموا مع مصر حيث لا تطالهم يد السلطة.

ذاك كان الوضع المسيحيّ في الشرق. مع الدول المتعاقبة، بين فترات تسامح وفترات عنف، خصوصاً في مصر، فصار المسيحيّون أقلّيّة بعد أن كانوا الأكثرية. وكذا، نقول عن فلسطين وسورية والعراق وسائر البلدان. ومن المعلوم أنّ المسيحيّين كانوا في تلك البلدان ربع السكّان حين جاء الانتداب سنة 1919. أسباب كثيرة لهذا الوضع وأولّها الهجرة والتهجير، كما حصل في لبنان وفي العراق، وهدف القويّ في الاضطرابات السلب والنهب كما عرف لبنان إبّان الحرب التي بدأت سنة 1975.

ونصل إلى تركيا. كان المسيحيّون على الساحل التركيّ الذي ازدهر بشكل خاصّ بسبب وجودهم هناك، وما زال مزدهراً على المستوى السياحيّ. أين مضى المسيحيّون؟ جرى تبادلُ السكّان بعد الحرب العالميّة

الأولى مع اليونان: ملايين من الناس اقتلَعوا من أرضِ سقوها بعرق الجبين فصاروا غرباء في أرض الآباء والأجداد. تلك كانت لعبة الدول الكبرى، فلم يعد المسيحيون سوى قلة قليلة في بلد يضمُّ اليوم 74877000 نسمة، وهم يعيشون كأئهم سجناء بالرغم من ضغط أوروبا عليهم، بعد أن وضعت السلطة الحاكمة يدها على كلِّ شيء لهم. وتواصلت لعبة الأمم، فاقتطعت لواء الإسكندرون من سورية وقدمته هديةً لتركيا لتلاً تدخل في الحرب العالمية الثانية مع المحور الذي ضمَّ ألمانيا والنمسا وإيطاليا. والمسيحيون الذين كانوا الأكثرية، تركوا بلادهم بسبب تعسف السلطة ومضوا إلى أوروبا، إلى السويد وهولندا وألمانيا، كما إلى أستراليا وكندا والولايات المتحدة. ولما زرنا المنطقة منذ سنتين، وجدنا بعض البيوت، وأديرة مهددة بالخراب وبوضع اليد. فالمسيحيون يُعتبرون هناك غرباء وربما أعداء يريدون أن يأخذوا معهم كنوز تركيا. فكيف يبقى الإنسان المهتد في أرض لا يحسُّ فيها أنَّها أرضه، مع أنَّه مقيم عليها ألف سنة قبل المسيح!

كانت تركيا مسيحية منذ أيام بولس الرسول الذي مرَّ في منطقة غلاطية وحيث أنقرى العاصمة الحالية، مع أساقفة معروفين عُرفوا بحضورهم الفاعل في الكنيسة الجامعة. إيقونية هي كونيا الحالية. أين المسيحيون فيها؟ وأفسس، مدينة العذراء، وموضع المجمع المسكوني الذي أعلن مريم والدة الله. لا نريد أن نقول كيف تحوّلت هذه الدولة بشكل خاص بعد الاستيلاء على القسطنطينية سنة 1453. ونترك جانباً الطريقة التي بها كان حكم الآستانة يأخذ من كلِّ أسرة شاباً أو شابين، أو يستعبد أسرة بكاملها. فالتعصب قديم العهد في ذلك البلد ولا يزال، بحيث نفهم ما حصل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،

خصوصاً قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها. وهكذا نصل إلى كتابنا:
القصارى في نكبات النصارى.



ما هو مضمون هذا الكتاب؟ نقرأ على الغلاف الخارجي: “وثيقة تاريخية نادرة تسجّل بشمول وتفصيل ما لحق بالمسيحيين في تركيا وبلاد ما بين النهرين ولاسيماً في ماردين، من الظلم والتعدّي والخطف والنفي والسبي والذبح والقتل وسائر الفظائع وذلك في سنة 1895 وفيما بين سنة 1914 وسنة 1919”.

لم يُوضَع اسم الكاتب في الأصل، لأنّ بلادنا الشرقية لا تراعي حرّية الرأي ولا تقبل أن تُقال الحقيقة. لهذا يكون الحرم والقتل وكلّ تحليل لمن يجسر أن يتحدّث عمّا شاهده وسمعه.

ولكن يبدو أنّ الكاتب هو العلامة الأب إسحق أرملة، الذي لم يوضع اسمه في الطبعة الأولى التي ظهرت سنة 1919، ولكنّه يوضع في الطبعة الثانية، سنة 2011، فقط في لبنان الذي ما زال يتمتّع ببعض الحرّيات.

ومن هو الخورأسقف إسحق أرملة؟ كان اسمه الياس. وُلد في ماردين سنة 1879. دخل دير الشرفة - في لبنان - حيث يدرس طلاب الكهنوت للطائفة السريانية الكاثوليكية، في 5 تشرين الثاني 1895. وفي 24 كانون الثاني سنة 1898 رُقّي إلى درجة الشماسية الإنجيلية وأتخذ اسم إسحق. وفي 8 أيلول من السنة نفسها رُقّاه البطريرك أفرام الثاني رحمانى إلى الدرجة الكهنوتية واتّخذه أميناً لأسراره.

ذاك ما نقرأ عند الأب البير أبونا في أدب اللغة الأرامية الذي نشرته دار المشرق في طبعة ثانية سنة 1996. ويتواصل الكلام: “وبعد

أسفار إلى أوروبا وإلى بعض المراكز السريانية في تركيا، تعين في ماردين سنة 1910 لتعليم الرهبان الأفراميين. وقد قاسى من أهوال الحرب الكونية الأولى ما تقشعُرُ له الأبدان" (ص 552). تحدّث عنه أيضاً تاريخ دير سيّدة النجاة (ص 395-398)، والكونت فيليب دي طرازي في أصدق ما كان من تاريخ لبنان (الجزء الثاني، ص 376-378).

وقال الأب ألبير أبونا: "سنة 1919، عاد إلى بيروت وهناك طبع مذكّراته التي أسماها القصارى في نكبات النصارى، معدّداً فيها ما قاساه المسيحيون من فظائع الأتراك إبّان الحرب العالمية الأولى (1914-1918). وبعد نشاط في التأليف والكتابة، توفي سنة 1954.

هذا العارف باللغات السريانية والعربية والفرنسية والتركية، أورشنا الكتب العديدة نذكر منها أديار ماردين القديمة ودير مار أفرام. ثمّ سياحة في طورعبدین سنة 1912. وبعدها: سلسلة بطارقة السريان الأنطاكيين، ثمّ أبناء الزمان في جتالقة المشرق ومطارنة السريان... وما يستحقّ النشر أيضاً مرّة ثانية: الحروب الصليبية في الآثار السريانية. فنحن لا نعرف عن الحروب الصليبية أو ما دُعي حروب الفرنج سوى ما كتبه المؤلفون الأوروبيون، وبعض العرب. كلُّ فئة كانت تدافع عن وجهتها، ولهذا لا يمكن الركون إليها ركوناً كاملاً. أمّا السريان فما كانوا مع هذه الفئة ولا مع تلك، لهذا يمكن أن يكون كلامهم لامتحيزاً.

المجموع 30 كتاباً. لم نذكرها كلّها. ونضيف أنّه ترجم إلى العربية التاريخ السريانيّ أو تاريخ الزمان لابن العبري. نُشرت هذه الترجمة أولاً في مجلة المشرق البيروتية (من سنة 1949 وما بعد). ثمّ في كتاب بمناسبة المئوية السابعة لوفاته (1286-1986) في سلسلة:

المجموعة التاريخية، نصوص ودروس. والعنوان: تاريخ الزمان لأبي الفرج جمال الدين ابن العبري (دار المشرق، بيروت، 1986)، بهمة الأب سليم دكّاش اليسوعي، مع مقدّمة للأب الدكتور جان موريس فييه، وبإيعاز من كاتب هذه المقدّمة، الذي كانت له اليد الطولى في تنظيم مؤتمر حول ابن العبري في الجامعة اللبنانية.

أثبت الخورأسقف إسحق أرملة في كتابه تاريخ دير سيّدة النجاة (ص 398-400) جدول كتاباته، "فأرّبت على الخمسين مصنّفاً في شتّى المواضيع". لم تُطبع المصنّفات كلّها، فبقي منها سبعة كتب مخطوطة. ونضيف إلى ذلك مقالات عديدة في المجلّات: المشرق البيروتية، البشير، الآثار الشرقية، الحبّ والسلام...



وها نحن نعود إلى القصارى في نكبات النصارى، ونقرأ في المقدّمة: "أمّا بعد، فهذا كتاب تضمّن حوادث الحرب المشؤومة الأليمة، وأخبار الفواجع المبكية الجسيمة، وماجريّات المذابح الفظيعة، والفواحش والمنكرات المستبشعة الشنيعة، التي جرت في أغلب بلاد ما بين النهرين..."

الكاتب "شاهد عيان" وهو الذي أقام بين المسيحيّين من أرمن وسريان، من سنة 1910 إلى سنة 1919. قال: "لأنّي شاهدتُ آبائي وإخواني. ألقوا في السجون المطبقة ساكتين، وضربوا وصُفَعوا ولُطَموا وجُلِدوا صامتين، وسيقوا سوق الخراف للذبح ذليلين طائعين، وقضوا في قمم الجبال وبطون المغاور صاغرين خاضعين، وزُجُّوا في الآبار والأنهار عطاشاً جائعين، واستباح وحوش صقر المحرّمات والمحظورات من هتك نسوة حازمات مخدّرات، وافتراع عذارى وفتيات عفيفات طاهرات..."

لوحة شاملة تعطي فكرة عما حصل على مرحلتين: سنة 1895، هي المذابح الحميدية، ومن لا يعرف السلطان العثماني عبد الحميد الذي حكم من سنة 1876 إلى سنة 1904. حين أحسَّ بضعفه لجأ إلى العصبية التي تدعى حماية المسلمين، فراح يذبح الأقليات سنة 1894-1896 ولاسيما الأرمن منهم. أُجبر عبد الحميد على الاستقالة وحلَّ محلَّه شقيقه محمد الخامس الذي كان ألعوبة في يد تركيا الفتاة وجماعة الأتحاد والترقي. فدخلت الإمبراطورية العثمانية في الحرب بجانب ألمانيا، واعتبرت المسيحيين ولاسيما الأرمن منهم معاونين لفرنسا، وكأئهم الطابور الخامس.

المرحلة الثانية، كانت ذروتها سنة 1915 مع مليون ونصف المليون من القتلى، هذا عدا آلاف وعشرات آلاف المنفيين المنتشرين على الطرق. من وصل منهم حياً يُعتبر عاش حياة جديدة. ومن مات مات. ذاك كان تخطيط موجَّهي "هيئة الأتحاد والترقي" التي لم يختلف أسلوبها عن أسلوب عبد الحميد، وهي التي "جوَّعت" سكان لبنان في الحرب العالمية الأولى، فمات ثلث السكان.

من الذي بدأ بالقتل والذبح؟ جماعة عبد الحميد. ثم الأكراد بإيعاز من الدولة العثمانية، التي كانت تطالب المسيحيين دوماً بالسلاح الذي عندهم، ولاسيما "المدافع" المخبأة في الكنيسة.



ماذا نعرف عن المنطقة التي شهدت هذه "المذابح"؟ اسمها ديار بكر. سكانها 471462، كما ورد في الإحصاء الرسمي، حسب ما نقرأ في كتاب إيف ترنون: ماردين دراسة تحليلية لإبادة عام 1915 (دار نعمان للثقافة، 2008، ص 59-60). الإسلاميون: 328644. المسيحيون: 135549.

القصارى في نكبات النصارى 11

ولكن تلك الأرقام كانت كاذبة. لأنَّ البطريركيَّة الأرمنيَّة (في استنبول) قامت بإحصاء سنة 1912، فكان عدد سكَّان دياربكر (بعد المذابح سنة 1895 وسنة 1909) 296000 نسمة. الإسلام: 131000 والمسيحيُّون: 165000. أرادت الدولة أن تجعل المسيحيِّين "أقليَّة" لا يحقُّ لها بالحياة. وما نلاحظ هو أنَّ الإحصاء بدأ سنة 1881 وانتهى بعد عشر سنوات.

وقبل أن ندخل في صلب كتاب إسحق أرملة القصارى في نكبات النصارى، الذي استفاد منه إيف ترنون فقال: "هو من تأليف الأب إسحق أرملة الذي حرص على أن يظلَّ مجهولاً، لكنَّ اسمه ظهر في تقرير نائب المدافع الذي ترجم قسمًا من هذا الكتاب" (ص 13).

"ثمَّ إبعاد الأرمن عن دياربكر في حزيران 1915. وقد عملت السلطة العثمانيَّة وفق المنهاج المحدَّد في القسطنطينيَّة والمطبَّق بشكل واحد في كافَّة المقاطعات الشريقيَّة، وهذا المنهاج يجتنب إعادة أحداث سنة 1895 حيث كان القتلة يدخلون إلى البيوت ويذبحون الضحايا في أماكنهم. فكانت تقنيَّة الإبعاد تقضي إفراغ المدينة تدريجيًّا من سكَّانها الأرمن بدءاً بفصل الرجال، ثمَّ تنظيم ترحيل النساء والأطفال والشيوخ في قوافل. ففي مطلع شهر حزيران، بينما كان الأرمن المرؤعون يلازمون بيوتهم، يعتقل الدرك ورجال الشرطة كلَّ يوم مئة إلى مئتين من الرجال الأرمن ويسوقونهم موثقي الأيدي إلى خارج المدينة على طريق "غوززله" أو إلى بساتين باب ماردين حيث يُقتلون بالسلاح الأبيض. ويُضاف إلى هؤلاء عمَّال ملحقون بخدمات المقدرة (مكان رمي الأقدار) أو بإدارة المصادرات العسكريَّة. هكذا، في أقلَّ من شهر، ما عدا بعض الرجال الذين توصلوا إلى الهرب عبر الجبال، وبعض الشيوخ، جميع البالغين الأرمن من الرجال ذُبحوا" (ص 108).

وما فعلوا بالرجال فعلوا بالنساء، اللواتي سرن في قوافل بعد أن اعترفن بمخباً المال أو الذهب. "اقتادوهن وقتلوهن". وصاحب هذا العمل "المجيد"، قائد الدرك رشدي. ورئيس الميليشيا. أما المفتى إبراهيم فكان يدعو العائلات لاعتناق الإسلام للنجاة من الذبح وكان يقبض عن كل عائلة تجحد إيمانها 400 أو 5000 ليرة، وقد يصل الثمن إلى 20000. والأطفال. كان 400 طفل (من سنة إلى ثلاث). أقنع "رشيد" المستشار الأعلى بقتلهم. النصف منهم رماهم في نهر دجلة. والنصف الآخر فسخهم، بقر بطونهم، قطعهم بالخناجر قطعهم وألقاهم للكلاب. وهكذا فرغت دياربكر من الأرمن، من شهر حزيران إلى شهر أيلول سنة 1915. وما حصل في دياربكر حصل في سائر المدن. ماذا وجدنا في هذه المدينة التي صارت كلها كردية؟ كنيسة كبيرة، مفرغة، تحمل آثار المذابح.



جاء كتاب قصارى في نكبات النصارى في خمسة أجزاء.

الجزء الأول: الحوادث الغابرة. نتعرف هنا إلى ماردين ووصول النصرانية إلى ما بين النهرين. وكانت عودة إلى التاريخ، منذ الأشوريين أي منذ القرن الثاني عشر ق.م. وصولاً إلى المسلمين "هجر العرب النصارى إيمانهم وتبعوا الدين الإسلامي طمعاً في بقاء الملك تحت حوزتهم" (ص 8). وكانت إمارات وصولاً إلى الدولة العثمانية ومظالمها ولاسيما على مستوى الجزية.

ثم كان كلام عن الكنيسة الأرمنية والكنيسة الكلدانية، وعن المرسلين اللاتين، من يسوعيين وكبوشيين، أتوا بشكل خاص من فرنسا، كما عن المرسلين البروتستانت. وبدأ الكلام عما حصل سنة 1895.

القصارى في نكبات النصارى 13

بدأ الاضطهاد في غرّة تشرين الثاني سنة 1895. استعدى الباشوات الأكراد ووعدهم بأن يعطوهم السلاح. أوّلاً في دياربكر. ثمّ في السعدية وميافرقين وقرّة باش وقطربل والرها (ص 1- 66) وأنهى الخورأسقف أرملة هذا الجزء: "تلك جريدة أحوال سنة 1895 نقلناها بتصرّف عن المقدسيّ حبيب ده جروه" (ص 66).

وإليك مثلاً الكلام عن الرها: "أمّا الرها فإنّ المسلمين قصدوا أوّلاً دار ساغاتيل (شالتيل) أحد وجهاء الأرمن الغريغوريّين وهجموا على ساكنيها وأعملوا فيهم الخناجر والسيوف. فبادر النصارى المجاورون إلى السطوح لينجوا بنفوسهم... ولما أتى اليوم المعين للمذبحة، احتشد الأرمن في كنيستهم الكبرى وقلّاية مطرانهم ومدرستهم، فغار عليهم المسلمون كأنّهم من الوحوش وأنزلوا بهم أشكال العذاب، وفتكوا بأرواحهم داخل الكنيسة وخارجها، فغدت الدماء تجري كالجداول حتّى امتلأت الكنيسة..." (ص 53).

الجزء الثاني: نكبات الحرب العامّة. منذ إشهارها حتّى حزيران 1915. بعد كلام عن إعلان الحرب ودخول تركيا بعد أن صرّح غليوم الألمانيّ بحبّه لها. وتوسّع الكاتب في استعداد البلاد، ووضع اليد على الغنم والدوابّ (ص 67- 147).

الجزء الثالث: في الحبوس والمذابح والسبي وسائر الفضائع. من حزيران 1915 إلى تشرين يُذكر رشيد الذي عزل الذين لا يجاروه مقصده. وصورّ جثث القتلى النصارى وكتب تحت الصور: "النصارى يعدّبون المسلمين" (ص 149). لا مجال لذكر ما حصل بالتفصيل، فنترك للقارئ أن يعرف الأسماء والعذابات التي نالها المسيحيّون من أسقف وراهب ومؤمن ومؤمنة، وشيخ وطفل (ص 148- 331).

ونذكر مذبحه القافلة الأولى في شهر حزيران: "سار المسيحيون موثقين أربعة أربعة وخمسة خمسة، وكان القسّان والمطران مربوطين آخر الجميع، والجنود محيطين بهم إحاطة الطوق بالعنق... (ص 192). عنّفوهم لأنّهم خانوا الدولة. وخيّرّوهم في المناداة بالإسلامية وإلّا فينزل بهم أفدح العذاب ويذبحهم" (ص 193). وإذ رفضوا الجحود، "أشرعوا فيهم السيوف والخناجر...". وقالوا للرؤساء إنهم أوصلوهم إلى بيوتهم.

ولم يكن نصيب القافلة الثانية (ص 207) أفضل من الأولى. هنا استشهد 84 مسيحياً ثمّ 15 شهيداً في 15 حزيران. "أخذوا أسلابنا وأموالنا وأحذيتنا وطرايبشنا وثيابنا ولم يدعوا علينا إلّا ما يسترنا. فلاح لنا إذ ذاك أنّنا عمّا قليل نغادر هذه الدنيا... فنهضتُ أنا وجميع إخوتي الكهنة رفاقي في النفي والاضطهاد وجعلنا نحثّ المؤمنين... فبدأوا يرثمون نشيد: "ننال، ننال، جزانا في السماء" (ص 213). أما هكذا كان يفعل المسيحيون في القرون الأولى، فيمضون إلى الموت وهم ينشدون. والمشهد المضحك المبكي هو ازدحام الأكراد والجنود ليسلبوا كلّ شيء علينا".

بقي بعض من القافلة الثانية فأخذوا إلى السجن (ص 215). ثمّ ميّزوا بين الأرمن والسريان. ثمّ أخذوا يعدّبون الواحد بعد الآخر. في القافلة الأولى قُتل 417 وفي الثانية، 99، وفي الثالثة، 600. ودُكرت الأسماء.

وذكر الكاتب قوافل النساء القادمات من دياربكر في 5- 15 تمّوز. يخطفون النساء الحسان والبقية يذبحونهنّ ويلقون الجثث في المغاور والآبار (ص 271). وإن إحد الجلّادين كان "يحسو" من دم المعدّبين "ليستجمع قواه ويواصل العمل". وينتهي هذا الجزء بالمرثي التي تلاها أولئك الذين نجوا من الذبح: "يا ما يئّموا الأولاد، وحرّقوا الفؤاد، يا ما خرّبوا البلاد، وداسوا حقوق العباد" (ص 331).

الجزء الرابع: أخبار مذابح بلاد الجزيرة كالرها ودياربكر ورأس العين ودير الزور وطور عبيد وسعرت... (332-444). نذكر هنا مذبحه كفرجوه التي قام بها يوسف حسن شحدين آغا. "حشد ذكور النصارى واستاقهم حفاة عراة إلى النهر القريب وألقاهم فيه قاطبة، وكانوا في مسيرهم ينشدون الترانيم بالسريانية ويحمس بعضهم بعضاً لنيل إكليل الشهادة" (ص 410).

الجزء الخامس: توابع المذابح ولواحق النكبات وخاتماتها، كبيع متروكات النصارى، ونبش الدفائن، واستخراج الخزائن، وقدم المسلمين المهاجرين (ص 445-499).



كتاب جريء يكشف الحقائق التي يحاول الأتراك إلى أيّامنا أن يطمسوها، وينكرون المذابح التي حلّت بالمسيحيين دون أن يرفّ جفن للسلطة الحاكمة. وكان لهذه الدولة البغيّة أن ترتاح من الذين حسبتهم "أعداءها"، وهكذا امتدّت في كلّ الاتّجاهات مع أنّها خسرت الحرب مع حليفها ألمانيا. أما آن الأوان لكي يعترف أولئك الذين حكموا الشرق وقسماً من أوروبا، بما تركوه من سرقة واستعباد وذبح للعباد؟ أما حان الوقت لكي نعرف نحن أبناء القرن الحادي والعشرين أنّ الإنسان إنسان سواء كان من بلدي أو من بلد آخر، من ديني أو من دين آخر، من حزبي أو من حزب آخر؟ هل نسينا أنّنا كلّنا مخلوقون على صورة الله ومثاله، أنّ الأحبّ إلى قلب الله هو التقى؟ حروبنا في هذه البلاد هي من أجل السلب والنهب. هذا ما عرفناه في لبنان. أمّا البغض والحقد والإذلال فهي تزدهر في زمان العنف والعدوان، ولاسيّما حين يأتي الخارج فيثير هذه الفئة على تلك. وما رأيناه في هذا الكتاب أنّ الأكراد الذين عاشوا مع المسيحيين

انقلبوا عليهم بعد أن أخذوا بأقوال الدولة وبعض عملائها. ومن يدري؟ أما تكون الدول الغربية مذنبه بسبب سياساتها التي تريد أن تكون هذه الفئة لها تجاه الفئة الأخرى. كم يجب أن نتعلم في هذا الشرق أن نفصل بين الإيمان الذي يعلمنا كيف نضع ثقتنا في الله بانتظار أن نضع ثقتنا بالقرب. فكل إيمان يدعو إلى المحبة. وكيف نعلن أننا نحب الله ونقتل أناساً مخلوقين على صورة الله، وهكذا نشوه وجه الله في الكون.

تاريخ العالم يُدمي القلب. باسم الدين نقتل، نذبح، نحرق، نسلب، ننهب، ننتهك الأعراض. قولوا لي: في أية ديانة نجد هذه "الوصايا"؟ وإذا كان الغرب تخلص كثيراً من هذا المناخ، فالشرق ما زال متأخراً، عائشاً في القرون الوسطى. كانت هناك القبائل المتصارعة، المتقاتلة بين كُر وفر، فصارت الطوائف والمذاهب قبائل تتناش وتتعادى وتتصادم إن لم يكن بالكلام فأقله بالنوايا. فماذا ربحت تركيا مما حصل فيها سوى وصمة عار لن تزول ما لبثت في كبرياتها وتعتتها ورفضها لما حصل فيها؟ أدينّت ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، ويوغوسلافيا في الأحداث الأخيرة. وكلمة أخيرة. عرفنا مذابح الأرمن، ولكن يجب ألا ننسى سائر المسيحيين الذين نالوا نصيبهم من التعذيب والقتل من قبل السلطات التركية، وإن لم يكن بمقدار ما حصل للأرمن الذين اعتُبروا حلفاء فرنسا فمنذ البداية عرفت تلك المنطقة اضطهاد المسيحيين. كتب إيف ترنون في ترجمة لطيفة عرنوق: "لقد تمّ الفتح العربيّ أقلّ سلماً في المناطق الجبلية. ففي مارددين، ذبح العربُ المسيحيين وأجبروا الباقيين على قيد الحياة باعتراف الإسلام. في العام 833، في دارا ونصيبين وأميديا ورأس العين، ذُبح وجهاء القوم" (ص 47). وكان مسك الختام ما أصاب المطران جبرائيل تبوني الذي اعتبر جاسوساً إنكليزياً يهرب الأسرى. وكان خلاصه في 7 تشرين الأول عربوناً لخلاص إخوته.

القصارى

في نكبات النصارى

بقلم

شاهريزادى

العلامة الاب إسحق أرملة

وسيقة تاريخية نادرة تسجل بشمول وتفصيل ما لحق
بالمسيحيين في تركيا وبلاد ما بين النهرين وبلاد
في ما ردين، من الظلم والتعدي والخطف والنفي
والسبي والذبح والقتل وسائر القضايع
وذلك في سنة ١٨٩٥ وفيما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٩

جميع الحقوق محفوظة للناس



دار ومكتبة بيبليوي

جبيل - لبنان

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحان من فطر الانسان من التراب . وجاد عليه بكل ما
عذب وطاب . ووعد ان سار في جادة البر والصواب . بأجزل
الاجر وافضل الثواب . ولما ان تعدى طوره وخالف امره استهدف
لنبل المشقات والاصاب . وتحول عزه وسروره الى الدل والاكتئاب
ونزل به صارم العقاب . وأليم العذاب

اما بعد فهذا كتاب تضمن حوادث الحرب الشوامة الالية .
وأخبار الفواجع المبكية الجسيمة . وما جريات المذابح الفظيعة .
والفواخش والمنكرات المستبشعة الشنيعة . التي جرت في اغلب بلاد
ما بين النهرين . وقد افتتحناه ببذعة في سالف تواريخها . المعنا فيها
بذكر سابق احاديثها . ودعوانا « التصارى في نكبات النصارى »
تلويحاً بما جعل المسيحيين حيارى . وشده عقول المتبصرين . وخلف
سوء الذكرى للمقتلة الجائرين . الذين ذبحوا قاتلهم الله خضراً .
واعمالوا حسام الحين في كبارنا وصفارنا : فاكثلنا بعدهم السهاد

وافترشنا الرماد والقتاد . وورثنا الكمد وحرقة الفؤاد . وبتنا
 نندب زمناً خوئوناً لم يزد فيه الخير الا بُعداً وادباراً . والشر الا
 قرباً واقبالاً . ومصداقاً لما نقول ندعوك ايها العزيز لتضرب بطرفك
 اينما شئت فما ترى الا فقيراً كابد العري والجوع . وغنياً تجبر فبدل
 نعمة الله الكريم بالكفر والجحود . ومظالمنا فقد أمواله وحرم
 أملاكه وخسر أرزاقه . وظالماً غالى في الغدر وتقدم بالأذى والمكر
 ليزيد ثروته ويشبع أطعاه

على اننا رأينا لقوم في هذا المؤلف مسلاة من المهموم والاكدار
 وتغيرهم مصحاة من سكرة الغرور والاستكبار . كبي يتذكر
 هولاء ما صار فيصغرون ويمخزون . ويفتكر اولئك في ما حاق
 بهم فيتباهون ويتعزّون . وما اصدق من قال :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغرب بطيب العيش انسان
 فالخطوب اذا توالى تولت . والكروب اذا شملت عزت
 وسلت . وقد صح فينا قول القائل :

ليس البليّة في أيماننا عجباً بل السلامة فيها أعجب العجب
 فادرع صبراً ايها الاخ الحبيب . وان نيا عنه قلبك الجريح
 الكئيب . وازكن ابني اخوك في النائبات . حليفك في النكبات .
 نعمت في ديارى نظيرك بومة الخراب . وانباجت علي مثلك بوايج
 الحيف من كل باب . والتف علي الغدر والدهاء . واحتف بي
 الضرر والشقاء . فخرت الاقارب والاصحاب . وحرمت الأهل
 والأحباب . حتى انك اذا استخبرتني عما دهمني ودهاني . ما
 اجبتك الا بدمع عيني وأشجاني . لاني شاهدت أبائي واخواني القوا

في السجون المطبقة ساكتين . وضربوا وُصنعوا ولطموا وُجلدوا
صامتين . وسيقوا سوق الخراف للذبح ذليلين طائعين . وقضوا في
قسم الجبال وبطون المغاور صاغرين خاضعين . وزجوا في الآبار
والأنهار عطاشاً جائعين . واستباح وحوش صقر المحرمات والمحظورات
من هتك نسوة حازمات مخدرات . وافتراع عذارى وفتيات عفيفات
طاهرات . ولم يستوف ابلّيس الخناس من ذلك مآربه وافراحه .
ولم يخفض للآذنين والزفرات جناحه . بل جعل النكال والبغي
والطمع ديدنه مساءً وصباحه . حتى غدا لا جزاه الله خيراً
كالجوارح الكاسرة . والوحوش الضائرة . والكلاب العاقرة . لم
تسلم عليه الشفقة والرأفة . ولم يسمع بنجر التوادة والرحمة . فلم
يصعد والحالة هذه باليد شيء إلا اللياذ بجميل الاصطبار . والاستسلام
لحكم الله العدل القهار

هذا ولما استفجلت مفاسد أعداء الانسانية . وعظمت منهم
الأذية والرزية . حلبت العيون ماءها دماً . وقطرت القلوب دماءها
عندماً . فقلت رحماك يا مقلتي أسعديني وأسعفيني لأبكي ما حبيت
ولندب أجباراً اجلاء نبلاء . وكهنة غيراً بسلاء . وشامسة
نزهاء فضلاء . ووجهاء كرماء شرفاء . ورجالاً اتقياء . وشباناً
نجباء . وفتياناً ودعاء . ورضعانا أبرياء . خطفهم اعداء مرداء .
فطروا على الشجاء والبغضاء . وخلونا نتملعل على احرام جمر
الغضاء . أجل لأبكين ما وسقت عيني الماء . امهات كريمات .
وسيدات حكيمات . وعذارى مجتنبات . وفتيات منيعات . ومخدرات
عفيفات . ومحصنات طاهرات شريفات . انقض عليهن بزة الجحيم

الاجلاف . وحاولوا سلبهن حلال الطهر والعتاف . من دون شفقة ولا انصاف . فحبط والحمد لله مسعاهم . ونخاب خيث أملهم وامتثالهم لانهن استعذبن النكال والعماد والموت الاحمر حباً لمن ضحى بحياته لاجلهن . وذاق الوان العذاب والالم في سبيلهن

تلك حقيقة الحال سترها في تصفحك هذا الكتاب المؤثر الذي جعلناه خمسة أجزاء بحثنا في الاول عن الحوادث الغابرة من ص ١ - ٦٦ واوردنا في الثاني نكبات الحرب العامة مياومة منذ منفتحتهما حتى سلخ ايار ١٩١٥ من ص ٦٧ - ١٤٧ وكتبنا في الثالث اخبار الحبوس والمذابح والسبي وسائر الفظائع التي جرت بمارددين من حزيان ١٩١٥ الى تشرين من ص ١٤٨ - ٣٣١ واثبتنا في الرابع نتناً من اخبار مذابح بلاد الجزيرة كالرها ودياربكر ورأس العين ودير الزور وطورعبدین وسعرت الخ من ص ٣٣٢ - ٤٤٤ واضفنا الى ذلك جزءاً خامساً ضمناه توابع المذابح ولواحق النكبات وخاتمتها كبيع متروكات النصارى ونبش الدفان واستخراج الخزائن . وقدم المسلمين المهاجرين الى مارددين الخ ختمناه بما اصاب السيد جبرائيل مطران السريان من العذابات وقتل نفاء الاعداء وحبسوه وهي خاتمة النكبات من ص ٤٤٥ - ٤٩٩

واعلم ايها العزيز ان الذي لم نشاهده بأم عيننا لقبناه عن شهود عيان كان العناية الصمدانية شئت افلاتهم من ميخالب الموت ليطالعونا عما جرى لهم ولمن استصبحبهم كي ندرج حوادثهم ونشرها موعظة للظالمين وتعزية للمنكوبين . وينبغي ان يتأكد لديك ان الاخبار الصادقة في ذلك كثيرة جداً جداً تكاد تملأ حافتي السمع

والبصر . وتشغل حيز الفكر والنظر . فاقترضنا المهم وأوجزناه
 قدر ما ساعدتنا الفكرة القاصرة وظروف الاحوال . ولو شئنا من
 هذه البضاعة لوزناً وكتبنا شيئاً كثيراً اقتضى له مجلداً آخر ضخماً .
 ولكننا اكتفينا اليوم بما سردناه تبصرة غير المؤمنين . وهداية للمشاردين
 الغافلين . حتى اذا شاهدوا الفضيلة بأبهى نقائنها . والعفة بانصع
 بياضها وسنائها . والديانة المسيحية بأرسخ بنازنها وأوطد دعائمها
 وأثبت قواعدها . هاموا بحبها وكلفوا بها . وبدلوا كل نفيس في
 سبيل احتضانها واعتناقها بل في سبيل نشرها واحياء معالمها
 وفي الحتام نسال المولى الكريم ان يجعل عملنا راجعاً لمجده
 العظيم وانتصار الكنيسة الكاثوليكية ام جميع
 الكنائس وهداية الضالين عنها الى الصراط المستقيم
 انه تعالى على كل شيء قدير



الجزء الاول

حوادث ما بين النهرين الغابرة

الفصل الاول

ماردين

ماردين بلدة شهيرة عامرة في بلاد ما بين النهرين . شيدة فوق جبل باذخ تعلوه قلعة حريرة حصينة منصوبة على اضيق المسالك سماها الكتبة سيدة القلاع ومركز الحصار والدفاع . لم يك في بلاد الجزيرة قلعة أمنع واحكم منها . حتى ان الملوك والولاة ملوا حصارها وتعذر عليهم نوالها . وهي تطل على دارا ونصيبين وسنجار ودينسر وكفرتوت والخابور ورأس العين وما جاورها من البلاد القديمة والقرى الشهيرة . ويكتنفها غيرها من القلاع المنيعة والحصون الرفيعة مما جعل اسم تلك الحصون ان يتغلب على المدينة فدعت مدينة مع بالارامية

اعني الحصون . ثم عربها العرب فقالوا هذه ماردون ورأيت ماردین
اشارة الى كثرة معاقلها ومناعة حصونها

وابتني الملوك داخل القاعة قصوراً باذخة ودوراً فسيحة وحفروا
بها آباراً جرورة وزرعوا في ارضها اشجاراً متنوعة كثيرة ليتيسر لهم
الدفاع والثبات عند هجوم العدو . فكانت والحالة هذه ماردین وبقاعها
كدار حرب متصلة يتنافس ملوك الارض وأقطابها في الاستيلاء عليها
قال صني الدين الحلبي

كم ماردین لما ردين تواتبوا ومن المجال طلاب ما لا يُلحق . .
يا من يقايس ماردین بجلق . بعد القياس وأين منها جلق

والمدينة في حن القلعة الى جنوبها تحاكي مرقاة شاهمة فسيحة .
دورها كالدرج كل دار فوق أخرى . مبنية بالحجر الابيض او الاصفر
الصلب . موصوفة بجودة المناخ وعذوبة الماء . في شمالها البساتين
الضرة والحدائق الغناء . والرياض الزاهية والكروم المنخبة الحافلة
بضروب الثمار الجنية والبقول اليانعة الطيبة والغلال الوافرة

واشهر حاصلاتها السمن والصفوف والمرعزي والاجاص واللوز
والكرز والمحاب والعنص والبطم

وسكانها مسلمون ونصارى وكان مجموع النصارى قبل الحرب
الشعواء عشرين الفا من ارمن وسريان وكلدان وبرتستان

الفصل الثاني

النصرانية في ما بين النهرين

ذهب غير واحد من أئمة المؤرخين البيعيين الى ان النصرانية ذاعت في بلاد ما بين النهرين منذ اواخر القرن الثاني للتجسد بحيث ساع لبرديسان العلامة السرياني الرهاوي + ٢٢٢ ان يدون في كتابه اشرايع البلاد ما شرحه " ما قولنا في طائفتنا النصرانية الحديثة التي انشأها السيد المسيح في كل قطر ومصر . فقد انتشرت في بلاد الفرتيين وفارس وماداي والرها الخ^١ وايد كلامه هذا ترتليان الشهير بقوله " قد آمن بالمسيح جميع الامم من فرتيين وماديين وعيلاميين وسكان ما بين النهرين " . وذكر ديونوسيوس الاسكندري " ان في ما بين النهرين كنائس مسيحية شيدت قبل عصره "

وكانت ماردن فيما نرى في مقدمة المنتصرين . ذلك تويده كنائسها وأديارها القديمة ككنيسة الارمن والكلدان وديري السريان وكنيسة الشهيدة شموني . ومما تتناقله الالسنة ان المعصرة التي تحت باب القلعة الجنوبي كانت في سالف الزمان كنيسة الروم

ولا ينبغي ان جامع الشهيد حيث ابنتت المنارة الحديثة اثناء الحرب العامة كان كنيسة للنصارى السريان كما حقق ذلك جملة من مورخي السريان كميخائيل الكبير والرهاوي وابن العبري لكننا لسوء الحظ لم نعثر على شيء من احوال النصارى الاولين

ولاسيا في القرون الثلاثة الاولى للتجسد . ذلك لكثرة الحروب
والنكبات التي الت بهم فغيت عنا جليل آثارهم وضيت حقيقة
اخبارهم

الفصل الثالث

حوادث ما بين النهرين السياسية

ورد في اخبار تغلثلसर الاول ملك آشور ١١١٥ - ١١١٠ قبل
المسيح انه في السنة الاولى لتويجه ملكاً اقبل في جيش جرار الى
سواحل الفرات ومر بسنجار ونصيبين وماردين وآمد وشن الفارة
على الماشكين بكهاجين وقهرهم وملأ الاودية والجبال من جيشهم
وكلل الاسوار بمجامعهم

غير انه عام ٢٥٠ ق م تغلب الارشاقيون او الاشكانيون على
العراق والجزيرة وسوريا وجعلوا المدائن عاصمتهم وهم الذين حثوا
قلعة ماردين وحصنها واقاموا فيها جيشاً كئيفاً ليرد عنهم غارات الروم
وغزواتهم . وكانت مملكتهم مؤلفة من ممالك شتى صغيرة عرف
العرب ملوكها بملوك الطوائف ونصبوا لكل منها حاكماً يراجعهم .
واشهر تلك الممالك الرها وتدمر وحدياب والحضر بنواحي تكريت
وميشان وهي البصرة و باجرماي وسنجار

وفي ٢٨ نيسان سنة ٢٢٦ م قويت شوكة ملوك الفرس فانقض
اردشير بن بابك في جيوش جزارة على سهول ما بين النهرين وارزون
وبازبدي وبابل وظفر بارطبان آخر الملوك الفرثيين ونصب كرسيه في

حوادث ما بين النهرين السياسية

المدائن . ولما ملك نرسی على الفرس ٣٠٢ حمل على الارمن وغلبيهم
وعقد الصلح مع ديوقاطيانوس ملك الروم فقررا ان تكون نصيبين
الحدود الفاصلة المماكتين . فسبها الرورخون مدينة الحدود
غير ان شابور الثاني نقض العهد فدوخ نصيبين وخلفه قباد فحصر
آمد سنة ٤٨٨ وسبها واما ملك كسرى انوشروان غزا بلاد الروم
وملكها حتى سماه ثم ارسل يسطنيانس طالعه الى دارا فخرج عنها
كسرى وهادن الروم

ولما قُتل موريتي ايس كسرى الحداد حزناً عليه واحوجه الامر
الى الخلاف مع الروم . فاوفد شهربراز قائده الى دارا فحصرها
لسته اشهر ودوخها واحتوى على كتب شتى . وملك طور عبيدين
وحصن كيفا . فلما سمع ذلك الروم الساكنون في قلعة مارددين اخذهم
الرعب فدخلوا القلعة وانهمزوا الى بلاد الروم الغربية فاجتمع الرهبان
وصاروا الى القلعة واوفدوا الى باسيل مطران السريان بكفرتوت
يستأذونه في مقاتلة الفرس . غير ان الفرس كبسروهم وفتكوا
بهم واستولوا على القلعة سنة ٦٠٧ م

الفصل الرابع

العرب وما بين النهرين

كانت الامم القديمة تتزاحم في تلك بلاد ما بين النهرين لكثرة

(١) تاريخ ابن العبري المدني السرياني ص ٩٢ و ٩٣ وتاريخ الرهاوي السرياني

طبع غبطة العلامة السيد اغناطيوس رحمني بطريرك السريان بدير الشرفه ٨١ : ١٣٣

(٢) راجع مجلة المشرق ١٥ : ١٢٥

خصوبتها وسعة غلاتها . وأزهرت فيها مدن عديدة وحواضر مصرية لم يبق من أكثرها اليوم سوى اخربة مهيبة او مدن ثانوية تشير الى عظم مقامها في القرون الغابرة . واخص تلك المدن نصيبين ودارا ورأس العين وماردين ودينسر وآمد والرها وميافرقين وكفرتوت وابل موزا، وحصن كيخا وقرقيسيا والرقية ويطلق على مجموعها اسم الجزيرة . فهذه البلاد المتدفقة فيها الخيرات والغلات أحببها قبائل العرب سواء كانوا حضرا او مدرا واستوطنوها من سالف الاجيال ومما يدل على انتشار القبائل العربية فيها أعلامها المشيرة الى قاطنيتها كديار ربيعة وديار مضر وديار بكر وجزيرة ابن عمر وغيرها

اما ديار ربيعة فكانت بين الموصل ورأس العين وماردين ودينسر والخابور وما تتضمن من البلاد والقرى . واسم ربيعة لهذه البلاد قديم كانت العرب تحمل في بواديها قبل الاسلام . ويتصل نسب ربيعة بن نزار باسماعيل بن ابراهيم عليه السلام . وتفرع من ربيعة عقيل فتفردت بأرياف الخابور واختصت جشم بكفرتوت وسكن النمر برأس العين . وكان مقام ربيعة خاصة بجبال الجودي وخلفهم الاكراد وخلف الاكراد الارمن

اما ديار بكر فهي بلاد واسعة بين ديار ربيعة وديار مضر وتنسب الى بكر بن وائل . . بن ربيعة . وحدثها ما غرب من دجلة الى بلاد الجبل المطال على نصيبين . ومنها حصن كيخا وآمد وميافرقين وسعرت ويدخل فيها جبل الطور البري وهو لبني شيبان بن بكر بن وائل . اما اليوم فيراد بديار بكر مدينة آمد وحدثها اما ديار مضر فهي في السهول القريبة من شرقي الفرات كحران

والرقة وشميشاط وسروج والرها والرافقة . وكان يسكنها بنو تيم
 وبنو سليم وأخلاق مضر . ومضر هو اخو ربيعة بن تزار . بن اسمعيل
 اما جزيرة ابن عمر فمنسوبة الى اوس وكامل ابني عمر بن اوس
 التغلبي من بني ربيعة . وروى ابن البعري في تاريخه المدني السرياني
 ص ٤٩٣ ان جزيرة ابن عمر ابتنتها قبيلة من العرب تدعى قبيلة عمر
 وانها ليست من ابنية اليونان
 وكانت النصرانية قد اصابته الحظ الافوز في هذه البلاد جمعاء
 كما تشير اليه الاثار التاريخية والكتابية والبنائية ولاسيما الاديار
 والكنائس

الفصل الخامس

المسلمون وما بين النهرين

ولما ولي امر الخلافة عمر بن الخطاب ٦٣٥ - ٦٤٥ اوفد الى ابي
 عبيدة ان اعقد عقدا لعياض بن غنم وجهاز معه الجيوش الى ديار ربيعة
 وديار بكر . فعقد له عقداً على ثمانية آلاف مقاتل فسار عياض يريد
 الجزيرة ففتح بالس والرقة ورأس العين وجملين وكنزرتوت ودارا وماردين
 وقل موزل وغيرها . ثم ارسل الوليد بن عقبة فجمع بني تغلب
 النصاري وارادهم على الاسلام فأسلموا . واطبق النعمان بن المنذر
 على شهر ياض صاحب رأس العين من قبل الروم وفاجاه بطعنة فألقاه
 صريعاً . ثم حمل المسلمون سنة ٦٤٢ على قرقيسيا وملكوها وبنوا
 كنيستها جامعاً وواروا عليها شرحبيل بن كعب . واستولى عبدالله بن غسان

على ماكسين والبشمانية وعربان والمجدل بالخابور
 اما ارسوس بن جارس صاحب ماردن فانهمز الى حران فاقبل
 المسلمون الى ولايته واستحوذوا على قاعتها وبذلوا السيوف في
 النصارى فقتلوهم عن آخرهم . وملكوا راس العين وبنوا كنيستها
 جامعاً . ودوخوا جبل السناسنة وعزلوا ملكه سوسى بن سلنطور
 الارمني . واستعملوا على كفرتوت يرغون وابتنوا كنيستها جامعاً .
 وفعلوا كذلك في دارا ونصيبين وقلعة المرأة وآمد وميافارقين . فأمنت
 بلاد الجزيرة برمتها في حوزة المسلمين وتبعهم في المذهب نصارى بلاد
 ربيعة وديار بكر وديار مضر . وفتكروا بيزدجرد آخر ملوك
 الفرس وحزوا هامته وارسلوها الى سعيد بن وقص واوفدوا تاجه الى
 عثمان أبيه فوضعه في الجامع بالكعبة [المورخ الرهاوي السرياني
 ١٣٣ : ١٧٥]

والا قويت شوكة المسلمين في بلاد ما بين النهرين هجر العرب
 النصارى ايمانهم وتبعوا الدين الاسلامي طمعاً في بقاء الملك تحت
 حوزتهم . فسمى المسلمون محمد بن مروان التغلبي اميراً على ما بين
 النهرين ٦٩٣ - ٧٠٩ وهو الذي اوفد الى الموعد رئيس العرب
 التغلبين النصارى يريد على الاسلام . غير ان الموعد لم يدعن لكلامه
 فاحتم محمد غضباً وألقاه في بئر مملوءة حمأة ثم امر باخراجه والتوسيع
 عليه لعله يدخل في دين الاسلام . ولكنه اي الموعد ابى الا الثبات
 على ايمان اجداده فارسل محمد وقتله . وعام ٦٩٦ سار الحجاج الى
 نصيبين وقتل وسلب واخرب وصلب مردنشا ونجله وشمعون برنونا

امراء البلد النصراري وجمع روساء الارمن في الكنيسة واحرقهم^١
وجاء عن الوليد أنه استدعى اليه سمعال رئيس العرب التغليين
المسيحيين وقال له « عارٌ عليك السجود للصليب واضطرار العرب
اصحابك الى السجود له نظيرك . على اني انصح لك ان تدعن
لامري وتتبع الذين الاسلامي »

قال له سمعال « اني لا انكر اني امام التغليين قاطبة . غير
اني اخاف كل الخوف ان اردت اصحابي على الاسلام وعلى انكار
دين عيسى فاني اغدو سبياً لهلاكهم »

فما كان من الوليد الا ان اصدر الامر الى اصحابه فاوثقوا سمعال
وجروه في الشوارع ثم ارسل يتهدده ويقول له « ان لبثت مصرأ
اطعمناك لحم جسدك » لكن سمعال لم يكثرث للوعد والوعيد .
فاوفد الوليد وقطع فيخذه وشواهنا والقاها في فيه فالتقمها سمعال
مصطبراً فانذهل الوليد وسرحه على تلك الصورة الى بيته وظل حياً
دون فيخذ^٢

وعام ٨٣٣ هاج هائج المسلمين في دارا ونصيبين وآمد وماردين
وراس العين وفتكوا بكثيرين من وجهاء المسيحيين وتجارهم واحرقوا
دساكرهم واطربوا قراهم وبقروا العذارى وقتلوا الفتيان^٣
وآخر من عُرف من الامراء الروانيين محمد خليفة غانم . تولى
ديار ربيعة والخابور وما والاها وولي بعده ابو جود التركي ٨٦٢ -

(١) ابن العبري تاريخه المبراني ص ١١٢ والرماري ١٤٨ : ١٨٩

(٢) ابن العبري ص ١١٥ المبراني (٣) الرماري ٢١٧ : ٢٤١

٨٦٨ فوجه الجنود الى ابي العمود التغلبي فقتلوه في كفرتوت
ثم تولى أمر الجزيرة حمدان بن حمدون التغلبي الربيعي جد الامراء
الحمدانيين ٨٦٨ - ٩٨٢ وجعل هو وخلفاؤه مدينة برقيد قسبة
ملكهم . وشخص المعتضد خليفة بغداد عام ٨٩٤ الى ماردين يريد
قلعتها فانهزم حمدان بن حمدون وخلف بها ابنه فنازلها المعتضد
وقاتل من فيها يومه ذلك . واما كان من الغد ركب المعتضد وصعد
الى باب القلعة وصاح بابن حمدان فاجابه فقال افتح الباب ففتحه
فقعد المعتضد في الباب وأمر بنقل ما في القاعة وهدمها . وكان عضد
الدولة آخر من تولى أمر ماردين من بني حمدان وحلت وفاته سنة
٩٨٢ وبوته انتهت مملكة بني حمدان التغلبي

وسنة ٩٨٣ قومي امر الاكراد في بلاد الجزيرة . ومالك بعد
باز بن دوستك ابو علي بن مروان سنة ٩٩٠ وخلفه اخوه ممهد
الدولة ومالك بعده ابو نصر بن مروان ١٠١١ - ١٠٦١ وكان
مقصداً للعلماء من جميع الافاق واستتبت الراحة في ايامه وسادت
الطمأنينة في جميع بلاده . وخلفه نصر ابنه ١٠٦١ - ١٠٨٠ وولي
بعده منصور ابنه ١٠٨٠ - ١٠٩٥ وعلى يده انقرض امر بني مروان

الفصل السادس

الدولة الأرتقية ١٠٩٥ - ١٤٢١

تفرّد بنو ارتق بمملكة ماردين واحتصنوا بمعاقلها واعبوا دوراً
مهمّامدة ثلاثة قرون . وعرف منهم اثنان وعشرون ملكاً تولوا

امر ماردین وغيرها خافاً عن سلف . ولهم اليد الطولى والرتبة الاولى في بناء المساجد والمدارس وإحياء المعارف وتجديد الدوارس وكانوا اصحاب شوكة ومراس يضيفون العلماء ويعزّون ارباب المحابر ويحلّون اصحاب المنابر

واول من ملك منهم ارتق بن اكسب ١٠٧٦ - ١٠٨٥ وخلفه امين الدين ايلغازي المعروف بالملك الجبار ١٠٨٥ - ١٠٩٢ وولي بعده ايلغازي بن ارتق سنة ١٠٩٢ ثم ياقوتي ثم علي ثم ايلغازي ١١٠٤ - ١٠٢٢ وهو الذي ضم حلب الى ماردین سنة ١١١٨ - ١١٢٧ وتقلد زمام الملك بعده حسام الدين قمر تاش ١١٢٢ - ١١٥٣ وشاد في ماردین مدرسة سميت المدرسة الحسامية ابنتى الى جانبها مسجداً مفخماً . ووليه نجم الدين ابي ١١٥٣ - ١١٧٦ وفي عهده استحلّ المسلمون كنيسة الاربعين شهيداً ودار المطرنة السريانية وضموها الى الجامع سنة ١١٧٠ واستولوا كذلك على كنيسة مار توما كما اورد ابن العبري والمؤرخ الرهاوي في تاريخيها السريانين .

وخلف نجم الدين قطب الدين ١١٧٦ - ١١٨٤ ثم حسام الدين يواق ارسلان ١١٨٤ - ١٢٠٤ ثم قطب الدين فناسر الدين احمد ١٢٠٤ - ١٢٣٤ وشاد المدرسة الشهيدية . وجامعاً ومدرسة ومنازة في دنيسر ومدرسة في حرزم

وقام بعده السعيد ابنه ١٢٣٤ - ١٢٥٩ ثم الظفر ابنه ١٢٥٩ - ١٢٨٥ فالملك المنصور ١٢٨٥ - ١٣١١ فالعادل ثمانية عشر يوماً . فالملك الصالح ١٣١١ - ١٣٦٣ فالمنصور الثاني ١٣٦٣ - ١٣٦٤ فميمود ابنه ١٣٦٤ - ١٣٦٦ فراود بن صالح ١٣٦٦ - ١٣٧٦ فالملك الطاهر

١٢ الامارة القرقوينية والامارة الاغقوينية

عيسى ١٣٧٦ - ١٤٠٦ وفي عهد مملكته اي عام ١٣٩٣ شخص
تيمورلنك الى ماردن وخيم في دنيسر يتربص الفرصة للاستيلاء على
الولاية . ثم شخص الى البلد وأخربه واثبت حتى سنة ١٤٠٠ ياول
اخذ القلعة فامتنت عليه فهدأ اسوار البلد وقوض الجوامع والجماعات
والدور وانقلب راجعاً

وخلف الملك عيسى الملك الصالح ١٤٠٦ - ١٤١٠ ثم اولاده
الثلاثة موسى ومحمود وعبد النبي . وفي تلك الغضون قوي امر
قره يوسف التركماني فحصر القاعة سنتين واستولى على سواد البلد ومالك
آمد وميافرقين وحصن كيفا والحرور وراس العين

الفصل السابع

الامارة القرقوينية ١٤١٠ - ١٤٦٨

والامارة الاغقوينية ١٤٦٨ - ١٥١٤

وفي تلك الاثناء اشتدت صولة التركمان وتولى امارتهم قره يوسف
بن محمد . فظهر على صاحب بغداد والبصرة وخطب له فيها وفي
الكوفة وكرديستان . وسنة ١٤١٠ شخص الى ماردن وانضمها
واستعمل العمال عليها وعلى آمد وقفل راجعاً الى توريذ . وولي بعده
ابنه اسكندر ١٤٣٥ فقته قباد عبد اخيه عام ١٤٣٧ ومالك حسن
الطويل دياربكر وماردن فسار اليه جهانشاه في خمسين الفا فانهزم
حسن الى خربوط ماردن فجد جهانشاه في طابه فانقلب حسن الطويل
الى ماردن وقاتل جهانشاه وقتك به وبجنوده سنة ١٤٦٨ ومالك

مكانه . ثم سار حسن الى العراق وولى اخاه القاسم شؤون ماردین وديار بكر واستنهضه ليعتبر ما تهدم ويجدد ما تقرض . فنقل الامير قابم الى ماردین نيافاً وثمانين الف غائلة من نواحي توريذ واذربيجان ورثم المساجد والحمامات والاسواق والدور وشاد مدرسة غربي البلد عرفت بالقاسمية حتى يومنا ورتب لها الاوقاف وابتنى جامع التكيه وشادت زوجته الى جانبه مدرسة الخاتونية . واقام ابرهيم ابن اخته والياً على ماردین فديرها سبعاً وثلاثين سنة . وعام ١٥٠٧ تولى امور ماردین اوستاجاو المعروف بنحمد كيتونه فظهر عليه السلطان سليم خان الاول ابن السلطان بايزيد ١٥١٣ - ١٥٢٠ فامست ماردین منذ ذاك خاضعة للسلطين العثمانيين ينصبون لها الحكام واحداً فواحداً

الفصل الثامن

الدولة العثمانية

وسنة ١٦٢١ اوفد السلطان مصطفى الى ماردین عيتابلي محمد آغا ليتولى شؤونها من قبله . وخلفه سبعة حكام لم تطل مدتهم الا تسعة اعوام . وسنة ١٦٣٠ سمي يعقوب حاكماً لماردین فانشأ السراي الجديد شرقي البلد . وشدد الحكام بعده على النصارى . وانزلوا بهم النكبات والعقوبات فاضطر نصارى الصور والاحمدى واستل ورشمل وقباله وعشائر المحلية والراشدية والمخاشنية ان يهجروا النصرانية ويدينوا بالاسلامية

ومنذ عام ١٦٤٧ جعل حكام ماردین يراجعون وزراء بغداد

ليستعينوا بوافر غلاتها على مقاتلة الذين يناصبون الدولة ويعادونها
كاهالي سنجار ومن نحا نحوهم . وظلت ماردین خاضعت لوزراء
بغداد حتى سنة ١٧٢٧

وعام ١٧٣٥ اقام السلطان محمود الاول علي الرضا باشا المارديني
والياً للبلد وانعم عليه وعلى اولاده من بعده ان يتولوا شؤنها .
وحدثت فتن شديدة سنة ١٧٧٧ في بلدة ماردین فثار الاهالي على
يوسف الحاكم وسموه وسموا عبد القادر خاينته سنة ١٧٧٩ وعثمان
المكتوجي سنة ١٧٨٥

وسنة ١٧٩١ شخص الى ماردین سليمان باشا وزير بغداد وامر
بصلب حسين السراكجي وحسين الفرسي في سوق الطحين ثم قفل
راجعاً الى بغداد . وعام ١٨٠٧ تغلب الداشية على المدينة وضعضوا
اسوارها ونهبوا الاسواق وابتروا الاموال وفتحوا تحت الليل النما
وخمسائة بيت واحترقوا على ما فيها وواصلوا اطلاق البنادق في المدينة
ثلاثة ايام كاملة . وكان ذلك في رمضان سنة ١٨٠٨ فتأتى من ذلك
ان جملة من الحوامل لقين حتفهن ازيد الرعب والهلع

ولما تولى حسين العزب امور ماردین فتك بامير الفرس وامير
العمریان وامير الكيكية وامير الملية وعبد الفتاح . وقتل اربعة
وعشرين من الداشية والبنابلية وبعث برؤوسهم الى وزير بغداد
فأثنى الوزير على شهامته وايده في وظيفته وخلع عليه الخلع الثمينه
وسنة ١٨١٥ نصب يونس الاربلي حاكماً لماردین فحدثت في

ايامه مشاغب وفتن بين السركجية والداشية والعمریان اذ كانوا يطوفون
الاسواق يضربون ويقتلون كل نصراني . ولما تولى الحكم احمد آغا

السلاجدار القى القبض على بطريك السريان اليعاقبة في عاشر رمضان ١٨١٧ وزجه في سجن القلعة فاخذت الحمية الخواجا الياس شادي كبير الارمن المشهور اذ ذاك بنفوذه فحامي عنه وافتداه بثلاثة وثلاثين كيساً اضاف اليها سبعة اكياس . فاضطر السريان ان يبيعوا اوقاف بيعة الاربعين ودير مار ميخائيل وبيعة شموني ليوفوا المبلغ والزمو السريان الكاثليك ان يغرموا شيئاً من ذلك فأدوه وانقذوا البطريرك .

وفي نيسان ١٨٢١ استدعى عبد القادر حاكم ماردين الخواجا الياس شادي الارمني واستقرضه خمسة عشر كيساً اضاف اليها فيما بعد اربعين كيساً اخرى ففرض الخواجا الياس على المسلمين ثلاثين كيساً وفرض الباقي على المسيحيين . غير ان المسلمين ابوا الدفع فاضطر الحاكم نصارى البلد ان يدفعوا المبلغ اجمع ولم يقرّ قراره حتى استوفاه منهم عن آخره

وعام ١٨٣٠ وافى الى ماردين علي باشا وزير بغداد فأدى له الطاعة الحاج احمد الحاكم ودفع اليه مفاتيح القلعة . وخلفه سنة ١٨٣١ عثمان بن ابراهيم باشا الامدي فألقى القبض على الخواجا الياس شادي وسجنه في القلعة وابتز امواله وامتعتة . واوفد في ١٥ آب الى حارس القلعة في قتاه غيلة ففتك به ايلاً والقى جثته الى جهة الباد فاستحوذ الرعب على النصارى . غير ان الحاكم لشديد خشونته وفضاظته اصدر الامر الى الجنود فاوثقوا جثة القتيل البري وجروها في ازقة البلد عند الظهرية ومضوا بها الى المسلخ واستحذوا على امتعتة واثائه وباعوها في السوق العامة

وسنة ١٨٣٥ نُصب اسعد محمد المعروف بكوسه حاكماً لماردين
 وفي ايامه جرى تحرير الاهالي فكان عدد المسلمين ٢٩٤٣ نسمة
 والنصارى ٣١٩٠ واليهود خمسين نسمة
 وظلت ماردين خاضعة لوزراء بغداد حتى جمادى الاخرى ١٨٣٩
 فأنيطت امورها بمحمد باشا البيرقدار والى الموصل فشحص اليها سنة
 ١٨٤١ واستمر فيها سنة كاملة وعشرين يوماً ثم اقر عليها محمد آغا
 وعاد الى الموصل . ومنذ سنة ١٨٤٥ صار حكام ماردين يراجعون
 والى ديار بكر . وبعد هذا نصب انيس باشا متصرفاً وظل الى
 ٢١ تموز ١٨٨٩ وفي زمانه احترقت القيصرية التي كان يشغلها تجار
 النصارى فالتهمت النيران بضائعهم واموالهم واودت بحياة غير واحد
 من شبانهم ورجالهم . واما كان رمزي متصرفاً لماردين سنة ١٨٩٥ ثار
 المسلمون على ارمن ديار بكر وخربوط واورفا وسويرك وماردين وغيرها
 فاحرقوا وسلبوا وقتلوا وسبوا كما سترى

الفضل التاسع

مساوى ولاية ديار بكر

اعلم انه منذ أقيمت مقاليد ماردين الى ولاية ديار بكر تعددت
 عليها الارزاء والنكبات حتى صارت الى الضعفة والدمار . على انهم
 لا خلف الله عليهم بخير تحكروا في اهاليها المسلمين والمسيحيين معاً
 واستبدوا بهم وكلفوهم ما لا يطاق من الضرائب في هذه السنين
 الاخيرة ليحسّنوا ديار بكر السوداء وضربوهم ضربة معضلة قصبت
 ظهرهم وكادت تدخلهم في خبر كان

على اننا رأينا حقيقة ذلك بأمر عيننا خاصة في عهد رشيد والي ديار بكر الطاغية فان ابليس الخناس باض في راسه واقتعده ريثما سؤل له ان يضم اليه أحزاب الشر فوقع بالنصارى الابرياء وساقهم وقتلهم وسباهم ونهبهم . وانتقى لتنفيذ خبيث مآربه قوماً من مروّجي سوء افكاره كخليل اديب رئيس الجزاء والحاج زكي واخيه وبدرى وممدوح وتوفيق وهارون وغيرهم ممن سترى اسماءهم . واوفدهم الى ماردن الامينة فانفجروا عليها حاملين أوامره الناطقة بهدر الدماء واستباحة العذارى والنساء واجلاء النصارى عن البلاد والفتك بهم في التلال والجبال والاوودية والبراري . فانكشفت اذ ذاك الاحقاد المستورة وتهاوت الشهادات الزورية وانجلت الخزازات وراح كل محفر الحفائر للنصارى كما يشاء هواه . حتى انه في اوجز مدة انقلبت الولاية انقلاباً عظيماً فأقنرت من السكان واحمرّ بساط اراضيها بدماء الابرياء الاطهار وامست في حال يبكي لها الجهاد

الفصل العاشر

الدولة الارمنية

عُرِفَت منذ القرن السادس قبل التاريخ المسيحي امة تكلمت بالارمنية وسكنت نواحي اراراط الجبلية . اما بلاد الارمن فيجدها شمالاً البحر الاسود وبلاد الكرج وبشرقاً الكرج وبلاد العجم وجنوباً كردستان والجزيرة وغرباً آسيا الصغرى وكانت ارمينية خاضعة لصولة الاشوريين تارة وطوراً لصولة

البابليين واستقلت آونةً من حكم كاتا الملكتين . وكان شردوري اول من ملك ارارطو او ارمينية سنة ٨٨٥ ق م وخالفه ارامي وجرت بينه وبين شلمناصر ٨٢٥ ق م الحروب الشتى حتى ان شلمناصر قصد ارزشخون شمالي وان سنة ٨٥٨ ق م وقاتل ارامي وقتل من جنوده ٣٤٠٠ نسمة ودمر ارزشخون وسار الى بحيرة وان وغسل اسلحته وكتب ثم حادثة غلبته . واما مات شلمناصر عصاه الارمن فسار اليهم ربشاقى وقوض من بلادهم ثلاثمة مدينة وقرية فهب ارغستن ملك الارمن وحارب شلمناصر الرابع ٧٧٢ وانتصر عليه مرتين . غير ان تغلفلسر الثالث ٧٢٧ حارب شردوري الثالث ملك ارمينية سنة ٧٥٦ ق م في دسبان او هي وان وقتل من جنوده ثلاثة وسبعين الفا واستحوذ على عجلاتهم واسلحتهم واحرق خزائن مملكتهم ونقل تحت ملكهم الى نينوى

وظلت ارمينية خاضعة للملك بابل وآشور ومادي حتى ظهر الفرثيون سنة ٢٥٠ ق م فملكوها وجعلوا عاصمتهم مدينة ساليق وقطسبون او هي المدائن

ولما قويت شوكة الملوك الرومانيين دوخوا ارمينية وانتزعوها من يد الملوك الفرثيين فقاتلهم ارطبان الرابع واستخلص منهم بالاده وملك عليها ارشاق ابنه البكر سنة ١١ بعد المسيح . وسنة ٦١ ب م سار ولغش الى ارمينية وحصر الروم الذين فيها واضطروهم الى مغادرتها وفي ٢٨ نيسان ٢٢٦ شد اردشير بن بابك راس الملوك الساسانيين على بلاد الفرثيين وظفر بارطبان ملكهم ودوخ المدائن عاصمتهم فانهم الفرثيون الى جبال ارمينية وتركوا خزائنهم واسلحتهم غنيمة

للعُدو . ومنذ ذاك نشأت مملكة ارمينية الفرثية

وظل الفرثيون دهرًا طويلًا يحكمون في ارمينية وينصبون لها الأمراء والبطارقة والولاة من الارمن حتى غدت راتعة في بجابح الامن والطمانينة . وسنة ٨٥١ طمع فيها المتوكل خليفة بغداد وولى عليها وعلى أذربيجان يوسف بن محمد . وما وصل الى خلاط حتى سارع اليه بفراط بن اشوط بطريق الارمن فاحتال عليه يوسف وأوثقه وحمله الى المتوكل . فاجتمع بطارقة الارمن وتحالفوا على قتل يوسف فوثبوا به في بقاعة موش في شدة من البرد وكلب من الشتاء وقتلوه [تاريخ الدول لابن العبري ص ٢٤٧]

وساعد ملوك الارمن الخلفاء العباسيين فيما بعد وعضدوهم حتى انه في عهد المعتصم زحف سهل بن سنبلاط البطريرق الارمني الى بابك عدو الخليفة وأسره وبعث به الى الافشين فحمله الى المعتصم فأمر سيّافه فقطع يديه ورجليه ثم ذبحه وشق بطنه وانفذ راسه الى خراسان وصاب بدنه بسامرا . فاضطر الخليفة لذلك ان يجامل الارمن ويحسن معاملتهم

ولعب ملوك الارمن في عهد المغول او التتر دورًا مهمًا اذ كان لهم نفوذ عندهم حتى ان أخا التكنفور ملكهم حضر سنة ١٢٤٦ مع امراء البلاد حفلة تتويج كيوك خان ملكاً على المغول فأحسن كيوك خان اليه وكتب له العهود . وكان كيوك خان يُعز النصارى ويكرم المطارنة والاساقفة والراهبين فصارت الدولة المغولية مسيحية وارتفع شأن طوائف الفرنج والروس والسريان والارمن . والتزم الخاص والعام من المغول وغيرهم ممن هز بينهم ان يقولوا في السلام

بارخمور ~~دعوه~~ بالسريانية اي بارك مالكي
 وسنة ١٢٥٢ توجه حاتم ملك الارمن من سيس عاصته الى
 مونككا قان ملك التتر فأعزّه الملك واحسن معاملته . ولما ملك
 على المغول اباقا ايلخان سير صاحب مصر الى حاتم ليدخل في طاعته
 ويحمل اليه الجزية ويمكّن الناس من مشتري الخيل والبغال والحنطة
 والشعير والحديد من بلاده . غير ان حاتم لم يجب الى طلبه فهجم
 المصريون على بلد الارمن وحاتم غائب فاجتمع اخوته واولاده
 وامراؤه وجمعوا أتباعهم وخرجوا ليمنعوا المصريين فالتقوهم عند
 حجر سروند فانكسرت الارمن واستوسر ولد الملك حاتم وقتل
 ولده تورس وانهزم الامراء والعسكر . ونهبوا واخربوا بيعة
 سيس الكبرى

واشتهر سنة ١٢٧٦ لاون ابن ملك الارمن وسار مع المغول الى
 الشام سنة ١٢٨٢ في عساكره فقهرروا المصريين في حمص ورجعوا .
 وملك بعده يوحنا بيل وسُمي قسطنطين الثالث وخلفه اخوه كوفيدن .
 ١٣٣٤ ثم قسطنطين الرابع . وفي عهده سار التركمان الى قلعة
 كابان وهي من امنع قلاع سيس وملكوها بالحيلة وقتلوا رجالها
 وسبوا النساء والاطفال . قال في ذلك ابن الوردي

صاحبُ سيس الجديد نادى كابانُ عندي عديلُ روجي
 قلنا تأهبْ لغير هذا فذا فتوحٌ على فتوحِ
 ثم ملك ليون فشنّ المصريون الغارة تكررًا على قيلقيا ونهبوا
 واحرقوا وقتلوا . وهجموا على سيس ودكروا حصونها وفتحوا
 قبور الملوك والولاة واحرقوا عظامهم وأسروا لاون الملك واهل

بلاطه سنة ١٣٧٣ ومضوا بهم الى مصر وسجنوهم سبع سنوات فتوسط الحبر الروماني في مسألتهم وانقذهم من أسرهم . وسار بعد ذلك لاون الملك الى اورشليم وترك بها امراته وبنته ثم ظعن الى رومة وزار اعقاب الحبر الاعظم وشكر له فضله واحسانه وعاد الى باريس وفيها توفي في ٢٢ تشرين الثاني ١٣٩٣

اما تيمورلنك البلاغية فبعد ان دوخ بلاد ما بين النهرين سار الى سيواس وأسر جنوده فقتلوا الاطفال في احدى البقاع وأوثقوهم بالحبال وأما توهمهم بحوانر الخيل ودفنوا الشبان والنساء احياء وخنقوا المرضى والمقعدين والشيوخ . واصبحت ارمنية سنة ١٦٠٣ خاضعة لشهباز ملك العجم فنفت في الارمن سمه الزعاف وأخرجهم الى سهول اراراط واحرق دساكرهم وحقوقهم وبساتينهم . واستاقهم كالحراف الى النهر واضطروهم ان يمبروه . فاختنق عامتهم الا من اعتاد السباحة . ثم ساق منهم زهاء اثني عشر الفاً الى اصبهان فمات منهم من مات اما من بقي فابتنوا لهم مدينة سنة ١٦٠٤ وظلوا نحو ثمانين سنة تحت نير العجم والأتراك . وسنة ١٨٢٦ استبد الروس بقسم من بلاد ارمنية فامسى الارمن والحالة هذه منذ اوائل القرن التاسع عشر خاضعين للعجم والأتراك والروس

فتفرق الارمن طرائق وتفرقوا في تركيا وروسيا والعجم والنمسا والمجر والمند والكريج وبلاد الية . وأما حارب روسيا السلطان عبد المجيد سنة ١٨٥٥ امر بهار دماء الكثيرين من الأرمن والنصارى وجرى الأرمن مثل ذلك سنة ١٨٩٥ في بلاد ما بين النهرين . بل رأينا اعداء الارمن متحفزين لشرب دمائهم بعد اعلان الدستور ايضاً

حتى انهم سنة ١٩٠٩ ارتكبوا من الجرائم والفظائع في اطنه خاصة ما انسى فظائع البوكسر في الصين فقتلوا وصلبوا واحرقوا وسلبوا وذبحوا وسبوا . فسودوا تواريخ تركيا بصفحة جديدة زادوها سواداً على سواد في هذه الايام الاخيرة . ما قولك يا صاح في من فُطم على سفح الدماء البريئة وتعود الاثار من الامم المسيحية . لعمرى انك مهما بالغت في تقييحه وذمه قصرت وما وفيته حقه

الفصل الحادي عشر

الكنيسة الارمنية

اعلم ان نجم النصرانية لاح في البلاد الارمنية في اوائل القرن الرابع للمسيح فان الله جلبت احكامه قيّض للارمن رسولاً غيوراً واماماً بطالاً مشهوراً بشرهم بالديانة المسيحية وقادهم في المراعي الخصيبة وسقاهم مياه النعمة المستعذبة فاثروا ثماراً شهية ضاع عرفها وطاب مذاقها . وإن ذلك الرسول النبيل الأغر يغور المنور الذي تنعّر على يده طريدت ملك الارمن وغدا من اكبر حماة الدين المسيحي واشهر الساعين في نسف صروح المذهب الوثني . والى هذا الخبر الشهيد يرجع الارمن وبه يتباهون ويتفخرون لانه اول من انشأ لهم المدارس والاديار . ولما أقيم جاثليقاً نصب كرسيه في اشميازين شمالي غربي بحيرة وان . وخلفه في الجثلة على التسابع ابناؤه ارسطهكس وورطان وهوسك المشهورون . وخلفهم برنوسح فترس + ٣٧٣ فأنشأ المشاريع الخيرية كالمستشفيات والميتم والاديار

والمدارس . فاصبحت ارمنية في عصره كجماعة رهبانية ضمَّها دير واحد ورئيس واحد . واشتهر اذ ذاك القديس مسروب وامتاز بغيرة عجيبة وشهامة غريبة فانه بعدما درس السريانية واليونانية في مدرسة القديس نرسيس الجاثليق قصد السيد اسحق الكبير الجاثليق ٣٩٠ - ٤٣٩ والملك بهرام شيوخ واستشارهما في نشر الايمان باللغة الوطنية فأثنيا عليه وشجَّعاه لياشر العمل ويتقنه فصار الى الرها وسأل دانيال اسقف السريان ان يعلِّمه الحروف الارمنية فشرع يدرسها دون ملل هو وجملة من الشبان ثم توجه بهم الى سميساط ودرس اليونانية وحذقها . واستنبت اخيراً القلم الارمني باتعاب جزيلة واسهار طويلة . وعني اسحق الجاثليق بترجمة الاسفار المقدسة من السريانية واليونانية الى الارمنية وهو اول من عقد للارمن مجمعاً في فغرشباد سنة ٤٢٦ صار فيما بعد دستوراً لسائر الجامعات . اما مسروب فصرف المساعي في وضع الكتب الطقسية والتأليف الروحية الكنسية

واشتهر بعد القديس مسروب القسّ لاون الارمني فانتمت رجالاً محنّكين نجّدهم في الجندية وسمّي لهم ورتان البطل قائداً فزحفوا الى عسكر الفرس وكشفوهم عن ارمنية . سنة ٤٨٨ سارواهان لمحاربة الفرس واستحصل للارمن الحرية الدينية التامة وواصل الارمن شغلهم ونفوا يوماً فيوماً بالتقوى والعلوم والمعارف

واشتهر في القرن السابع نرسيس الثالث الجاثليق فابتنى كنيسة جلياة في فغرشاباط سنة ٦٥٤ على اسم غريغور المنور ووضع فيها ذخائره الثمينة حملها فيما بعد متولّو الكنيسة الى نابلي فرومته . وقد اكتشف عام ١٨٩٩ الاب دديان كاهن اشيازين على الكنيسة المشار

اليها فألقى على مسافة ساعة الى الشرق تلاً حفرة فرأى تسعين عموداً
 ووجد للكنيسة خمسة ابواب وخمسة مذابح . استنتج منها انها هي
 هي الكنيسة التي شادها نرسيس الجاثليق . وعثر فيها على كتابتين
 يونانيتين رُقم عليهما اسم نرسيس الجليل
 واعلم ان كرسي جاثليقة الارمن أُسس اولاً في فغرشباط ثم
 نقل الى سيواس فسيس فدير بزمار بلبنان سنة ١٧٤٢ فالقسطنطينية
 وفي سلخ تموز ١٨٣٠ نصب بيوس الثامن للارمن جاثليقاً اسمه انطون
 نوريجان واطاف بيوس التاسع سنة ١٨٥٠ الى جاثليقة الارمن مطرانيات
 وانسقييات شتى

وفي ١٢ تموز ١٨٦٧ ابرز بيوس التاسع برآءته المشهورة رفرسورس
 Reversurus فيها ألغى البريماتات وقرر ان يكون الكرسي
 البطريركي في القسطنطينية وثبت السيد انطون حسونيان بطريركاً
 ولقبه ببطرس التاسع . غير انه اجتمع عام ١٨٧١ بعض الاساقفة
 وخلعوا البطريرك الشرعي واصطفوا عوضه السيد كوبليان مطران آمد
 وأضرموا نيران الفتن والاراجيف في الطائفة . وتفرقت لهم
 الحكومة فخبطوا الكنائس والأوقاف واستحصلوا الاوامر بنى
 السيد حسونيان فسار الى رومة . ولما نصب السيد اسطفان عازريان
 بطريركاً صرف المهمة القعساء والأتعاب الوافرة حتى اعاد اليها الى
 مجاريها

واذا شئنا ان نخصص الكلام في ابرشية الارمن بما بين النهرين
 قلنا ان ماردن كانت ولا تزال عندهم من اول الكراسي المطرانية
 اعتباراً للسيد ملكون طازباز المارديني المذكور في الخير ونظراً الى

كثرة عدد الارمن الكاثليك فيها . واليك سلسلة المطارنة الذين تولوا رئاستها منذ ذاك حتى يومنا

١ : السيد ملكون طازباز . اعلم اننا ما عدا السيد كلوسد ١٦٠١ - ١٦٢٠ والسيد سر كيس ١٦٢٧ - ١٦٣٢ اللذين خدما ابرشية ماردين لا ندري مطراناً آخر للأرمن اذ ذاك غير السيد ملكون طازباز . فهذا اصطفاه الاب يوحنا سان منس سنة ١٦٤١ وأوفده الى عاصمة الكتلكة فدرس العلوم في مدرسة البروبغندا وارتم كاهناً وعاد الى وطنه وجعل يشتغل في كرم الرب دون ملل حتى استدعاه البطريرك بطرس بيسك الحلبي الكاثليكى ونصبه مطراناً على ماردين سنة ١٧٠٨ فرجع الراعي الجديد الى ابرشيته وطاق ينصح للارمن ليهجروا بدعتهم ويحنوا هامتهم لخليفة بطرس زعيم الرسل . فانجح الرب مساعيه وكمل اتعابه بالتوفيق واليمن حتى ان عموم الارمن بماردين اعتنقوا الايمان الكاثليكى المقدس . وبعد ان قضى ستة اعوام في خدمة الرعية الجديدة ظهر عليه اعداء الكتلكة وأذاقوه الامرين واستحصلوا الاوامر بنفيه الى القسطنطينية فرج ثم في السجن واوثق بالسلاسل حتى قضى شهيداً سنة ١٧١٦

٢ : وخلفه السيد مرطير مركاتر الامدي الذي اعتنق الايمان الكاثليكى سنة ١٦٨٥ وايده الجبر الروماني مطراناً لماردين في ٢ آب ١٧٢٢ وحلت وفاته سنة ١٧٢٧ ودفن في كنيسة مار جرجس بماردين

٣ : وقام بعده السيد ملكون مركاتر شقيقه سنة ١٧٣٨ وتوفي في سلخ تشرين الاول ١٧٦٧

- ٤ : وخلفه السيد اوهنيس طازباز اقامه الكرسي الرسولي مطراناً لماردين في منسلخ نيسان ١٧٦٨ وما قضى ستة في ماردين حتى توجه الى رومة وفيها انتقل الى جوار ربه في ٣ نيسان ١٧٧٣
- ٥ : وتولى الرئاسة بعده السيد يوسف بليط في ١٤ تشرين الثاني ١٧٧٢ وحلت وفاته في آب ١٧٧٣
- ٦ : ونصب بعده السيد بطرس يهيزار تلميذ البروبغندا رقاءه ابطريك ميخائيل الثالث في دير بزمار مطراناً لماردين وفاضت روحه بين يدي خالقها في ١١ تموز ١٧٨٧
- ٧ : وخلفه السيد يويقيم طازباز تمطرن على ماردين في ايلول ١٧٨٩ ولفظ روحه في ٢٧ تشرين الثاني ١٨٣٦
- ٨ : وقام بعده السيد ابرهيم قنديلي رسبه سالفه مطراناً وجعله معاوناً له في تدبير الابرشية وتولى مكانه بعد موته وقبض الى رحمة ربه في ٢٨ كانون الاول ١٨٣٨
- ٩ : ورسم بعده مطراناً لماردين السيد يوسف فرّا الحلبي في ١٥ تموز ١٨٣٨ غير انه استعفى ولزم وطنه حتى توفاه الله في ١٧ ايلول ١٨٥٤
- ١٠ : وخلفه السيد جبرائيل شاشاتي الحلبي رقاءه السيد غريغوريوس الثامن الى المطرانية في ١٣ ايار ١٨٥٥ واختتمت المنية في غرة سنة ١٨٦٣ ولُحِد في مدفن اسلافه
- ١١ : وقام بعده السيد مياكون نزر رسمه مطراناً لماردين البطريك غريغوريوس الثامن وخدم الابرشية ستاً وثلاثين سنة . وبذل المساعي في بناء كنيسة مار يوسف بماردين وكرسها في ١٤

كانون الثاني ١٨٩٤ واستأثر به ربه في ١١ تشرين الاول ١٩٠٠ واه منشور طبع في ٢ نيسان ١٨٧١ كتب فيه ما نصه [قد حان لي ان انبهكم ايها الابناء المحبوبون وانوح على الداهية التي اصابنا جماعة من طائفتنا في الاستانة ودياربكر فان اربعة اساقفة ضلوا عن محجة الدين القويم وتحزب لهم زمرة من الكهنة والعوام فنصح لهم الاب الاقدس فلم يذبحوا ففصلوهم من حضن الكنيسة المقدسة . . . اني اذكركم بما كان يقول السيد . لكون طازباز الطيب الذكر وهو « اني اتضرع الى الله ليبعد كل هرطقة عن هذه الابرشية » فقد تمت رغبته الصالحة ولم يشرد احد منها عن الجادة القوية حتى اليوم]

على ان اعداء الارمن الكاثليك شخصوا الى ماردين سنة ١٨٧٤ ودخلوا الى هيكل الله وطرّدوا المطران والقساان من كنيستهم وجعلوا وجهاء اللة تحت المراقبة فساروا الى كنيسة السريان الكاثليك وحلوا فيها ضيوفا كراماً . وكانوا يقضون فيها الحفلات والطقوس البيعية بالمناوبة . حتى ان السيد . لكون نذر كتب في خطبته في غرة سنة ١٨٧٥ ما نصه « اني انتهر الفرصة لابدي لكم يا ابناء الطائفة السريانية المكرمين واکهنتكم الغيورين ورئيسكم الجزيل الاكرام شعائر الحب والامتنان لما ابديتم نحونا نحن المضطهدين من خالص الحب عربوناً لتقواكم اذ تذكرتم قول يسوع « كلما فعلتم ذلك باحد اخوتي هولاء الصغار فبي فعلتموه [متى ٢٥ : ٤٠] كنت غريباً فأويتموني . نعم نحن غرباء السيد المسيح . غرباء جاً بايماننا واتحادنا غير المنفضم مع الكرسي الرسولي البطرسي »

وما اکتفى اعداء الكنايكة بذلك بل رفعوا الدعوى الى

المحكمة المدنية وطلبوا ان ينفي المطران وكهنته واستولوا على مال البر وأرزاق الفقراء . غير ان كاثليك ماردين غدوا وقت الاضطهاد كنبراس انار بلاد ارمينية جماء وكما انهم كانوا الاولين في الكشككة غدوا الاولين ايضاً في المدافعة عن حوزة الايمان الكاثليكي بقولهم ومثلهم وعملهم فاستحقوا الثناء الطيب والذكر الجميل على تتالي الايام . وظل الارمن في كنيسة السريان الكاثليك حتى سابع شباط ١٨٧٦ فرجعوا الى كنيستهم وعادت اليهم حقوقهم المهضومة ١٢ : وقلم بعد السيد ملكون نزر برعاية ابرشية ماردين السيد هوسيك كوليان تلميذ دير بزمار ارتيم مطراناً في سادس تموز ١٩٠٢ ومن مآثره ان اهالي تل ارمن لآ اخى عليهم الزمان سنة ١٩٠٣ وحصلوا في دعاء الفاقة وتفرقوا في القرى المجاورة انتجاعاً للقوت سار اليهم بنفسه وارسل في استدعائهم الى قريتهم وبذل لهم مبلغاً وافراً من المال حتى اصطلحت احوالهم وزالت ضيقتهم . ولحقه ضم جسم والم جزيل عام ١٩٠٧ لآ استولت الحكومة على الاوقاف المكتوبة باسم سالفه السيد ملكون نزيان وجعلت تباعها وتتصرف بها . فهب الراعي النشيط لتأييد الحقوق المهضومة ووجد لسالفه المتوفى وارثاً شرعياً . فاستحصل اعلاماً ناطقاً بان تلك الاملاك تخص فقراء الارمن وأن راعي الابرشية هو المتولي عليها . وأسعفه في نيل مرغوبه جرجس افندي مناشي احمدقنه السرياني المحامي المشهور بماردين

والى هذا السيد الجليل والى الورتيد اسهاك حولوزيان يرجع الفضل في مشرى بيت الدولباني بمبلغ اربعمائة ليرة وضه الى كنيسة

مار يوسف سنة ١٩٠٧ وكان اعداء الكثلكة متحفزين الاستيلاء عليه . وعام ١٩١٠ عرض استعفاؤه على البطريرك بوغوص ترزيان الثالث عشر فرفضه . لكن السيد هوسيك عاد الى دير بزمار وكتب تراً الى الاب الاقدس في تموز ١٩١٠ يباح عليه ان يقبل استقالته من الكرسي نظراً الى شيخوخته وتأهباً للسفر الطويل الى الابدية . فأجاب الحبر الروماني الى طالبه . وما برح السيد المشار اليه مقيماً بالدير يشتغل في ترجمة الكتب الدينية الى اللغة الارمنية . وقد صنف كتاباً جليلاً في اخبار مطارفة ماردين سلفائه الطيبي الذكر . وأسعف الدير والابرشية بمبالغ وافرة خأدت له الذكر الجميل على توالي الاعصار

١٣ السيد اغناطيوس مالويان

أبصر النور في ماردين في ١٥ نيسان ١٨٦٩ ودرس العلوم في دير بزمار . ونصبه الرئيس قبل ارتقائه الى الدرجة المقدسة مرشداً للاخوية وارتسم كاهناً في ٦ آب ١٨٩٦ ومكث بالدير سنة ونصف سنة ثم سار الى الاسكندرية ومصر وخدم الطائفة فيها . واستدعاه البطريرك بولس صباغيان الى الاستانة وجعله كاتب سره . وعام ١٩١٠ شخص الى ماردين صحبة الاب يعقوب نسيبيان فتم اتفاق الجماعة قاطبة على انتخابه مطراناً للابرشية . وفي ٢٢ تشرين الاول ١٩١١ ارتسم مطراناً في عاصمة الكثلكة وقفل راجعاً الى ابرشيته وطلق يراها بالحزم والغيرة . وكان مضطرباً بالامور ريان من المعارف الدينية والعلوم الادبية خبيراً بالارمنية والفرنسية والعربية والتركية والانكليزية وكان ذا المام باللغات الشرقية كالعبرانية والسريانية . وكان

موصوفاً ببلاغة المنطق يلقى الخطيب الارتجالية النفيسة مستقيماً المناهل
الطيبة من الكتاب الكريم وموئلات اباء الكنيسة المشهورين
واعلم ان ابرشية ماردين الارمنية تشمل الموصل ودير الزور
وبغداد والبصرة ولها بماردين كنيسة واحدة قديمة على اسم جرجس
الشهيد يرتقي عهداً الى القرن الخامس والثانية حديثة كُرسَتْ سنة
١٨٩٤ على اسم مار يوسف . وفي غربي ماردين قرية تسمى ارمن
عمرها النصراني على أنقاض دُنيسر [قوجحصار] كان اهلها كلهم
ارمن ولهم كنيسة على اسم مار جرجس . والملازمين دير على اسم
بربارة الشهيدة في شمالي ماردين وهر من آثار السيد ملاكون طازباز
الطيب الذكر يقصده الزوار كل سنة في الاحد الاول من شهر ايار
ولهم كذلك دير على اسم يوحنا المعمدان في قرية الموسكية غربي
ماردين تفهده السيد اغناطيوس المذكور في الخير وعثر فيه على بعض
الحجار القديمة والاثار الحربية بالذکر . ولهم كذلك كنيسة في دارا
وجماعة معدودة عُرفت منذ عام ١٨٥٦ كان لهم كاهن يدبر شوئونهم
الروحية . وكان لهم ايضاً كنيسة على اسم مار يوحنا في ويران شهر
وجماعة معتبرة وورثت يسوس نفوسهم . وكان لهم في ديرك
كذلك كنيسة وجماعة وكاهن يرعاهم . واغلب هذه الرسائل لم
نقل كلها قد تضرعت في هذه الايام النجسة ولم يبق فيها سوى
انفار قلائل

واعلم ان عدد الارمن الكاثوليك في ماردين وضواحيها بلغ قبل
النكبة الهائلة زهاء خمسة عشر الفا . وكانوا باجمعهم كاثوليكين
قحين لا يدرون التكلم بالارمنية بته . واشتهروا بالبروءة والسخاء

والرسوخ في الدين القويم . وكان المسلمون يحبونهم ويعزّونهم ويترددون اليهم ويبيعون ويشترون معهم . ولا ندري كيف تبدلت الحال في هذه الايام الاخيرة حتى انه لم يبق منهم في البلد عند شوب النيران سوى بعض عيال لا تتجاوز عدد الأنامل .

ومن اشهر العيال الارمنية بماردين واكبرها أسرة بوغوص وكسبو وطازباز وكجو ومالو وجنانجي وآدم وترزياشي وكندير ونسمة وقرهزوان وعين ملك وبطاني وشلمي وجاندري وتازا ومناظر وشدة وخوجا يونان وقبلو وحنجو ومرشو وجرو وترزي واحمراني الخ الخ ومنها ما يبلغ عدد افرادها مائتي نسمة بنيف

فهؤلاء باجمعهم قد سبقوا خارج وطنهم كالخراف الوديعة وأودي بحياتهم لغير سبب ولم ينبج منهم الا من انهزم او اختفى . ويجدر بنا ان نختم هذا الفصل بما كتبه البابا غريغوريوس الثالث عشر في رسالته المسطرة سنة ١٨٥٤ قال « ان طائفة الارمن لا يُحصى عددها ولا يستقدى حدها مشهورة بالقدم والاسم مستحقة بليغ الثناء لحبها للديانة المسيحية وثباتها فيها دون سائر طوائف المشرق »

الفصل الثاني عشر

الكنيسة السريانية

قلنا ان النصرانية ذاعت في بلاد ما بين النهرين منذ القرن الثاني للتجسد وكانت الارامية او السريانية لغة المسيحيين الاولين فيها وقد ورد في اخبار السلف ذكر لاساقفة الرها وآمد وتل موزل

وكفرتوث وماردين ودارا ونصيبين وطورعبدین وراس العين وغيرها كانوا باجمعهم يراجعون البطريرك الانطاكي . ثم انتشرت الرهبانية في هذه البلاد فقوّضت اركان الوثنية واحيت معالم الديانة المسيحية ولا تهوّرت بلاد المشرق في بدعة الطبيعة الواحدة استحوذ رؤساؤها على الاديار والكنائس واقاموا لهم بطريركاً خصوصياً خلع الطاعة للبطريرك الانطاكي الشرعي . ثم طفق اساقفة السريان منذ اواخر القرن الثاني عشر يرجعون رويداً رويداً الى طاعة خليفة بطرس زعيم الرسل كموديانا مطران ماردين الزهاوي والمفريان يوحنا ابن المعدني والبطريرك عبدالله اسطيفان والبطريرك نعمة اصفر واثناسيوس بطرس ابن اخيه وغيرهم

وجعل بطاركة السريان مقامهم في دير الزعفران منذ القرن الحادي عشر . وفي اواسط القرن السابع عشر اشتهر السيد اندراوس اخيجان بن عبد الغال المارديني الشمسي وارتم بطريركاً على السريان عموماً في ١٩ نيسان ١٦٦٢ وجال في بلاد ما بين النهرين . ثم عاد الى حلب وفيها فاضت روحه في ١٨ تموز ١٦٧٧ ولكن السريان المنفصلين نصبوا لهم بطريركاً آخر فانقسمت الكنيسة السريانية قسمين الى يومنا هذا يراجع احدهما فقط الحبر الروماني في مسائل الدين طبقاً لسنن السلف

وخلف السيد اندراوس اخيجان السيد اغناطيوس بطرس

(١) يعرف من هذه العائلة الحواجا يوسف اخيجان الملقب بيوسف سوي يقطن

في حي الشمسية حقي يومنا

شهادين + ١٧٠١ ثم تُوج السيد اغناطيوس ميخائيل جروه بطريركاً
انطاكياً في دير الزعفران على عامة السريان + ١٨٠٠ وخلفه السيد
اغناطيوس ميخائيل ضاهر + ١٨١٧ فالسيد اغناطيوس سمعان زوره +
١٨٣٨ فالسيد اغناطيوس بطرس جروه + ١٨٥١ فالسيد اغناطيوس
انطون سمحيري + ١٨٦٤ فالسيد اغناطيوس فيلبس عركوس + ١٨٧٤
فالبطريرك اغناطيوس جرجس شلحت + ١٨٩١ فالبطريرك اغناطيوس
بهنام بني + ١٨٩٧ فالبطريرك اغناطيوس افرام رحمانى ١٨٩٨ الذي
اقام السيد ثيوفيلس جبرائيل تبوني نائباً عاماً للطائفة على ماردين
وتوابعها وسنكتب في الجزء الخامس من هذا المؤلف فصلاً في آثره

واعلم ان للسريان القديم في ماردين كنيسة قديمة على اسم
شموني الشهيدة جُددت سنة ٧٦٤ م ودير في جنوبي البلد على اسم
مار ميخائيل الناسك جُددت كنيسته سنة ١٧٠٤ م وفيه ضريح القديسة
سيراس سنة ٧٨٥ م ولهم كنيسة حديثة على اسم مار بطرس أنشئت
سنة ١٨٨٥ وتجددت سنة ١٩١٥ ولهم كنيسة في حي الشمسية على
اسم مريم الطاهرة أنشئت سنة ١٨٨٧

اما كنيستهم الكبيرة فهي على اسم مار بهنام ورفاقه الشهداء
الاربعين . وليست من الابنية القديمة . ويتبادر الى الظن انها بُنيت
في اواخر القرن الثاني عشر ذاك بعد ما استحل المسلمون كنيسة
الاربعين شهيدا ودار المطرنة سنة ١١٧٠ وضموها الى الجامع
واستحوذوا كذلك على كنيسة مار توما الرسول كما ايد ذلك ابن
العبري والمؤرخ الرهاوي في تاريخيهما

اما السريان الكاثليك فكانوا يادى، بدءاً قد تفردوا بكنيسة

القديسة شموني ثم قضوا مدة في كنيسة الاربعين . فحدث من جرى ذلك مشاغب وفتن رأى بطاركتهم ان يشيدوا لجماعتهم كنائس حديثة تلمصاً من القال والقييل والخسائر فابتنى البطريرك انطون سمحيري في ماردين كنيسة على اسم العذراء سنة ١٨٦٠ وشاد لهم البطريرك جرجس شلحت ديراً مفخماً على اسم مار افرام سنة ١٨٨٤ واقاموا كنيسة على اسم مار اسيا في شرقي البلد وكان عدد السريان عموماً في ماردين يبلغ عشرة آلاف نسمة اغلبهم من جماعة السريان القديم . ولسبب اتحاد السريان الكاثليك مع الارمن في مسألة الدين صوب اعداء النصرانية نحوهم سهام الغضب والحرد ونكأوهم اشد التنكيل وفتكوا بوجهائهم . وزد عليه ان الفقر ضرب اطنابه على معظمهم والتهم الجوع والوباء قسماً صالحاً منهم

الفصل الثالث عشر

الكنيسة الكلدانية

اعلم ان للكلدان بماردين كنيسة قديمة بنيت سنة ٤٣٠ م على اسم هرمزد الشهيد ظلت في حوزة النساطرة منذ عهد الانفصال حتى سنة ١٥٥٢ م فعرفت اذ ذاك الكتلركة في ماردين بمساعي البطريرك يوحنا شمعون الثامن الذي رسم للابرشية مطراناً يقال له حنيشوع ١٥٥٣ - ١٥٨٤ وخلفه يعقوب + ١٦١٥ فيوحنا + ١٦٤١ فيوسف + ١٦٧٨ فشمعون + ١٦٩٥ فطيماتاوس + ١٧٥٩ فباسيل حصرو + ١٧٣٨ فباسيل الثاني + ١٧٥٨ فشمعون الثاني + ١٧٨٨

فيخائيل شوريز † ١٨١٠ فاغناطيوس دشتو † ١٨٦٨ فيجبرائيل
فرسو † ١٨٧٣ فطيمثاس عطار † ١٨٩١ فايليا مآوس † ١٩٠٨
فالسيد اسرائيل اودد الذي نصب مطراناً للاردن في ١١ ايار ١٩٠٩
وتمت رسامته في الموصل في ٢٧ شباط ١٩١٠

وكان الكلدان ما عدا كنيسة هرمزد القديمة كنائس في طبياتا
والقصور وكنزرتوث وخراب الما ودارا ونصيبين . ومطرانهم يرعى
الكلدان الموجودين في نصيبين ومديات وكنفرجوزه وويران شهر يبلغ
عددهم ألفاً وسبعمائة نسمة . وقد جرى لوجهاء هذا الطائفة العزيزة
سنة ١٩١٥ الدموية ما جرى لغيرهم من النفي والقتل والخسائر .
وهدمت الحكومة الناحية الجنوبية من الدار الاسقفية توسيعاً للمجادة
العمومية فكان ذلك ضغثاً على ابالة . اضر الكنيسة ضرراً فاحشاً .
اما الراعي الجليل فلزم الصبر على المحن والبلايا وفاضت عينه بالدموع
حزناً على اولاده وجرح قلبه على ما صارت اليه كنيسته الشريفة
القديمة من الدمار والخراب

واشرف العيال الكلدانية بماردين هي اسرة شوحا التي عرفت
بغلوتها في الدين الكاثليكي وخصرت زها، عشرة من رجالها الذين
أُتي القبض عليهم وعلى ثلاثين آخرين من وجهاء طائفتهم وزجوا في
السجن وسيقوا مع رجال الارمن والسرمان الكاثليكيين وقتلوا
نظيرهم وراحوا يناولون اكليل الظفر جزاء لبرارتهم ومكافأة لثباتهم
في دين اجدادهم

الفصل الرابع عشر

المرسالون اللاتينيون

لا يسعنا ان نحصي ما للمرسلين الفرنج من جليل المآثر وكثرة الاتعاب وجيل المبرات التي أسنوها المسيحيين في بلاد المشرق .
 اعلى منهم بغيرتهم المشهورة اكتسبوا للكنيسة الكاثليكية جماهير غفيرة وآفوا منهم طوائف معتبرة خضعت كايام الكنيسة الاولى للسدة الرسولية . وطالما هددتهم تركيا وانزلت بهم ضروب النكال والعذاب والنبي فكانوا يمتثلون ذلك كله بوجه طلق وقلب جذل جباً لانتشار الايمان المقدس

واذا رمنا ان نخصص الكلام بما اصطنعوا في ماردن وتوابعها من العوارف قلنا انه في نواحي سنة ١٦٣٠ وانى اليها نمر من الرهبان الكرمليين وجعلوا يرشدون الارمن الغريغوريين والسريان المنفصلين وينصحون لهم ليعودوا الى طاعة خليفة إمام الرسل الحبر الروماني فأتت اتعابهم باشهى الثمار حتى انه لما شخس الى ماردن الاب يوحنا سان منس سنة ١٦٤١ اصطنى السيد ملكون طازباز ولقنه مبادئ الايمان الكاثليكي وأوفده الى مدرسة البروبغندا برومة فأتقن العلوم وعاد الى وطنه فتيسر له ان يبحق البذعة بالارة ويؤلف جماعة كبيرة من الارمن الكاثليكين اضحت قدوة حسنة لسائر المسيحيين الوطنيين

وعام ١٦٨١ يثم ماردن الاب ميخائيل نو اليسوعي يصحبه الاخ

هيلار فثار عليها نثر السريان المنفضلين وحبسوها زماناً ثم اديا غرامة باهظة وعادا إلى حلب سنة ١٦٨٢ لكن الاب ميخائيل لمزيد غيرته عاد الى ماردين بزى طبيب مستصحباً الاب يونس بستون والاخ هيلار المذكور فتبعهم قوم من المشنسية عاندهم بطاركة السريان فعادوا الى حلب ثانية وجرى مثل ذلك الاب يوسف رايه الكرمني الذي قصد ماردين سنة ١٦٩٠ ورحل عنها الى بغداد بدسائس اعداء الايمان

ووجد في ماردين سنة ١٧٢٠ الاب اوجينو والاب انجلو فصرفا المشاغبي في نشر الايمان الكاثليكي لكنها لم يتوفقا كثيراً . وسنة ١٧٢٥ شخص الى ماردين الاب اغناطيوس الكرمني وابتنى داراً سكنها وحضر بنفسه في دير الزعفران حنلة رسامة السيد ميخائيل جروه بطريركاً لعامة السريان سنة ١٧٨٢ ولما نفي البطريرك المغبوط فوض الى الاب المشار اليه رعاية السريان الكاثليك

واتى الى ماردين سنة ١٨٣٨ راهبان من الكبوشيين تبعهما عام ١٨٥٠ الاب يوسف لابورد اليسوعي وسار الى مديات وابتنى فيها كنيسة هي الى يومنا في حوزة السريان الكاثليك واقام السيد نقولا كستلس القاصد الرسولي في ماردين حتى سنة ١٨٧٠ ففاضت فيها روحه ودُفن في كنيسة الابهاء الكبوشيين . وخلفه السيد زكريا القاصد الرسولي وتوفي كذلك في ماردين وأُحد في الكنيسة المذكورة

وتناوب الابهاء الكبوشيون في خدمة كاثوليك ماردين منذ اوائل القرن التاسع عشر واشتهر منهم الاب يوحنا الذي زين

الكنيسة بالنقوش المستبدعة والصور المستملحة حتى دعاهها الاهالي
كنيسة النجوم وتم بناؤها سنة ١٨٨٤ وولي رئاسة الكنيسة بعده
الاب مرسلينو ووجرت في عهده مسألة انضام جماعة من طائفة السريان
الكاثايك الى الكنيسة الكبوشية فصدرت الاوامر من لدن الكرسي
الرسولي بان يعود كل الى طقسه

وقام بعد الاب مرسلينو الاب دانيال وكان بمية الرئيس كاهن
او كاهنان من الكبوشية يتوليان تعليم الشبيبة . ووافي في تلك
الغضون راهبات فرنسيات ابنتين مدرسة وديراً مصاقبين لكنيسة
الاباء الكبوشيين وخصصن حياتهن لتعليم الفتيات الاصول الدينية
والاشغال اليدوية

وقد اقتر في هذه الايام النحسة كلا الديرين وخرب منها ما
اخرب وأمرت الحكومة بتقويض الحائط الجنوبي وضمت ساحة
الدير الداخلية الى الجادة العمومية . وجعلت كلا الديرين مستشفى
للمرضى من العسكر حتى يومنا

(١) عرف في عهد رئاسة الاب مرسلينو والاب دانيال الكبوشيين الاخ
سافادور وكان له المام بعلم الطب نجح فيه نجاحاً باهراً وجمع مبالغاً من الدراهم
اشترى به املاكاً وقضى من جماعاتها بساتين آفء هناره قيدها في سجلات الحكومة
باسمه واتفق ان رئيسه اضطره ان يبعدها الى الدير فابى وقصد السيد بطرس
بطريك السريان المنصلين فرسه كاهناً واستحصل له تذكرة نفوس عثمانية وما
اتم ان ندم على زلته وسار الى كنيسة الكلدان وتوفي في نواحي سنة ١٨٩٣ وعالج
بطريك السريان الاستيلاء على متروكاته المنقولة وغير المنقولة فلم ينجح ولما خلفه
البطريك عبد المسيح راجع النظارة الخارجية في الاستانة فلم يستفد شيئاً . وظلت
الاملاك في قبضة الحكومة وزادت عايناً انها اختاست جميع اوقاف الكنيسة المومي
اليها في يومنا وتعرضت في ربهما

الفصل الخامس عشر

المرسلون البروتستانت

اعلم انه في اواسط القرن التاسع عشر وافى من الموصل الى
ماردين الثباس ارميا والقس ميخائيل والشماس صليباً الموجي بغية
اذاعة البرتستانية فيها . وتبعهم المستر مارش والمستر وليمس والمستر
هسكل الطيب . فاستأجروا لسكناهم بيت الشعار . وكانوا مذ
ذاك يصيفون في ماردين ويشتون في الموصل . واقتفرهم القس سر كيس
الداراوي

وعام ١٨٥٩ شُخص الى ماردين المستر وليمس القس البرتستاني
الاميركي وعاد الى بيروت سنة ١٨٦٠ فوافى بعده المستر اندرس
والمستر بوند في ثامن تشرين الثاني ١٨٦٨

وتبع البرتستان اولاً سعيد دكدان وميخائيل عيسى وسعيد
بريخان وعبد المسيح اسبير وحناء الشماس بطرس وايلياً حناوي وداود
العطار والياس القس الياس وجرجس هلولي . وجعل المرسلون يتوافدون
الى ماردين منذئذ كالمستر دوه والمستر بيل والمستر وكر والدكتور
نام سنة ١٨٧٧ والمستر كيتس سنة ١٨٨٢ واصطفوا سنة ١٨٦٧
جرجس بن عبد الاحد هدايه اليمقوبي النحاة بمثابة اسقف ومبشر
للجماعة المستجدة

وعام ١٩٠٤ وافى الى ماردين المستر امرك وواصل البروتستان
شغلهم وابتدوا محلاً كبيراً لسكناهم في غربي البلد فتحوا فيه

مدرسة ومستشفى

وفي غرة سنة ١٩١١ وقع خلل بين الجماعة أسفر عن تشعبهم
 شعبتين شرقية وغربية حتى ناروا بالاسقف في مصالّهم فأنزله من
 المنبر وطرده خارجاً ونظموا جمعية تنظر في اصلاح الشئون .
 فاختار الحزب الشرقي ابرهيم شنخور وحبيب كجو وجرجس مارينا
 واصطفى الحزب الغربي يوسف قره كله وملكبي شنخور وحنا القس
 وصادقت جمعية الاصلاح على انتخابهم ونصبوا المستر اندرس لرئاسة
 الكرسي . ثم انتخب الحزب الشرقي سعيداً عيسى والحزب الغربي
 عبد الكريم قره كله وكان هذا الحزب يقضي فروضه في بيت حنا
 الازرق وذلك في بيت الاميركان وبيت يوسف حواطو .
 وكانت الدراهم السبب الفرد للحزب والشعب على ان البرستان
 باعوا بيت خضرشا وجعلوا المبلغ في صندوق جمعية البورد منذ عام
 ١٨٦٧ اذ كان ملاكون بلأيز الارمني قد اشترى منهم تلك الدار
 بثلاثمائة ليرة عثمانية . واما قبضوا الدراهم اقروضوها بالفائض في
 المائة عشرة حتى بلغ مجموعها ستمائة ليرة . فقرر المرسلون ان
 يوضع المبلغ في صندوق البورد ريثما يتيسر لهم ان يشيدوا به كنيسة
 فجمعوا سنة ١٩٠٧ من ذلك المبلغ اربعمائة ليرة . وظلت البقية
 عند الجماعة يطالبونهم بها فلا يؤدونها فثار لذلك ثائر من لم يصبه
 شيء . وجنف عن الطريق السوري وخنق على من تمتع بها دونه
 ومذ سنة ١٨٧٦ دون البرستان اسما جماعتهم وعرضوها على
 الحكومة فحررت اسماءهم في الجلد الرابع واستعرفتهم طائفة قائمة
 بذاتها . وفي ١٧ كانون الاول ١٩١٠ حرر سعيد عيسى وكيل اللة

ورقة استدعى بها الجماعة ليختاروا اسقفاً جديداً فامتعض الاسقف جرجس وراح ينصب للمصلّى اعضاء سذجاً من بناييل والقصور وقلعة المرأة واجاز لاهالي القصور وقآث ان يتزوجوا بامراتين

ولما قام اعداء النصرانية على قدم وساق في حزيران ١٩١٥ واثاروا المشاغب والفتن والقوا المسيحيين في السجن ومثلوا بهم وقتلواهم عذبوا وقتلوا في جماعتهم جماعة من وجهاء البرتستان ايضاً كيوسف قره كاه وابنه سليم وابراهيم بن ملكي شنخور وعبد الاحد يوسف باهي وسليم جرجس نقاش واخويه ووليمس بن جرجس هداية الاسقف وعزيز بن جرجس عيسى وعزيز كجو وسموئيل مختار وحنا الازرق والاسقف حنوش وسميد عشو وغيرهم . فصرف المستر اندرس والدكتور تام المساعي في إنجائهم فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلاً فساقوهم في عاشر حزيران مع القافلة الاولى وفتكوا بهم بين شيخان وزرزوان

وظلّ المستر اندرس والدكتور تام في ماردين حتى ايلول ١٩١٥ فغادراها غصباً الى سيواس . قيل ان الدكتور تام لما خرج من محله وركب عربة السفر لحقه كلبه الامين فاخذ يلقه ويقول «هلم يا كلبى فاني لم اجد اصدق منك في هذه البلدة على اني بالرغم عما نلت من المشقات في تريض اهاليها مجاناً لم أر منهم سوى النبي مكافأة لا تعابي والسلام»

وما وصل الدكتور الى منفاه بسيواس حتى قضى نجه . اما المستر اندرس فتوجه الى اميركا وفيما كان عائداً الى المشرق لقي حتفه في الطريق سنة ١٩١٩ . اما المستر امرك فوصل الى حلب في نيسان

١٩١٩ حاملاً الامتعة والاسعافات للمكروبين فاخترته المنية في ايار
١٩١٩ على اثر خروجه من الحمام

الفصل السادس عشر

نكبات سنة ١٨٩٥ المعروفة بالثورة

عثرنا ما بين اوراق المقدسي حبيب دي جروه احد وجهاء
الطائفة السريانية الكاثليكية بماردين على كراس كتبه بخط يده
ضمنه حوادث النكبات الفظيعة التي اصابته نصارى ديار بكر واورفا
وخربوط وسيواس وساسون وما جاورها من القرى احيبنا ان نلخصها
للقراء لما لها من العلاقة بحوادثنا الحاضرة

واعلم ان المقدسي حبيب هو احد افراد اسرة دي جروه الحلبية
النبيلة المشهورة بمناضلتها عن حوزة الايمان الكاثليكي منذ اواسط
القرن الثامن عشر وهو ابن ملكي بن جبرائيل ابن الشباس يوسف
ابن المركيز ميخائيل ابن الكافليز جبرائيل ابن الشباس نعمة الله بن
ميخائيل بن عطا الله دي جروه . وكان جده جبرائيل انتزع عن حلب
وطنه وصار الى ماردين واستطاب مناخها ولبث بها . وقد لاح من
هذه الاسرة الكريمة انجم ثواقب اناروا القلوب بباهر اشعتهم وظهر
منهم ابطال بواصل دافعوا عن النتمين الى الايمان الكاثليكي
وحموا ذمارهم في حلب وماردين بسطوتهم ونفوذهم . واشتهر
منهم السيد غريغوريوس شكر الله دي جروه مطران اورشليم †
١٧٧٣ والبطريرك ميخائيل المغبوط † ١٨٨٠ والبطريرك بطرس

السعيد الذكر + ١٨٥١ والحوري رافائيل + ١٨٩٢ بن فتح الله دي
جروه والقس ميخائيل + ١٨٦٦ بن شكر الله ابن الشمس نعمة الله
دي جروه

وكان المقدسي حبيب كسائر اجداده الأعلام النبلاء متصفاً بوطيد
إيمانه ومزيد خيرته وسافر مراراً الى سوريا . وفي ٤ حزيران ١٩١٥
أُتِيَ القبض عليه وُضِمَ الى النصارى المسجونين . وبعد ستة ايام سيق
معهم الى خارج البلد وقُتِلَ شهيداً . قال رحمه الله :

أ : دياربكر

في غرة تشرين الثاني ١٨٩٥ شُبَّت نيران الاضطهاد على المسيحيين
عموماً وعلى الارمن خصوصاً في بلاد ارمينية . فشَرَّ وجهاء المسلمين
بدياربكر كجميل باشا واولاده وبهرم باشا وعبد القادر باشا ابن
الحاج جرجيس آغا المارديني وبكر افندي محرم زاده ونظيف بك
ابن سعيد باشا ونيازي مأمور الشعبه وعارف برنج وابراهيم افندي
صاحبه والحاج مسعود نقيب الاشراف وغيرهم وكتبوا الى جميع
الاكراد والعشائر يستعدونهم على النهب والقتل . ووعدوهم ان
حين حضورهم الى دياربكر يدفعون لهم الاسلحة الكافية ليفتكوا
بالنصارى ويحتوا على اموالهم . ثم صرّحوا لهم ان يوافوا عند
الظهيرة الى جامع ولي جامي رُيُطلقوا البنادق وينادوا « محمد
صلوات » فيخرج من الجامع وينضمون اليهم ويقصدون كنائس
النصارى ودورهم وأسواقهم ليقتلوا ويسبوا . فما كان من الاكراد
الا ان لبوا الطلب واقبلوا بلذيتهم جابقاً للوآمرة . وقصدوا الجامع

المرقوم واطلقوا البنادق فخرج المسلمون واستبشروا بقبدهم
وراحوا يرومون الاسواق والمنازل . فبادر الارمن ليقفوا على الخبر
فلما لمحهم المسلمون والاكراد صوبوا نحوهم الرصاص فقتلوا منهم
قسماً صالحاً وادعوا انهم هم الذين هجموا عليهم غيلة ليفتكوا بهم
في الجامع . ثم ساروا الى الخازن والدكاكين وقتلوا من بها ونهبوا
قدر ما اطاقوا وعند غروب الشمس قلبوا زيت البترول على ما بقي
بها من البضائع واحرقوها كلها فأمت ديار بكر كلها عبارة عن
اتون عظيم لا ترى سوى الدواخن صاعدة في الجو
فلما رأى ذلك النصارى أيقنوا بالهلاك والتلف واستحوذت عليهم
الرغبة فقصدهم منهم كنيسة الكبوشيين ودار القنصل الفرنسي حتى
انه اجتمع في اوجز مدة عند الاب يوحنا الكبوشي زهاء اربعة
آلاف نسمة واستمروا لديه ثلاثة ايام بليا ليها كان يرسل اليهم الخواجا
جبور قزازيان وجيه الارمن الكاثليك ما افتقروا اليه من القوت
وواصل ذلك العمل مدة عشرين يوماً فاستوجبت ارييته الاثنية
الكريمة وخلف الذكر الطيب في قلوب جميع المنكوبين
اما القنصل الفرنسي فلما شاهد المسلمين والاكراد هائجين صعد
إلى سطح القنصلية وتناول الراية واخذ يرفعها ويخفضها طالباً النجدة
والمفرثة . فاوفد انيس باشا الوالي الى داره عشرين جندياً احموه
وثابر المسلمون والأجلاف يقتلون وينهبون حتى صباح الاثنين رابع
تشرين الثاني . فخرج عند ذلك الوالي والمطران عبدالله في نفر من
الجند وطافوا ازقة المدينة يجرّجون الضرب والسلب على المشغبين .
اما الارمن فلزموا بيوتهم يضربون من تعرض لهم . وخرج الخواجا

اوسيب قزازيان كبير الارمن الكاثليك الى دار الحكومة يسأل
الوالي ان يلقي القبض على اصحاب الفتنة لتسود الطمأنينة . فلقية
الوالي بأنف طويل ولم يكثرث لطلبه . وما عثم ان أرسل في
استدعائه وزجه في السجن واوقف معه الرتبيت ايزاكيل مرخص
الارمن الغريغوريين وهاكوب آغا كوبنكيان وميناسيان ومنديلجيان
وظلوا في السجن حتى ٢٠ كانون الثاني

وسبق الوالي فارسل في طلب البطريرك عبد المسيح من ماردين
فركب من ساعته وقصد الولاية وما كاد يصل حتى سمع صوت
اطلاق البنادق فاستدعى شاباً سريانياً دفع اليه رسالة ليوصلها الى
الوالي يعلمه بقدومه . فتناول الشاب الرسالة وسار وما وصل الى
سوق ميليك احمد حتى تعرض له الاجلاف وقتلوه ووجدوا الرسالة
في عبه فمضوا بها الى الوالي لا يدرون ما مضمونها . ولما طالعها
الوالي امر الفريق بارسال شزيمة من العسكر الى كنيسة البريان
ليحموها . فسارع كثير من النصارى الى الكنيسة المذكورة حتى
احتشد فيها ثمانية الاف نسمة في برهة يسيرة وانهزم ايضاً قوم من
القرى المجاورة واتوا فانضموا اليهم

ثم اوفد الوالي في طلب البطريرك فسار اليه في حاشيته وكانوا
يطأون جثث القتلى بأقدامهم . وأنفوا دار الحكومة غاصّة بالعشائر
وهم مختطون السيوف المضرجة بدماء البشر . وكان عند الوالي
اذ ذاك كبار المسلمين يتشاورون . فما سمعوا بقدوم البطريرك حتى
ارفض المجلس وانحرف كل الى محله . فدخل البطريرك فاستقبله
الوالي باكرام وقال له اصدر الامر الى عامة المسيحيين ليدفعوا

للحكومة ما عندهم من الاسلحة فوعده البطريك بذلك . وعند عودته اوفد معه نظيفاً وبكرًا افندي ذاقبلا الى الكنيسة في جماعة من العسكر وبجثوا عن الاسلحة فام يجدوا شيئاً فانقلبوا راجعين وباغتواهم والاكراد دور الوجهاء ونهبوها وقتلوا من شاؤا واستحيوا من شاؤا وكسروا صناديق الجواهر واختلسوها وسلبوا البضائع والامتعة وظلوا كذلك ثلاثة ايام

اما اهالي ماردن المتوطنون بدياربكر فان بطريك السريان جال الخانات والبلد في طلبهم واحضرهم الى الكنيسة وعين لهم الغذاء . وبعد ايام حضر البريد الى ماردن في عشرين ضابطاً حاملين الرسائل من وجهاء دياربكر الى المسلمين يقولون لهم « لو كنتم حقيقة مسلمين لافتعلمتم بماردن ما افعلنا بدياربكر » فانتم المسلمون في الشر طبقاً لمشورتهم كما سترى

واستمر نصارى دياربكر في الاخطار والمخاوف حتى ١٨ كانون الاول ١٨٩٥ فحضر من العاصمة ثلاثة مفتشين وهم سامي بك وعبدالله باشا الفريق ويوسف رشدي . فسار الرؤساء الروحانيون لزيارتهم فاستقبواهم بالاكرام . ثم اندفع سامي بك يطمئنهم ويؤمنهم ونشر ورقة يقرأ فيها ما نصه بتصرف « لقد تحقق لجلالة مولانا السلطان ما جرى من الوقائع الازعجة في بعض انحاء الاناضول كسامسون وسيواس ومعمورة العزيز ودياربكر لسبب ثورة الارمن وبناء على طلب رؤساء الولايات من الاعتاب الشاهانية قد صدرت الارادة السنية بارسالنا للتفتيش عما جرى واتخاذ الوسائل الفعالة لاصلاح الولايات وارجاع الراحة والطمأنينة اليها . فغادرنا العاصمة

وطفنا تلك الولايات فرأينا ان ما حدث فيها من الفظائع يفوق ما جرى في ديار بكر فتأسفنا لذلك مزيد الاسف . ولا يخفى ان ما حدث حدث بدسائس البعض من الدول الاجنبية وفي مقدمتها الدولة الانكليزية فانها أقت الفساد في قلوب الارمن فهاجوا في العاصمة وهجموا الباب العالي ظانين انهم يفوزون بنجيث مآربهم . ولم يك ذلك لمنافع الارمن بل لمنافع الانكليز اذ كانوا يحاولون ابتلاع البلاد دون غيرهم . فالذين اصاخروا لهم ركبوا طرقاً خشنه وصمموا على سحق عرش الدولة العلية خلافاً لارادة مولانا السلطان وأوامر انجيل سيدنا عيسى كما هو مقرر في كتبكم « ان من قاوم اوامر السلطان قاوم أوامر الله » فاعداء الدولة ألقوا المشاغب في بعض الممالك المحروسة ليسبوا الاضرار لعموم التبعة . فتأتى من ذلك ان الضرر شمل الدولة والملة معاً وتناول عامة المسلمين والمسيحيين . مع ان الدولة لا ترغب الا راحة عموم المتتمين اليها . على ان الرعاية كلها في نظر الحكومة متساوية لا فرق عندها بين المسلم والمسيحي طبقاً للشريعة الاسلامية والنظامات السنية . ومما يؤيد ذلك انعامات جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني على المسيحيين بالرتب السامية والاوزمة الشريفة . لان المسلمين والنصارى في نظره هم على حد سوى . ولا فرق بين مال المسلم والنصراني واعلموا ان ما قلناه منقول عن لسان الذات الشاهانية وها انا بفضلها متخذون الاحتياط اللازم لراحة العموم . ولا يغلب على ظنكم ان الحقوق تُهضم . كلا . بل لا بد من ان يعود لكل

ثم استتلى سامي بك يقول : اننا قبل حضوركم ارسلنا في طلب وجهاء المسلمين وبلغناهم الاوامر وصرحنا لهم بانهم هم والنصارى في عين الدولة ملة واحدة . وان المتعدي والجسور لا بد من معاقبته . واوصيناهم ان ينبهوا سائر المسلمين ليحجموا عن الثورة . وامانا ان المسلمين والنصارى منذ الان فصاعداً يعودون الى ما كانوا عليه من الالفة والسلام . ونزغ اليكم انتم ايها الرؤساء الروحانيون ان تبلغوا افراد طوائفكم ما بلغناكم . وترفعوا الادعية لمولانا الساطان ليزداد اقبالاً وانتصاراً على الدوام وبعد هذا رجع الرؤساء الروحانيون الى كنائسهم . اما الخواجا اوسيب قزازيان واصحابه المسجونون فانهم رفعوا الى المفتشين عريضة ليخرجوهم من السجن فاناهم الامر في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٦ بالذهاب الى العاصمة فاستصحب الخواجا اوسيب ابنه اوهنيس وحنا ابن اخيه وسافر معهم اربعة من وجهاء دياربكر المسلمين في شردمة من الجند لمحافظةهم

وحضر بعد هؤلاء ثلاثة مفتشين آخرين وهم شاكر باشا وماردو قردادو الرومي وتحسين بك عرب وحلوا ضيوفاً في دار بهرم باشا عند باب الجبل . ووافى الى دياربكر في خامس شباط ١٨٩٦ مفتشان آخران احدهما روم ماكي اسمه اغوب باشا ونزلا في دار الحاج جرجيس آغا فافادها ان عارف افندي برنج واحزابه كانوا اصل

(١) من السجل المحفوظ لدى الخورنفسنس بشاره خداد المرزباني كاتب امرار

الفتنة . وفي ١٣ شباط شد المسلمون على اكوب خانجي في خان العاجية ومضوا به الى دجاة فقتلوه والقوه في النهر وعادوا . فاستحضرت الحكومة جيشه الى الولاية واما سمعت امراته قصدت المفتشين وبلغتهم أن ياسين آغا هو قاتل زوجها فام يكثرثوا لمدعاها وفي ٢٩ اذار شخص الى دياربكر . معاون للوالي يقال له وغلهرى وكان رومياً

وعند ذلك اطلقت الحكومة للنصارى الحرية في السفر الى حيث يشاؤون . فغادر الولاية زهاء ثلاثمائة بيت في مدة شهر ونصف . وباعوا اموالهم ودورهم بانجس الاثنان . وفي ١٥ نيسان توجه الى الاستانة او هنيس . وعبد المسيح قزازيان في اسرتهما اما المفتشون فبعد ان مكثوا زماناً في دياربكر سار عبدالله باشا احدهم الى الموصل وتوجه الاثنان الى خربوط وظل القومندان بدياربكر . وفي سادس ايار خرج انيس باشا الوالى الى القرى المجاورة يتعهدا وينظر ما حل بها . وفي ١٥ حزيران وافى الى ماردين عارف افندي برنج ونزل ضيفاً في دار سربى افندي رئيس البلدية ثم نفي الى الموصل وعاد الى العاصمة

٢ : السعدية

..... السعدية قرية الى شرقي دياربكر تبعد عنها ساعتين كان اهلها ارمناً وسرياناً يبلغ مجموعهم ثلاثمائة نسمة . ويوم الجمعة غرة تشرين الثاني ١٨٩٥ وثب عليهم اعلاج الاكراد وقتلوا الرجال والاطفال وسبوا النساء والبنات ونهبوا الدور والدكاكين اما بقية المسيحيين فانهمزوا

الى الكنيسة وأغلقوا الابواب فدمر الاكراد والجنود ونقبوا سطح
الكنيسة وصبوا عليهم زيت البترول واحرقوهم قاطبة . اما الذين
انهزموا من الابواب فاحتف بهم الاكراد وثاروهم بالخناجر
والسيوف وذبحوهم . ولم يبق من النصارى سوى ثلاثة رجال فقط
لبثوا تحت جثث القتلى حتى انكشف عنهم الاعداء فخرجوا الى
دياربكر ونجوا من القتل

٣ : ميافرقين

ميافرقين بلدة قديمة اورد ذكرها المؤرخون البيعون في القرن
الرابع للمسيح واشتهر فيها خاصة مطرانها القديس ماروثا + ٤٢١
تقريباً . واهلها ارمن وسريان وبرستان يبلغ مجموعهم زهاء الف
نسمة . ويوم الجمعة عينه نار الاكراد بنصارها وقتلوهم ونهبوا
اموالهم وسبوا نساءهم ولم يفلت منهم سوى اثني عشر رجلاً وثلاث
نساء . وكان في تلك القرية ثلاثة ماردينيون فر الاثنان الى الولاية
اما الثالث وهو ايليا مورو فانه جاهر بالاسلامية ونجا من القتل .
واحتشد في الكنيسة زهاء سبعمائة نسمة فانقض عليهم الاعلاج
واحرقوهم بزيت البترول . غير ان اولاد بدويل توماس الثلاثة
لاذوا بمغارة داخل الكنيسة وظلوا ثلاثة ايام صائمين ثم خرجوا .
وشد الاكراد على بيت صادفوا فيه امرأة حسنة فافترشوا عرضها
وركبوا منها الفاحشة بمحضور زوجها فرفع الزوج يده ليضربهم
فأوثقوه وقطعوا يديه ورجليه وفتكوا به وانقلبوا الى المرأة فبتروا
يديها ورجليها واستحيوها وكان لها رضيع في المهدي تعذر عليها ان

ترضعة فمربها رجل خير واحضرها الى الولاية وكانت تعض
بنواجذها على طفلها وترضعه الحليب . وظلت كذلك حتى تصرمت
حياتها

٤ : قره باش

قره باش قرية في شرقي ديار بكر تبعد عنها مسافة ساعتين اهلها
كلهم سريان تعجل اليهم الاكراد في اليوم ذاته ونشروا ينهبون
ويقتلون ويستبيحون ويسبون وظلوا كذلك مدة يومين كاملين لا
تزداد قلوبهم الا صلابة وتوحشاً كحمير او جحاش ثار ثاثرها . ولكنهم
فاقوا الحمير بتوحشهم . « قيل لاحد الحمير يزيد ان نصيرك كردياً
فبات ثلاثة ايام كئيباً صائماً لا ياكل عليه » وقصد الاكراد دار
القس عبد الاحد السرياني وهو شيخ جليل والقوا القبض على اولاده
واختلسوا منه سبعمائة ليرة وخمسمائة مجيدي وعرضوا عليه الاسلام
فأبى . فذبحوا اولاده الواحد تلو الاخر تجاهه ثم وجأوا بطن امراته
بالسكين فادموها وقتلوها وعولوا على ذبحه ايضاً . غير ان احدهم
قال الاجدر ان نتركه يتعذب ويموت كمدأ . وانقلبوا يجترحون
المنكر منع بناته حتى خراط القس في عقله

٥ : قطربل

وقطربل قرية على شاطىء دجلة يفصلها النهر عن ديار بكر
يسكنها ثلاثمائة عائلة مسيحية من سريان وپروتستان وارمن . هجم
عليهم الاكراد غيلة من البر وعلقوا ينهبون البيوت والدكاكين
فانهزم المسيحيون الى كنيسة مار توما يتقدمهم القس عبد الاحد

البرياني النشيط وجعل يشجعهم ويبعث فيهم روح البسالة ويقرّرهم
بخطاياهم ويزودهم بالقربان الاقدس . فما كان من العشائر الا ان
شدوا عليهم ونقبوا سطح الكنيسة والقوا عليهم التبن وقابوا فيه
زيت البترول فاحترقوا جميعاً وساعدهم الجنود فاطلقوا البنادق من
دار الحكومة على من انهزم وقتلوه . وقبضوا على يوسف بن
ميخائيل كدا المارديني وأرادوه على الإسلام فأبى فقطعوا يده الواحدة
فالثانية فكتفيه فقدميه فاعضاه واخيراً حزوا عنقه فمجر شهيداً .
وكانوا كلما بتروا عضواً يقولون له جاهر بالاسلامية فتحيا . لكنه لم
يكثر لكلامهم . وافلت من القتل شمعون الشاب السرياني فغبر
دجلة ساجماً وقصد بطريك السريان فارسل معه سرذمة من الجنود
استحضروا من بيتي من المنكوبين وهم عرج وسثل . وعنم وعراة على
آخر رمق وعني البطريك بامرهم
وقس على هذه الفظائع ماجريات سائر قرنى ديار بكر كالكعبية
والجاروخية وخان آقوزار وارز اوغلي وقوزان وهولان وقاضيه وعنشا
وصاتيا وصافيا وبطركية وقره كليسه وقرطه وقنقرط وقضا الابشيرية
وقضا لقيه وقضا غرزان فان الاكراد والعسكر ثاروا بهم وقتلوه
واحتروا على اموالهم
اما نصارى علي بكار الكلدان والارمن فان وجهاء القرية
احتلوا عليهم واقنعوهم ليحضروا بهم الى الولاية ويخلصوهم من العشائر
فلا خرجوا عن القرية أوثقوهم جميعاً بجبل واحد واودوا بجياتهم
قبل وصولهم الى البلد
اما سويرك فان الحاج عثمان باشا واخوته ضموا اليهم احزابهم

وشدوا على المسيحيين واعملوا فيهم السيوف والخناجر يومين كاملين
فذبجوهم وقتلوهم ولم يفلت منهم سوى اربع عائلات . وكان
عدد القتلى اربعة الاف ونيافاً

٦ : الرها

اما الرها فان المسلمين قصدوا اولاً دار ساغاتيل [شاليل]
احد وجهاء الارمن الغريغوريين وهجموا على ساكنيها واعملوا فيهم
الخناجر والسيوف فبادر النصارى المجاورون الى السطوح لينجوا
بنفوسهم وقفزوا الى ازقة المدينة فأدركهم المسلمون وعلقوا يضربونهم
ثم شدوا على البيوت وخطفوا الاثاث والمون والامتعة وسارحوا الى
كنيسة الارمن الكبرى وعاثوا فيها متلفين ومجتاحين وقتلين . ولما
غا الخبر الى الحكومة ارسلت الجنود لمساعدة المسلمين فتألبوا عند
جبل مار يعقوب واقسموا بالطلاق الثلاث ان يكتسروا الامر عن
المسيحيين . اما النصارى فاتنقروا على ان لا ينالوا احداً بضرر على
الاطلاق . وبعد هذا تفرق المسلمون في احياء النصارى فرقاً فرقاً
وحظروا عليهم الخروج من بيوتهم فحصل لهم ضيق شديد حتى انهم
اضطروا الى ابتياع سطل الماء من العسكر بافحش الاثمان
والا بلغ اليوم المعين المذمومة احتشد الارمن في كنيستهم الكبرى
وقلاية مطرانهم ومدرستهم فغار عليهم المسلمون كأنهم من الوحوش
وانزلوا بهم اشكال العذاب . وفكروا بارواحهم داخل الكنيسة
وخارجها . فعدت الدماء تجري كالجداول على الحضيض حتى امتلأت
الكنيسة وتدفقت ما بين الجدران . وكان ابليس اللعين قد وسوس

اليهم فجمعوا الهشيم ووضعوه بين اخشاب واقبسوه ناراً فالتهم من افلت من النساء والاطفال حتى سال الشجع على الحيطان وامترج بالدماء

ولما بلغ ذلك السريان الكاثايك صبغ اصفرار الرعب محياهم وارتمت عزائمهم فارتأى الخوري بطرس الامدي والقس افرام نقاشه الموصلي ان يلوذا بالمتصرف فاستصجبا الخواجا عبود غنيمة وذهبوا اليه واستحصلوا منه ثلاثة جنود رجعوا بهم الى الكنيسة وطفقوا يستحضرون اليها افراد الطائفة فاحتشدوا بها واورصدوا الابواب بالحجارة ايصاداً محكماً . وعلى هذا الاسلوب نجوا من القتل . وقص اثرهم في ذلك جماعة السريان المنفصلين . ولم يقتل من غير الارمن سوى بطرس قندلفت الحلبي الروم الملكي

٧ : تل ارمن

تل ارمن قرية بماردين في جنوبها الغربي تبعد عنها ثلاث ساعات اهلها جميعهم ارمن كاثوليكيون بينهم جماعة من السريان معدودة . وفي ٦ تشرين الثاني ١٨٩٥ سار اليها رشيد آغا الكيكية قائم مقام الحميدية في جهاير من الاكراد والعشائر والجا الاهالي ان يدفعوا له تسعين ليرة ليكشف عنهم الاعداء فتلجوا الى كلامه فبذابوا له مطاوبه فاستزادهم اربعمائة ليرة وحصاناً مطهماً ثم طلب غير ذلك فاعطوه جميع ما اراد واحب يقولون الويل اهون من ويلين . وبعد ان استوفى منهم ذلك كله شن الغارة هو واصحابه على الاسواق ونهبوها وقصدوا الدور واستلبوها . فانهزم النصارى كعادتهم الى

الكنيسة

ولحق رشيداً واصحابه عشائر جبل عفس والفرس والدقورية
والدنبلية . فاستدعوا النصارى وبذلوا لهم كرامة الامان واقسموا
بالطلاق الثلاث انهم لا يسيدون اليهم . فخرجوا من الكنيسة وما
حصلوا في البرية حتى شد عليهم الاكراد ونشموا يعرفونهم ويقتلونهم
فانهزم منهم كثيرون وتفرقوا في القرى المجاورة

وكان نصارى التل قد اوفدوا الى متصرف ماردين يطابون
النجدة فارسل اليهم صالح بن درويش علي افندي وبابا حسين وعلي
النعلبند ومحطى التراكبي وحسين ترلي . وعند وصولهم الى القرية
ظلموا واقذبن يتفرجون على الاكراد ينهاون ويحتلسون ويغتصبون .
ثم خرج بعض الاهالي وتوجهوا في فيئة من الجند الى قرية علي
مشمش فماردين وهم جياع عطاش عراة حفاة

وقصد الاكراد كنيسة القرية وهدتوا جانباً منها يقولون ان
داخلها خزائن قديمة فلم يعثروا على شيء مما توهموا واقبل احدهم
نحو صورة مار جرجس صاحب المقام فطعنها برمح ومزقها فاصيب
بضربة اليمه اودت بحياته

٨ : الكولية او القصور

القصور ويقال لها الكولية قرية في جنوبي ماردين تبعد عنها
ساعتين اهلها سريان يبلغون زهاء ثلاثمائة بيت . فهولاء لما رأوا ما
جرى في تل ارمن بعثوا وجهاً هم الى ماردين يستغيثون بالتصرف
ليمنع عنهم غارات الاكراد . فأرشد مائة عسكري يتقدمهم صادق

بك القائم مقام الحميدي وفواد افندي مأمور الرسومات وخلييل
عبد الواد ولما داروا الى القرية ألفوا النصارى محتشدين في الكنيسة
فاخذوا منهم ما عندهم من السلاح واكادوا لهم انهم ما جاؤا الا
ليصونهم ويكفروهم كل اذى وسوء.

ولما مضى من الليل ساعتان اقبل اهالي الغرس واتفقوا مع
الاكراد المحيطين بالقرية وجلحوا بالعداوة على النصارى . وصباح
الجمعة نشموا ينهبون الدور ثم قتلوا زهاء خمسين نصرانياً وانهزم
الباقون . اما النساء والنات فحفظوا منهن من استحسنوا ثم احرقوا
القرية فصعد الدخان والتبد في الجو . وكان بعض الاهالي قد رقوا
الى سطح الكنيسة تماساً من القتل فتعجل اليهم الاكراد الاجلاف
فجعلوا يلقيون بنفوسهم الى اسفل . وكان بيد احد العرب حرية
قصيرة ركزها في الارض فانهبط فوقها احد الرجال فخرجت الحربة
من بطنه فانتزعها النصراني من موضعها وتناولها وانهزم . فسارع
ذلك العربي اللئيم ليأخذها منه وهو يقول لاصحابه « اليكم هذا
النصراني فانه اختلسني الحربة وانهزم » لعمرى ان قتل البشر عند
هولاء الاوباش الاندال كقتل العصفور بلا خلاف . اعاذنا الله من
قسوتهم وتوحشهم

(١) هذا استترف اموال الاهالي واذا ان الحضر ظهر له نبي الحالم واثار
عليه ان يتصد المفتي ويقول له « اياك والمحافظة على النصارى لان المسلمين اذا
جفتوا بدماءهم ايدوا بساكنهم كفرهم بدينهم . ثم قال للمفتي لا يخفك انه في شهر
شعبان لن يبقى نصراني واحد على وجه الارض » ولما بلغ امره مسهني المتصرف
نفاه في ٩ اذار ١٨٩٦ من ماردين

٩ : بنابيل

بنابيل قرية في شرقي ماردين تبعد عنها ساعتين تكثر فيها الحداثق والكروم واهلها سريان وبرواتستنت يبلغون زهاء مائة وخمسين بيتاً موصوفون بالجرأة والبطش . وفعل الاكراد والمسامون باهاليها ما فعلوه بنصاري القصور من الجور والاغتصاب والقتل وذلك في تاسع تشرين الثاني . اما الباقون فقصدوا البلدة . وكانت الحكومة قد سيرت لمحافظة القرية عبدي جابي والحاج خليل باشا في نيف وخمسين عسكرياً فاتفقوا مع الاكراد على خراب القرية وقتل المسيحيين كما لوف العادة

١٠ : قلعة المرأة ودير الزعفران

وما سمع نصاري قلعة المرأة ما صار بالقرى المجاورة حتى تركوا أموالهم وامتعتهم وشخصوا الى دير الزعفران واحضروا حروف المطبعة وصبوها رصاصاً ليقاوموا الاعداء وظلوا ثم خمسة ايام لم يُقتل منهم سوى ثلاثة رجال وعجوز . وبعد هذا هجم عليهم عبدي افندي الملازم في طائفة من الجند وصوبوا نحوهم الرصاص فقتلوا منهم زهاء سبعين شخصاً . وأوفدت حينئذ الحكومة ثلاثين جندياً ارجعهم الى قريتهم وأمنوا حياتهم

اما دير الزعفران فظل الاكراد يصربون نحوه البنادق ثلاثة ايام فاوفد انيس باشا والي ديار بكر الاوامر الى المتصرف فبعث الى الدير جنوداً من الرجالة والحياالة يتقدمهم الشيخ محمد علي

الانصاري وهو رافع اللواء الاسلامي يأمر الاكراد ان ينكشفوا عن الدير . فابوا فاطلقوا عليهم البنادق وقتلوا منهم ثمانين كردياً بنيف . ولما دنا العسكر من الدير طلبوا من الراهب داود كبابه رئيسه ان يفتح لهم الابواب فلم يستحسن ذلك الا بعد ان طالع صورة التلغراف الوارد اليه من ديار بكر . فدخلوا وصعدوا الى السطح وقتلوا العشائر عامة يومهم حتى دحروهم

١١ : المنصورية

ويوم الثلاثاء خامس تشرين الثاني شدّ الداشية والاكرد معاً على نصارى المنصورية فلاذ المسيحيون بجيرانهم الداشية والتمسوا منهم ان يدحروا عنهم الاكراد ويكفوهم شرهم . غير انه يوم الاحد عاشر تشرين الثاني اقبل نحو اربعة آلاف كردي من نواحي الزنار واوقدوا النيران يستفرضون الفرصة للهجوم عند الصبح على القرية . فشر بهم الجنود المقيمون في القاعة واطلقوا عليهم مدفعا اصاب منهم رجلين فاستدأوا من ذلك ان ليس للحكومة رضى في الهجوم والقتل فعادوا ادراجهم ،أيوسين

اما الداشية فانهم قبضوا من جيرانهم النصارى نحو عشرين الف غرش بصفة دية . وغنموا عنهم

١٢ : نصيبين وطورعبدین

ويوم الاحد عاشر تشرين الثاني ١٨٩٥ ثار الاكراد نصف النهار وانقضوا كالبواشق على حي النصارى بنصيبين . ونهبوا الدور والدكاكين وقتلوا خمسة رجال . فسارع عبد الرحمان شيخ طي

وهزمهم فتعجبوا الى القرى المجاورة وقتلوا من النصارى مائة نسمة ونهبوا الاموال وافترشوا الامتعة واحرقوا اربع عشرة قرية وانصرفوا وفي ١٤ تشرين الثاني سار الاكراد الى قلت فخالقهم بكوات الصور ولم يدعوهم ينهاها فصاروا الى مذياب يوم الاربعاء ٢٠ تشرين الثاني فهب لمجارتهم الجنود والاهالي معاً فخابت آمالهم ورجعوا القهقري وقصدوا بقية القرى فنهبوها واحرقوها وابتقوا على النصارى الذين فيها

١٣ : ويران شهر وديركه

ويران شهر وتعرف قديماً بتل موزل بلدة قديمة في ما بين النهرين جدّد بناءها قسطنس الملك سنة ٣٥٧ م يسكنها زهاء ثلاثة آلاف نسمة من المسيحيين قصدوا عشائر الاكراد في ٣ تشرين الثاني ١٨٩٥ وطافوا أسواقها واستلبوا اموال النصارى فبادر ابرهيم باشا كبيرها وانبهم واستعجأهم على الرحيل عنرا فانصرفوا . وبسكروا في الند يريدون قتل المسيحيين فركب ابرهيم باشا في رجاله فكشفوا الاكراد واخذوا منهم ستة حصن وشيئاً من السلاح والمتاع وحضرت اذ ذلك تافهة كبيرة من حلب حاماة البضائع الى تجار ماردين فنبطهم الباشا عن مواصلة السفر حرصاً على حياتهم وضناً باموالهم ودوابهم . وأمر اصحابه ان يقدهوا لها العليق والعلف عشرين يوماً . ونقل البضائع الى داره . ولما صموا على الرحيل بعث اليهم تلك البضائع فجعلوها الى ماردين . غير ان التجار لما فتحوها ألغوها ناقصة وقد اعتاضوا عن البضائع بزبل الدواب .

فاستفسروا المنكارين فافادوهم انها كانت في دار الباشا فاستدلوا من ذلك انه هو الذي عاث فيها . فلزموا السكوت لخوفهم واستودعوا الامور الى الواحد القهار

اما ديركه فان الاكراد لما شئوا عايبها الغارة في ١٠ تشرين الثاني عارضهم اوصبان آغا رشو وخرج عايبهم في مائة وخمسين من العسكر وجم غفير من رجاله حتى كسرهم وبددهم فلم يتيسر لهم الفوز بنجيت مآربهم

١٤ : ماردین

اعلم انه منذ خامس تشرين الثاني ١٨٩٥ اخذت اخبار الشوم ترد من ديار بكر السوداء ناطقة بالوقائع العظيمة والفواجع الاليمة التي جرت فيها وفي القرى المصاوبة لها . فشمّل الحزف عامة المسيحيين وقصدوا الكنائس . فاجتمع في دير الكبوشيين مائة وخمسون بيتاً بنيف وفي كنيسة السريان ثمانون . واختلف بقية المسيحيين الى الدور الكبيرة وجلين خائفين وكانوا ينقاون الامتعة من بيت الى بيت كالنمل هذا يغدو وذاك يروح . واشتد رعب المسيحيين خاصة لما رأوا بعينهم النيران تلتهم قريتي تل ارمن والكولية

على ان وجهاء المسلمين ولاسيما نجم المتولي وشيخي الاعرج والحاج مرعي وغيرهم ممن ماثلهم كانوا متحمضين على النصارى يستفرون الفرص للايقاع بهم . ويوم السبت تاسع تشرين الثاني انفجر الاكراد جماهير جماهير وشخصوا الى عين سنجه غربي البلد يحاولون الهجوم . فطفقت النساء تبكي والاولاد يعولون وينوحون

واستحوذت الرعبة على قلوب الجميع حتى كادت تزهق نفوسهم خوفاً
غير ان أحمد آغا ومحمد سعيد آغا كبيرى المشكوية وفرج بك
كبير المندلكانية خرجوا في رجالهم للقاء الاكراد الاعلاج
الاجلاف وجعلوا يقذفون عليهم الرصاص حتى هزموهم ابايد .
واولا ذلك لهجروا على البلد ونهبوا و ضربوا وقتلوا واخربوا . ولما
عاد المشكوية والمندلكانية شخصوا الى دار الحكومة وطلبوا
من التصرف اسلحة كافية لمقاومة الاكراد واكدوا للحكومة انهم
اذا هجروا على البلد ان يعفوا عن المسلمين ايضاً . وبعد اخذ ورد
دفعت لهم الحكومة اربعين بندقية بكفالة اخواجا اسكندر آدم
بعد ما اخذت منه سنداً بمبلغ ثلاثمائة ليرة تستوفيا منه ان ابوا
ارجاع الاسلحة اليها . واستحصل عبد القادر باشا الحاج كوزه من
الحكومة اسلحة دفعها الى المندلكانية والداشية وكبار المسلمين
ليقاتلوا بها الاكراد

وامرت الحكومة ان ينادي النادي في الاسواق ان من احب
الدولة ومحمداً فليتسلح ويصارع الاكراد . واتفق ان جماعة من
الايوباش تسلحوا وتحفزوا لينهبوا البلد بدسياسة كبيرهم نجم المتولي اذ
كان يقول لهم " بما اني كبيركم وامامكم يلزمكم ان تصيخوا
لي وتفتكروا بالنصارى " . فبلغ امره مسامع الحكومة فقبضت عليه
ووقفته يوماً كاملاً

اما المشكوية فتعاهدوا بمحافظة البلد من راس الجهة الغربية الى
المنارة الكبيرة ومعظم سكانها نصارى . واتفق معهم في ذلك
الداشية والمندلكانية . وتفرد العسكر بالقلعة يبصرون القادم والذاهب

من بعيد . وفي ١١ تشرين الثاني وافى الاكراد الى باب البويرة فشدّ عليهم المسلمون والنصارى معاً واطلقوا عليهم الرصاص فلم يترخروا فسار اليهم الشيخ عبد الرحمان ابن الشيخ حامد ونصح لهم ليعودوا فقالوا له . ما لكم تصدّونا عن النهب والقتل وقد امرت الدولة بذلك . فالظاهر انكم ارتشيتم فاججتمم واخيرا انقلبوا راجعين . وفي ١٦ تشرين الثاني شخصوا الى البلدة ثالث دفعة وحلّوا عند دير مار ميخائيل فبادر اليهم المشكورية وهزموهم

واتفق اذ ذاك ان الصدر الاعظم عزل في العاصمة ونُصب غيره بداه فأوفد الاوامر على لسان البرق الى جميع الولايات بالمحافظة على الكنائس والاديار وصيانة عامة المسيحيين . وتتابعت الاوامر حتى زال الخوف واضمحل . وخرج جميل افندي وكيل التصرف وسري افندي والبكباش وغيرهم وجعلوا يتعهدون الروساء الروجيين ويبدلون لهم كلمة الامن والطمانينة

وفي ٢٠ تشرين الثاني فتح المسيحيون دكاكينهم الايومي الجمعة والاحد . وكان الجنود يجولون وينحطفون نما شاوا من الدكاكين او من النصارى السائرين في الطريق وظلت الحال على ذلك المنوال الى عاشر كانون الاول فخرجت الحكومة عليهم السرقة والتعدّي .

ولا بسعنا ان نحصي الخسائر التي لحقت المسيحيين من جرى ذلك

ومع هذا كله لم يشبع المسلمون بل كانوا يتأسفون شديد الاسف على ما فرطوا اذ ثبطوا الاكراد عن السلب والنهب . وكانوا يودون لو أتىح لهم ان يبيدوا النصارى بالمرّة ويستحوذوا على اموالهم . غير ان الحكومة اصدرت الاوامر الى الاكراد ليرجعوا الاسلاب . فسار

الى الغرس وغيرها حسين جابي كوزه والحاج مرعي والشيخ محمد علي الانصاري والحواجا يوسف جناجي في ثلاثين جندياً واستحصلوا من تلك الاموال شيئاً نزرأ جداً . واتفق ان الاكراد احضروا بعض الاواني البيعية كالصلبان والكؤوس ودفعوها الى يوسف جناجي فتناولها الحاج مرعي وتفل عليها وألقاها في الارض ووطنها برجليه النجستين وجعل يقذف التجاديف على الله وعلى مسيحه ولم يجسر يوسف جناجي ان يوبخه على ذلك لمزيد ارتعاشه

وفي ٢٤ كانون الاول ١٨٩٥ وصل الى ماردين الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ عبد الرحمان الذي كان قد أطلق مذخمة اعوام الحرية للشراكة ان يستحلوا اموال النصارى . ولدن وصوله سار المسلمون الى زيارته افواجاً حتى غصت بهم الدار ودب بينهم الشيطان وطلبوا ان يذهبوا النصارى ويقتلوهم . فواذقهم الحاج حسين جابي وزميله الحاج مرعي وصادق الزائر الجديد على ذلك وارسل في استدعاء شيخني المشكوية اليه ليلاً ولما وصلاهش الحضور لاستقبالها ودفعوها الى قتل المسيحيين واستلابهم . ومن جملة ما قالوا لها ان المسلمين بديار بكر يقولون ان اسلام ماردين هم نصارى لا مسلمون . فلسنا نقبل اذن هذا العار علينا . بل الخليق بنا ان نفعل مثلما فعلوا هم بديار بكر وغيرها . وجرّ الحديث بعرضه بعضاً . فقال لهم احمد آغا اننا تعهدنا ان نحافظ دور النصارى من باب المشكية الى المنارة ولسنا بمخلفين في وعدنا وعهدنا . ومتى راينا احدكم يخطو خطوة ويتعدى الحدود قطعنا رأسه . على انه لا بد من ان الدولة ستفحص وتفحص عن المشغبين والغالب بالشر مغلوب لا محالة . وظلوا يتجادلون الى

نصف الليل فتمكن المشكوية من قص جناح تلك الفتنة فتخلع
المجلس وعاد كل الى بيته

وعند عودة احمد آغا واخيه الى بيتهما مرآ بدار اسكندر آدم
وكان المؤلف رحمه الله حاضراً فقصاً عليه ما جرى واوضحاً له كنه
المؤامرة . ثم سارا الى دار خضر افندي فأخذها وانطلق الى كنيسة
الارمن فاطلعوا السيد ملكون نزيان طلع الامر فشكر لهم فضلهم
واثنى على محبتهم واخلاصهم

واما الجلبي ومرعي وحسين بن حسن ونجم المتولي وشيخي
الاعرج وحجبي القهوجي ويوسف بك واخوه وسائر من حاكاهم
بالنفاق والشر فظلوا يدقون بطنبورتهم ويحاولون البلوغ الى امنيتهم .
واستبردوا لسانهم خاصة على الخواجا يوسف جناججي . فنهض اذ ذلك
خضر افندي واستصحب الحاج حسين والبكباش والشيخ محمد علي
الانصاري الى قلاية مطران الارمن السيد ملكون فارسل في استحضار
الخواجا يوسف المذكور وتداولوا ساعة في الامر حتى تم الصلح بين
الطرفين

وما عدا الخسائر والمظالم التي اصابت المسيحيين فان المسلمين
كانوا يقذفون من افواههم كل قبيحة ويشتمونهم ويقولون علام نبيتي
على هولاء النصارى الكفرة الخنازير الملائع اعداء الدين . ما ضرنا
لو قتلناهم عن آخرهم واستبددنا باموالهم واملاكهم . اما كان ذلك
أزكى وافود لنا

وفي غرة سنة ١٨٩٦ لفقوا مضبطة آسدر على ما جرى وتنطق
بان النصارى بفضل الدولة العلية متمتعون بالامن والراحة وانهم لم

يحترق في ناحيتنا سوى قريتين فقط . ودفعوا تلك الورقة الى عبد المسيح حناشي ليعرضها على الرؤساء الروحانيين ليمضوها فامضوها خوفاً منهم ووقعوها

واتفق ان عبد المسيح شهرستان زار محمد آغا شيخ المشكوية وأطلعه على ذلك فامتعض الشيخ اي امتعاض وعول هو واصحابه على محاربة المسلمين والنصارى معاً لانهم شهدوا زوراً . فتم في المسيحيين ما قيل

تصبحنا الايام كل صبيحة ببادرة تربو على أخواتها اي ولعمري لولا هذا الرجل المغفل لاصبحت قيمة الحمار عشرة آلاف غرش . كيف لا ونحن نحاول رتق الفتق فينتق في ستائة وستة وستين موضعاً . على ان محمدا سعيد آغا وشقيقه احمد آغا وافيًا متزعجين الي دار اسكندر آدم وافاداه عما سبق واعلنا له مضمّرات قلبها . لكنه بعد التيا والتي تمكن من اطفاء النيران وكفّها عن فكرتها وفي غرة شباط ١٨٩٦ وصل الي ماردین متصرف جديد اسمه شاكر باشا فانقلع نائب المتصرف الحبيث الي ديار بكر عش الفساد . وكان خيلاً لانيس الطاغية حاول ذات المرار ان يفتك بالمسيحيين طبقاً لدسائس واليه فلم ترجع والحمد لله كفته . واعلم انه بنجيه المتصرف الجديد استتبّت الراحة في البلد فانه يوم وصوله اطلق من السجن اسقف البرستان واخاه يعقوب ومعلم مدرستهم ومجدي وراثه وسعيد عنبر اغاسي وكانوا قد زُجوا في الحبس لسبب رسائل كتبوها الي ذويهم واصحابهم وضمّنوها اموراً سياسية وشخص الي ماردین في ٢٠ نيسان مفتشان احدهما نصراني اسمه

يرغاضي افندي والاخر مسلم . ومكثا عشرة ايام ثم توجهوا الى
 مديات . وعادت مذ ذاك الميآه الى مجاريها
 تلك جريدة احوال سنة ١٨٩٥ نقلناها بتصرف عن القدسي
 حبيب دي جروه ليطالع القراء على احوال النصارى في تركيا ويستنتجوا
 منها الاضرار والمخاوف والمذابح التي لحقتهم ولا زالت تلحقهم
 وستلحقهم ما داموا على تلك الحال .



الجزء الثاني

نكبات الحرب العمامة

منذ اشهارها حتى حزيران ١٩١٥



الفصل الاول

اعلان الحرب العمامة

كانت الدول المظالم ترغي وتزبد منذ اعوام وتتيحين كل منها
الفرص لتمد ظلمها على البلدان . وتبسط سيطرتها وتوسع دوائر
نفوذها في كل مكان . وتنفق في سبيل ذلك القناطير المقنطرة
فتعزز جيوشها وتكثر اسلحتها وتتفنن في اختراعاتها وتزيد أساطيلها
وبجرياتها . تترصده هذه تلك وتترقبها لتركسها وتدمرها وتحشو
الغيظ والحنى في اضلاع قومها للانتقام ممن يباريها . وكثيراً ما

زادت كل من الدول الضرائب على الغلات والحاصلات والمواشي والبضائع توفيراً لآليتها وثروتها وتحسيناً لمصالحها ليسهل لها الفوز بآمانيتها . والله وحده يعلم ما كان يحدث من المناقشة بين الملوك والنفور بين الاهالي والقال والقييل بين الوجهاء والاقطاب . وأضف الى ذلك ان ائمة الجمعيات الاشتراكية والفرمسونية كانوا يثيرون الخواطر ويهيجون الافكار ويضرمون جذوات المشاغب بين جماهير الامم ليم لهم الفوز بما يرمون اليه . اذ كان قتل الابرياء وابتزاز الاموال ونهب الدور والاستيلاء على الاملاك والامر بالانفي والسجن جائزاً مستحباً عندهم

واتفق ان احد جنود الصرب فتك في ٢٧ حزيران ١٩١٤ بولي عهد النمسا وزوجته فاستعد هذا الحادث سفار السخط والغضب واثار اعصار الفتن وأهلب جمرات الاحقاد في بلاد النمسا حتى هاجت النفوس وماجت وطلبت الانتقام من الجاني فأوفدت الحكومة تفنئش عن المجرم وتتهدد الصرب وتطلب ازال العقوبة بالقاذل الخائن . غير ان الصرب لم تكترث لذلك فراحت النمسا تلح في المسئلة وتلحف في التعقيب لنقتص ممن تعرض لها واهان شرفها . وما كان منها الا ان اشهرت الحرب على الصرب في ٢٨ تموز ١٩١٤ فلما بلغ ذلك مسعي قداسة الحبر الروماني بيوس العاشر اوفد الى امبراطور النمسا يستنزله عن رأيه وينهاه عن تخضيب شيخوخته بالدماء غير ان روسيا ما سمعت تلك الحادثة حتى بادرت الى تعبئة جيوشها وارسالها الى حدود النمسا وتخوم المانيا . فرمجت المانيا عليها زعجرة الاسود وكشفت عن ساقها لتخوض مع الحرب ناغرة عايبا وعلى بريطانيا وفرنسا وكانت

تظن بل تتأكد انها تفوز بالغلبة وتحرز قصبات السبق وقد شوكتها على غير مملكتها بل كانت تحسب أن ارجاع ولايتي الالزاس والمورين مثلاً الى فرنسا او هام غربية واضحوكة او اضغاث أحلام . ولكن تجري القادير التي قدرت وانف من لا يرتضي راغم فتأتى من ذلك ان فرنسا وروسيا تجهزنا للمعاركة . وفي رابع آيب تبعتهما انيكلترا وأثارت اليابان فانضمت اليها كما انضم الصرب والجبل الاسود . فاندفعوا كماهم كالسيل الجارف وانقضوا انقضاض الجوارح على الفرائس ليكتسحوا اعداءهم من عالم الوجود ويريقوا دماءهم . وتخبز لالمانيا والنمسا تركيا وبلغاريا . اما ايطاليا فلزمت الحياذ مدة ثم كان من امرها ما كان

وعند ذلك ارتجت الارضون وتزلزلت اسسها وزعزعت اطنابها ودب الخوف والرعب في الافئدة وسرى الفشل في النفوس وجمدت الدماء في العروق واهسى العالم في حيرة عظيمة وأهوال جسيمة . لان المواثيق نقضت والعهود نكثت والامانة فسدت والراحة سلبت . فانحدر الشبان والكهول الى حومات الوغى وكل يوم من النصر والظفر لغايته ويجر النار الى قرصه . والله وحده يعلم كم من دماء هدرت ونساء ترملت . وامهات اُثكلت . وبيوت اُقنرت . وعائلات اندثرت . وكنائس دُمرت وقصور دُكت ورُدمت . واديار تضعضعت وخربت . وبالجملة نقول كأنها التيامة قامت والدينونة العامة صارت تلك نتائج الحرب الاليمة وعواقبها السيئة الوخيمة . فلولا ان رب الجنود ترك لنا بقية يسيرة لصرنا مثل سدوم واشبهنا عمورة

الفصل الثاني

تركيا والحرب

معلوم^١ ان تركيا قبل اعلان الحرب كانت ممالة لالمانيا مشايعة لنياتها . وكان غليوم قد صرّح غير مرة بحبه الخاص وميله الشديد الى تركيا بقوله المشهور « فإيتأكد المسلمون الثلاثمائة مليون المنتشرون على وجه البسيطة أن القيصر الالمانى صديقهم الحميم ما توالى الايام » محاولاً بقوله هذا ان يشبّ جذوات البغض والحقد في قلوب رعايا الازكليز المسلمين لينهضوا على بريطانيا ويخلعوا طاعتها وينحرفوا عن الخضوع لها . غير ان عود الشجرة عجم قبل ايناع الثمرة فان المانيا ما كادت تشهر الحرب العشوم حتى قامت تركيا على قدم وساق لتخوض معها غمرات القتال لانها كانت متعلقة بها بروابط تعاهد وثيقة مخالفة لها في جميع مقاصدها . فعلمت منذ اول يوم أشهرت فيه الحرب تعبي الجيوش وتحشد الجنود وتتهيء الذخائر لتساعد المانيا وتمنع غارات الاعداء عن وطء بلادها . وصرفت المانيا جل المساعي في تعزيز تركيا وتمويتها بالاسلحة والجنود وبذلت قصاراها في اصلاح ماليتها وإكثار ثروتها والاخذ بساعدها لتبلغها أمّنتها كما اقر غير واحد من ساسة الاتراك . بل بعثت الى تركيا نخبة من ضباطها تولوا تنظيم جيوش الاتراك وترتيب أمورهم . وأوفدت بعثة اخرى قامت بشؤون الاسطول العثماني وأرسلت رجالاً خبيرين محنكين لادارة فروع الاعمال وقدمت للحكومة العثمانية قروضاً بلغ مجموعها تسعة

وعشرين مليوناً من الليرات تقريباً

وما مرّ الشهر على اعلان الحراب الشعواء حتى صرحت النمسا
والمانيا كلتاها بصدق ودادها وحميم جبهها لتركيا واعربتا عن نياتهما
في مصالح الباب العالي ورغبتهما في ترقيته ذروة الشرف والعزّ . ودفعتا
تركيا الى الغاء الامتيازات الاجنبية فالتفتها من خالق طبقاً لمشورتها
وحسبتها هباءً منشوراً . فعادت الكلمة اليها ورجعت الى حكمها بالرغم
عن ارادة انكلترة وفرنسا وغاب عنها وهي ثلثة بشراب النصر المزعومة
ان الغاء تلك الامتيازات سيكون باعثاً لانحطاطها وخيبوبة آمالها

فالصاة بين المانيا وتركيا كانت بلا ريب متينة والعلاقات كانت
وثيقة مكيّنة وتصريحات ملك المانيا اقوى برهان على إخلاصه
لتركيا ورغبته في سمادتها واستقلالها تمام الاستقلال ونيها الحياة
الطبيّة والحرية التامة لتفعل ما تشاء . وافضى الامر بعاهل الالمان
الى ان صرح مراراً بأنه يصبر بكلّ عواطفه ان يكون الدين
الحنيف محترماً معززاً في اوربا وأن تكون حرية المسلمين مكرّمة
اينما وجدوا بحيث لا تقوى عليها زعازع الانكليز ولا زماجر الفرنسيين .
وعربوناً لصدق وداده أمر بتشيد جامع كبير ومنارة شاهمة للمسلمين
في حاضرة ملكه شهد بنفسه حفلة افتتاحه بينما كانت دماء المسيحيين
تهراق وتسنك في بلاد الاتراك فهذا كله اضطرّ تركيا ان تشاطر
المانيا وتساعدها بكلّ طاقتها : فأصدرت الفتاوى وبثت الاوامر
بوجوب الجهاد العام وجعلت تحشد المساكر وتجتيش الجيوش وتقتلعب
كما تهوى بأموال العباد واراقة الدماء واثقة كل الثقة بالنصر النهائي
والمستقبل الحسن متأكدة أنها تعود الى سالف مجدها وترجع اليها حرّيتها

واستبدائها وترفل بجلل الشرف والافتخار وتتوج بتساج العز
والانتصار . ولكن الامور انقلبت والآمال حطت والأمانى خابت
وأخفقت . حتى اضطرت كل من المانيا والنمسا وتركيا الى دفن
آمالها حيث دفنت جثمان الأبرياء الاطهار . فانكسرت والحالة
هذه شوكة زهوههم وقلت عزائمهم وتجرعوا كووس الذل والصغار
وبناء عليه نقول إن تركيا امست ميتة بتدبير أنور تلميذ
المانيا وزميلها . فهذا كان في قبضة سفير الالمان يلعب به كما يشاء
ويشاه الزمان . على ان غراب تركيا لم يكُ بلا ثمن فان أنور تناول
المبالغ الجسيمة من المانيا وتركيا لقاء موتها ودمارها حتى باغت حصته
فقط سنة ١٩١٦ اربعين مليوناً فامسى في اقدر مدة من اغنى الناس
وأثراهم ولم يزل يحشد الاموال وينقلع هذا وينصب ذاك حتى قلع
هو ايضاً وفر منهزماً الى البلاد التي كان يجبها ويغزها وينفذ البوسع
في اعلاء شأنها وانحطاط مملكته حباً لها . وقد كان أعرف من غيره
بجال دولته لا يجهل ان الاتراك ضعفاء عاجزون عن مصارعة الدول
العظيمة وان الدوائر ستدور عليه وعليها معاً . والله در من قال
حسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تحف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

الفصل الثالث

احتجاج على المانيا والنمسا

اغام ان ملك المانيا جاهر سنة ١٩١٠ بحميم حبه لتركيا رغبة

في توثيق عرى الوفاق بين بلاده وبلادها . وشعر المسلمون في الشرق بتقرب المانيا الى عنصرهم ولاسيا بعد القرض العثماني حتى اصبح مسلمو الهند والعجم وتركيا يعتبرون الامبراطور الالماني كحامى الاسلام في العالم [المشرق ١٤ : ١٣٠]

فاذ كانت الحال على هذا المنوال فكيف جاز للنمسا الملكة الكاثليكية ان تجاري المانيا وتوافقها في الحكم على قتل المسيحيين لغير ما سبب . بل كيف أُتيح لالمانيا عينها وهي مملكة مسيحية وفيها اليوم من الكاثليك ما يناهز الثلاثين مليوناً ان تثير في رجال تركيا عوامل الشحناء والبغضاء وتشير عليهم في هدر دماء الابرياء . أيتيسر لها ان تنكر ان سندرس ممثلاً في الاستانة أمر ان يُقتل المسيحيون ويُعذبوا افطع العذابات ويعاملوا اشنع المعاملات . ليت شعري أما كانت تعرف المانيا ان تركيا لا تخطو خطوة ولا تشور مشورة ولا تبرم امراً ولا تبت حكماً الا بعرفتها او مشورتها او رأيها . فكيف سمحت لها نفسها الابية ان تطلق عنان الحرية لتركيا لتستبد بالنصارى وتعاملهم أجفى معاملة مما لم يرد مثله في وقائع التاريخ الغابرة . لعمر الحق انه لا معذرة لكلا الدولتين النمساوية والالمانية فقد استوجبتا لوم العالم اجمع واستحققتا ان يُخلد لهما في بطون التواريخ نقطة سوداء شنيعة لا تمحى على تتالي الاعصار نعم يجدر بنا ان ننحو باللائمة خاصة على المانيا وان نتشكى من سندرس ممثلاً في عاصمة الاتراك ونرفع صوت احتجاجنا بكل طاقتنا ليسعه جميع اقطاب الارض وسكانها فيقبلوا على توبيخها وتبكيها ويقتضوا منها حسب ما تستحق وتستوجب . لانه كان

في وسعها ان تتلافى كل الشرور وتتدارك جميع الاخطار وتقطع
اقدام الخونة الاشرار . ولكن هيه . فان المانيا تشرفت بالمحاربة
عن بيضة السامين وتباهت بصداقتها لهم بل لا كانت تركيا تفتك
وتسبي وتختلج وتنتفي كان الالمان يشيدون للاسلام جامعاً في
بلادهم . نعم ان الالمان في ثالث عشر ثوز سنة ١٩١٥ يوم سيق
رجال المسيحيين ونسائهم احتفلوا في عاصمة ملكهم احتفالاً شائقاً
بافتتاح مسجد عظيم بُني خصيصاً للمسامين حاكي أجمل مساجد
المشرق . وحضر افتتاحه مختار باشا السفير وأقيمت اثناء ذلك الخطب
البليغة في اطراء الالمان والشكر لهم على معروفهم واحسانهم
وابتذوا الى جانب المسجد منارة شاهقة بلغ علوها ثلاثة وعشرين
متراً يرتقي اليها المؤذن في الاوقات المعينة ويسمع صوته كل من
حوله . وما اجدرنا ان نذكر هنا ما تفوه به احد رجال المانيا وقت
سكرته بصهباء النصر قال : اننا سنضم الينا بلجكا الخبيثة لتكون
لنا بمثابة قبضة حديدية نحطم بها هامة انكلترا . وقال غيره ممن
جاراه في البغض للبشرية « يجب ان لا نترك لاعدائنا سوى العيون
للبنكاء » وكتب الماني آخر ان ليس للحكومات الصغيرة حق في
الحياة الا قدر ما تدافع عن نفسها . يا للعجب والخيلاء .

فويل للبشر لو كانت خرجت المانيا من الحرب فائزة منتصرة .
فانها ما اكتفت ان تصرح باقوال كهذه بل أفضت بها الخيانة الى
ارسال اربعة جواسيس الى دورتيول وفيها عدد من الارمن المتنفذين
وامرتهم ان يتظاهروا بانهم من الانكليز . وما وصلوا الى حيث
قصدوا حتى اجتمعوا بالاهالي واستكتبوهم المضابط الناطقة بالقدح

في تركيا واستعجال الانكليز اليهم لينقذوهم من محالب الاعداء .
ثم حملوا تلك المضابط الى العاصمة في كانون الثاني ١٩١٥ وأثاروا
الاتراك وشغبوهم على المسيحيين ولاسيا على الارمن فثار ثائرهم الحال
واشاطوا دماء النصارى وعمالوا في هلاكهم

ايتيسر اذا لالمانيا بعد هذا كله ان تعتذر او تدعي بان لم يك
لها يد في مذابح النصارى . كلاً . أما كان يسعها ان تنهى تركياً
النهي المطلق عن إلحاق العار بالنساء والفتيات وعن هضم حقوق
الاقليروس والاساقفة والشيوخ وعن اهراق دماء الرضعان والصبيان
وسوق من كانوا في عنفوان العمر وريعان الشباب . بلى . لقد كان
في قدرتها ان تبعث الى كل بلدة من بلاد الترك نفراً يمثلها كي
يحمي عن المسيحيين الابرياء ويصون حقوقهم . ولكنها بعملها هذا
أكدت انها تتمدح بقور النصارى وتبجح بقسرهم . وما النصارى
في تركيا الا كغم وديعة تسير اينما أمرت وتذبح وهي صامته ساكنة
على انا لسوء الحظ لم نر احداً من النمسا ولا من المانيا استبج
ما اقتدفته تركيا . او دافع عن حقوق النصارى . بل اطلقتها
الحرية التامة وحرضتها على افتعال الشنائع والمنكرات . حتى أننا
يوم وافى الالمان الى بلاد ما بين النهرين بعد المذابح والسبي خلنا
انهم يساعدونا ويكشفون عنا الضيم والضنك ولكنهم لم يستعرفونا
قطعاً واصلاً . بل ثروا في بيوتنا وغمضوا عيونهم عن مراصلة المظالم
واجراء التعدي علينا . وكان جل اهتمامهم في مصالحهم الخصوصيه
ورفع شأن دولتهم وبسط سيطرتهم على جميع الممالك ليس الا
ومن ثم فلا حرج عاينا ان قلنا ان الله جلت احكامه اورث

المانيا وتركياً معاً عاراً وهبوطاً ونخسائر جسيمة هيهات ثم هيهات ان تتلاني فصارنا احدثه تناقلها الالسن وتقبّح اعمالها وامستا تعضّان سنّ الندم على ما فات ولات ساعة ندم . على انه سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا . ما بأنفسهم . وقد جعل عز شأنه لكل شي، حداً يُوقف عليه . ومن تجاوز في الاشياء، حدها اوشك ان يلحقه التقصير عن بلوغها والمتجاوز الحد والمقصر عنه سيان بالنسبة اليه لان كليهما زائع عنه في الحالين جميعاً [كليله ودمنة ص ٧٧]

فالمانيا تجاوزت حدها في المظالم وقصرت عن منع تركيا حايفتها عن ارتكاب المنكرات والجرائم فألحق بهما الحق جل وعلا عقاب ظلمهما وتعديهما وجعلهما منبوذتين في اعين الممالك والامم

ونحنم احتجاجنا هذا بما جاء في الكتاب عن بلشصر لما ظهرت اصابع يد انسان وكتبت تجاه المصباح على كلس حائط قصر الملك « منا تقل فرسين » فتغيرت لذلك سحنة الملك واقلمته افكاره وانحلت عقده حقويه واصطكت ركبته . فاستحضر دانيال النبي . فقال له ان الله تعالى آتى نبو كدنصر اباك الملك والعظمة . فلما ترفع قلبه أنزل عن عرش ملكه وجعل مع الوحوش وعلف العشب كالثيران وانت يا بلشصر ابنه مع علمك بكل ذلك لم تضع قلبك بل ترفعت على رب السماء فأرسل من كتب هذه الكتابة . ومعناها أحصى الله ملكك وانهاه ووزنت في الميزان فوجدت ناقصاً فقسمت ملكتك ودفعت الى ماداي وفارس [دانيال ص ٥]

الفصل الرابع

اعتداء الاتراك

اعلم ان للحرب شروطاً وقوانين وسناً لا يجوز للدولة المحاربة او المدافعة ان تتعداها او تخالفها . وقد سبق ارباب المالك المتمدنة فوضعوا مراسيم تعاهدوا على احترامها واشترعوا نظمات للعمل بحسبها تخفيفاً لويلات الحروب وتعديلاً لبلاياها فأمسى تحطي تلك الحدود وخرق ذلك النظام مجحفاً بحقوق الدول منافياً للشفقة والحنان مناقضاً للبادىء الصوابية لا يرضاه الله ولا يقبله انسان . على ان الحرب قبل كل شي يجب ان تُحصر بين جيشي الدولتين المتحاربتين فقط فلا تتناول الافراد دع الشيوخ والفتيان والعذارى والنسوان

واول قانون دولي للحرب سن في الولايات المتحدة سنة ١٨٦٣ فكان اقرب العواطف الانسانية وافرغ للعمران والمدنية . وُعقد في ١٨ آب ١٨٦٤ مؤتمر دولي في لاهاي أبرمت فيه السنن القوية وشرعت فيه القوانين المعتدلة وصادق عليها مندوبو اثنتين وعشرين دولة كانت تركيا من جملتها . ويُستخلص من تلك السنن ان جنود الدولتين المتحاربتين هم وحدهم الاعداء فلا يجوز الحاق الاذى بغيرهم ولا التعرض لحريةتهم . بل تعاهد الدول على حرمة اعراض النساء وعلى اجلال الاديان وصيانة الاهالي . فلا يجوز جرح احد منهم او تعذيبه او اهانتة او معاملةته بالقسوة والحشونة فان معاملات كهذه تستلزم انزال العقاب بالجاني عند كل الدول . وزد عليه ان الحقوق

الشخصية والملكية والادبية والصناعية يلزم ان تبقى مستمرة
ثابتة يُعمل بها على كل حال طبقاً للمبدأ الاساسي « الافراد ليسوا
اعداء »

ليت شعري ما قول تركيا في هذه السنن والقوانين اما حسبها
كلها لغواً او حبراً على ورق منذ نشئت في الشر وجاهرت بالظلم
والغدر . وتبرّعت الى الرعايا بالعدوان والمكر . بلى . اما شطت
في الحكم وجارت في القضاء وسلكت طرقاً خسنة محرّمة وافتعلت
افاعيل شنيعة . بلى . أما فتنتها نفسها الامازة وغرّتها الاماني فارتكبت
كل محذور وممنوع لا رادع ردها ولا وازع وزعها . بلى . اما نفت
الابرياء وقتلت الاطهار ومثّلت بالنصارى وذبحت الرجال والنساء دلالة
على توحشها وبربريتها . بلى . أما علمت المسيحيين معاملة آثم الجناة
من دون ان يتيسر لها البتة ان تثبت عليهم جناية او جريمة واخذة
بلى . اما نشرت اجنحة التعدي على المظلومين وحصرتهم في ملزم
غدرها وخيانتها وجعلتهم مقرّنين في اصفاد خبثها ورداءتها . بلى .
اما ثبّطتهم عن المدافعة عن نفوسهم واعراض امرهم الى الراجع
الكبرى وحرّجت عليهم المراسلة بالمرّة وسدّت دونهم طرق كل
احتجاج وافتتت بالحكايات الموهة الكاذبة ارواء لظنّها وتشفيّاً
من اعدائها . بلى . بلى . فقد سلبتنا تركيا خلافاً للعدل جميع حقوقنا
واستباحّت أعراضنا واستحلت دماءنا وسلبتنا اموالنا واملاكنا
واستحوذت على كنائسنا وأديرتنا . وساقّت رجالنا ونساءنا يحفّ
بهم جنود اوغاد خالعو العذار عرضوهم للاهانات والعار . وطوبى
لنا لو اكنفت تركيا بذلك ولم تمدّ يدها الاثيمة الى التمثيل بنا

واهدار دماننا واذاقتنا الموت الاحمر . على انك ايها القارى النجيب
 المهجة اذا طالعت اخبار اعصار الجاهلية والمهجية يوم لم تك شريعة
 ولا كتاب ولا امر ولا ناصح ولا واعظ ولا زاجر وقابلتها مع حوادث
 عصرنا المنور انيت بينها بونا شاسعا وفرقا عظيما ولست تغالي ان
 قلت ان تلك العصور بالنسبة الى هذا الزمان كالنور بالنسبة الى الظلمة
 والتمدن الى المهجية

فقد تفننت تركيا بادي بدء في ايجاد الذرائع واستنباط الحيل
 لتظهر على النصارى وتثّر منهم واتصلت الى ما لم يتصل اليه الابالسة
 على كثرة خبثهم وشديد دهائهم فادعت اولاً ان عند النصارى
 اسلحة ومدافع ثانياً ان لهم معاطاة ومخابرات مع الدول المقاومة لها
 والمحاربتها . ثالثاً . ان للنصارى جمعيات سرية تحاول سلب حقوق
 تركيا والاستيلاء على مملكتها . لعري ما الذبابة وما مرققتها ؟
 فمدعيات تركيا بأسرها اختلاق محض وافك صراح وبهتان ظاهر .
 وكان الحري بها ان تقول جهرة اني متمسرة للانتقام منكم يانصارى
 متحفزة لحسور دمانكم على الرغم من مراعتكم

فالمسيحيون اولاً لدى سماعهم المنادي ينادي بوجوب دفع الاسلحة
 الى المحكمة جمعوا ما كان عندهم من البنادق مما لا يحلو بطائل
 وسلموها الى اوالياء الامر بخاطر طيب . غير ان الحكومة بعد ذلك
 كله أصرت على طلب الاسلحة كانها تريد من النصارى ان يخلقوا
 او يخرعوا لها اسلحة . ولكن نيتها كانت شريرة لثيمة اذ لم تك
 ترنو الى السلاح بل الى الدماء . وكان علام الغيوب وحده يعلم
 سرها ونجواها . فما اكدت الحكومة بأخذ السلاح بل اشتدت

غفلة على الكنائس وحفرت القبور والارماس ودكت المذابح وقوضتها
وفتشت تفتيشاً بليغاً في غرف الاساقفة والكهنة والوجهاء ولم تعثر
على شيء مما توهمت

ثانياً : ان اغلب مسيحي ما بين النهرين لم نقل كلهم يجهاون
لغة الاجانب وبالكاد يعرفون القراءة البسيطة . فاني يتيسر لهم
والحالة هذه ان يخابروا الدول . بل كيف يمكنهم ان يرسلوهم
والطرق مقطوعة والرسائل تبعث مفتوحة

ثالثاً : اما الجمعيات السرية او الاخويات التقوية^١ ومن جعلتها
الجمعية الفداوية الارمنية فلم يك لها في بلاد ما بين النهرين سوى
الاسم فقط وان وُجد فيها بعض الاشخاص فان المسلمين كانوا ما

(١) من الغرائب ان اولي الامر في بلاد تركيا جماعه استقصوا في البحث عن
جمعيات النصارى واخوياتهم وهم يعرفون معرفة تامة ان تلك الجمعيات او الاخويات
ما انتظمت الا امل الخير وايتاء ذي القربى كغاثة الفقير ومساعدة اليتيم ومعالجة
المريض وحضانة اللقيط او الثبات في صالح الاعمال والغيرة على نشر الايمان المقدس
واذاعة بعض العبادات التقوية . من ذلك جمعية مار منصور الذائعة الشهرة واخوية
الارمن بدبر بزمار بلبنان . واخويات دم القادي والقربان الاقدس ودرج
الصليب والوثة الصالحة والحبل الطاهر وسيدة بباي والوردية وهلم جرا . وقد اطلع
على امرار هذه الاخويات ومقاصدها جميع من عاين المسيحيين ولاسيما الشبان
المسلمون الذين تلقوا العلوم في مدارسهم . فكيف افضى المنصب واللوم بارباب
الحكومة التركية واقطابها الى انقاء القبح على رؤساء تلك الجمعيات وعلى المنتمين
اليها . بل كيف سوغت لهم نفوسهم ان يهددوهم ويسجنوهم ويعذبوهم ويذبحوهم
لعجري ايس الفتى من شغب او تمصب او ضرب بالسيف والسكين . كلا . بل
الفتى من جمل الحق والصواب ازاوه وبالطال والتخريص وراوه واحسن الى البائس
والسكين . واقرب بالمعروف والاحسان . فتأمل

بينهم يطلعون على ما يحدث ويقال مما لا يس حقوق الحكومة بته بناء عليه نقول ان المسلمين لم يجدوا لنا ذنباً ليُلحقوا بنا العار ويُزلوا بنا النكال ويفتكروا بأرواحنا سوى كوننا مسيحيين فقط . وان قال قائل ان المسيحيين كانوا يكيدون المكاييد للحكومة بدسائسهم قلنا ان يد الحكومة كانت طويلة ايضاً يسهل عليها محاكمة المجرمين ان وجدوا ومعاقتهم ان أثبت عليهم ذنب . والا فلا حق لها ان تعاقب البري كالمجرم والظالم كالمظلوم فهي المسؤولة عما ارادت بقتلنا وفيما أبطلت وأباحت دماً

واذكر ايها القارىء انه كما اشترك في مذابح اطنه سنة ١٩٠٩ جواد بك واليه ورمزي باشا القومندان وناصيف متصرف جبل بركات بدسائس عبد الحميد كما تشير الى ذلك الاوراق الرسمية والقضائية هكذا قل في مذابح ولاية ديار بكر التي اشترك فيها رشيد الوالي وبدري متصرف ماردين وتوفيق بك الياور وممدوح قومسيرو ديار بكر بدسائس انور وطلعت ومن نحنا نحوها حتى قلبوا الولاية ظهراً لبطن وملاؤها سيئاً ونهباً وأوسعوها حرقاً وهدماً وأوعبوها ذبحاً وقتلاً . قال ميخائيل رستم

يا هل ترى والعصر عصر تمدن كيف استحلّ الترك قتل الارمن
الغيرة في الدين عند الوثمن ام كان اكراماً لذك المقتن
بناء عليه نقول ان تركيا ما انزلت بنا المظالم وما ارتكبت
الجرائم الا لاننا نصارى مسيحيون لا ذنب لنا قطعاً واصلاً . فلاجل
الدين المسيحي المحبوب عذبنا ولاجاه ذبحنا ولاجله استيق رجالنا ونساوانا
ولاجله مُتنا اشنع الوتات فالله العادل بيننا وبينها . ترى اي عاقل لا

يتأفف من هذه المعاملات ويستنكف هذه الجرائم . اصبر يا صاح
اصبر حتى يحكم الله تعالى وهو خير الحاكمين . فانه سبحانه ليعجل
للناس الشر استعجالهم بالخير لفضي اليهم أجاهم

الفصل الخامس

ماردين والحرب الغشوم

تلقت حكومة ماردين اوامر الحرب متهلة لها مرجبة بها .
عاقدة الامال بنيل المنى ممتطية صهوة الجور والهنا . وهبت ناشطة
من فورها لحشد الجنود وتعبئة الجيوش غير مكترثة للسن والقد
والكفاة . فكنت ترى الناس في اضطراب ووجل شديد . وحيرة
عظيمة . لا يدرون كيف يتماصون من جناء الحكومة وقسوتها .
على ان الجنود منذ اعلان الحرب طفقوا يحملون على الدور ويخوضون
الكنايس يشوشون الضمائر ويرعبون الافئدة وياقون القبض على الشبان
ويسوقونهم الى دار الحكومة فلا يبيتون ليلتهم حتى يضطروهم الى
الرحيل الى نواحي ديار بكر وبتليس ووان وخربوط وارضروم دون
تربث وجعبتهم خالية من الزاد وأبدانهم معرأة كأن الماردنينين
اخذوا على عهدتهم المدافعة عن تلك البلاد القاصية وان عليهم المعول
في مسألة خلاصها من هجمات الاعداء . وتأتى من ذلك ان قرماً من
اولئك الجنود الحديثين خاطروا بحياتهم وانهزموا تحت الليل وقفلوا
راجعين الى بيوتهم ولزموها لا يجسرون ان يخطوا خطوة خارجاً عنها
لئلا يقبض عليهم تكراراً ويساقوا الى حيث انهزموا ودامت الحال

كذلك حتى بان الأوس وارتحل السرور عن المسيحيين وتفتحت عليهم
أبواب العدوان. فاحتجب قوم عن العيان وانهمز غيرهم الى جبل سنجان
حرصاً على أرواحهم وضناً براحتهم .

اما الحكومة فانصاعت تطلب المساعدات المالية من طائفة فطائفة
لا ترعى في ذلك للعدل والانصاف حزمة فضربت الضرائب على
عامّة الناس وأجأتهم ان يُمدّوا الذخائر للجنود ويهيئوا الاعمال
والجواتق للنقل ويدفعوا المبالغ لمشتري البغال والحمير والجهاش .
وفدحوا المسيحيين خاصة بالمون الباهظة والكلاف المجعفة وزادوا
عليها توابع ونوافل مما يطول شرحه فكانوا يؤدونها ديناً او هيناً
دون تبرم . فكانت تُحشد تلك المون وتخزن او ترسل الى البلاد
فتهطل عليها الامطار وتلحقها الرطوبة فتفسد او يتسلط عليها الضباط
الامناء فيتصرفون بها كما يهرون في حين لم يكن يعلق بيد العسكر
خبر يومهم فكانوا يموتون جوعاً او ينهزمون ناجين بارواحهم . ولجّت
الحكومة في الطلب وتمادت في الاعتساف اشباعاً لمطامعها حتى ضيقت
حقوق العباد وكأني بكل من اعضائها يقول اذ ذاك اني اشكر
الحكومة شكرياً جزيلاً على وصولي الى هذا اليوم اليمون السعيد
فقد كنتُ مشرباً اليه بكل قلبي ولبي لا برد غليلي وانفض
فقري وأصبح متقلباً في ارغد المعيشة متمتعاً بهواث المسرة والهناء .
على ان ما يصيبني شهرياً لقاء خدمتي لا يكاد يكفي لذاتي وحدي
فكيف الامر وعندي من الاولاد والنساء والجواري كذا وكذا . . .
ولا يتيسر لنا ان نستقي كل ما أنزل بالمسيحيين في بدء الامر
من الجرائم العظمى والجنايات الكبرى استنزافاً للاموال وما لحقهم

فما بعد من الاضرار والخسائر والمساوى . فان اولي الحل والعقد بل جميع المسلمين دون استثناء كمنوا الحقد والبغض للمسيحيين منذ عام ١٨٩٥ وكانوا يسترون عنهم مضرات أحقادهم وضايقاتهم ويتحينون الفرص لينتقموا منهم . ولما شعروا بان للحكومة نية في ازالة النكال بالنصارى سرت نفوسهم الخبيثة وطوروا على ذلك كشعهم يترقبون الفرصة لنيل مآربهم حتى بدء صيف ١٩١٥ فاستد حينئذ انفجار شرهم وأحدوا سفار خبثهم ونزلوا باجمعهم الى ميدان المظالم . فغربت شمس ملانكة الرحمة وذرت قرون شياطين النعمة وادلعت السننها النجسة ودفعتهم الى ارتكاب كل ما حرّمه الله حتى صحّ فيهم قول القائل

قومٌ اذا الشرّ أبدى تاجديه لهم طاروا اليه زرافاتٍ ووحيداناً
فيخرجوا عن جادة الهداية ولزموا الشر والرداءة وبالغوا في

اضرار الرعايا وتبعضوا خاصة حقوق النصارى واغتصبوا املاكهم ودكاكينهم ومخازنهم وجعلوها لسكنى الجنود واذا خار المؤمن وحشد الامتعة العسكرية . فعظم الخطب وليس من معين وتتابع الشقاء

وليس من مغيث غير الواحد القهار المالك رقاب العباد وهو القائل
« لا تنتقموا لانفسكم . لانه قد كتب لي الانتقام انا اجازي يقول

الرب . فان جاع عدوك فأطعمه وان عطش فاسقه فانك بفعلك
هذا تركم على هامته جمر نار [روم ١٢] فيحترق في دنياه قبل اخراه

الهي ان هولاء قد جاروا على العباد وظلموهم وهضموا حقوقهم
وغبنوهم . وانت الحاكم العدل المنصف المحاسب على كل عمل صالحاً

او طالحاً الاغلاظ عليهم وعاقبهم وهضمهم فقد هضمونا ونجسوا اشياءنا

ونقضوا الأيمان بعد توكيدها . والذين ينقضون عهدك . . ويفسدون
في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار [سورة الرعد]

الفصل السادس

اعتكاف القسان الكاثليك ومطرانهم . اعلان الحرب .

حشد الجنود وبشتهم من ٣ الى ١٠ آب

اننا منذ اشهر هذه الحرب اخذنا نكتب يومياً ما يجري في
ماردين وضواحيها من الوقائع وما يرد اليها من الاوامر على قدر ما
تسمح لنا الظروف . وكنا نظن أن حرباً طاحنة كهذه لا يمكن
ان تستغرق مدتها الا بضع اشهر . فخباب ظننا وأخفق أملنا لاننا
رأينا وسمعنا ما لم يكن يدور في مخيلتنا ابداً

ففي سابع عشر تموزيتم ماردين الاب اندراوس يوستنياني اليسوعي
مع الراهب عبد المسيح اشبع المارديني . فطلب اليه في ٢٩ تموز
السيد اغناطيوس مالويان والسيد جبرائيل تبوني ان يلتي عليها وعلى
قسائنها مواظب الرياضة في كنيسة الاباء الكبوشيين . فاجاب الاب
يوستنياني الى طلبها بترحاب وجبور واجتمع في الكنيسة المذكورة
كهنة الكاثليك جميعاً وجعل الاب اليسوعي ينثر عليهم لآلئ كلامه
وجواهر نصائحها

وبلغنا مساء الاثنين ثالث آب ان النمسا أعلنت الحرب بالاشتراك

(١) كان ذلك كان تأهباً لحوض غمرات المذاب واستعداداً للرحيل من دار

الشفاء والبقاء الى دار العيلة والبقاء

مع المانيا على روسيا وفرنسا وانكلترا . ويوم الثلاثاء رابع آب نشم شفيق بك متصرف ماردين يحشد الجنود والعساكر فاجتمع في ذلك اليوم قريب ثلاثمائة شخص دقت لهم الطبول ورفعت امامهم الرايات من مقام الحكومة الى باب المشكية وهم ينادون ويذاطون ويضجون ويعجون وكانت الامهات راكضات وراءهم يعولان ويبكين عليهم فشمّل الرعب والهلع جميع القلوب من نصارى ومسلمين . وليلة الاربعاء خامس آب خرجت قافلة ثانية من باب المشكية كان عددها مائة وكسوراً من مسلمين ونصارى وتوجهوا الى دياربكر بعد ما قضوا في القلعة ليلتين . وليلة الخميس سادس آب خرج قافلتان اخريان احدهما من الباب الشرقي والثانية من الباب الغربي بلغ عددهما مائتين وخمسين واحداً اغلبهم اكراد . وسار جملة من الجند والضباط الى راس العين وتلّ ارمن فاستاقوا عدداً صالحاً من المسيحيين شباناً وشيوخاً ومضوا بهم الى المحكمة ثم بعثوا منهم الى دياربكر ومنهم الى وان

ويوم الجمعة سابع آب ساقوا جماعة من الاكراد والمسلمين والنصارى الى دياربكر دون زاد ولا قوت وامرهم المتصرف ان يحملوا معهم ما يكفيهم من الغذاء مدة خمسة ايام . فسار منهم تقديراً مائة راجل حفاة جياً

ويوم السبت ثامن اب اذ كان الجند محشورين في القلعة سمعت صيحة بعد الغروب مفادها ان قد ورد خبر من العاصمة ينبيء باتفاق الدول وانتهاء الحرب . فشمّل النرح افئدة الاهالي وجعلوا يطلقون المسدسات والبواريد وهم فرحون مسرورون . فخاف المتصرف وتبادر الى

ظنه ان المسلمين متحفزون للشغب او للفتك بالنصارى . فاوفد من
ساعته النادي ينادي ليلاً ويقول « لا صحة للصالح » بل يجب ان
يواصل ارسال العسكر الى الحرب . ومن ثم ففرح دقائق قليلة
تبغى غم جديد وحزن شديد . وسير المتصرف في تلك الليلة عينها
الى ديار بكر بضعاً ومائتي شخص من المسلمين لم يك بينهم سوى
نصراني واحد

ويوم الاحد ناسع آب اقبل جمهور من رجال الضور يريدون ان
يدفعوا ذهباً لقاء التجنيد فقال لهم الحاكم ان الاوامر التي وردتني
تنطق بقبول البدل من النصارى لا من المسلمين . فالتسوا منه ان
يراجع العاصمة في ذلك فاستحصل لهم الامر بقبول البدل منهم ايضاً
ولو مسلمين . فاذاً ذلك بجمهور من المسيحيين الى ان نزعوا حلي
نسائهم وباعوها ودفعوا المبلغ لقاء البدل ليتخلصوا من ويلات التجند
وسار في هذه الليلة الى ديار بكر زهاء مائة وخمسين شخصاً . وكان
مذذاك يجتمع ليلاً في دار الحكومة عند الحاكم والقومندان العسكري
وكلاء الطوائف المسيحية من ارمن وسريان ويعاقبة وكلدان
وبروتستنت يكتبون اسماء من هو داخل في السن الجنديّة من

(١) كان الوردبيد ارهيس وكيلاً للارمن والخورى رافايل بردعاني السريان
الكاثليك والخورى عيسى الكلدان والقس الياس دولباني للسريان القديم والاسقف
جرجس للبرستان وتكبدوا اتعاباً وشقات وافرة في سبيل جماعتهم اذ كانوا
يختلفون الى المحكمة ليلاً ويستخرجون اعمار الرجال في دفاترهم ويقابلونها
مع دفاتر الحكومة . وكان الخورى روفابيل دون غيره برد اعتراضات المأمورين
بسديد الاجابة مما جعلهم ان يتحمضوا عليه ويضرموا له الكيد والسوء في
قلوبهم

العشرين الى الخامسة والاربعين . وطلق الجند يطوفون بيوت التجار
ويحتمون صناديق السمن ويجهزونها لمؤنة العسكر فكان الخوف
والقلق يزداد شيئاً فشيئاً

ويوم الاثنين عاشر اب اقبلت شردمة من الجند الى ماردن في
عدد غفير من الاكراد والنصارى القاطنين في القرى المجاورة موثقين
بالجبال . ومضوا بهم ترواً الى القلعة . وعند فحمة الليل قسموهم
قافلتين سيرتوهما من باب المشكية الواحدة تلو الاخرى . وخرجت
بعدهما قوافل ثلاث من باب الصور الى جهة وان بلغ المجموع اربعمائة
رجل وكسوراً . وكانت الامور تشتد وتتصعب رويداً رويداً .
فقصد مطران الارمن ومطران السريان حاكم البلد وسألاه ان يغمض
عن البالغين السن الاربعين والخامسة والاربعين ويراجع في ذلك الباب
العالي . فاجابها اني مضطر ان أنجز بالتام جميع الاوامر التي تردني
وفي تلك الليلة نادى النادي يقول يلزم كل من عمره ثلاثين فما فوق
ان يشخص الى المحكمة ويدون اسمه . فتأني من ذلك ان
المخاوف ازدادت والاضطرابات تفاقمت . وجعل الناس طراً يجأرون
الى الله ليصرف عنهم المكاره ويطفى نيران الشحناء . ويرجع الهدوء
والطمأنينة الى عموم البشر

الفصل السابع

مواصلة جمع المسكر وسوقهم . تجديد تذاكر النفوس انهما الانبان

من راس العين من ١١ - ٢٠ آب

ويوم الثلاثاء ١١ آب نادى النادي انه يلزم من شاء دفع البدل

العسكري ان يستعجل اليوم في دفعه دون ترتب والا سيق كسائر زملائه . فدفعت كثير من النصارى ثلاثاً واربعين ليرة ولزموا اشغالهم اما الباقون فسار منهم طائفة الى آمد وطائفة الى مديات بلغ عددهم زهاء مائتين في جماتهم ثلاثون من النصارى

ويوم الاربعاء ١٢ آب وردت الأوامر من العاصمة ناطقة بان يؤجل من كان عمره فوق الثلاثين . غير ان حاكم البلد صرح بانه يقبل بدل العسكري مدة اربعة ايام ايضاً . وبعد ذلك يختم الدفتر ويلغى الانعام . ووفدت اليه الاوامر ان يسير العسكر الى بغداد والبصرة لان ما احتشد من العسكر في دياربكر بلغ حد الكثرة . وفي هذه الليلة استاق الجنود من ماردن بعضاً واربعين بغلاً حاملة اسلحة وباروداً . وسيق عند نصف الليل الى دياربكر قافلتان من العسكر بلغ مجموعها مائتين وكسوراً واستحوذت الحكومة على كثير من دواب الاهالي بعثت بها الى دياربكر . وبلغنا ان المانيا ظفرت بالفيلق السابع الفرنسي . اما اهالي باجنه بطورعبدین فنادوا بالعصيان والتمرد على الحكومة وآلوا على نفوسهم ان لا ينضم احد منهم الى السلك العسكري . فارسلت حكومة ماردن شحنة لتخضعهم للاوامر وتعاقبهم

ويوم الخميس ١٣ اب اذاعوا في ماردن ان المانيا قهرت فرنسا وتغلبت عليها . وعند الليل سار الى ويران شهر شردمتان من الحياالة الحميدية زادتا على المائتين . اما من صاروا الى دياربكر فكانوا فيها حتى نهاية رمضان . وأوفد سكان طورعبدین الى قائم مقام مديات انهم متأهبون للانضمام في السلك الجندي بشرط ان يدفع لهم

ما يفتقرون اليه من البواريد والاسلحة فيتكفلون هم بما يلزمهم من الكسوة والقوت . وكان الجنود يطوفون الاسواق السيوف في اوساطهم والمخاضر في أياديهم ويكتبون اموال التجار ويقولون لهم انهم لن ياخذوا منهم الا عشرين في المائة لا غير وانهم سيوصلون الباقي الى ذويه

ويوم الجمعة ١٤ آب كان الجنود كأمس يجولون في الاسواق ويأخذون ما وافقهم وطاب لهم . ووردتنا الجرائد بان الحرب أمست عمومية وان حكومتنا ستعلن الحرب على روسيا . وصباح السبت عيد انتقال المدراء عليها السلام نادى النادي في البلد ان الشبان المرضى والمزوجين بالنساء اليتامى والطاعنين في السن معفون من التجند فسر الاهالي نوعاً . وفي تلك الليلة خرجت قافلتان احدهما الى آمد والاخرى الى بغداد زاد مجموعهما على المائتين والخمسين . وقرآنا في الجرائد ان الانكليز والفرنسيين انتصروا على الالمان والنمساويين في البحر والجو وان الروس غلبوا الالمان في البر

ويوم الاحد ١٦ آب أطلقت الحرية التامة للضباط والجنود ان يغادروا الاسواق ويراوحوها ويضربوا من يجدونه ويجبروه ان يشخص الى دار الحكومة ليستحصلوا منه امتهة واثاثاً ومواشي وسمناً للعسكر فشق عليهم ذلك جداً وشملهم الفرع وكان قوم من المسلمين يسلقون الضباط بالسنة حداد ويخزونهم بالسنة اللوم والعتاب . وعند الليل خرجت قافلة من المسلمين والنصارى الى ديار بكر تبعتهم النساء باكيات منتحبات . وسارت قافلة ثانية الى ويران شهر بلغ مجموع كليهما مائة وثمانين نفساً . وبلغنا ان ولاية آطنه والبحيرة

وادياربكر عُزلوا وُعِين غيرهم . اما السريان المنفصلون فاوفدوا في طلب المطران الياس هلولي من دير الزعفران وولوه شوؤونهم بدل المطران جرجس الشيخ . فقصد المطران الياس السيد اغناطيوس مالويان . مطران الارمن يريد الاتفاق . معه في كل ما يعود على طائفته بالنفع . ويوم الاثنين ١٧ آب عُلمت الاعلانات في الاسواق والكنائس تنطق بوجوب استكتاب كل من كان عمره من الثلاثين الى السن الخامسة والاربعين لينضموا جميعاً الى السلك العسكري . وضربوا ثمانية ايام مهلة لمن شاء دفع ثلاث واربعين ليرة ذهباً . فكانت الوجوه كاسفة والقاب كثيرة والرعبة شاملة الجميع . وعند الليل توجه كثير من الرجال الى دار الحكومة ليكتبوا فأرجأهم الحاكم الى الغد وبلغهم ان يبدلوا تذاكر نفوسهم واضطرتهم ان يجددوها . غير ان المامورين كتبوها كلها « خرسنيان » فقط ولم يسعهم ان يذكروا طائفة كل فرد منهم . وكانت تلك حيلة من حيل الترك ظهرت فيما بعد . حقيقتها لما أصلتها سيوف غضبهم وأوضحوا . مكثونات قلبهم واستاقوا وقتلوا السريان والارمن والكلدان معاً . وفي هذا اليوم سيرت الحكومة الى آمد قريب مائة واربعين بعيراً موسقة أسلحة وبواريد

ويوم الثلاثاء ١٨ آب سار جمهور المسيحيين . الأكتتاب فصرفهم الحاكم الى الغد . وبعد الغروب خرجت قافلتان قصدت احدهما دياربكر والاخرى الموصل بلغ مجموعها زهاء مائتين . وتوجه رجال نصيبين الى مديات وقصدوا رئيس العسكر ليكتبوا فانتقى منهم ثلاثين شخصاً ورد البقية الى بلدهم . ولم توافنا اليوم اخبار من

سوريا للاطلاع على ما يجري في حومة الرغى ببلاد اوربا فكانت
الامور معمسة والاحوال تتوتر وتتصعب يوماً فيوماً
ويوم الاربعاء ١٩ آب سار الجند في اربعين جملاً الى آمد وعند
الغروب توجه الى ويران شهر نحو اربعين من الخيالة . وعند الليل
سيق قريب خمسين من الرجالة الى آمد . وقصد وجهاء المسيحيين
دار الحكومة ليكتبوا اسماءهم بغية ان يستمروا في البلد لحراسته
طبقاً للأوامر الصادرة من العاصمة . فامرهم المتصرف ان يوافقوا
اليه يومياً معلنين باستعدادهم وتأهبهم لتنفيذ تلك الاوامر . وفي
فجر الخميس ٢٠ آب توجهت قافلة من الجنود بلغت نيفاً ومائتي
رجل الى بغداد والبصرة . وبلغنا ان قد احترقت اسواق ديار بكر .
وكان في راس العين نحو ثلاثين من الالمان شخصوا الى حلب فالعاصمة
ولما ركبوا البحر الى المانيا قبض عليهم فيما قيل جنود الانكليز ولم
يبق في راس العين سوى الماني واحد جمع ما عنده من البواريد
والمدافع وأطلق فيها النيران فاحترقت . وهجم قوم من الجراكسة
[الجاجان] وكبسوا راس العين واختلسوا شيئاً كثيراً من اسلحة اولئك
الالمان ساعدتهم فيما بعد على قتل المسيحيين كما سترى . وكان الرجال
البالغون الاربعين فما فوق يواصلون الذهاب يومياً الى المحكمة دلالةً
على تأهبهم لقبول ما يتجدد من الاوامر . وراينا في الساعة الاولى
من الليل كأن شهاباً نارياً انبثق من احد الكواكب في الجهة الغربية
الشمالية واندلع لسانه الى الناحية الشرقية الجنوبية

الفصل الثامن

حرق سوق ديار بكر . وفاة الجبر الاعظم . عيد رمضان
نكبة وبران شهر . المسكر بديار بكر من ٢١ - ٣١ اب

ويوم الجمعة ٢١ اب بلغنا ان قد التهمت النيران بديار بكر الفأ
وخمسة وثمانية وسبعين دكاناً ومخزناً كلها للنصارى وكانت تتضمن
اموالاً وبضائع شتى . وحدث ذلك بدهاء الوالي وزملائه من نصف
ليلة ١٩ اب الى ٢١ منه اي مدة ثلاثة ايام بلياليها حتى امست كلها
خراباً ياباً . ولحق المسيحيين من جرى ذلك خسائر باهظة . واستحوذ
قوم من المسلمين والجنود على نصيب وافر من تلك الاموال والبضائع
فكتب النصارى الى المراجع العالية في العاصمة يطلبون معاقبة الجناة
فلم يُعربهم احد اذنا صاغية

وقبل العصر كسفت الشمس وخيمت الظلمة مدة سبعين دقيقة
على البلد وضواحيه فأبصرنا النجوم في كبد السماء . وجاء في السلك
البرقي عند ذاك ان قداسة الجبر الاعظم بيوس العاشر قد فاضت
روحه بيد خالقها

ويوم السبت ٢٢ آب سار الروساء الروحانيون الى دار الحكومة
وهناؤا المتصرف بعيد رمضان فأفادهم ان الالمان قهروا الفرنسيين
وتغلبوا على بلادهم ولعلمهم عما قليل يصلون الى باريس عاصمتهم
ويدوخونها . وتوجه اليوم الى ويران شهر تقديراً عشرين من الخيالة
غير ان المسلمين قضا عيدهم حزاني مرتعين

ويوم الاحد ٢٣ آب لم ترسل الحكومة احداً من الجنود الى

دياربكر كرماناً للعيد . غير ان عشرة جنود ساروا الى المدن في
استحضار ملابس و ثياب للعسكر . وشدت الحكومة على البالغين
الخامسة والاربعين وتهددت كل من لا يكتب اسمه بالقتل والشنق
والنفي . ويوم الاثنين ٢٤ اب ارسلت الحكومة نيفاً ومائة بعير
الى نواحي الموصل . وطاف الجنود في الاسواق تكراراً واستلبوا
من التجار اثواب صوف وأمتعة شتى لكسوة الجنود

ويوم الثلاثاء ٢٥ اب اوفدت الحكومة مائة بعير بنيف موسقة اسلحة
زامتعة و ثياباً الى دياربكر جمعها الضباط من تجار ماردن المسلمين
والنصارى . وعند الغروب سار الى نواحي الموصل ثلاثمائة وخمسون
رجلاً من العسكر قيل انهم يريدون طورعبدن ليقاتلوا علي بطي
الذي تمرد على الحكومة وخرج عن طاعتها هو ورجاله البالغون
سبعائة مقاتل

ويوم الاربعاء ٢٦ اب سار الى وان اربعائة من الجند تقديراً .
وأطلق سراح البالغين ٤٥ سنة . وعند الغروب شاهدنا عدداً غفيراً
من الرجال والنساء حاملات اطفالهن قادمين من ويران شهر الى ماردن
خفاة هلكن من التعب وكان عددهم نيفاً ومائتي نفس اجبرهم
قائم مقام بلدهم على ان يشخصوا الى ماردن ليدونوا اسماءهم في دفتر
الحكومة كأن اشغاله الكثيرة حرسه الله لم تسمح له ان يدون
اسماءهم في مركزهم ويبعثها الى حكومة ماردن لترقمها في دفترها
المضبوط . يا لله ما هذا الظلم والتعدي . وما هذا الخبث والغدر .
علام يحصر المنافق الصديق فيبرز الحكم عليه معوجاً [جقوق ١ : ٤]
ولكن تهمل فان اول الرقص حنجلة واول الشجرة النواة . فشخص

والحالة هذه هولاء المساكين الى ماردین وترکوا بيوتهم ودكاكينهم
هدفاً لسهام الخصوم وكانت الدموع تسيل على خديهم يندبون
بحالمهم ويذرون التراب على هامهم ويطلبون النعمة لاعدائهم والنجاة
من برائتهم . وبعد ان كتبوا اسماهم أمر بهم بالعودة الى وطنهم
ويوم الخميس ٢٧ آب جاءتنا الاخبار من ديار بكر مفادها ان غير
المتخرجين في الجندية ممن بلغوا الثلاثين فما فوق معفون من التجند . غير
ان شقيقاً المتصرف اخفى تلك الاوامر وواصل يحشد العسكر ويرسلهم
الى نواحي وان . وسمعنا ان تركيا مصممة ان تحارب دول الباقان
لتسترجع املاكها وارضيتها . ويوم الجمعة ٢٨ آب اخذ العسكر
يعودون من ديار بكر عشرين وعشرين وثلاثين ثلاثين . وكانوا
يقولون ان قد تكاثر العسكر بديار بكر وان جميع الذين أرسلوا
الى تلك النواحي سيعودون الى ماردین . وشخص اليوم ايضا من
ويران شهر قريب سبعين رجلاً ليكتبوا طبقاً لاوامر القائم مقام . وكتب
الورقبت اسهاك وكيل الارمن بويران شهر ان لم يبق فيها سوى
طائفة من النساء زهيدة مما دعاه الى القلق والرعب معا . واذاع
رجال الحكومة ان جميع الذين قدموا من ديار بكر سيساقون بعد
ايام معدودة الى نواحي وان . وكان المسلمون يجتمعون كل يوم في
الجوامع يدعون ويبتهلون في شأن المانيا لتحوز الظفر والغلبة على
اعدائها . واذاعوا انها قد نادت بالاسلامية في بلادها واخذت على
عهدتها المحاماة عن المسلمين والذود عن حقوقهم والاقتصاص ممن
يناويهم

وصبيحة السبت ٢٩ آب اقبلت من ديار بكر شذمة من الاكراد

والمسلمين ممن ناهزوا الثلاثين فما فوق وافادوا الاهالي عما احاق بهم من الضيق والعنف والعداب اذ كانوا يتوسدون الحجار ويفترشون الارض ويأكلون ما تعفن وفسد من الخبز دون ادام . فتاتي من ذلك ان العدوى شملت قوماً منهم فقضوا ضحية الجوع والعري والضيق ويوم الاحد ٣٠ اب وُجد في ماردين نحو ثمانمائة كردي قضوا ليلتهم في مقبرة المسلمين عند الميدان ثم جعلوا يرسلونهم الى ديار بكر ووان طبقاً بعد طبق . فينهزمون الى قراهم . واقبل اليوم من ديار بكر خمسون بعيداً موسقة اسلحة للعسكر الحميدي . وكان الحاكم مشغولاً بكتابة الرجال والنساء ياخذ من كل نفر اربعة قروش ويدفع له تذكرة نفوسه « خرستيان » ؟

الفصل التاسع

اختلاس الدكاكين . سفر المتصرف . الدكتور لويس مركيزي . كبس

الكنائس والبيوت . قتل جابل كوكه من ١ - ١٥ ايلول

ويوم الثلاثاء اول ايلول كان الجند يواصلون عملهم جائلين في الاسواق يخطفون السكر والبن والامتعة والاحذية وغير ذلك مما يلزم العسكر . وسار في هذا اليوم قافلتان الى وان بلغ مجموعهما اربعمائة شخص ونيماً وفي ثاني ايلول وصل الى ماردين سرية من البغال والجمال موسقة اسلحة فأودعت القلعة . وقصد اولو الامر في ثالث ايلول النساء المثريات يطلبون منهن اسعافاً للجند فأسنين لهم مبلغاً وافراً طوعاً او كرها . وفي رابع ايلول عاد الى ماردين قوم

من الجند ممن بلغت اعمارهم الثلاثين فما فوق ورووا لنا ما حل
بدياربكر من الضيق والجوع والارض والوت بعد الحريق الهائل
وطاف الضباط ايضا في الاسواق واختطفوا ملحا وسكرا وامتعة
وجبالا ومسامير وحديدا الى غير ذلك مما يفتقر اليه العسكر
ورواؤهم معا

ويوم السبت خامس ايلول بلغنا ان الفرنسيين والانكليز والروس
عقدوا مؤتمرا في لندن اجمعوا فيه ان لا ينكفوا عن المحاربة الا معا
وفي وقت واحد . ويوم الاحد سادس ايلول كان الجنود الحميديون
يظفون في البلد متبخترين ياخذون من الدكاكين ما طاب لهم .
وعاد من دياربكر طائفة من البغال والجناس حاملة الاسلحة وساروا
بها الى نواحي وان . ويوم الاثنين سابع ايلول سافر شفيق المتصرف
الى دياربكر ونصب خليل اديب رئيس الجزاء وكيلا عنه وذاع
انه عمّا قليل يطلق من كان عمره من الثلاثين الى السن الخامسة
والعشرين . وفي ثامن ايلول كان الحميدية يختلسون ويختطفون الثمار
والفواكه الواردة الى البلد من بساتين النصارى والمسلمين . وعند
العصر رأينا قريب مائة وخمسين بغلا متوجهة الى دياربكر يتبعها
عشرون جنديا

ويوم الاربعاء تاسع ايلول القى نائب المتصرف جماعة من الحميدية
في السجن ردعا لهم عن الخوض في البلد واختطاف الاموال والثمار
وأوفد منهم قافلة الى وان مع شيء من السلاح بلغ مجموعهم ثمانين
رجلا . وسمعنا في عاشر ايلول ان الالمان اجتاحوا فرنسا كلها .
وانهم عمّا قليل يدوون باريس عاصمتها . وفي هذه الليلة وردت

الانخبار على لسان البرق أن تركيا أعتقت من نير عبودية الفرنج .
وامست الحرية مطلقة لها تفعل ما تشاء وتتصرف كيفما تريد وانه
يلزم جميع الاهالي ان يفرحوا معها ويُسروا لسرورها . وفي الساعة
الثانية ليلاً وردت الاوامر من العاصمة ان تحشد العساكر من العشرين
الى الخامسة والاربعين . وسير نائب المتصرف اذ ذاك نحو مائتين
من الخيالة الحميدية الى ديار بكر . ويوم الجمعة ١١ ايلول سار الى
نواحي وان مائتان وخمسون جندياً وعلمت الحكومة تجمع وتحشد
الرجال من جديد وتضيق عليهم حتى افضى الامر بقوم من الحميدية
الى الهزيمة . وكانت اخبار روسيا وتركيياً تنذر بقرب حلول الموعد
للقتال والمركة . ويوم السبت ١٢ ايلول توجه الى بتليس نحو ألفين
وخمسمائة من الخيالة الحميدية وكان معهم من النصارى ثمانون رجلاً
منهم يوسف اسطنبولي ورزق الله شادي والدكتور العزيز لويس حنا
مركيزي الارمني الكاثوليكي الذي درس الطب في كلية الفرنسيين

(١) سار الدكتور لويس بصفة يوزباني الى بتليس ومعه الحميدية في ضباطهم
وصناديقهم وراياتهم وسائر ما يفتقرون اليه من الكسوة والمؤونة . وما وصلوا الى
موش حتى التحم القتال بينهم وبين العسكر التركي فانقلب قوم منهم الى ويران شهر
وقعدوا راس العين فاخربوا السكة الحديدية واستأنفوا المسير الى بلاد الحجاز
واليمن . ثم صار الدكتور والجنود الباقون الى كوبري كوي فباسين فولي بابا .
وأعلنت الحكومة التركية اذ ذاك الحرب على روسيا . وكان مقدم الحميدية محمداً
علي بك ابن عمر آغا رئيس الكيكية . ولما شارفوا الحدود شد الروس على العسكر
التركي وعلى الحميدية وأطاعوا عليهم المدافع فاضطر الكثيرون الى الهزيمة حتى
اضمحت الفرقة بالمرّة في افتتاح سنة ١٩١٥ . اما الدكتور لويس فعاد الى
ارضروم وواصل يعالج العسكر في المستشفيات مدة ثلاثة اشهر حتى أصيب هو

بيروت . وما كاد يمرّ عليه الشهران منذ قدم الى وطنه حتى ارادته الحكومة على ان يلحق العسكر ويصرف جهده في تريضهم . فسار معهم صاغراً مستودعاً أموره الى العناية الربانية وحراسة الملائكة .
ومذ يوم الاحد ١٣ ايلول جعل شبان النصارى ينهزمون من بيوتهم ويلتجئون الى الكنائس والاديرة لتلا يقبض عليهم الضباط

ايضاً بالحمى التيفوئيدية . وكان يموت كل يوم على قوله في استشفيات ارضروم وواحيها قريب ستة آلاف عسكري وتوفي مائتان واثنان وسبعون طبيباً في نواحي القرقاس

وفي كانون الثاني ١٩١٥ سار لزيارة انور باشا في ارضروم فائق على اتباعه ونشطه ليواصل عمله . وكان انور قابضاً المسدس يقتل من شاء من الجنود لأدنى ذنب . وفي سناخ شباط شخص الدكتور الى توتاق واقام بها حوفاً كاملاً . وفي ١٢ كانون الثاني ١٩١٦ اضطرّ الدكتور والجنود الذين معه ان يعودوا القهقري الى ارزنجان . ثم نصب طبيباً للمنتزل العمومي في سوشهر . وظل كذلك الى ٢٢ ايلول ١٩١٢ فأوفد الى نواحي القوقاس وعين طبيباً للمتابور الثامن والمشرين من الالاي العاشر والفرقة الخامسة والفيلق الاول وثابر على عمله حتى سادس شباط ١٩١٨ فقصده نحو كلكوت على اثر شغب حدث بين الجيوش الروسية وواجه ثم القائم مقام فردنوسكي قومسير الحكومة البولشفيكية الروسية وافاده ان تركيا موهلة ان تسفل الاراضي التي احتلتها روسيا . فشيخص فردنوسكي الى طربزون مقرباً قومندان الروس العام واطلعه على مضمرات الاتراك . انما الدكتور فسار الى كوسه دافهي وكان فيها مخزن كبير جداً لذخائر الجيوش الروسية تبلغ قيمته مليونين من الليرات فاشترى منه الاتراك ذخائر بمبلغ اثني عشر الف ليرة ذهباً دفعوها فيما بعد ورقاً . ووزع الروس من ذلك المخزن الكبير قمحاً وشميراً على جميع اهالي القرى مدة شهر كامل ليلا ونهاراً . وتوجه الطبيب الى بيورد فالتقى فيها خمسين ارنياً محشورين في الجامع قتلهم الاتراك غيلة ليلة وصوله وبدلوا زيهم وصوروا صورتهم وارسلوها الى البلاد مدعين ان القتلى اتراك والقتلة ارنين

ويستاقوهم . فأفضى الامر بالجند الى ان يهجموا الكنائس طلباً
للنصارى . فكبسوا كنيسة مار يوسف للارمن ووقفوا على الباب
ينتظرون خروج الرجال لالقاء القبض عليهم . فتأتى من ذلك ان
غير واحد من الشبان تآزرروا بازار النساء وخرجوا الى بيوتهم .
وصنع الجنود مثل ذلك في كنيسة مار جرجس للارمن وقبضوا على
سنة شبان واستاقوهم الى دار الحكومة . فقصده السيد اغناطيوس
مالويان وكيل المتصرف واحتج على الجند الذين اغاروا على كنيسته
وقال له علام يقحم الجند على الكنائس ويلقون الرعب في قلوب
العباد . فالجدير بك ان توغر اليهم ليكفوا عن ذلك . على اننا ما
قصرنا حتى اليوم في تنفيذ اوامر الحكومة . غير ان الوكيل نبذ
مدعى المطران ظهرياً ولم يحفل به بته

ويوم الاثنين رابع عشر ايلول عيد ارتفاع الصليب الكريم كان
الضباط والجنود يشدون على البيوت ليلَ نهار ويقبضون على الشبان
فمن رشاهم أفلتوه ومن لم يدفع لهم شيئاً من الذهب وثبوا عليه
واخرجوه واستاقوه الى المحكمة وانزلوا به الضرب وارادوه على السير
الى وان وغيرها . وظلّ الجند يجولون في البيوت يوم الثلاثاء ايضاً
ويسوقون من وجدوا الى مقام الحاكم . وافضت القحة والهمجية
بأحدهم اي علي جاويش خفير حي المشكية الى ان قتل شاباً
كلدانياً اسمه جايل كوكه فسارع اليه اهله في بكاء وعويل شديد
وحماوه ودفنوه وكتبوا الى الوكيل يتظلمون ويطلبون معاقبة علي
اللعين الذي ضرب ابن عمجا ايضاً قبل ايام معدودة وكان يهدد
ويضرب بقسوة كل نصراني يمرّ بذلك الحي . فوعدهم الوكيل

بمعاقبته ولكنه كعادته اخلف وكذب . فتجددت المخاوف واشتدت
وطاقتها على المسيحيين . لانهم شاهدوا آية الحكومة والجنود قد
امسوا كاسنان المشط مستوين في الحاق سوء بهم . وعند عصر
ذلك اليوم توجه قريب ثمانين شخصاً اغلبهم نصارى الى نواحي وان
وسار نحو اربعين رجلاً من مسلمي قبالة الى ديار بكر . وعلى هذا
النمط كانوا يسوقون كل يوم سلفة فسلفة من النصارى والمسلمين
دون توقف .

الفصل العاشر

تبع القبض على المسكر في البلد والقرى وسوقهم

من ١٦ - ٣٠ ايلول

ويوم الاربعاء ١٦ ايلول نادى النادي في الاهالي ان يلزم البالغين
الخامسة والاربعين ان يوافوا الى دار الحكومة ويكتبوا والا
فالحكومة متحفزة للقبض عليهم ومعاقبتهم وكرّر النادي مناداته
في الغد . فشمّل الجميع خوف شديد وجعلوا يبتدرون افواجاً افواجاً
الى دار الحكومة ويكتبون اسماءهم . فجردت الحكومة منهم
عند الغروب تقديراً مائة راجل الى جهات وان . وخمسين اخرين
الى آمد . وعاد من ديار بكر في ذلك اليوم ثمانون بغلاً اصيب اغلبها
بالداء في الطريق . وفي ثامن عشر ايلول وافى من قلعة المرأة نحو
ستين رجلاً رقموا اسماءهم في دفتر اخذ المسكر ووافى لذلك السبب
عينه احد عشر شخصاً من تل ارمن . وكانت الحكومة مشغولة
بكتابة الاسماء ليلاً وبعثة الاشخاص نهاراً . وفي هذا اليوم توجه

سلم ايليا تبسي في جملة من النصارى الى ديار بكر بلغوا ثمانين شخصاً
كان منهم من المسلمين مائة وثمانون
وكان اليوم التاسع عشر من ايلول يوماً عصيباً ومرّاً جداً سبق
فيه شبان النصارى كالغنم الوديعة الى مقام الحاكم فكتب اليها هم .
واصدر عند الظهيرة الاوامر الى الجنود فاستاقوهم الى ديار بكر
قاجبة . وكانت الامهات والزوجات والبنون والبنات يبكون بكاء
موجعاً وينوحون نوحاً شجياً . وكان في جملة الذاهبين قوم فقراء
معمزون ساروا حفاة جبناءً وتركوا ذويهم في حال ضنك وعيش
زكد . وكان كل من الصغار يركض ويعول ويولول ويقول . ابي
ابتي الى اين ترحل والى من القيتي ومن يقوم بمعيشتي . مما اثر في
القلوب واوجعها جداً . وكان عدد النصارى المتوجهين الى آمد نحو
مائتي شخص . وودعهم الى العين قرب الفي نسمة من ذويهم
وانسبائهم . فساروا والحالة هذه حاملين على ظهورهم اكيناساً
جعلوا فيها ثيابهم وشيناً من القوت . وكانت السماء غطاءهم
والارض فراشهم ولسان حالهم يقول اللهم انقذنا من هذه المظالم
واصفع اعداءنا بعضا البوار واخذ لهيب هذه النار وارددنا الى الامن
والسلام بحولك يا قهار

ويوم الاحد ٢٠ ايلول سار ايضاً الى ديار بكر نحو ثلاثمائة من
المسيحيين على الصورة المشروحة آنفاً فبلغت القلوب الحناجر وذبلت
العيون من شدة البكاء وواصلوا الادعية الحميمية الى رب الجنود
لينفكهم من العبودية وينعم عليهم بالراحة والطمأنينة . وفي ٢١ ايلول
سيرت الحكومة الى ديار بكر بضعاً ومائتين وخمسين رجلاً بينهم

ستون شاباً مسيحياً عدداً . وبلغنا ان الجنود الذين في موش قصدوا نواحي العاصمة ليحاربوا دول البلقان ويسترجعوا ادرنه وغيرها من المدن التي خسرتها تركيا عام اول

ويوم الثلاثاء ٢٢ ايلول توجه زهاء خمسين رجلاً الى ديار بكر تبعهم في الغد وما بعده مائة وخمسون رجلاً اغلبهم قرويون . ويوم الجمعة ٢٥ ايلول اقبل تسعون شخصاً من نصارى قرية القصور واكتبوا في مصاف الجندي . وذاع ان حكومتنا مذ غرة تشرين القادم لن تستعرف امتيازات ممالك اوربا في بلادها . ووافى من نواحي الموصل نحو اني جندي مشاة شغلوا نصيين وعمودا وطياثا وتل ارمن وهم قاصدون التوجه الى سوريا . ويوم السبت ٢٦ ايلول شخص الى ديار بكر زهاء مائتي رجل اغلبهم من نصارى قرية القصور كان ما بينهم قوم ممن بلغوا الخمسين وقد وخطهم الشيب ذلك كان قصاصاً لهم لانهم لم يحرزوا اسماهم في الوقت المحدود

ويوم الاحد ٢٧ ايلول سار نحو ستين عسكرياً الى بتليس . ووافت الاوامر من العاصمة في سوق من كان عمره اربعين ربيعاً . على اننا لم نفهم حتى يومنا علام يجتمع العسكر والى اين يذهبون ومن يحاربون . والشائع انهم قاصدون محاربة البلغار واليونان . ولذا ألجا الامر بعضهم فابتدروا الهرب الى بيوتهم ولزموها محتفين . وفي ٣٠ ايلول جاء في اخبار الاجانس ان الروس حاولوا ان يمنعوا سفن الاتراك من الاجتياز في البحر الاسود وان سفن تركيا افرقت سفينتين لروسيا كبيرتين واطلقت القنابل على سوستبول فتيسرت ونجحت

الفصل الحادي عشر

تسبيط الجوب والدواب • جمع الاغنام • اختلاس الدكاكين • وفود
الساكر من بغداد والموصل • تقويض الدور - تشرين الاول

اعلم انه من بدء تشرين الاول الى السادس منه كانت الامور
ساكنة هادئة • بيد انه يوم الثلاثاء سادس الشهر استدعي الروساء
الروخيون الى دار الحكومة فاضطربهم اولو الامر ان يقتطوا على
جماعاتهم قحاً يسلقونه ويجهزونه للعسكر • فاجاب الروساء الى
الطلب دون تمنع اذ لم يكونوا يستحسنون ان يدعوا مجالاً للحكومة
لتشكى منهم او تتعامل عاينهم • ولم يك يطرأ على بالهم البتة
انه لن تطول المدة حتى ينثق بهم ناعق الآفات وتدور عليهم رحي
العذابات فتتقصف اعمارهم وتخرّب ديارهم

ويوم الخميس ثامن تشرين الاول عاد شفيق المتصرف الى ماردين
حاملًا الاوامر من الوالي في جمع الاغنام من العشائر • فانحدر لتلك
الغاية الى البرية طائفة من الجند ساقوا الى البلد فوق ثمانمائة الف راس
غنم ارسلوا قسماً منها الى آمد وذبحوا القسم الاخر وطافوا البيوت
حالا وجمعوا الطواجن فسلقوها وقلوها ووضعوا القلية بعد نضجها
حالا ضمن العلب (التنك) ففسدت وتعفنت وكبت غير ان الضباط
والجنود وبعض الخاصة سبقوا فتفردوا بحصة صالحة منها

ويوم الاثنين ١٢ تشرين الاول جال الجنود في الدور وبجثوا
عن علب السمن وحملوها الى دار الحكومة • ويوم الثلاثاء ألزموا
عامّة الاهالي ان يقدموا للعسكرية اعدالا وغرارات وخرجة فاجتمع

البروتساء الروحانيون وفرضوا على كل نفر من جماعتهم ما يتيسر له .
فادينا نحن من جيلتهم ثلاثة خريجة وثلاث مخال . ويوم الاربعاء
اناخ العسكر في البلد زهاء مائة جمل موسقة حنطة وطحيناً ومضوا
بها صباح الغد الى آمد السوداء الجوعى

وبلغنا يوم الخميس ١٥ تشرين الاول ان الحكومة ستدوّن في
دفترها ما استلمته من المسيحيين والمسلمين وتعيد اليهم الربع لكن
ذلك كان اضغاث احلام . وساقوا في الغد زهاء اربعمائة من المسلمين
الى ديار بكر . وتقدم الحاكم الى الحنقافين والخرازين ان يخطوا
مائتي حذاء للعسكر ففعلوا ذلك صاغرين طائعين . ووافى الينا قوم
من انهمزوا من وان وما جاورها واخبروا ان طائفة من العسكر
الالماني قاثمون بتعليم عسكرنا وتثقيفه وقد ارسلوا منهم جماعة الى
المانيا في قح كثير وذخيرة وافرة ليتمرنوا في الجندية ولما ركبوا
البحر انقض عليهم الانكليز والفرنسيس انقضاض الصقور على بغاث
الطيور واحتوا على ذخائرهم . واستحدثت اذ ذاك تركيا طوابع
رقت عليها كلمة حرية وبعثت الى ما بين النهرين اخملاً شتى من
العملة النحاسية عرفت عندنا بالبافون او النكل لتروج ما بين الاهالي
رويداً رويداً

ويوم الثلاثاء ٢٠ تشرين الاول سيرت الحكومة الى ديار بكر
فوق اربعمائة بعير موسقة كلها قمحاً وطحيناً . واحضر الجنود من
طور عدين شيخين مقتولين على بغلين يصحبهما ثلاثة شيوخ موثقين
وزجوهم في السجن لانهم ثاروا على الحكومة وعاثوا في الجبل كما

شاء هواهم . وكان العسكر في تلك الغضون يوافون افواجاً افواجاً من نواحي بغداد والموصل في كثير من الجبال والجحاش ويقضون ليلة او ليلتين في ماردين وضواحيها ثم يشخصون الى ديار بكر . اما الضباط فلم يفتروا من الجولان في الاسواق واختطاف الاموال والبضائع وأفضى بهم الطمع الى اختلاس السامير والنعال والمسال وما شاكلها فبات اصحابها في اضطراب وكبر جزيل حتى انه لم يبق في وجههم رائحة دم لشدة القلق والرعب والضيق

ويوم الاحد ٢٥ تشرين الاول شاهدنا عدداً عديداً من عربات النقل تقل اسلحة وخيماً وألبسة الى ديار بكر يصحبها جم غفير من العسكر القادمين من بغداد في بغال وجمال كثيرة . وعولت الحكومة منذ ذلك على توسيع الجادة العامة فقوضت دور محلة النصارى كدار حيلو وشنخور وكعيب وحانط كنيسة الكبوشيين وما والاها ولم تتعرض لدور المسلمين . ويوم الاثنين ٢٦ تشرين الاول وافى الى ماردين عسكر غير يسير من بغداد والموصل وتوجهوا الى آمد . واستدعى المتصرف وجهاء المسلمين الى دار الحكومة وحتم ان يؤدي كل منهم ما يكفي لمشتري بغلين او ثلاثة . واضطر النصارى ايضاً الى مثل ذلك . ولسبب هبوط الامطار في هذه الايام كثت الحكومة عن ارسال الجند الى ديار بكر . واذاع المسلمون ان عساكرهم اغرقوا سفينتين لروسيا في البحر الاسود . وارسلت الحكومة الى آمد نيفاً والفاً واربعمائة جمل موسقة كلها اسلحة وذخائر وامتعة

الفصل الثاني عشر

اطلاق المعينين . مختاراً قلعة المرأة وماردين . هجوم الروس . اعلان الحرب . هزيمة الحميدية . دافايل الطيب الكلداني . من ١ تشرين الثاني - ١٥

ويوم الاحد اول تشرين الثاني وُجد في القلعة نحو اربعمائة رجل كان اغلبهم مسلمين . فوافى الخبر من العاصمة باطلاق الرجال المعينين اعني الذين لا مساعد لنسائهم اليتامى . فأفرزوا والحالة هذه من اولئك الاربعمائة نحو مائة وخمسين ممن كان عمره من العشرين الى الثالثة والعشرين وسرحوهم الى بيوتهم . وفي هذا اليوم شد الجنود على قلعة المرأة ووقعوا الضرب بالنصارى واستبردوا عليهم الالسن وختروهم الحسائر الوافرة وساقوا خاجو مختار طائفة السريان الكاثليك الى البلد في شتم وسب كثير وضرب وجيع يضطرونه ان يسلمهم من كان داخلاً في السلك العسكري كأنه هو حارسهم وحافظهم . فلما سمع مطران الطائفة ارسل يتوسل الى الحاكم في تخلية سبيله فيجئه الحاكم على ان يخلص الامانة للحكومة اذ كان الى ذلك اليوم خائناً بعد ؟ ثم سرّحه الى قريته

وبلغنا ان الروس في ثاني تشرين الثاني استحوذوا على باش قلعة وعلى بايزيد وطحطحوا العسكر التركي الوجود على الحدود وان سفير الروس غادر العاصمة الى صوفيا وسفيري فرنسا وانكلترا توجهوا الى مملكتها . لان الدول الثلاث قاصدة ان تحارب تركيا . ويوم الثلاثاء ثالث تشرين الثاني بلغنا ان الروس وصلوا الى ارضروم ووان واستحلوا الاراضي والبلاد

ويوم الاربعاء استدعى المتصرف المطارنة ووجهاء المسلمين وبلغتهم ان الدول اعلنت الحرب على دولتنا فاجتمع المسلمون واخرجوا الراية من الجامع الكبير الى دار الحكومة وصاحوا باعلى اصواتهم « محمد صلوات » ونادوا باشهار الحرب على روسيا وحليفتيها . وكان الضباط رافعين سيوفهم فوق هامتي مطران الارمن ومطران السريان الكاثليك . ولم يحضر اذ ذلك احد من السريان اليعاقبة . ثم القى المتصرف خطاباً وجيزاً فيه حرض الجميع على الاتفاق والالفة . وقال ان المسلمين والنصارى يجب ان يكونوا متحدين متفقين قلباً وقالباً في كل ما يعود على الدولة بالنجاح واليسر . ثم خطب المفتي وصرح بان الفرنسيين والانكليز ضربوا جنق قلعه وان الروس تحطوا حدود المملكة . واستنهض همه جمهور الاهالي ليخرجوا لمقاتلة الروس ويثثروا منهم . وبعد هذا عاد كل الى منزله

ويوم الخميس ٥ تشرين الثاني بلغنا ان انور باشا توجه الى ارضروم لمحاربة الروس بعد ما قضى شهر ايلول في برلين عاصمة الالمان وتلقن منهم ما ينبغي ان يعمله . ويوم الجمعة قبض الجند على يوسف باهو مختار السريان الكاثليك واذاقوه من الضرب الشديد الوائناً واجبروه ان يفتش عن الفارين ويحضرهم الى دار الحكومة . كأنهم كلهم في قبضة يده . ثم اطلقوا سبيله بواسطة رئيس الابريشية وتوسله . وبلغنا ان الروس اسروا من عسكرينا الفاً وستمائة وكموراً وفي الغد سارت قافلة مؤلفة من مائة عسكري الى آمد

ويوم الاثنين ناسع تشرين الثاني بلغنا ان جنودنا المظفرة الباسلة قهرت الروس في باش قلعة . وانه يجب ان يسر لتلك البشرية

العثمانيون قاطبة وكتبوا اوراقاً تنذر بغلبة الانراك للروس وعلقوها على باب المحكمة وفي الجادة العامة فكان الفرح شاملاً والسرور جزيلاً

وغداة الاربعاء ١١ تشرين الثاني قعد دار الحكومة مائة وسبعون من المسلمين وخمسة وتسعون من النصارى طبقاً لاوامر الحاكم فبلغهم ان يجمعوا خمسين بغلاً ويقرموا بغذائها حتى اذا احتاج اليها العسكر احضروها حالاً . وساقوا جماعة من شيوخ المسيحيين الى المحكمة يقولون لهم يجب ان تسلمونا اولادكم الذين انهزموا من السلك الجندي في ديار بكر وغيرها والا سقناكم بدهم . واضطروا القس حنا طبي السرياني ان ينزل الى القصور ليحضر كل من فر . وكانت اخبار البرق تنطق بان تركيا قهرت الروس واستحوذت على طائفة كبيرة من عسكرهم وعلى شيء كثير من ذخائرهم واسلحتهم ومذ يوم الخميس ١٢ تشرين الثاني جعل الجنود الحميدية يتوافدون سلفاً سلفاً الى ماردين مبتدئين الهرب من وجه الروس في ارضروم وكان عددهم اليوم مائة واربعين فارساً . فسارع الضباط للقائهم ليحضروهم الى دار الحكومة فلما لمحهم الحميدية تحفزوا لمناوشتهم القتال فعاد الضباط ادراجهم وواصل الحميديون مسيرهم الى البرية يعيشون فيها كما يشاؤون . وبلغنا ان عسكرنا يشتغلون في تحصين أسوار ديار بكر ليتمكنوا من مقاتلة الروس متى كبسوهم وفي هذا اليوم أعلن السلطان بالحرب العامة مع جميع اعداء تركيا . وعلقت الاوراق في الغد على باب المحكمة فحواها ان قد صدرت الارادة السنية بوجوب محاربة فرنسا وانكلترا وروسيا وكان مكتوباً

في تلك الورقة ان عاهل الانكليز يقول ان الارض ان تنجح وان
تسود فيها الطمانينة ما لم يُنسخ القرآن ويُلقى من على وجه الارض .
تلك ايضاً من جملة الدسائس التي اخترعتها الافكار الخبيثة لتشير
عوامل البغضاء بين رعايا الانكليز المسلمين وبين دولتهم . ولكنه
تعالى عادل منصف يعطي كلّا حقه

وكان روساء الكنائس اذ ذاك يستدعون ابناء جماعتهم الى
الكنائس ويوعزون اليهم ان يشتروا الاجلال للدواب والمخالي
للعلف بل اضطروهم ان يجمعوا البيض لتعريض الجنود طبقاً لاوامر
الحكومة . والحاصل انهم لم يدعوا شيئاً مما يخض الجنود الاقسطوه
على الاهالي والزمومهم بتجهيزه ساوا او ابوا

ويوم السبت ١٤ تشرين الثاني كبس سبعة من الضباط بيت الشمس
روفائيل باهو الكلداني واستحوذوا على كتبه واوراقه مدعين انها
تتضمن ما يشير الى انقراض تركيا واضمحلالها . وعثروا بين تلك
الاوراق على رسالة كتبها اليه بطريك السريان الكاثليك فيها كلمة
« روساء » فقرأوها « روسيا » ما انجبهم ؟ فعربدوا على الشمس
واستاقوه الى المحكمة واهانوه ثم صرفوه ورددوا اليه اوراقه . ثم ان
الدكتور لويس مركيزي افاد والده على لسان البرق ان قد عاد الى
خنس فاستنتجنا من ذلك ان الروس دخلوا اراضي تركيا واستحلوها
ودحروا عنها العساكر . وكتب الارمن في جرائدهم ومجلاتهم
يحرّضون بعضهم بعضاً ليقاتلوا الروس ويكشفوهم عن بلادهم .
وعلقوا ورقة على باب المحكمة كتبها جمعية الاتحاد والترقي منطوقها

حث الاتراك وحضهم على محاربة الروس وفيها ان السلطان ذاته مستعد للنزول الى ميدان القتال ان دعت الحال

الفصل الثالث عشر

وفود العسكر من بغداد . الانكليز في البصرة . الخطيب في الجامع .

التبض على الباس طي والمقدمي يوسف ارملة . القومندان

الاماني في العاصمة . من ١٦ - ٣٠ تشرين الثاني

ويوم الاثنين ١٦ تشرين الثاني انهزم ايضاً جماعة من الحميدية الى ضواحي البلد ولم يستصوبوا الدخول الى البلدة لثلا يحدث ما لا تحمد عواقبه . ووافي جملة من رجال بغداد لبثوا ليلتهم تحت المطر وصاروا صباحاً الى ديار بكر . واستولى الجنود على حمير اهل الفرس وجحاشهم واستاقوها الى دار الحكومة . وتوجه الى ديار بكر ايضاً مائتان من العسكر البغدادي . ولما راى احد النصاري جندياً منهم حافياً راف به واشترى حذاء البسه اياه واعطاه ثلاثين غرشاً لمصروفه فشكر له معروفه ولحق رففته

ويوم الثلاثاء ١٧ تشرين الثاني بلغنا ان المسلمين دحروا الانكليز في البصرة وأسروا منهم عدة من الجنود والاضباط وسارعوا الى المانيا ايساعدوا جنودها وقبضوا على اربعين النأ من الجنود الروسية في كوبري كوي ومزقوهم كل ممزق ولم يخسر جيشنا العرمرم من رجاله ولا واحداً . نعماً الابطال البواسل ؟ وكانت الحكومة ترسل الى نواحي ديار بكر يومياً جمالاً وحميراً وجحاشاً

ويوم الخميس احتشد المسلمون في الجامع الكبير قبل الظهر

ورقي الخطيب المنبر وعلق يذكي حماسة الحاضرين ويستنهض هممتهم لينزلوا برمتهم الى ميدان العراك ويقطعوا رؤوس الاعداء عن نحورهم وصرح لهم بان دول البلقان ثارت على تركيا وان الانكليز استحلوا ما تحت البصرة وان الروس لا يزالون يطلقون القنابل على طرابزون فيلزم من ثم كل مسلم صغيراً او كبيراً ان يذهب ويناوشهم القتال ويمجوز عليهم النصر . وسار الى امد زهاء ثمانين رجلاً من النصاري والمسلمين . وطفق المسلمون بلفيفهم منذ اليوم يشنعون على النصاري ويمحرقون عليهم الارتم ويتوعدونهم بالقتل وسفك الدماء . واجتمعوا تكراراً في المسجد الكبير يوم الجمعة ٢٠ تشرين الثاني فنشطهم الخطيب ليحاربوا اعداءهم قاطبة ويقاتلوهم بكل طاقتهم . وجرى مثل ذلك في جامع ديار بكر فنهض احد الوجهاء وقال : اننا مستعدون للرحيل بشرط ان يتقدمنا الوالي ورجال الحكومة فانتهره الوالي فقال له الوجيه انما قولني هو الحق اليقين ولكنه في وقتنا لم يبق حق بته . وبعد اخذ ورد انصرف الوجيه الى بيته ساخطاً . ويوم الاحد سار زهاء ثمانين رجلاً الى آمد في عدد كثير من الجبال والبالغ الموسقة قمحاً وهطلت اذ ذاك الامطار مدة ثلاثة ايام لم نز فيها ضوء الشمس ابداً . وكانت العساكر تتوارد من الموصل تحت الشتاء دون انقطاع

ويوم الثلاثاء بلغت الاوامر شفيقاً المتصرف ان يتوجه الى بلاد النساطرة في حدود العجم ويدعوهم الى التجند . واجتمع في ٢٦ تشرين الثاني جمهور غفير من العسكر البغدادي في ماردين ولبثوا تحت السماء والامطار تتصبب عليهم مدراراً وسار منهم زهاء خمسمائة

رجل الى ديار بكر واتفق لاحدهم وهو يدع بغله دعاً ويمشي حافياً في الوحل تحت المطر ان احتدم غيظاً وأطلق لسانه بالشتم واللعن على الدولة وعلى وزرائها وكبرائها فنهوه عن ذلك فلم ينته . وفي هذا اليوم أغلقت الروابب الفرنسية مدرستهن وبعثت البنات الى بيوتهن .
 ويوم الجمعة ٢٧ تشرين الثاني أتي القبض على الياس طبي السرياني وسيق الى دار الحكومة بحجة انه اذاع على مسامع العامة ان الانكليز دوتخوا البصرة وتغلبوا على جيوش الاتراك . فلما استنطقوه قال ان يوسف ارملة هو الذي اخبره بذلك فبادر الجند وقبضوا على يوسف ايضاً وساروا به الى المحكمة . فازلته الحاصم بهدمه وتهدده بالحبس والنفي والقتل ان اخفى الحقيقة عنه فدافع يوسف عن نفسه وابطل دعاوى خصمه فسرحوه وسرحوا الياس ايضاً .
 وما وصل يوسف الى بيته حتى اخذته الحمى وتناوبته اشهرًا لما لحقه من الرعب والهلع على ان ذلك الخبر كان صحيحاً رواه لاياس طبي احد المسلمين المفرضين وانقلب فاخبر الضباط تشفيماً ليوقعوا به ويتبروه . أف من الغدر والخيانة . فقد قيل من لا امانة له ينبغي ان لا يحسب انساناً بل وحشاً كاسراً او اسدا ضائراً على ان الخونة في الآخرة هم الاخسرون بلا ريب

ويوم الاحد ٢٩ تشرين الثاني بلغنا ان فون دير غلديس الجنرال الالماني اقبل الى العاصمة ليتولى شؤون الجنود التركية ويشور على السلطان وعلى انور وطلعت بالتدابير التي يجب اتخاذها اثناء الحرب لينطش جنودهما بالاعداء ويبيدوهم اسراً وقتلاً وتشريداً . ويوم الاثنين سلخ تشرين الثاني استدعي الياس طبي تكراراً الى المحكمة فاضطروه

أن يتوجه الى ديار بكر ليتحقق امره رجال المجلس العرفي وينزلوا به ما يستحقه من العقاب لقاء خيانتة وسناهته وتجنیه على الحكومة

الفصل الرابع عشر

كنيسة الكبوشيين . ضرب النساء . المنصرف حاجي . محمد كبوشو .
الاباء الدومنيكيون . مواصلة سوق السكر . كانون الاول

ويوم الجمعة ٤ كانون الاول بلغنا ان سيواني الى ماردين عدد من الجنود لحراستها او ان شئت فقل لاتلافها . اذ كان الجنود الذين فيها الى ذلك اليوم قايلين . وفي الغد عند انفراك الظهر كبس الجنود كنيسة الكبوشيين وأغاقروا بابي دير الرهبان والراهبات . وقد كتبنا فصلاً خصوصياً في ما جرى لهم [انظر الجزء ٣ ف ١٩ الى فرنسا ام الخير والمعروف] واستفحلت الشرور وازداد الاضطراب بحيث لم يعد احد يتجرأ ان يتلفظ بجلوة ولا مرة فيما ينوط بالحكومة لئلا ينزل به العقاب او ينفى . وكانت الاخبار الشائعة تفيد ان دولتنا لا تحارب احدًا

ويوم الاحد ٦ كانون الاول نادى المنادي يطلب البالغين السابعة والثلاثين وكرّر مناداته في الند وأطلق الحرية لمن يريد دفع البدل لقاء التجند وامهله شهراً . وسار فوق الخمسين وجلاً الى آمد . ويوم الاربعاء ٩ كانون الاول توجه ايضاً الى آمد نحو اربعين شخصاً في جملتهم عشرة مسيحيين . وكان الجنود يجولون في البيوت يتعرضون للحريم ويضربون منهن من لا تسلمهم زوجها او ابنها والا فيحرقون اثاث البيت والامتعة . وعقلوا غير واحدة منهن وضربوهن على اقدامهن

يا للعار والفضيحة . قبحاً لافعال الخونة المتشبهين بالفواحش الميالين
الى الخلاعة والمشرابين الى الظلم . لعمرى ان امرءاً تتقضى بالفواحش
أوقاته وتسرف في الظلم ساعاته لجديرٌ ان يحق ذكره واسمه ويحفي
في جوف النار جسمه

ويوم الخميس عاشر كانون الارل ساقوا مائة وخمسين رجلاً الى
المنصورية اذ كان المطر يتصبب عليهم ففضوا ثم ليلتهم وعند السحر
توجهوا الى ديار بكر . ويوم السبت اقبل الى البلد طائفة من الداشية
من اختاروا التجند بحريتهم . ومضوا توا الى الجامع فاثني عليهم
الخطيب وبعث فيهم الهمم ليصارعوا الاعداء . وينتقموا منهم . وسمعنا
ان الروس وصلوا الى الراوندوز وان جنودنا ظفروا بقوم منهم غير
يسير عند بحيرة وان

ويوم الاحد ١٣ كانون الاول وافى الى البلاد حلبي المتصرف
فسار اليه مطران الارمن ومطران السريان وسلموا عليه فهش لها
وبش واسمعهما كلاماً طيباً لطيفاً ووعدهما بالساعدة في جميع شؤونهما
فسري عنهما شي . من غمومهما وعاد كل الى مركزه . وفي هذا
اليوم ضرب محمد كبوشو الذائع صيت توحشه رجلاً مسلماً على ام
رأسه وجرحه . فثار ثور المسلمين وأطلق النصارى دكاكينهم ومخازنهم
خوفاً ولما بلغ المتصرف الجريد . صنع كبوشو الخبيث تهديده وعاقبه
وعزاه غير ان الحكومة كمالوف العادة رقت منصبه فجولته من
المتصرفية الى الولاية فشيخس الى ديار بكر وواصل الخدمة في
وظيفته وتفنن في التنكيل والتهديد والاختلاس كما شاء . كيده وخبثه
ويوم الثلاثاء ١٥ كانون الاول سار من باب المشكية زهاء مائتي

رجل ممن تجندوا مجريتهم فيخرج معهم مشايخ المسلمين ينقرون بالطبول والدفوف والصنوج حامين الرايات والالوية يعجون ويضجون ويقولون « محمد صاوات » وكان في جملتهم قوم من نصارى النصارى السريان ممن أطلقوا من السجن على ان يصيروا الى ساحة الحرب ويصارعوا العدو

ويوم الجمعة ١٨ كانون الاول توجه الى ديار بكر من العسكر الاختياري مائة وخمسون شخصاً وكان معهم مؤذن ارتقى الى قمة مرتفعة عند باب البلد الغربي فأذن وصرفهم واستودعهم لحراسة نبي المسلمين . وبلغنا ان العدو قد فشت بالجنود في ارضروم وانه يموت كل يوم في المائة ستون ذلك لتقبض جلدتهم واصطكاك السننهم من البرد القارس . ويوم السبت ١٩ كانون الاول فوض الانكليز الى حسين كاهل باشا امر مصر وعزلوا عباساً الثاني فأصدر مفتي المسلمين الفتوى بقتله . وكان الجنود لا يكلون ولا يلبون من التطواف في دور النصارى وضرب النساء الضرب الوجيع

ويوم الثلاثاء ٢٣ كانون الاول سار الى وان زهاء ثمانين رجلاً وليلة عيد الميلاد المجيد عاد الى البلاد ثلاث من الرواهب الفرنسيات اللاتي سرن الى ديار بكر . وقضى المسيحيون موسم الميلاد بالاحزان والاكدار وكانوا يتصدعون زفرات على ما نابهم من جسم النساء وعلى فقدهم انجالهم وأحبائهم ووافتهم الاخبار من اصحابهم في ارضروم ان يبعثوا لهم الدراهم لينفقوها في سبيل عيشتهم وكسوتهم . كذا فليكن الجنود والافلا!

ويوم السبت ٢٦ كانون الاول شخص من الموصل الى ساردين

ثلاثة من الابطاء الدومنيكين ونزلوا ضيوفاً كرماء في دار البطريركية
السيرانية فاستقبلهم بحفاوة واعزاز . بطران السريان الكاثليك تاسيد
مدرستهم وقد كتبنا فصلاً في ما جرى لهم تحت عنوان [الفرنساوي
الغريب جزء ٥ ف ٩]

وبلغنا يوم الاحد ٢٧ كانون الاول ان جنود الاتراك المظفرين
زحفوا الى روسيا واستولوا على اربع مدن وسار الى ديار بكر مائة
من الجنود الاحرار خرج معهم مشايخ البلد ووجهائهم في الرايات
والاعلام يضربون المعازف والصنوج والطبول ينادون بعباراتهم المألومة
ايحسوهم ويقورهم . ويوم الاثنين ٢٨ كانون الاول سار الى
آمد زهاء ثلاثين عسكرياً في جملة من البغال الموسقة البسة وامتعة
العسكر . ويوم الثلاثاء اثلجت من الصباح حتى المساء ولزم اولو
الحل والعقد دورهم ولم يقبضوا على احد البتة . على هذه الصورة

(١) اعلم ان جنود الاتراك بعد ان استحوذوا على المدن الاربعة في الولاية
المروضة بوقية صاري قاميش وظاوا فيها ثلاث ايام انقلب عليهم جنود الروس
في جيش جرار وقتلوا وامروا منهم تسعين الفاً وكسورا . ولم يفلت منهم سوى
الجرحي والمكاريين فقط . ومما يستحق الذكر ان انور باشا والقنصل الالماني
الحاضرين تلك الولاية اوشكا ان يحصلوا في قبضة الروس فاضطراً ان يتنكراً
وينتروا تحت الليل الى ارضروم راجلين آخذين مخامر الطريق ومهاجيله لئلا يدركها
العدو . على ان قدي القنصل الالماني حمدنا لتقبضها من البرد . وبعد جهد جهيد
وصلا الى ارضروم بجاء زرية ثبابها متوحلة وقواها خائرة . واستفحلت اذ ذاك
الحصى على اختلاف طبقاتها في المسكر التركي مما ثبط الروس عن مواصلة الهجوم
خوف ان تلحقهم المدوى وتفنكهم

انسلخت سنة ١٩١٤ المرّة وجرّعت عامّة البشر ولاسيا مسيحيي تركيا
الزقوم والعلقم . انعم علينا الرب بقرب الخلاص والنجاة من الاقوام
القساة الطغاة

الفصل الخامس عشر

لياة الدام ؟ في راس الدام

لياة الدام وما ادراك ما لياة الدام . هي لياة تبتهج لها النواظر
وتنتعش فيها الخواطر . تتوفر فيها بواعث السرور وتنتلي عبارات
التهماني، وترتشف فيها اقداح الجبور وتعقد عليها الامال والاماني .
يجتمع فيها الاباء باولادهم وفلذات كبدهم فيذكروهم بما كانوا عليه
وما صاروا اليه ويمادثوهم بن خسروا وفقدوا ومن اوجدوا وولدوا
ويبعثوا في ارواحهم عواويل البهجة حذر ان يكفروا عايتهم صفاءهم
ويهنثوهم ببلوغهم سالمين معافين الى تلك اللياة الميمونة المباركة
ويلشظوهم ليواصلوا حميد اعمالهم في ظلّ غناية ربهم . فيتقدم
الاولاد ويلثمون ايدي آبايتهم . ويرفعون حميم الادعية الى المولى
الرحيم في حراستهم وصيانتهم من غدر اعدائهم . يا الله ! ما اجمل
هذا المشهد وابهاء . ما اطيب هذا الحديث واحلاه . ما اعذب
هذا الطلب واشهاه . تشيخص عيون الانجبال الى والديهم وعيون
الآباء ترنو الى حشاشة اكبادهم وعواطف الخنوّ والحبّ تشغل
فؤاد هولاء واوانك . وتهايا عند ذاك الاطباق الخافاة بضروب
الخلاوى والفواكه والثمار وما شاكلها من انواع الاطايب . وتنتظم

حولها الشموع الملونة والمصابيح النيرة تحاكي بزینتها ونورها الكواكب
الثواقب . فيحف بها الاطفال والفتيان وشارات الابتهاج والافراح
تلوح على جبينهم الاغر الوضاح ثم يندفعون فيرمون الاناشيد الرخيمة
والاغاني الروحية شكراً للغة الالهية لبلوغهم الى تلك العشية الوسيمة
تلك عادة جرى عليها مسيحيو ما بين النهرين في غابر السنين .
ولما طوا سنة ١٩١٤ المشوومة ودعوا غير شاكرين لانها ابقت في
افئدتهم اثار الاكدار وسطرت على ألواح مخيلتهم آيات الخسائر
والاضرار ومثلت لاعينهم صوراً دعتهم الى النور والاتزعاج .
وجددت في نفوسهم الكلام بحيث لم يعد في وسعهم ان يعرضوا
عنها ساعة او يزيلوها من فكرتهم بته . لانهم احتملوا النكبات
والضربات وتجرعوا النوائب والمصائب وتكبدوا الخسائر والضرائب
واضطبروا على المظالم والجرائم . وادوا ما تبعها من اللواحق والنوافل
مغضين على فظاظة الاعلاج الاراذل . ساكتين على السياسة الخرقاء
مستسلمين للعار والاحتقار متقلبين في دعاء الفاقة والافتقار منتظرين
السلام والفرج من الواحد القهار كأن كلاً منهم يقول مع القائل
الى الله فيما نالنا نرفع الشكوى فني يده كشف المضرة والبلوى
على ان الخصوم ما فتثوا يرددون عليهم بالمساوىء والبلايا ويبرقون
بالبوائت والرزايا اثناء الشهور الخمسة الغابرة حتى بلغوا الى افئساح
سنة ١٩١٥ الحاضرة . فتعددت عليهم المظالم الشديدة وامسوا كشجرة
مبرودة ذهبت أوراقها النضرة . وهصرت اغصانها الخضلة الخضرة
ويا ليت الاعداء الجائرين وقفوا عند تلك الحدود وما نقضوا المواثيق
والعهود والكنهم لمزيد خبثهم ودهانهم حاولوا ان يقتلعوا الشجرة

من اصحابها ليعزو اثرها ويمحي جذرها كما ستري
 اي ولعمري ان مسيحيي بلاد ما بين النهرين اصبحوا في بدء
 سنة ١٩١٥ كشجرة جرداء غادرها شبانها الحسان النجباء ورحل
 عنها رجالها الكرام الاجباء واستاقهم الاعداء المرذوا كما ذكرنا فيما
 سبق طبقاً بعد طبق من السن العشرين الى السابعة والاربعين . فلم
 يعودوا يرون سوى من فسدت عشرته ونخبثت قشرته وسقطت مروته
 وذهبت على الاطلاق رافته وشفقته . فكانوا يودون لو أُتيح لهم
 ان يبارحوا وطنهم ويتمكوا من غوائل مناوئهم ويقولوا لهم :
 بورك لكم في الوطن وخيره وخضر لكم في مليحه وقبيحه
 وقد قيل

لا يسكن المرء في ارض يهان بها الا من العجز او من قلة الحيل
 بيد انه لما تعذر عليهم ذلك غمضوا على القذى واحتملوا الضر
 والضنك والاذى واعتاجت في صدورهم الغوم واحتشدت عليهم
 الهوم وكان كل منهم يوجه خطابه الى غائبه ويقول له :
 ياراحلاً وجميل الصبر يتبعه هل من سبيل الى لقياك يتفق
 نشدتك الله قل لي يا من غاب عني اتي اطلق الصبر على ما نابني
 او تظن ان نافر قلبي يسكن بغيبتك او تفتكر ان فوادي يُسر
 بلدة في بعادك

أيسرني عيدٌ ولم ار وجهك فيه الا بعداً لذلك عيدا
 فارقتك وبقيت اخلد بعدك لا كان ذاك بقاً ولا تخليداً
 فقد تقضت بشاشة المجالس بعدك وودعني الانس والسرور
 بعدك . هذه صورتك الجميلة المحبوبة كلما التفت اليها لانظرها

تمثلت لمخيلتي هيبتك واقلقت افكاري غيبوبتك فبحرکت في لواعج
 الوجد والأحزان . وتغلبت عليّ عوامل الكرب والاشجان . هذه
 قرينتك المسكينة البائسة فقد الحت عليها الفتوق والآفات وتوسدت
 الحزن وافترشت المشقات وحارت في تدبير البنين والبنات وكلما
 تمثلت لها هيجت قرحة دائها وجددت مرارة فوادها . هولاء
 انجالك المحترفون حولي في هذه الليلة المباركة الحافلة على خدودهم
 العبرات هاطلة سائبة يلوبون عليك وفي قلوبهم الحسرات تشوقاً اليك
 واني ليتعذر علي ان اصرفهم عن البكاء وأزيل عنهم العوز والشقاء
 فالحكومة قد ابعدتك عنا وتلتلتنا . موفتت في عضدنا وحيرتنا .
 ويا ليتها فعلت كغيرها فأغاثت اولادك وكنفهم مؤنة يومهم وأشفقت
 على حياتهم . واكنها لا تفتكر في ذلك بتاتاً . بل جعلت دأبها
 هضم حقوق العباد . ومدت أطناب تعسفها على جميع البلاد .
 فويل لمن انتمى اليها وتوطن اراضيها . والله در ابي العتاهية اذ قال
 انا لني دار تنغيص وتنكيد دار تنادي بها أيامها بيدي
 رحماك يارباه رحماك اللهمنا الصبر الجميل ومزق عنا ظلل البلاء
 والآفات وفرق منا شمل الكروب والنكبات بحولك يا ابا الرحمات
 والمعونات

الفصل السادس عشر

وفود الجنود المرضى . فنج ثلاث كنانس للمريبان الكائيك . مزينة
 المسكر . كبس البيوت . كانون الثاني ١٩١٥

ويوم السبت ٢ كانون الثاني عاد من آمد نحو مائة بعير اشترى

منها الاهالي بعيرين بستين غرشاً . ورجع قوم من عسكر بغداد في
سوء الحال متعبين خائري القوى مبتلين بالامراض المتنوعة . فقصدوا
مستشفى المرسلين الاميركيين . وصوب الجنود غضب حنقهم تكراراً
على خاجو . مختار السريان بقلعة الرأة فانزلوا به شديد الضرب يريدون
منه استحضار من كان داخلًا في سن العسكرية وبعد اللتيا والتي
انزل المطران وفكه . وفي تاسع كانون الثاني احضروا زهاء مائة
من القرويين سعدوا بهم الى القلعة وسيروهم في الغد الى دياربكر
وعاشر كانون الثاني عاد الى ماردين خمسون من الجنود المواصلة
معهم مائة جمل قاصدين القفول الى بلدهم . ويوم الاثنين ١١ كانون
الثاني توجه الى دياربكر مائتان من الرجالة والخيالة فالقى عليهم
الخطيب في باب البلد خطاباً شجعهم ثم ودعهم ورجع . اما الضباط
فما برحوا يجولون الدور يفتشون عن المنهزمين والفارين وزادوا على
ذلك اختلاس الامتعة والافرشة والبسط من داخل البيوت فن رضخ
لهم شيئاً تركوه ومن لم يرشهم اخذوا منه ما استطابوه وظلوا
كذلك بضع خمسة ايام . ومنذ اليوم كان الجرحى يتوافدون من
تواجي ارضروم فيازمون مستشفى الاميركيين ايتع الجوا . واصدر
الحاكم امره الى المرسلين الاميركيين ان يعلموا طلبة مدرستهم اللغة
التركية ويلغوا اللغة الانكليزية وتوجه الى آمد خمسون رجلاً في جملتهم
اثنا عشر من المسيحيين

وفي ١٨ كانون الثاني نقب اللصوص كنيسة السريان الكاثليك
بقلعة الرأة واختلسوا الافرشة والبسط . فرجع الاهالي دعواهم الى
الحاكم فلم يصغ اليهم . وسار الى دياربكر زهاء مائتي جحش

موقرة قمحاً تبعها نحو ستين من الجند موثقين مزنجرين لكونهم انهزموا من وجه الروسي . نشدتك الله قل لي ما المنفعة ممن يذهب الى الحرب جبراً وقسراً ؟

وفي ٢٠ كانون الثاني ارتج التجار ابواب دكا كينهم ومخازنهم ولزموا بيوتهم لانهم علموا ان الحكومة معولة على القاء القبض على من جاوز الخامسة والاربعين . فمن تيسر له دفع البدل عاد الى دكانه ومن تعذر عليه الدفع لزم بيته فسلم وتضجر فسلم نفسه فسيق الى الموت

وفي فجر الاثنين ٢٥ كانون الثاني نقب السلاية المشكوية نافذة كنيسة دير مار افرام الجنوبية ودخلوا الموفه [السكرستيا] واستلبوا الكؤوس والاطباق وساثر الآنية الذهبية والفضية وفتحوا بيت القربان فالتقوا الجوهرة المقدسة على المذبح واستلبوا الحق المبارك وبلغ عدد الكؤوس اثني عشر كاساً من جملتها كأسان اعلم الرهبان ثمينتان جداً اصطنع احدهما سنة ١٩٠٩ في عاصمة الكتلكة بمبلغ خمس عشرة ليرة . وجب اللصوص الخلل الكهنوتية والطنافس والافرشة مما بلغت قيمته مائة وخمسين ليرة وكسوراً . وعند نزول الرهبان سجرأ الى الكنيسة الفوا الشمعة موقدة بعد . فراجعوا الحكومة فارسلت من يتحقق السرآق فتقفوا اثار اللصوص استدلوا على محلهم ثم انقلبوا فكتبوا ما سُرق وعادوا الى دار الحكومة وبالنتيجة لم يتيسر للرهبان ان يحصوا الاسلاب ابداً . وفي اصيل هذا النهار سار قريب سبعمائة من الجنود الاختيارية الى آمد . وفي هذا اليوم عينه وصل الي ماردين السيد اسراييل اودو مطران

الكلدان عائداً من بغداد والموصل واستغرقت رحلته ثمانية اشهر -
 ويوم الخميس ٢٨ كانون الثاني خرق اللصوص حائط كنيسة السريان
 الكاثوليك بقرية القصور واختاسروا امتعتها واثاتها . فكانت الثالثة
 اعني كنيسة مار جرجس بقاعة المرأة وكنيسة دير مار افرام بماردين
 وكنيسة العذراء بالقصور . والكنائس الثلاث تخص طائفة السريان
 الكاثوليك . ولم يبسط الاعداء ايديهم على سواها .

ويوم السبت ٣٠ كانون الثاني سار اربعون رجلاً الى آمد وكان
 الراس يقول لهم اني عارف حق المعرفة انكم عما قليل تنهزمون
 وتعودون الى بيوتكم . وصح ما قال لانهم ما وصلوا الى اول
 مرحلة حتى انهزموا بجملتهم . فنادى المنادي ان من ابى الحضور
 من تلقاء نفسه الى دار الحكومة نهب بيته وقضي عليه بالسجن
 المؤبد . ودخل الجنود بغتة دار احد المسلمين فالفوا الرجل بزى
 امرأة متوسداً فلم يثبتوه رجلاً فخرجوا فراوا فتاء . فقالوا له اين
 ابوك قال هو مفترش الفراش داخلاً فعادوا اليه وقبضوا عليه واستاقوه
 الى المحكمة على تلك الصورة . ودخلوا بيتاً ثانياً فثشوه تمتيشاً
 كثيراً فوجدوا رجلاً مختفياً ضمن صندوق فدخلوا الصندوق بمن فيه
 الى المحكمة . وفي هذا اليوم علقوا ثريا بيعة الرواهب الفرنساويات
 في المسجد الكبير

ويوم الاحد سلخ كانون الثاني سيرت الى آمد عدة من الحمير
 والجحاش محملة ذخيرة وموتناً وبلغنا ان جنود الاتراك طردوا
 الانكليز من البصرة ودحروهم فتحققنا من ذلك ان الانكليز
 امتلكوها واستحلوها

الفصل السابع عشر

قدوم الجنود من العاصمة . سرقة الداشية . بيع اغراض الرواهب .
 حلمي ومطران الارمن والسريان . الجنود والفارون . قتل
 رجلين . سفر حلمي . الجنود الجرحى .
 الثامنة . كنيسة اليماقية . شهر شباط

في اول شباط توجه حلمي بك المتصرف الى تل ارمن لمقابلة
 الجنود العثمانية القادمة من نواحي العاصمة . وكان رأسهم فيما قيل
 ابن السلطان عبد الحميد الخليل . وبلغ مجموعهم ثمانية عشر الفا .
 وفي ثالث شباط سرق اللصوص الداشية ثلاث بقرات من دار الخوري
 رافائيل بردعاني السرياني فرفع الدعوى الى المحكمة فالت القبض
 على نفر من الداشية ثم سرحتهم كمالوف العادة . فكادوا الخوري
 وبايتوا يستفرون الفرص ليثروا منه . وطفقت الحكومة منذ اليوم تباع
 اغراض الرواهب الفرنساويات وامتعتهن داخل ديرهن

ويوم الاثنين ثامن شباط توجهت الى آمد قافلة من العسكر
 بلغت ستين شخصاً . وسار مطران الارمن ومطران السريان
 الكاثليك الى دار الحكومة يلتزمان من المتصرف ورئيس العسكر
 كليهما ان يفيداها اسماء الفارين المنهزمين ليصرفا المجهود في البحث
 عنهم فاعجبهما ذلك وسراً بما ابداه المطرانان من علائم الحب
 والاخلاص للدولة . وعربوناً للوداد وافى المتصرف ليلة ١١ شباط
 الى الدار البطيركية السريانية وكان السيد مالويان حاضراً ثم فابت
 ساعتين قضاهما مع المطرانين بالمفاوضة الحية والمجاملة المفطور عليها

طبعاً ثم انصرف الى داره

ويوم السبت ١٣ شباط نادى المنادي ان من شاء دفع البديل
لزمه ان يؤديه في مدة ثمانية ايام . ووافى طائفة من العسكر
الموصلي خيموا في تل ارمن ثم توجهوا الى حاب وكان معهم سعيد
صابر السرياني

ويوم الاثنين ١٥ شباط يوما بعده كان الجنود يكبسون الدور
للقبض على الفارين والمختفين فسلبوا واحرقوا شيئا من الامتعة والافرشة
وعثروا على بضع ثمانية اشخاص فساقوهم الى دار الحكومة . واءلنوا
ان من ابى ان يسلم ذاته بجرسته خنق كما خنق غيره في خربوط
والموصل واستعملت النار في منزله

ويوم الخميس ٢٨ شباط قتل في شرقي ماردين رجلان يعقوبيان
قردا على الحكومة في قرية قرباش بديار بكر . وبعد قتلها استدعوا
احد القسان فمضى وشيعهما ودفنهما في مقبرة مار ميخائيل جنوبي
البلد . ويوم الاحد ٢١ شباط سار الى آمد نحو سبعين رجلاً وبلغنا
ان المدرعات الانكليزية الفرنسية اطلقت القنابل النارية على حصون
الدردنيل فاتلف الترك منها ثلاثاً . ويوم الاثنين ٢٢ شباط توجه
حلمي بك المتصرف الى آمد وكان الجرحى والمرضى يتوافدون منها
الى البلدة في عربات النقل وسار اليها في هذا اليوم ثلاث فيئات من
الجند الواحدة تلو الاخرى بلغ مجموعها مائة وثمانين شخصاً

ويوم الاحد ٢٨ شباط سارت الى آمد فيئة من الجند بلغ
مجموعها مائة وعشرين وكانوا موثقين بالحبال الضخمة يدق المشايخ
امامهم الدفوف والمعازف . وظهرت حينئذ مسئلة شمامسة القرى .

فخصّص الروساء لكل كنيسة شياً أو شئتين فاكثراً . وتداعت
 اذ ذاك جذران بيعة السريان المنفصلين ازيد هبوط الامطار حتى
 ألقى الكهنة ان يصلوا خارجاً خيفة ان ينجر السقف فوقهم . فسعوا
 في تشييد سوار ضخمة تسند السواري القديمة حرصاً عليها من الهبوط
 ونادى المنادي يقول « على من آثر العبل في طريق سويرك ان يوافي
 عاجلاً ويكتب اسمه » لثلاث فوته تلك الفرصة السعيدة التي لا يحصل
 عليها الا المغبوطون

الفصل الثامن عشر

فشو العدوى في المسكر . حصار العاصمة . عملة الطريق . والى الموصل .
 القبض على قس الكولية . اختلاف الجنود الى الكنائس .
 مسألة الثامنة . شهر اذار

فشنت الامراض واستفحلت العدوى في الجنود التركية فأودت
 بحياة كثير منهم في ولاية ديار بكر وخربوط وارضروم وروان .
 وكانت تفدنا الاخبار في ذلك عن الشبان الماردينيين خاصة فترداد
 الاوجاع ويكثر القلق والارتعاج . اما المسلمون فاذاعوا ان الفرنسيين
 والانكليز تقدموا من العاصمة وحدها ووصلوا الى بحر مزمرا
 فكذا نوبل الخلاص سريعاً والنهاية الحسنة ونقب عن النتيجة
 لتسلمين من الكوارث والبلايا . وفي ٢ اذار عاد المتصرف جامي
 من ديار بكر وراح خضر جامي رئيس البلدية منذ اليوم ينتقي عملة
 من النصارى ليوسعوا الجادة التي سموها باسم رشيد الطاغية تيمناً
 وكان الجنود يتحكمون في النصارى ويقسرونهم على مواضاة العمل

عاجلاً دون اجرة^١

ومذ ٣ اذار الى العشرين منه كانت اخبار محاصرة العاصمة
شائعة ذائعة في ماردن . و اضافوا اليها ان الروس عبروا البوسفور
وعما قليل تتصل مدركاتهم بمدركات الانكليز والفرنسيين فيدوخون
الاستانة ويستولون على عرش الخلافة ويكسرون الاتراك والالمان
معاً . فجعلنا نواصل الابتهاال الى الله القهار ليظفي سعيك تلك الناز
وينقذ المسيحيين من الاضرار والاحطار . غير ان الخصوم حرسهم
الله ارجفوا وخاضوا في الاخبار السيئة وتهددوا النصارى بالقتل
وسفك الدماء . وجعلوا يتقوّلون عليهم بالاكاذيب ويوردون انواع
الخدع في هلاكهم ويرتاحون للانتقام والاثار منهم كأنهم هم الذين
يमारبونهم ويقاتلونهم . والقارىء الحبيب ان يستنتج من ذلك عظيم
الخوف والرعب الذي شبل المسيحيين بالرغم عما اصابهم من الارزاء
والخسائر على ما ذكرنا . فتباً لفتنة عمياء وعداوة صباء ملكت قلوب
العدى المجبولين على الاستفساد والاذى

وفي ٢٣ اذار سار الى ديلربكر قرب مائة وخمسين رجلاً لينضموا
الى رفاقهم في آمد وغيرها فيصابوا نظيرهم بالامراض ويحتملوا العري
والقر والجوع . ويوم الثلاثاء ٢٣ اذار وصل والي الموصل وخيم في
الفردوس شرقي البلد يريد التوجه الى آمد . وفيه اقبل قوم من
الجنود واطلقوا الرصاص في باب المشكية ليتمرنوا على القتال فخاف
الاهالي خوفاً شديداً . ومما زاد الرعب والهلع ان الجند في القصور

قبضوا على القس جرجس شمعي وعلى مختار السريان واوثقوها بالحبال واحضروها الى البلد وساروا بهاتوا الى المحكمة فتشوشت الافكار وتباينت الخواطر وسار مطران السريان واكد للمتصرف براءة ساحة القس والمختار معاً مما قرفها الاعداء فاطلق سراحها وحضها على اخلاص الطاعة والامانة للدولة

ويوم الاربعاء ٢٤ اذار ظعن والي الموصل الى آمد في ست عجلات تقل أغراضه وأُحرمه . وتشام الناس من مجيئه ومضيه . وفي ٢٨ اذار صباح احد الثمانين انطبقت الجنود على جميع الكنائس يحاولون القبض على الفارين وعلى الشماسة ودخل نفر منهم داخل كنيسة السريان المنفصلين وتحلل الجماعة وقبض على رجلين واستاقها الى دار الحكومة فبعثوا بها الى آمد سريعاً . اما الكاثليك فلبثوا في كنائسهم ريثما انكشف عنها الجنود فيخرجوا الى بيوتهم مرتعين . ثم صدرت الاوامر في وجوب تجنيد الشماسة وارسالهم الى ارضروم دون ترتب . فاجتمع الاساقفة وخابروا على اسان البرق القومندان الموجود في باش قلعة يسترحمون اعفاء الشماسة طبقاً للاوامر الصادرة من العاصمة فوافى الامر بالاعراض عنهم . غير ان اعداء النصرانية اضربوا عن اشهار الخبر واذاعوا ان لا مندوحة للشماسة من التجند . فعاد الجنود واختلفوا الى الكنائس اثناء اسبوع الآلام كله ليقبضوا على من يشاهدون . وتأتى من ذلك ان اغلب النصارى لزموا دورهم . وقضى روساء المسيحيين وقسانهم حفلات ذلك الاسبوع المقدس بما لا يوصف من الكدر والقلق حتى السبت العظيم فانتشر حينئذ الخبر بالرغم عن مراعى الاعداء ان لا يمدوا الايدي على الشماسة . ويضيق ذرعنا

عن تعداد ما اقترف الجنود اثناء ذلك من المظالم بالمسيحيين مما اذاقهم الامرّين وجرّعهم كوّوس الاشجان واكواب الاكدار وفي سلخ اذار سارت قافلتان الى ديار بكر بلغ مجموعهما مائة وثمانين شخصاً ونيفاً

الفصل التاسع عشر

عيد القيامة . ورود الفرمان للسيد مالويان . تجنيد العسكر الحمسبي .
لوّث الحاج زكي . حرق الاوراق والكتب . الجمعيات
السرية . كبس كنيسة الارمن . شهر نيسان

قضى النصرارى عيد القيامة المجيد في رابع نيسان بقاوب خافقة جافلة وصدور هالعة خائفة . ملكت الرعدة على فرائصهم وازدادت الاراجيف بين ظهرائهم . وكان قصاراهم السكوت ليفوزوا بالسلامة ويحصلوا على الطمأنينة . واذاعت الحكومة ان معتمدي اميركا وافوا الى باريس ولندن ليحجموا الدول المتحاربة عن القتال ويلجئوهم الى عقد الصلح والوثام فسرت تلك الاخبار عن قاوب المسيحيين شيئاً من الهوم والاكدار . واتفق ان حلمي بك المتصرف زار الكنائس ثاني العيد وهنا الرؤساء الروحانيين ورطب قلوبهم وسلأهم واذن للاباء الدومنيكين الثلاثة المذوين في دار البطيركية للسريانية ان يخرجوا ويحواوا اينما احبوا وشاءوا اذ كانوا الى ذلك اليوم لازمين غرفهم لا يجسرون ان يغادروها

وثالث عيد القيامة ٦ نيسان تقدمت الحكومة الى العملة النصرارى ان يعاودوا الشغل في اصلاح الطرق وتوسيعها . وفي اليوم عينه

وافت الاخبار من العاصمة الى السيد اغناطيوس مالويان مطران الارمن ان قد انعمت عليه الدولة بالفرمان الشاهاني والتبوت العثماني . فاجتمع وجهاء الطائفة يتقدمهم مطران الكلدان ومطران السريان وهنأوه . لكن المطران اغناطيوس كان قلق الافكار مضطرباً لسبب الاخبار التي كانت ترده من مطارنة الطائفة الموجودين في ارضروم وخربوط وسيواس وغيرها فيكتحل السهر ويلوذ بالصمت مصطبراً ويجلس في صدره الواسع تلك الحوادث المرة المزعجة لئلا يزيد أبناءه كدرًا وألمًا . ولما بلغه ان الحاج زكي بكاتب الطابور اللجوي يندد بالنصارى تحريضاً ويشغب المسلمين عليهم تشفيًا اولم له وليمة في دار المطرنة استجلاباً لحاطره واقتناصاً لمحبهه ليصرفه عن خبث نيته . وفاته ان قلب الكاتب المزبور دغل وضميره نفل لا يكل ولا يمل من تسعير نيران الفتن وتوبييح المسلمين على المسيحيين وانه قد كتب الى القرى يهتفر كبار الاكراد وزعماءهم ليفتكوا بالنصارى ويحيطوا اصلهم

ويوم الاحد ١١ نيسان استاقوا زهاء مائة وخمسين من مسلمي رشل وقباله الى ديار بكر فلم يلبثوا ان انهزموا وعادوا الى منازلهم وبلغنا يوم الثلاثاء ١٣ نيسان ان الحكومة متشبثة بتجنيد العسكر الحسيني الاختياري فبادر مسلمو ماردن الى الانخراط في ذلك السلك الحديث اذ كانوا قبل هذا العهد ينهزمون او ينجفون عن اعين الحكومة ولم تكن نعرف ما اراد من تجنيدهم . لكننا تشامنا منه وتجدد اضطرابنا

اما الحاج زكي اللعين فتمادى في خبثه ولوثمه وثابر يرسل مشايخ القرى . فلما شعر به الحاكم رحاه من البلد دون قهمل اخماداً

لنيران الارجيف . فسافر يوم السبت ١٧ نيسان الى آمد . وحسبنا ان نقول ان الحاج زكي الزبور غداً مناعاً اكل خير مشاء بالنميمة والسعاية وكان يحشد في داره كل ليلة احزاب الخبث والدهاء . فينث فيهم سم البغضاء والشحناء ويقتت لهم احاديث الفساد ويترهم على سحت النصارى ومحقهم ظالماً وعدواناً . قل ان الخائن كبر مقتاً عند الله

ويوم الاحد ١٨ نيسان وافي الى دير مار افرام حلبي بك المتصرف مستصحباً خضر جلبي رئيس البلدية ولبث مدة يفاوض رئيس الدير بما طبع عليه من الرقة والعدوبة ودمائة الاخلاق . ثم تعهد الغرف والكنيسة وعاد الى مركزه

ويوم الاثنين ١٩ نيسان سيرت فئة من الجنود الى نواحي سعرد وسير مثلها في الغد وما بعده ايضاً بلغ مجموع الفيئات الثلاث فوق المائتين والخمسين . وشخص الى ماردين مبعوثها يتبعه محمد كبوشو الخبيث ليسيرا على قولها الى البرية ويجمعها من العرب التي بعير طباقاً لاوامر رشيد العشوم

وفي عشرين نيسان وافي الفرمان الشاهاني الى السيد اغناطيوس مالويان فاستدعاه المتصرف الى دار الحكومة ودفعه اليه . فرفع الى السلطان ووزراء الدولة الادعية في نصرهم وفوزهم ثم قفل راجعاً الى دار المطرنة . وامر ان تنصب الراية العثمانية على سطح الكنيسة وراج كبراء الطائفة ووجهاؤها يهنئونه ويدعون له بالتوفيق والتيسير . وكان المطران يخفي اشارات الخوف ويظهر علام الشجاعة ويستر للضعف بجانب القوة والبسالة ويقول مع القائل

وان قصدتك الحادثات ببونسها فوسع لها صدر التجلد واصبر
 ويوم الخميس ٢٢ نيسان اوفد الخواجا حبيب ترزي دي جروه
 احد وجهاء الطائفة السريانية يقول اخنوا ما عندكم من الرسائل
 والاوراق والكتب المتضمنة اخبارا سياسية او كتابات افرنسية
 او ارمنية فان الحكومة مزمنة ان تبحث عنها بحثاً مدققاً وتنزل
 اغلظ العقاب بصاحبها فشكر الكثيرون اللوجيه وسارعوا الى حرق
 الرسائل والمكاتيب واخفاء المهم منها . ومن جملة ذلك دفن الموانف
 في قلب الارض التصانيف الخطية ومجموعة الحوادث اليومية التي
 كتبها منذ اعلان الحرب الى ذلك اليوم وأوقد جميع الكتب الارمنية
 والفرنسية لمزيد الرعب . اذ كان الاعداء يحاولون ان يصيبوا حجة
 من النصارى ليشلوا بهم

ويوم الاثنين ٢٦ نيسان علمنا ان المسلمين نشموا يختلفون الى
 البيوت تحت الليل ويتقوون على النصارى ويولفون الجمعيات
 الايقاع بهم . ويبعثون الاوامر الى مشايخ القرى ليتفقوا معهم في ذلك
 وفي سبلخ نيسان يوم الجمعة كبس كنيسة الارمن شرذمة من
 الجنود واحتاطوا بها وجعلوا يبحثون وينقرون عن اسلحة ومدافع .
 وتهددوا المطران والقساان وعربدوا عليهم والجاؤهم ان يكشفوا
 لهم المخابي . كلها . فقال لهم المطران بجرأة اليكم الكنيسة ودار
 المطرانية وغرف الكهنة فتشوا ما استطعم ونقبوا بكل طاقتكم
 فاننا لسنا ممن يخزن عنده اسلحة . وما فائدتنا منها ونحن لانتجراً
 ان نمسكها بيدنا . غير ان الاعداء حثت طويتهم لم يصدقوا مقالة
 المطران فحاضوا الكنيسة والقلالي والغرف جمعا ولم يعثروا على شي .

مما تبوهما وادعوا . وقصدوا غرفة المطارن وفتشوا اوراقه واستحوذوا
على جميع الرسائل الوافدة اليه وعلى الاوراق القديمة الموجودة لديه
وعلى الدفاتر والصحف والسجلات ومضوا بها الى دار الحكومة
وارساوها الى والي ديار بكر الخبيث ليفحصها . فتنصص المطارن
من ذلك ابي تنصص وتأسف على اوراقه شديد الاسف اذ كان يحسبها
من اثن الكنوز وأفخر التحف

الفصل العشرون

نبوة السيد اغناطيوس ماوبان

ولاية اول ايار اجتمع الحبر الجليل باقسته الافاضل واعرب لهم
عن مكنونات صدره وكاشفهم بمزيد اضطرابه وكدره ونقل لهم
خلاصة الاخبار التي وردته من روساء ابرشيات ارمينية عن جماعاتهم
مما يقلق الافكار ويلقي اليأس والقنوط في القلوب فشملمهم الفشل
والرعب وقصدوا الكنيسة تلك الليلة وانطرحوا امام المذبح المقدس
يبتهلون نحو السماء الى رب العز والجبوت يطابون منه المغوثة
والمعونة . وكان منظر الحبر النبيل وامتقاع لونه ينبئان بما في نفسه
من الاحلال والارتعاش لسبب الفوائل التي تتهدده وتتوعد اقسته
وجماعة وبعده ان قضاوا برهة يتضرعون بالابتغال الى الله باكين متنهدين
مبسرطة ايديهم الى السماء مستنجحين العضد والقوة ليخوضوا غمرات
الاضطهاد استودعوا نفوسهم الى العناية الربانية والحماية المرعية
والتمسوا من صاحب العهد المقدس مار جرجس البطل الصنديد
والفارس الباسل ان يوئدهم في الايمان القويم ويوطد في قلبهم دعائم

الشجاعة ليفوزوا بالغلبة والانتصار على اعدائهم الخونة الاغرار. وبعد هذا كفكفوا ذموعهم السخينة وانصرفوا الى غرفهم صامتين وباتوا ليلتهم يتسلبلون قلقاً ويتقلبون أرقاً

وعند الصباح اخذ السيد اغناطيوس الغيور القلم بيمينه المباركة وكتب رسالة جليلة حقها ان تنقش بحروف ذهبية لانها تضمنت النبوة عما سيحقق به اقتداءً بسميه اغناطيوس الشهيد فخر بطاركة انطاكية الذي دون رسالته المشهورة واوفدها الى المسيحيين الرومانيين يتوسل اليهم الا يعارضوه في نيل اكليل الاستشهاد . ودفعها في ٢ حزيران الى السيد جبرائيل تبوني مطران السريان ليصونها عنده بمثابة تذكارة ثمين اليك نصها بحروفها

عبد يسوع المسيح بنعمة الله

المطران اغناطيوس مالويان رئيس اخباقة ماردين وملحقاتها
المثبت من الكرسي الرسولي

الى اولادنا المحبوبين بالرب الخوارنة والكهنة وسائر طغمة
الاكليروس الاجلا السلام الوداعي والبركة الالهية
والى اولادنا الاعزاء بالرب شهب ابرشية ماردين وملحقاتها
السلام والبركة من صميم الفؤاد

« لما كانت هذه الظروف الحاضرة تقضي علينا بالتخاذ
كل الوسائل اللازمة لادارة شرون ابرشيتنا العزيزة قبال

كل ما عساه ان يصادفنا في هذه الاونة الحرجة ونحن
تداولنا ايدي امواج تصف بها الرياح من كل جانب
وتتهدد حياتنا الضئيلة النعيسة . فناتي ونحرضكم قبل كل
شيء . ان تقوّوا ايمانكم وتمزّزوا ثقتكم بالصليب المقدس
المرتكز على الصخرة البطرسيّة التي عابها ابني السيد
المسيح كنيسة الابدية الاركان جاءلاً دم الشهداء اساساً
لها . ومن أين لنا تلك المنية العظمى ان يوئل دمنا نحن
الخطاة ان يمزج بدم اولئك الابرار الاطهار

(١) التسلسل الاب اندراوس احمرنيان وكيل دير بزمار في ٢٤ حزيران
١٩١١ من السيد اغناطيوس مالويان ان يفيد شيئاً عن اعماله ليدرجه
في سجلّ الدير فكتب اليه المطران ما شرحه مما يدل على خوضه
في عباب الاتضاع والكفر بالذات قال « اني لسوء الحظ لم اعمل مدة
حياتي شيئاً يستوجب الذكر . فقد ارتست كاهناً بدون استحقاق
في ٦ آب ١٨٩٦ ومكثت بالدير على اثر رسامتي سنة ونصف سنة
وخدمت الطائفة في الاسكندرية ومصر . ثم استدعاني غبطة البطريرك
بوار صباغيان الى الاستاذة وجعلني كاتباً لسره . . اما الان فقد
أمرني غبطة البطريرك ان اشخص الى ماردين لاكفر عن خطاياي
واغرس شجرة السلم والحب في القلوب النافرة . ثم عهد الي رعاية
الابرشية . تلك فذلكة حياتي الشقية . اما سيرتي قبل رسامتي كاهناً
فمروفة لدى الجميع »

« ثم اذا نفذت بنا احكام العملي باي نوع من الانواع
 بالابتعاد او بالاستشهاد فقد عيننا ان يستام زمام ادارة ابرشيتنا
 حضرة الاب الجليل او هنيس ورتبيد بوطريان ويكون له
 بصفة معاون حضرة الابوين دير جبرائيل قمرجيان ودير
 اغناطيوس شاديان . فترجوكم ان تخلصوا له الطاعة متكلمين
 على الهام الروح القدس الى ان يشاء الروساء فيأتوا بتدبير
 اخر يوافق الحال والزمان

« فانا اجتهدتُ بقدر ما بلغت مني الاستطاعة القاصرة
 في الطاعة التامة لرأس كنيسة الله الحبر الروماني الاقدس .
 وجلُّ بفتي ان ارى اكليسي ورعيتي العزيزة تحذو حذوي
 وتخلص الانقياد دائماً لاوامر السدة الرسولية

« ثم اني اويد بانني ما خنتُ قط في امر من الامور
 الدولة العلية بل كنتُ دائماً مخلصاً الامانة لها كما هي
 واجبات المطران الكاثوليكي فاحرضكم ان تسلكوا جميعكم
 هذا المسلك

« استودعكم الله ايها الابناء الاعزاء طالباً اليكم ان
 تصاوا الى الله كي يمطيني القوة والشجاعة لاقتضي هذا

العمر الفاني بنعمته وفي محبته حتى سفك الدم

عن قلاية المطرنة بماردين † الحقير المطران اغناطيوس مالويان
 ايار سنة ١٩١٥ رئيس اساقفة الارمن الكاثوليك
 بماردين وملحقاتها

هذه اخر عبارة دونها الحبر الشهيد بتلك اليمين المقدسة وهي
 قوله « حتى سفك الدم » اوضح بها ارتياحه الى خوض ميدان المعركة
 واحراز تاج الغلبة . ولما زيد تعمقه في بحار الاتضاع قال « من اين
 لنا تلك المذبة العظمى ان يوهل دمنا نحن الخطاة ان يمتزج بدماء
 الشهداء الابرار الابطال » فاعلن بذلك انه يصبو بكل جوارحه ان
 يحتمل الاذى والنكال تأسياً بالشهداء البسل الابطال ويقتحم غمرات
 العذاب كأسد مغوار فيغسل دمه الزكي ادرانه وينقيه من جميع
 الشوائب ويعرضه على الحمل الذبيح بمثابة تحفة شهية ليحوز القبول
 لديه فيضه الى مصاف الاحبار السعداء المغبوطين الراضين في مجابح
 نعيمه . مرحباً بالهدية السنية واهلاً وسهلاً بهديها البار الشجاع
 ثم صرح باخلاصه الطاعة للكرسي الرسولي المقدس عربوناً
 لغلوه بالدين المتين وراح يبعث في افئدة رعيته المباركة العريضة تلك
 الشاعرة المجيدة ويحمسها لتبوء بدمها نظيره حباً للديانة الكاثوليكية
 المقدسة وشرائعها الغراء . فكانه يقول لها ان « ربنا الحي وان
 سخط علينا حيناً يسيراً لتوبيخنا وتاديبنا سيتوب على عبيده من بعد

اخيراً أريد قائلًا « اني ما خنتُ قط في أمر من الامور الدولة العلية بل كنت دائماً مخلصاً الامانة لها كما هي واجبات المطران الكاثوليكي » لعبري ما قول تركيا وزجالها الخونة في ذلك . كيف تيسر لهم الحاق السوء والعذاب بن المحض لهم المودة وانخلص لهم الامانة . ترى ما الذي استفزتهم ليتهضموا الراعي البار ويغلبوه على حقوقه ويعاملوه أعنف معاملة ليودوا بحياته . ما كاد يمر الشهر منذ وافاه الفرمان والنوط حتى قامت عليه وعلى طائفته المحبوبة قائمة الاشرار اللثام وفرقوا لهم اصوب السهام

يارباه . ان هولاء كبسونا مجدفين وعذبونا ساخطين . وحسبوا نكباتنا وشقانا خطأً وهناءً لهم . وألحقوا الاضرار باموالنا واملاكنا وارواحنا . فحتم تتأني وإلام تصمت . . والا فصبراً على ما يرجفون ولتكن مشيتك كما في السماء كذلك على الارض

الفصل الحادي عشر

كبس الكنائس . النفس حنا شوحا . الجمع الاسلحة . عزل بالمورين
النصارى . قتل عيسى قريو . تمذيب جرجس آدم . رشيد وحلمي . قتل
الرئيس برو وذويه . القبض على ابن خنجر واصحابه .
ديسة . بعث امرأة الى حاب

ما اكتفى اعداء النصرانية بتفتيش كنيسة الارمن بآردين بل هجموا على غيرها من الكنائس ايضاً ففتشوا بطر كخانة السريان الكاثليك داخلاً وخارجاً . ويوم الاحد ٢ ايار هجموا كنيستهم ووثبوا بالقس حنا طبي وملكبي سلمو وهو يشتغل ببناء مذبح مار يوسف واوسموهما شتماً وضرباً وحرّجوا على البناء استئناف العمل

وقوضوا الدمص الذي شاده وبحفروا لينبشوا الاسلحة والمدافع التي ادعوا ان العملة يخفونها في قلب الارض فاهم يعثروا على شي، فانصرفوا خائبين . وعند عودتهم لقيهم محمود عبدالو في الطريق واكد لهم انه هو الذي باع السيد يوحنا معمارباشي المذكور في الحير بندقيتين (متراليوز) فرجعوا الى الكنيسة تكررارا ونبشوا ضريح المطران المتوفى وفتشوه فلم يجدوا شيئا فعادوا خائبين

وفي الاحد التالي تاسع ايار احضر شردمة من الجنود القس حنا شوحا الكلداني من نصيبين مدعين انه اخفى عنده بعض الفارين . وعند الظهيرة القوا طوقاً حديدياً برقبته واستاقوه في الجادة العمومية في هرج ومرج اذ كان الاعلاج يتبعونه ويقدفونه بالحجار ويذرون التراب على هامته . وافضت بهم اللامة الى ان القوا على قذاله لفائف الدخان وهي مشتعلة ليزيدوه اذى وعذاباً . وما برحوا يجرعونه اكواب الستم والسب والهز، حتى وصلوا به الى باب البلد الغربي فعاد الاعلاج الاوغاد الى بيوتهم وبسار الاب المظلوم في جماعة من الجند الى دياربكر ليحاكمه رشيد الوالي الزنديق بما يستحق . وصرف السيد اسرائيل مطرانه الجليل العناية في تخلية سبيله فلم يفلح فكتب الى المطران سليمان بدياربكر يسعي في انجائه . غير ان الاب حنا المشاز اليه ما وضع قدمه بمدينة دياربكر جرثومة الشرور حتى لقيه الانذال السناة في الاسواق واشرحفوا لتصويب نبال سخطهم عليه وانزال العقوبة به والقوا جلجلاً في زقبته تأسياً بالحاكم ابن العزيز العلوي صاحب مصر في اواخر القرن العاشر فانه على ما اورد ابن العبري في تاريخه المدني السرياني امر النادين ان ينادوا ان من لم يدن

بالاسلامية يُرذل ويحتقر ويُعاقب في عنقه خشبة كالصليب وزنها اربعة ارطال بغدادية . واذا دخل الحمام وجب ان يعلقوا في عنقه جلاجل لتمييز من المسلمين . غير ان اوباش دياربكر سُودت وجوههم ما اكتفوا بذلك كله بل اطجوا لحية الاب الموما اليه بالاقدار وقذفوا عليه الاوساخ حتى بلغوا به تَوًّا الى اعماق السجن وهناك افحشوا في ضربه وتعذيبه حتى فاقت روحه بيد خالقها

وكان الخصوم مذ ذهاب القس حنا شرحا على الصورة الشروحة الى دياربكر يمتلئون الى البيوت ويواصلون الموامرة على افاحة دماء النصارى مغمضين عما جاء في سورة القصص " ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين "

" ويوم السبت ١٥ ايار اوفد رشيد والي دياربكر المنافق الى ماردن صديقه فيضي بك ابن عارف بك برنج وما وطى ارضها حتى ارسل في استحضار الاعيان والوجهاء الى دار قاسم بن عبدي جلبي الحاج كرمو وبشهم مضمرات الوالي ومكونات قلبه الفاسد وعرض عليهم كيفية البلوغ الى تلك الغاية الشريرة وقال لهم " قد آن الاوان لانقاذ تركيا من اعدائها الوطنيين اعني المسيحيين . وينبغي ان يتأكد لدينا ان دول اوربا لا تعارضنا ولا تحاجنا ولا تعاقبنا لان المانيا معنا تعضدنا وتساعدنا " واليك اسماء من ضم ذلك المجلس نقلًا عن الاصل

الحاج عبد القادر باشا . خضر جلبي رئيس البلدية . حسين المفتي عبد الرحمان القواس . عبد الرزاق وداود وموسى شهتنا . فارس جلبي ومحمد علي ومحمد راجي وعبدالله والحاج اسعد الحاج كرمو . خضر

افندي وابنه درويش مدير تل آرمن . احمد اغا كبير الداشية .
شوكت بك ومحمد بك الملية . درويش كرجيه . عبد الكريم فاشوخ
قاسم بن عبدي جلبي . الشيخ محمد علي الانصاري . رفعت الطيب
مصطفى بن حسين بك الملية . نجم افندي . الشيخ موسى القلاو .
الحاج احمد اغا النرا كجي . نعمان النمس . نعمان بن حمدان اغا
الداشي . احمد بن داود بك . الشيخ عطا ابن الشيخ حامد . نوري
البدليسي . داود اغا المشكروي . داود اغا المنداكاني . اسعد
بن سمو اليونس . اسحق ويحيى الخلوصي . قدور بك وعبد الحلیم
الحاج علي بك . الحاج عبد الرزاق القنطرجي
وظل هولا . يجتمعون ويتحلبون على اخذ النفوس والفاوس معاً
حتى يوم الاثنين ٢٤ ايار فانتجت لهم فكرتهم ان يوفدوا المنادي
ينادي في شوارع البلد ويقول « يلزم النصاري عموماً ان ينقلوا ما
عندهم من البواريد في مدة اربع وعشرين ساعة الى مقام القومندان
العسكري » ذلك ليسهل لهم فيما بعد ان يمثلوا بهم حسب هواهم .
وكانوا يعرفون حق المعرفة ان اغلب النصاري ان لم نقل كلهم لا
يقنون مثل تلك البضائع او ان وُجد عند نفر منهم شيء منها فليس
بذات اهمية . اما النصاري الساكنين فلما سمعوا المناذاة حملوا من
فورهم الى القومندان ما كان عندهم من البواريد السقيمة التي اكل
عليها الدهر وشرب . ومن جملة ذلك ان القس متى خريمو وكييل
بطريكية السريان الكاثليك مضى الى مقام القومندان بالسيف الذي
كان مصوناً في البطريركية منذ عهد البطريرك انطون سمجيري مما
كان خاصاً استعماله بالقوأس طبقاً لانعام الدولة

وكان الخصوم اذ ذاك يذكرون العيون على الذاهبين ببنادقهم الى مقام القومندان ويبتثون الجواسيس والاحراس ليقتفوا على سراير النصارى . وكانوا اذا لمحو احدًا ممن سبق فأوجعهم بالكلام او طالبهم بدين انغضوا اليه راسهم وازلقوه ببصرهم واضرروا له المكيدة منتظرين الساعة بذهاب الصبر ليسحقوه ويتلفوه

وبعد هذا انتزعوا السلاح من جميع المسيحيين المنخرطين في الجند العسكري وعزلوا جميع من كان منهم موظفًا في المحكمة بحيث لم يبق من النصارى سوى عزيز افندي ابن يعقوب الديار بكري الكاتب الاول في الديون العمومية وجرجس افندي مقدسي نانو امين الصندوق وجرى ذاك بهمة مديرها علي صائب افندي صديقها الحميم الذي دافع عنها وصانها من دهاء الخصم حتى اول اب ١٩١٥ فسارا الى حلب وداصلا شغلها حتى يومنا . وكانت نجاتها باعجوبة غير منتظرة لانه لم يبق من جميع الامورين المسيحيين في ولاية ديار بكر وبتليس سواهما

ويوم الاحد ٢٣ ايار سار طاهر ابن الحاج كوزه الى بيت الفتى عيسى بن قريو السرياني ودعاه الى بستانه ببحر الطور ترويحًا للنفس فاعتذر الفتى النجيب ما أمكنه خائفًا فأبى عليه طاهر قبول عذره والح مشددا الدعوة فلم يسع الفتى الصبيح الوجه الا الاجابة خشية ان يقوده مكرها . ولما كان عصر النهار ربطه الى شجرة وقضى منه الوطر الذميم ثم مال فصلم اذنيه وجدع انفه واخذ يتر بقية جوارحه فسالت دماؤه متدفقة من جميع اطرافه وما لبث الغاشم ان دعا جميع المقيمين في البستان لينعموا نواظرهم بذلك المشهد الوحشي

فوقفوا يتفرجون وهو يمازحهم امام مشهد يفتت الصخور ثم شرع
ثانية يقصب فريسته على مرأى منهم فيقطع بخنجره اوصاله ويبضع
لحمه حتى فاضت روح ذلك الفتى المسكين من بعد ان ذاق الوان
الفضيحة والعذاب . ولما نفي الخبر الى امه الثكلى اخذت تلطم وجهها
معوالة وتندب حشاشة كبدها موالة فارسل اليها ابو القاتل حسين
ذهبا دية ولدها فردتها بانة قائلة لست اقبل دية عن ولدي بل
ارفع دعواي الى الله القاضي العدل واكل اليه ان ينصني من الغادر
بفلذة كبدي

ويوم الثلاثاء ٢٥ ايار هجم ايكو حمري على دكان جرجس بن
حنا آدم الشاب الارمني يطلب منه عباءة . فانكر عليه جرجس
الطلب . فاخبر ايكو الخبيث صديقه علياً خفير حي المشكية
فقبض عليه وساقه الى دير الرواهب الفرنسيات فعراه من ثيابه
بامارة وصب عليه ماء بارداً حتى جمدت دماؤه في عروقه ثم اخذ
السوط وجعل يضربه بجفاوة وغلاظة ويقول له لست اكف عن صفحك
ما لم تجاهر بالاسلامية . فنادى جرجس باعلى صوته والراهبة اسانسيون
تسمعه يقول « اني احيا واموت على ايمان المسيح » وكان جرجس
متنطقاً بالزناز الفرنسي فحله علي اللعين وجعل يضربه به ويقول
ادعُ صاحبه لينتدك من يدي . وما لبث يضربه الضرب الوجيع
حتى انتفخ جسمه وتناثر لحمه فأرسلت الراهبة في استدعاء اهله
فاقبلوا وحملوه على سرير ومضوا به الى داره . واستمر جرجس
ملازماً الفراش يشكو ألیم اوجاعه حتى سادس حزيران فأقبل ايكو
الخبيث في جملة من العسكر الخمسيني واستاقوه الى السجن وضموه

الى النصارى المسجونين آنثذ ثم ساقوه معهم عاشر حزيران وقتلوه .
 وفي هذا اليوم تقدم رشيد اللانيم الى حلبى بك متصرف ماردين الكريم
 فى ان يلقي القبض على وجهاء النصارى ويوجههم فى السجن . فأجابه
 حامى انى لست اجد علة فى نصارى ماردين تستوجب حبسهم ومن
 ثم فيتعذر على ان انفذ اوامرك . فامتعض الوالى شديد الامتعاض
 ونوى مذ ذاك ان يعزل المتصرف الصدوق كما سترى

ويوم الاربعاء ٢٦ ايار وافتنا الاخبار من برارى ديار بكر ان
 احمد اغا صاحب قوصان والعوين وما والاهما بعث اصحابه على الرئيس
 برو الارمنى المشهور بنفوذ و ثروته فى ذلك الصقع وكان عنده يومئذ
 صهره يوسف سعيد نانو كدا السريانى . فانقض اولئك الاوباش
 كاطيور الكاسرة على دار الرئيس برو العامرة واصلتوا عليه السيوف
 وفتكروا به وبصهره وبجميع أسرته . وفيما كانوا يذبحونهم بشراسة
 اضطروهم الى الاسلام فلم يسلموا . وسبوا الفتيات واختلسوا ثروة
 الرئيس الوافرة وملكوا اراضيه وكنوزه وامتعته واملاكه . فلما
 وصل الخبر الى خاتون ان والدها وقرينها وساثر ذويها قد تغلب
 عليهم الاعداء وبطشوا بهم لبست الحداد واستدعت الاهالى والاصحاب
 ليشاطروها احزانها ويعزوها فى اليم مصابها وغاب عنها انه عما قليل
 سيجري مثل ذلك فى بلدتها عينها ثم ان اصحاب احمد اغا انتشروا
 فى تلك القرى المجاورة وجاسروا خلال الدور والبيوت والجأوا النصارى
 على انكار النصرانية والمناداة بالهيللة فمن اسلم استحيوه ومن ثبت فى
 ايمانه قتلوه

وفى اصيل ذلك اليوم عينه اى ٢٦ ايار اقبل سيف الدين الجندي

الارغني وعبدالله بن خضر افندي وسبعة آخرون مدججين بالاسلحة
 الى كنيسة السريان الكاثليك يريدون جرجس حنحو السراج الارمني
 وكان حاضراً آنئذ صلوات الشهر المريعي فقبضوا عليه وساروا به الى
 دير الرواهب منقع العذاب وتركوه هناك ومضوا فاستحضروا الى المحل
 عينه عمه يوسف وسموئيل ابن عمه وسموئيل القصاب ورزق الله
 مرشو وشقيقه سموئيل . وما مضى من الليل ساعتان حتى وافى
 فكري البكباش وفي يده كلبتان ضخمتان يتبعه اثنان وعشرون
 من الجنود المسلحين . فاستدعوا جرجس حنحو الى غرفة منفردة وقالوا
 له . بلغنا ان عندك بتادق ومدافع فاذهب في احضارها والا
 عاقبناك اشد العقوبة . قال جرجس اني طبقاً لمناداة المنادي دفعت
 الى الحكومة ما كان عندي من السلاح واليكم الورقة المختومة
 المؤيدة ذلك . قالوا لا بد لك من تسليم ما عندك كلة والا
 عذبنك مثلما عذب نصارى ديار بكر مما بلغك خبره . ثم
 ألقوا الجبال برجليه وصفعوه ثلاثاً وعشرين ضربة احتملها صابراً
 فتوسط عبد القادر القومسيرو واستمهل الحضور ساعة ليقرره ثم انزوى
 به وقال له علمت انك استحضرت اسلحة وبنواريد من حاب فقل لي
 لمن بيعتها . قال جرجس هذا افك مجض لا صحة له بته . ثم استنطقوا
 زفاق جرجس فلم يصيبوا منهم حجة تؤيد ما توهموا . وعند
 نصف الليل اقبل فكري البكباش تكراراً لينزل العذاب بالسته .
 غير انهم وعدوا القومسيرو بدفع بستين ليرة على ان يخلي سبيلهم .
 فاطلقوا جرجس صباح ٢٧ ايار ليحضر ما وعد فجاء الى كنيسة
 السريان وسمع القداس ثم قصد نحو والده وبلغه ما جرى . فاعطاه

ثلاثين ليرة عنه وعن عمه وابن عمه . فقبضوا العشر واطلقوه واستاقوا
الخمسة الى السجن . وورد في اليوم عينه امرٌ من ارضروم في اشتغال
مائة وخمسين سرجاً فاطلقوا يوسف خنجر ودفعوا له ذلك المبلغ
ليستعير اللوازم ويباشر العمل . لكن يوسف اعلان للمأمورين انه
يقوم بانجاز العمل مجاناً لان الدولة اطلقته

وفي هذا اليوم أبصر وافه (قندانت) كنيسة السريان الكاثليك
قرواً من العسكر الخمسيني يحفرون تحت الليل الخندق المصائب
لشارع الكنيسة ليدفنوا فيه اسلحة . فإتالك ان عارضهم واحتج
عليهم فكتموا عنه الحقيقة ورجعوا بصفقة خاسرة . ومنذئذ جعل
يبث العيون على الازقة ليل نهار حذر ان يطمر فيها الخصم شيئاً
فينقلب ويدعي ان السريان اخفوها لوقت الضرورة ليصيب منهم حجة
للتكليل بهم وسفك دمهم

واعلم ان اخبار العاصمة في هذه الايام ما كانت لتشير الا الى
محاربة الفرنسيين والانكليز مع تركيا في الدردنيل ومرمرات والبحر
الاسود . كأن ارباب الامر غافلون عما يجري في تركيا من الجرائم
والفظائع والمذابح . ولما ايقن مطران الارمن ان لا بد من الايقاع
به وجماعته استدعى اليه سراً حبو ابنة يوسف ساعور وسيرها في
كتب الى القنصل الاميركي في حلب يورد له المخاطر الحاصل فيها هو
وطائفته ويطلب منه النجدة والمفوضة على وجه العجلة غير ان القنصل
لم يفده شيئاً بل لم يستطع الى جوابه سبيلاً

الجزء الثالث

في الحبوس والمذابح والسبي وسائر الفظائع

من حزيران ١٩١٥ الى تشرين



الفصل الاول

جرائم الشر والنفاق

متى أصيب المرء بالنكبات والبلايا واحتفت به ضروب الافات والرزايا هجره الاصحاب والاخوان وغمضوا عنه عين التؤدة والاحسان وتركوه يتقلى ويتكوى مصطبراً على الجنة والبلوى ريثما يوافيه النرج والغزاء من رب الرنة والجزاء . فالنصارى في ما بين النهرين لما صار شهر حزيران ١٩١٥ نبذهم ارباب الحل والعقد ومقتهم اصحاب النفوذ والحكم بحيث لم يبق بينهم خل صدوق يذب عن الحقوق .

وكان وجهاء المسيحيين يظنون لسلامة طويتهم وسداجة قلبهم انهم
 لن يُنكبوا بأعظم مما نكبوا ولن يُفجعوا باكثر مما فجعوا الى
 ذلك الحين

والكنا لله في ذا مشيئة فيعمل فينا ما يشاء ويحكم
 على اننا توخينا ان نورد في هذا الفصل اسما بعض الجناة الطاغاة
 ونلمع بذكر شي مما اقتفوه ليقف القراء على ما اتصوا اليه من
 الكفر والنفاق

١ : رشيد الطاغية والي ديار بكر

هو جرثومة الخبائث والفساد واصل المشاغب والفتن والداعي
 الى سفك الدماء وارتكاب الفظائع . عزل من لم يجاره في انجاز
 نياته الفاسدة كحلمي بك متصرف ماردين وقائم مقام ديركه وغيرهما
 وبعث الرسل الى البلدان والقرى ليثيروا العشاير ويهيجوهم على
 المسيحيين . وافضى به النفاق الى ان امر بتصوير جثث القتلى النصارى
 وكتب تحت تلك الصور هذه العبارة الزورية « النصارى يعذبون
 المسلمين » ولما انجز الوظيفة على ما رام هو واصحابه سار الى
 العاصمة واحتضى عند طلعت صديقه الحميم فآثني على عمله وجبذه
 واستحصل له من السلطان انواط الشرف ونصبه والياً على انقره .
 وليلة وصوله اليها أمر باحراق الولاية وكان اول من نشم في ذلك

(١) ان وجهاء الالمن ولاسيا نوم جنانجي واسكندر آدم كانوا على يقين ان
 مسلي ماردين لن يتحزبوا للرشيدي الوالي واصحابه بل يدافعون عن حوزة النصارى
 كما دافعوا منهم سنة ١٨٩٥ . . .

والخلاصة ان مثاه كان مثل من القى حصاة في حوض ماء فانتعت
الدوائر وتفاقت الاهوال

٢ : الحاج زكي اللجوي

سعى في الشر السعي الحثيث وغدا كعجراك جهنم في التنديد
بالنصارى وتعتهم حتى نتجت له خباثته ان يتقدم الى مشايخ العشائر
في التحفز لاراقة دماء النصارى وكان شديد الحاق على السيد
اغناطيوس مالويان نصيح له المطران ذات المرار ليكف عن تسعير
كيران الفتن في الاطراف فلم يكف فأولم له ولينة استعطافاً لحاطره
واطفاء ل نار سخطه فلم يتوق عليه فراجع حامى بك المتصرف
فاضطره الى مغادرة البلد فخلف الحاج سعيد اخاه وزلفيقار كاتب
الرديف صديقه وحسبها على التثني من النصارى وانقلع

٣ : زاني مبعوث ديار بكر وفيضي مروّج افكاره

اصطفاها رشيد الطاغية لاطلاعه على مكنونات صدرها وبعثها
الى ماردين وقراها . فسارا الى طور عبين والجزيرة ونصيبين والصور
وانثارا العشائر وحرضاهم على ذبح المسيحيين قاطبة واطلقا لهم الحرية
في نهب الاموال وسبي الحرّيم واقتراف كل منكر . ونقل لنا غير
واحد ممن آكلها وشاربها انها قالا مراراً اسلمي ماردين « لا تبقوا
على نصراني واحد ومن لا يكمل هذا الواجب المقدس ؟ خرج
من الاسلام »

٤ : خليل اديب رئيس الجزاء

كان ممثل جمعية الاتحاد والترقي وأحد المنتمين اليها . وكان

انف الرجنين وعقيدهم واوحد المامورين في السعاية لم تر العين اخبت
منه تحت القبة الخضراء اليه عهد رشيد الطاغية ان يجمع العسكر
الاختياري (المليس) ويسير الى نصيين ومذيات وغيرها ليدعو
المشايع الى اهراق الدماء . وعكس على حلمي بك امر مجاماته عن
حقوق المسيحيين . واما استعنى حلمي نضبه الوالي مكانه . فاستاق
القافلة الاولى ليلة تنصبه وكيلاً . وارسل اليه مطران السريان
الكاثليك كتاباً ليرفعه على لسان البرق الى الوالي في شأن اطلاق
السريان فجعله دبر اذنه وخرج المراسلة على المامور دون معرفته .
ولما ورد الامر من دياربكر بتوقيف قافلة الرجال الثانية اخفاه لمزيد
لوئمه ولم يذعه . واصدر الامر بسوقهم قبل الفجر . . وهو الذي
سار الى كنيسة الارمن مستصحباً حنا صاني وفرج الله حنجرهما وامرهما
ان يحفراها وينبشاها لعله يعثر على مخزن الاسلحة والمدافع . يا للحماقة
ويا للخباثة ! ا وفي زمن وكالته النجوسة المتعوسة احرق الجنود
تل ارمن والقصور وغيرها كما سترى

• : بدري التصرف

ببدري هذا العشوم عظم حجم النفاق واتسع فتق الفساد
واستفحل الظلم والاستبداد . ذلك اا قلع اديب المزبور نضبه الوالي
ليواصل اقتراف الشرور وكان بدري كسر الله رقبته جماعاً للذهب
والفضة ميالاً الى الخلاعة واللهو ثوى بدار اسكندر آدم واستخرج
المطامير الثلاث الثمينة التي كانت مدفونة فيه . واستدعى اليه
غراً قصار وارادها على جمع حلي السيدات الارمنيات فجمعت ما

بلغت قيمته الفأ وخمسين ليرة ذهباً وحملتها اليه في حقيبة كبيرة فقبضها واستاق غراً من فوره مع سيدات دياربكر الارمنيات فتكثرت بمال النصارى واستغنى وبطر واسرف الليالي في البذخ والسكر . وبعث الى عبد الامام يجرّض العشائر على قتل نساء القافلة الاولى ومحق اثرهن . وارسل ممدوحاً زميله وشريكه في النفاق الى دير مار افرام فاختلس من الفضة والذهب شيئاً كثيراً وتقاسماه على السكت

٦ : ممدوح

ما زال النصارى حتى يومنا اذا فتحوا كلامهم بذكره سبوه ولعنوه . واذا استعاذوا بالله من ابليس الرجيم عنوه . ركض قبحه الله في حلمات الضلال وغربل النصارى بغربال الجور والعدر والذكال وخص بفظاظه الطبع وغلاظة الرقبة وامتاز بصورة شوها الخالق وقبحها حتى اذا رآها الكلب نبجها . تحاف مع أصحابه الخشاء على تقويض اركان الدين المسيحي ونسف صروحه . وعاث في ماردين وقراها عيثاً . ونكل بالنصارى في السجن واستاق قافلة الرجال الاولى وقتلهم عن آخرهم تحيل على اخذ الاموال اذ كان يحوم على الذهب حوم الحداة على المزابل . وقضى الليالي في مسامرة النساء واقتراف المنكرات . ونقول القول الفصل ان فظائعه وقبائحه ركبت اللسن وسارت في البلاد . وما برح لعنه الله حتى يومنا جياً يجول من مكان الى مكان

توفيق بك ياور رشيد

هذا اقتعده ابليس الخناس واتخذة آلة لترويج الشر والفساد وبعثه

لينتهك الحرم ويسبي الذراري ويشنخ في النصارى . وكانت عجرفة
طباعه لا تُتقاس بمقياس . حُلل المحرمات وتقلب في الامور كما شاء
طبقاً لما قيل

اذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الامور كما يشاء
وهو رفيق ممدوح في اسفاره حايفه في شروره . خضب سيفه
بدماء النصارى الابرياء واختلس من الاموال شيئاً كثيراً
٨ . هرون ملازم الجاندرمة ؟

شخص الى مساردين ظهيرة الخيس ثالث حزيان صحبة ممدوح
وتوفيق المزبورين فكان ثالثة الاثافي . تفرد بالعتو والقسوة ولزم
المفاسد والشنائع قدر ما سوغت له النفس . الامارة . وهو الذي خرج
على الاكراد استحياء الفتيان والفتيات في قافلة النساء الاولى .
فحشروهم في بالوعة عبد الامام وخضبوا يديهم بدمائهم الطاهرة
لا جرم ان كل نفس تُوفى ما عملت

واقطفى آثار هولاء حسين افندي المفتي ومصطفى منير وحجابي
وعبد الكريم الامدي وغيرهم من المنصبين في شؤون الحكومة

٩ : عبد القادر القومسيرو ومعاونه فائق

وعامة البوليس

استدكض القومسيرو ومعاونه عامة البوليس واستعجلاهم على
الجولان في الدور والشوارع ليلاً ونهاراً للقبض على النصارى وخطف
الاولاد والحريم واختلاس الاموال . وقد عرفنا منهم حتى وفكري
وعلي قاعو وصالح الفروخ الذي استترف اموال منصور قليونجي

وامتعت به بأسرها واستاق امرأة منصور وحياته واولاده وسائر آله
فقتلوههم اجمع . ومنهم توفيق بابا نجم وفواد الكرجيه واخوه
خلوص واحمد ابن الحاج قاسم قاتل القس يعقوب فرجو الارمني وبوزو
الدياربكري وسعيد اليفارقيني وشاكر الجوخدار واخوه توفيق .
وحسن بك الضابط ابن الحاج علي بك الذي اختلس ما كان في غرف
دير مار افرام لما كان الرهبان محبوسين في ٢ آب ١٩١٥ وحيدر ابن
الشيخ افندي وغيرهم . فانهم قتلوا وسبوا وتبصموا الاموال وركبوا
الفواحش قدر ما وسوس اليهم ابليس . ولكن الذي فاقهم وفاتهم
هو محمد كبوشو المشهور فان قبح منظره دل على سوء محبته .
وكنت تراه اثناء الغارة مخترطاً سيفه والسوط بيده يكبس بيتاً فبيتاً
يذعر النصارى ويضربهم دون تمييز بين الكبير والصغير والرجال
والحریم . اذ كان مباحاً عنده القتل وانتهاك الحریم وسفح الدماء
واختلاس الاموال . وهو الذي اخترع خشبة على شكل صليب
علق عليها غير واحد من المسيحيين المسجونين وجلف اظفارهم ورتف
شعرهم الخ وهو الذي قتل عبد المسيح مالو ونكل بسليم بن يوسف
الخوجا يونان وفتك بانطون معمارباشي وغيرهم ممن سترى اسماءهم في
هذا المؤلف . وفاته ما قيل « انك ميت وانهم ميتون ثم انكم
يوم القيامة عند ربكم تختصمون »

وضارع البوليس في ارتكاب المنكرات العسكر الخمسيني بلفيفهم
كمحمد المي والشيخ قاسم الانصاري والشيخ ضاهر مأمور الحبس
والشيخ نوري وشوكت بك ابن محمد سعيد آغا واخيه رضا وبشور
السراج واولاد الشيخ خطاب وصادق ابن علي التري والحاج جلدو

وقادي عمشاكمي وحمدي الشراي وخليل خلفو وغيرهم
وحاكاهم في إلحاق الأذى بالنصارى جميع المشكوية مع انهم
هم الذين حموا عام ١٨٩٥ ذمار المسيحيين وحاموا عنهم بكل
جهدهم [راجع هنا ص ٦٠ - ٦٦] كفارس بن حمي الباشا وعمه
عمر وواهي بن محمد سعيد آغا وياسين ابن عمته وعلي البيرقدار وعثمان
ومصطي وعزيز آيو ودرويش حمورشو وغيرهم

ومائلهم في ذلك عامة الداشية كحسين بلاو واخويه خليل
وعثمان وغيرهم وضاهاهم من المندلكانية اولاد علي معمو وعمر معمو
ومحمد شريف بن فرحان وبيت قادي بكر وعزيز بن برو حسين
بك وخليل او خلو الذي وشى بالقس حنا بنابيلي جاره فكبسه
الجنود في داره واوسعوه ضرباً ورفساً واستاقوه الى السجن واضافوه
الى اصحاب القافلة الثانية

واننا نعرض عن ذكر الكثيرين من الذين عرفنا اسماءهم ووقفنا
على حقيقة افعالهم وهم الذين سدّوا نبال الفتن وافحشوا في استنباط
الحيل وبالغوا في السبي والخطف والسلب والنهب والقتل وتفتنوا في
اشكال التعذيب من قطع السنة وجرّ اسنان واطفار وشرم انوف
واذان وبتر اعضاء وشتف شوارب ولحى وهلمّ جرّاً . على ان ذلك
يتطلب الصفحات الطوال وائس من شأننا ان ننتقد او نعقب على
فعل واحد فواحد بل غايتنا انما هي ايراد الحوادث على حقيقتها
وبسطها على علاتها ليس الا

على انه مذ حضور زلني وفيضي الى ماردين تباشر الخصوم بنيل
المآرب وساربعوا الى تاليف الجمعيات السرية في النوادي واستنباط

الحيل الشيطانية لادراك الاماني . ففغروا الافواه ومرجروا الاسنة في
 الاعراض واطلقوها في الدم والاغتياب وكتبوا رسائل الجور والظلم
 ليحرفوا حكم المساكين ويسلبوا حق البائسين « لتكون الارامل
 مغنماً لهم وينهبوا اليتامى [اشعيا ١٠] مع علمهم الوكيد ان النصارى
 ابرياء وانهم ايسوا الا كعبيد لهم اذلاء من امس فما قبل

وكان بعض خدمتهم النصارى يتنصتون لما يقولون ويوصلون
 الينا مضراتهم فكنا نكذبهم ونقول لهم . ان صداقتنا مع
 المسلمين اصفى من عين الديك ومحبتنا لهم اصلب من حديد . ومن
 ثم فلا يمكن ان تنقلب الصداقة الى عداوة والرقعة الى فظاظه اذ لم
 يكسر بيننا عظم . وزد عليه انه لا يوجد في بلدتنا احد من
 الارمن القحين او ممن قاوم الحكومة وتعرض لها فيما سلف . بل اننا
 والحمد لله كاثوليكيون محتضنون لاوامر الدولة قابلون لها على
 الراس والعين . فلا يسوغ من ثم للحكومة ان تتعننا وتعتقد اننا
 العداوة وتعاملنا بالخيانة . بل اذا واقتها الاوامر على فرض في قتلنا
 او اجلاثنا كتمتها ودافعت عنا وحقت دمانا . غير انه لسوء الحظ
 خابت الامال فصار اصدق صديق واعز رفيق انخبث خصم وانخون
 عدو . وامسى الخروف ذنباً والحمامة افعى

بناءً عليه قضيت مجالس الشورى مذنيسان حتى سلخ ايار وجرى
 الاتفاق على ادارة رحي الاضطهاد على ايمة المسيحيين اولاً ثم على
 الوجهاء فالافراد فالنساء فالاولاد . فتشروا وتحزموا وراشوا السهم
 قبل الرمي حتى اذا كان حزيران استوسق لهم ما اجبوا فاقاموا طائفة
 من العسكر لحراسة البلد كي لا يخرج منه احد . ونصبوا طائفة

للتنكيل وجماعة لمرافقة القوافل وحراستهم اعني ذبحهم وقوماً لا فراغ
الكنائس واخلاء البيوت

وآخر الامر نفضوا يدهم من المسيحيين بارة واضيقوا على
سجنهم واطبقوا على تعذيبهم وقتلهم وتواطأوا على سحقهم ومحقهم
مع انهم الى ذلك العهد كانوا محاليف لا يتنقون في امر . وكتبوا
هذه الدسائس عن اعز الخلان وحلفوا بالمحرجات انهم لن يبوحوا
بالسر الى احد بل توعدوا بالقتل حالاً كل من بلغ النصارى كنه
تلك التدابير . مهلاً يا هولاء اذكروا ان " من يعمل مثقال ذرة
خيئاً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " والسلام

الفصل الثاني

الغاء الامتيازات

يعرف كل خبير انه كان لدول اوربا ولاسيا الدولة الفرنسية
امتيازات شتى في تركيا غايتها صيانة حقوق النصارى وحرمة الاقليس
وعدم التعرض للكنائس والمدارس واقتضى لاستجصالها ازمة طويلة
ومبالغ جسيمة واتعاب كثيرة

غير انه ما مرّ الشهر على اعلان هذه الحرب الضروس حتى
الفت تركيا تلك الامتيازات وعادت اليها الكلمة فاقامت انور وطلعت
لينفذ هذا المشروع ويعملنا به . فاجتمعوا باخزابها وحواشيها وبتأهم
ما يكتنه صدرهما من الحزازات على النصارى ولاسيا الارمن قاصدين
بذلك على رايها الفاسد خير الدولة وسعادتها ومن جملة ما نطق
به انور ان جلّ مرامه هو ان يُرى الطارق للتملص من عبء ذلك

الحمل . والتخلص من رق العبودية . حتى قال « ان العبودية صعبة تلجى . صاحبها ان يعيش مهدداً مخوفاً محتقراً لا يتيسر له ان يبدي رأياً او يبت حكماً دون مشورة او مراجعة . فدولة كهذه وجودها وعدمها على حد سوى . والا فمن يجهل ان البصير خير من الاعمى والحر افضل من العبد »

فصفت الحضور لخطابة استحسناناً واستمروا رأيه وبعثوا الانخبار الى الولايات بان تركيا أعتقت وان امتيازات الاجانب ألغيت . فدقوا الطبول وبوقوا في الابواق ورفعوا اللواء العثماني الاحمر المشير الى سفك الدماء

اما جمعية الاتحاد والترقي فاعلنت قائلة : « بما ان الارمن ياتون اموراً تخالف السنن ويعتصمون الفرص لازعاج الحكومة ويخزنون اسلحة وقنابل ومواد منفجرة ليسعروا نيران الثورة داخل البلاد ويفتكوا بالمسلمين ويعضدوا روسيا فاستدراكاً لمشاغبتهم نقرر ان يساقوا جميعاً الى ولايتي اوصل وسوريا ولواء دير الزور على ان تكون اعراضهم وانفسهم واموالهم في امان من اعتداء المعتدين واتخاذ المجرمين . وقد اصدرنا الاوامر لاسكانهم في تلك البلاد ريثما تضع الحرب اوزارها »

هذا كان البيان الرسمي العلني في شأن الارمن فقط . اما البيان الخفي والحقيقي فكان يرمي الى تأليف العسكر الخمسيني (المليس) ليساعدوا الجنود على قتل الارمن وسائر المسيحيين ويثقلوهم ويستحوذوا على اموالهم وارزاقهم والسبب في ذلك على ما روي ان ارمن معسر واوروبا واميركا اوفدوا خفية عشرين رجلاً ليفتكوا غيلة بطاعت

وانور

وبعد هذا نصبوا وعزلوا من احبوا ثم أمروا بجمع اسلحة النصارى والقبض عليهم وتعذيبهم وسوقهم وقتلهم وانعموا على من جاراهم ببراءة عمومية وحرية تامة ليقتلوا ويخطفوا ويختلسوا ويفحشوا كما يتتغون ويهرون . ومن المقرر ان السمكة اذا فسدت فسدت اولاً هامتها وقد قيل

لما رايت الراس وهو مهشم ايقنتُ منه تهشم الاعضاء

الفصل الثالث

صفات اعداء الانسانية

لا تحضرنا عبارة نرضاها لنعقب عن عيوب اعداء البشرية وشوائبهم فلو قلبنا كتب اللغة اجمع وطالعنا تصانيف ابلغ البلغاء وافصح الفصحاء لا نكاد نعثر على لقب او كنية او نبز يوافقهم . ومن ثم فنقر بعجزنا وندع الامر لغيرنا . وناهيك ان المراثيات ليست كالمسموعات فقد رأينا شناعاتهم بعيننا ووقفنا على قبايحهم فهم قوم قبضوا مقاليد الفساد والشقاق ودرسوا اساليب الكذب والنفاق حتى فاتوا الابالسة ببيلستهم وفاقوا الوحوش بهمجيتهم . اصبحوا اعق من ضب واطلم من حية . حازوا قصب السبق في شراسة الطبع وفضاظة الخلق . تمكروا بالدناءة والحساسة وقذفوا كل مروءة وكرامة . قرعوا صفات النصارى واستطبالوا في اعراضهم . حسبوا هدر الدماء واسترقاق الاحرار وغصب الحرم من فعال المجد والشرف « انما ياموهم الشيطان بالسوء والفحشاء » غدت مودتهم كيداً وصحبتهم صيداً وتقريبهم

مكرراً ومواصلتهم غدراً . احتقبا كل ما حرمه الله وتطاولوا الى كل قبيح . اضحوا احقد من الجمل واشكس من النمر . وباروا الارنب بشبقهم . والباز بضيق خلقهم . دخلوا كالبومة على الطيور في وكرها وافترسوا فراخها . واذا راوا امرأة حسناء غيروا صوتهم وبدلوا حركاتهم حتى يبلغوا منها الارب . استعذبوا كالظبي ملوحة الشهوات الاجاجية واستحلوا مرارة الحرايا الحنظلية . تهافتوا تهافت الفراشة على ركوب كل محذور ومحذور ومقارفة جميع المفاسد والشرور . فجزوا وفسقوا خلافاً لما أمروا « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلاً » [سورة الاسراء]

ونقول على وجه الاختصار انهم حسبوا النصرى اذل من نعل والجنس سلعة فتصرفوا بهم كما سوغ لهم الهوى دون ان يروعوا الاحد عهداً . اما المسيحيون فأغضوا على ذلك كله وصبروا وضحوا بدمهم جاً لدينهم جاذين حذو القاتل

فت ما على من مات حراً نقيصة الا انما النقصان ان تتهضما قل لي يرحمك الله اي دليل اصرح ام اي برهان اوضح مما ذكرناه تايداً لحزاياهم . ايتيبر لهم ان يبرثوا ساحتهم مما قلناه . اني وسعهم ان يججوا شناعاتهم وقد اخرجوها من عالم الكمون الى عالم الظهور حتى وقف على جليتها القاصي والداني والغبي والذكي . فليتذكر هولاء بما اورده ابو الفداء [ج ١ ص ١٥٩] عن النبي صلعم انه اثناء مرضه خرج . . . حتى جالس على المنبر فحمد الله ثم قال « ايها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدمني ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقدمه . ومن اخذت

له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست
من شأني ، فتأمل

الفصل الرابع

زيارة السيد اغناطيوس المطران السريان . مجيء ممدوح و زمرة . القاء القبض
على المطران والكهنة والوجهاء والجماعة . تعذيبهم . بولس شوها

مضى شهر ايار على ما وصفنا والسيد اغناطيوس كاسف البال
قلق الحاطر مكروب النفس تؤرقه المهوم وتتناسمه الافكار .
وصباح الثلاثاء بدء حزيران شخص الى كنيسة السريان ليزور صديقه
الحميم السيد جبرائيل تبوني فاستدعى الابهاء الدومنيكين الموجودين
لديه وبشتم لواعج حبه وكاشفهم بمكنونات صدره وبعد ان افاض
في الحديث وصرح لهم بما يخامر فؤاده الحنون من الاشجان عرض
على السيد جبرائيل شوون من يتبقى في قيد الحياة من جماعته المحبوبة ثم
نشر رسالته الاخيرة [انظر هنا ص ١٣٥] وتلاها بحضورهم ثم طواها
ودفعها الى صديقه يقول " صن هذه الوديعة لديك . احتفظ برعيتي
بقدر طاقتك . انت المفروض في شوونها من بعدي ريثا يرى الروساء
تدبيراً اخر . على اني متحقق ان قد حضر الزمان لارتحالي من هذه
الدنيا الفرور " فجعل المطران جبرائيل والابهاء الثلاثة يشجعونه ويسلونونه
ويعللونه بالنجاة . غير ان الخبر المغبوط ما تألك ان قال لهم " اني
عارف حق المعرفة ان سيحكم علي وعلى رعيتي العزيزة بالعذاب
والموت . . اني منتظر القاء القبض علي وعليهم من يوم الى يوم . .
لا بد لنا من ذلك . . جئت اذن اليوم اودعكم واستودعكم الله .

صلوا لاجلي . . في ظني هذه اخر مرة اشاهدكم . . الوداع ايها
الاجباء الوداع . . « وعند ذلك لعجت الاحزان فواد الحضور واصلت
ضلعهم واسبقت الدموع على خدودهم . قال لهم الحبر الجليل .
« انما ابقانا الله تعالى لئلا هذا اليوم وهو القادر ان يعضدنا ويسلحنا
بمخوذة الغلبة » وبعد هذا كله عاد الزائر العزيز الى مركزه وخاف
في قلب المطران والاباء تذكارا طيبا جميلا يبدونه ويعيدونه ما
داموا في قيد الحياة

وعصر عيد الجسد ٣ حزيران انقض على ماردين بمدوح راس
النحوس وصاحباة الياور وهرون قائدا النكد والشوئم وساروا تورا
الى دار الحكومة طازين انه ان يصعد بيدهم تنفيذ اوامر الوالي
سيدهم . وفاتهم ان طرق القدر والخيانة قد مهدت وابواب الشر
والفساد قد فتحت . واتفق ان حلبي بك التصرف كان
متغيبا عن البلد فاستفرص دعاة النفاق فرصة غيابه الى اقتراف ما
يطيب لهم . وما وضع هولاء الثلاثة اقدامهم في دار الحكومة
حتى بعث اليهم اوراق التزوير بتري وانثات عليهم شهادات التمويه
أرسالا . فكان كل يرقم في ورقته اسماء من شامت خباثته ويدفعها
الى الوفد الجزيل الاحترام ويعرضها عليه قائلا ان افتقرت الى تأييد
دعواي ايدته بشهود عدل اي زور

وعين البغض تبرز كل عيب وعين الحب لا تجد العيوب
فارسل وفد الشوئم من فورهم شردمة من الجند وفيئة من
العسكر الخمسيني كبسوا كنيسة الارمن واستحضروا للحال المطران
اغناطيوس والاب بولس سنيور كاتب سره الى دار الحكومة . ثم

بثوا في تلك الساعة نفسها طائفة من الجنود في البلد يستدعون وجهاء
 الارمن الى ذاك المجهل الخبيث . فقبضوا في تلك الساعة النحسة
 على سبعة وعشرين رجلاً منهم نعوم وجرجس جناجبي واسكندر
 آدم وابنيه شفيق وغسطو وانطون كسبو واسكندر وفتح الله كندير
 وجبرائيل عين ملك وفرنسيس دقاق ويوسف ابنه وسعيد عشر وحننا
 مخولي ومنصور شقيقه وعمه بوغوص ويوسف ترزي وعبد المسيح
 آدم ونجله آدم وسليم عبراني . فشمّل القلق جمهور المسيحيين واستبهم
 عليهم الامر وباتوا يحسبون الف حساب ويستفسرون عن السبب .
 فكان الخونة يقولون لذويهم ان غداً يُطاق سبيلهم بعد استنطاقهم .
 وسحر الجمعة ٤ حزيران احتاط الجنود بالبلد وامروا المنادي
 ان يصيح " من خرج خارجاً قُتل " ولما بزغت الشمس انتشر الجنود
 والعسكر الخمسيني الحديث كالجزاد في احياء النصارى وفي الاسواق
 ونشموا يقبضون على من وجدوا من الاغنياء والوجهاء من جميع
 الطوائف النصرانية من دون تمييز حتى بلغ عددهم ستمائة واثنين
 وستين رجلاً فبحشروا طائفة في السجن وطائفة في التكنة حتى غص
 بهم كلال المحلين . وزادوا على ذلك اللوم والنفاق انهم اغلقوا
 الكوى والشبابيك والابواب اغلاقاً متحكماً حتى كاد المسيحيون
 يفتسون . وأنغمي على الشيخ يوسف جرباقه لضخامة جسمه فاستدعى
 ابنه ابراهيم البواب وفتح له ستين غرماً فأذن له ان يرقد عند الباب
 وقبضوا بعد الظهر على اثني عشر قساً ارمنياً وكبسوا دار الخوري
 روفائيل بردعاني واستاقوه بشراسة الى المحكمة وقبضوا على قسين
 آخرين من كهنة الديران الكاثليك وهما القس بطرس عيسى والقس

يوسف وعمارباشي

وواصل الجنود شغلهم يوم السبت ايضاً فجمعوا زهاء مائتي شخص في دار الراهبات الفرنسيات حتى اذا كان الغسق استاقروهم جميعاً اثنين اثنين الى السجن وكدسوهم فوق بعضهم

وفي اليوم ذاته هجموا كنيسة الكبروشيين وصادفوا دفترًا تضمن اسماء المشتركين في اخوية مار فرنسيس وكان عنوانه « اخوية مار فرنسيس » ففهموا بفرنسيس فرنسا وادعوا انها جمعية فرنساوية . . ما اشطروهم ؟ بل ما اخبث قلبهم . فاحتدموا غيظاً على رئيسها الاب ليونرد النبيل وقالوا له أنت إمام الجمعية الفرنساوية ههنا . انهض عاجلاً واتبعنا . فقام من ساعته وتبعهم

اما رفعة بن الشيخ افندي وغيره فأنسرّوا الى ممدوح وزملائه ان عند الكبروشيين والسريان الكاثليكين اخوية يسمونها اخوية الدم غايتها التأهب لسفك دماء المسلمين . تأمل يا هذا واحكم فأمرت لجنة التحقيق بالفتيش عنهم والقبض عليهم دون تراث فاذا الجنود تلك الخدمة على احسن ما يرام

وصباح الاثنين اوفدت اللجنة شردمة من الجند الى تل ارمن لالقاء القبض على وجهائها كي تستفسر منهم عن المضبطة الشيطانية الملققة القايلة ان سر كريس احضر الى كنيسة الارمن بماردين خمساً وعشرين بندقية وخمس بمبرات ؟ وعاد الجند الى البلد في اصيل ذلك النهار مستصحبين القس انطون احمراني وقوماً من الوجهاء . ولما وصلوا

الى سطح سوق الصياغ وهو احسن شارع في البلد امرحوا الكاهن
الورع ان يجثو على ركبتيه ويبسط ذراعيه ويسير هكذا راکماً ثم
ألقوا قلسوته الى الارض وامروه ان يضرسها باسنانه ويمشي ففعل
ذلك مصطبراً وهم يقهقهون ويذاطون ويشتمون ويشتمون . . .

يا شامتاً بنيتي ان المنيّة لم تفت
فلربما انقلب الشامتُ فحل بالقوم الشمت

ومما يستحق الذكر ان سعيداً قره كله السرياني الكاثوليكي
شخص صباح السبت الى كنيسة مريم العذراء وحضر القداس واعترف
وتناول القربان بخشوع . وكان يدق على صدره باكياً ثم استودع
اموره الى العناية الالهية وخرج الى بيته ووقف عند الباب وكان
كلما مر الجنود بداره استدعاهم وقال لهم هل اسمي مرقوم في
دفتركم . وظلّ كذلك حتى يوم الاحد فاستاقوه الى الككنة واضافوه
الى ساثر رفتهائه المسيحيين

وبلغنا كذلك ان الياس بن توما شيطر الشاب النجيب المهجة
سار الى دار الحكومة ودفع نصف بدله واما خرج استلمه البواب
واحدره الى السجن مكافأة له على المبلغ الذي دفعه

ويوم الاثنين سابع حزيران تبادر الى ظن لجنة الاشرار انهم
ان قبضوا على جمهور المسيحيين حصل هيجان في البلد افضى الى ما
لا تحمد عواقبه . ومن ثم فاستدراكاً للمسئلة ارتأوا ان يطلقوا سراح
جماعة السريان القديم ليطنوا الافكار ويقصروا عملهم الخبيث
على الكاثوليكين فقط فاستدعوا وجهاء السريان وتهددوهم
بالتنكيل والقتل ان ابوا دفع ما عندهم من الاسلحة الى الحكومة

فأكدوا لهم ان ليس عندهم شيء مما يتوهمون . فأسرّوا اليهم ان
يؤدوا مبالغاً للحكومة فتطلقهم فوعدوهم ببذل كل ما يفرضونه
وخرجوا من السجن بلمفيهم يدعون للدولة . وغاب على ظن السيد
جبرائيل مطران السريان الكاثليك ان اللجنة ستطلق ابناء جماعته
كما اطلقت اليعاقبة فرفع عريضة الى ممدوح وزملائه يستمنحهم العفو
فلم يكثرثوا لطلبه فالحب في السؤال والح في الاسترحام واستعمل
كل الوسائل فلم يجبه احد لا سلباً ولا ايجاباً . فتواجد الخبر الغيور
وعليه البكاء وبات متحيراً في امره

وما صنعه السيد جبرائيل صنعه المستر اندرس المرسل الاميركي
في شأن ابناء جماعته المسجونين فكان مثله مثل السيد جبرائيل فازم
غرفته ولم يتجرأ ان يعارض اللجنة بته

واتفق ان عاد في تلك الليلة الى البلد حلمي بك المتصرف
فاجتمع باللجنة وتصدى للمحاماة عن المسيحيين فلم يُعره احد منهم
أذناً صاغية فراجع الوالي في الامر فأتاه الجواب بعزله حالاً . وفوضت
الامور الى خليل اديب رئيس الجزاء حليف الخونة الاغرار

ويوم الثلاثاء اذ كان جرجس مطران السريان اليعاقبة والياس
دولباني قسهم وجماعة من وجهائهم في دار الحكومة قرع ناقوسهم
فابتدروا الى الكنيسة صغارهم وكبارهم فاستخبرهم الكاثليك عن
السبب فقالوا : علمنا ان الحكومة مرسله الجنود ليكبسوا الارمن

(١) من الغرائب ان يعاقبة ماردين لا يستعرفون الكاثليك سواء كانوا ارمناً
او سرياناً او كلداناً الا باسم ارمن او مقلوبين حتى انهم يسمون دير مار افرام
السرياني دير الارمن . ذلك لاتفاق الطوائف الثلاث في مسائل المعتقد والشرع
البيعي واختلافهم في الحساب القربوري

في دورهم ويفتكوا بهم . وبناء عليه رأينا ان نسارع الى الكنيسة
لئلا يُقضى على اليابس والطري ويعاقب المجرم والبري على حدسوى .
وهم لكذلك اذا بمطرانهم وحاشيته قد رجعوا فأمردهم ان يعودوا
الى بيوتهم دون توقف فعادوا

وبعد ان خرج رجال اليعاقبة من السجن شاكرين للحكومة
داعين لها بالنصر راح اقطاب الشر ينزلون العذابات بالرجال الكاثليك
فوافوا يوم الاثنين بعد الغروب بساعتين الخناجر في اوساطهم والعصي
والسياط بيديهم واستدعوا نعووم جناحي وعقلوا قدميه بالعقلة (الفلق)
وضربوه اثنتين وثمانين ضربة فتجلد عليها صابرا ثم اضطروه ان
يمشي وما وصلوا به الى راس سطح السجن حتى دفعوه الى اسفل
فتحطمت اعضاؤه فنهض المسيحيون الموجودون داخلا وحملوه وجعلوا
يسألونه ويعزونه

ثم نادوا انطون كسبر الى منقع العذاب فقال له ممدوح : كنت
تحاول يا انطون الخبيث ان تضبط البلد وتستحوذ على املاك المسلمين
ودورهم وتستولي على بساتينهم وحقولهم . فهلهم أعطك رغائبك .
قال هذا وامر نوري البدليبي فعقله وصفه اربعين ضربة بنيف .
فسألهم ان يعفوا عنه فيدفع لهم مهما طلبوا من المبالغ . فقال له
ممدوح لسنا بفتقرين الى دراهمك لكننا نزمي الى السلاح المخفي
عندك . اما اموالك واملاكك وارزاقك كلها فبقيت في حوزتنا
نتصرف بها كما نحب ونهوى . فان احضرت السلاح نجوت والا
هلكت انت وعشيرتك . ثم ان رئيس الجزاء قال له انخطر بك
يا انطون يوم وافى الى مخزنك خضر جابي يشتري جوخاً فقلت له .

هذا الجوخ لا يصلح لك يا خضر . اعلم ان خضر جلبي كان يريد
 مشري ذلك الجوخ ليلبسه العسكر الخمسيني المزمع ان ياخذ روحك .
 ثم ضربوه ضرباً وجيهاً على راسه وظهوره واخرجوه فطرحوه الى اسفل
 كنعوم جناحبي ثم جعلوه في المرحاض سبع ساعات يقوون احسب
 المرحاض كمخزنك ثم اختلى به نوري البدليسي وجعل يلاطفه
 ويستخبره عن كسبة ثروته ويعدده باطلاق سبيله . وقبل فجر الثلاثاء
 ٨ حزيران سار اليه البدليسي تكراراً وقال له قد فاوضت جمعية
 الاصلاح " الجهنمية " في امرك فقالوا انك لن تنجو من السجن ألم
 تدفع لهم السلاح . ثم انقلب كأسود صالح ونشم يضربه ويزيده
 الماء وينتف شاربيه . فكان انطون يعاتبه ويقول : أهذه نتيجة
 المحبة والصدقة ثم تركه البدليسي وانصرف وظل انطون يتمتذب
 ويتالم

وليلة الاربعاء ٨ حزيران استحضروا عبد الكريم باطري الارمني
 من الشكنة واعتقلوا قدميه وضربوه ١٥٠ ضربة وكانوا يعدون
 الضربات تشفياً ثم اخرجوه وقذفوا به الى اسفل . واستدعوا بعده
 مال الله شقيق السيد اغناطيوس مالويان وانزلوا به الضربات الشتي
 يلثون عليه في استحضار الاسلحة . ثم انتدبوا سعيد عشو البرتستاني
 واضطروه الى الاقرار باسماء المشتركين في الجمعية الارمنية . فقال
 لهم ان الجمعية ما انتظمت الا بعرفة الحكومة وكان رجالها
 يحضرونها . فلم يغن قوله فتيلاً فضربوه ضرباً عنيفاً بالعصي والمقارع
 ثم جروه كرفاقه والقوه من السطح الى اسفل . فانكسر ظهره
 وتعضعت اعضاؤه

ثم استدعوا اسكندر آدم واستنطقوه سرًا فظل صامتًا . فعلقوا
 حبلاً ضخماً في سقف الغرفة الجهنمية وأوثقوا قدميه فغدا راسه
 منكوساً وضربوه ضربات شتى ايما كان وتركوه كذلك بضع
 ساعات طبقاً لامر ممدوح . فلما ازداد اليه ووجعه انتدب نوري
 البدليسي ووعده ببلغ فيحل وثاقه ونزل به الى السجن وقبض من شفيق
 ابنه مبلغاً . وقبل النجر وافى اليه فارجه الى الغرفة واوثقه حتى
 يراه ممدوح حين عودته كما تركه

وصباح الاربعاء تسع حزيران وافى ممدوح وطاعة بن عبدي افندي
 فقال طلعة . اعلموا يا نصارى انكم اولاد حماره . ثم قال لاسكندر
 آدم اما تذكر يا اسكندر يوم لطمك والدي عبدي في القيصرية .
 أتريد انك حرية . خذ لك خرية . . قال هذا وطفق يضربه ويلطمه
 حتى تعبت يده الاثيمتان . ثم قال مستهزئاً مر ابنك غسطو عضو
 الادارة ليبادر وينتدك

وعند الظهيرة استدعوا سعيد ابن الوزير وطاقوا يضربونه اوجع
 الضرب وبلغ بهم النفاق الى ان صبوا عليه البترول وحرقوه ففاضت
 روحه بيد الرب العادل

ثم استدعوا الاب ليونزد الكبوشي واحتفوا به وجعلوا يلطمونه
 وينتفون لحيته ثم جلفوا اظفاره عن اصابه وعلقوه منكوساً زهاء
 ساعتين وتناوبوا في ضربه بالسياط والعصي ثم اخرجوه ودعوه دعاً
 الى أسفل . وكانوا يقولون له . ادع فرنسا لتستعجل في انقاذك
 من يدنا . صح بالراهبة لتاتي وتسليك . انتدب اصحابك ليخلصوك
 اما الاب الوديع فلزم السكوت مستودعاً امره بيد ربه . ثم احضروا

المقدسي حبيب دي جروه السرياني . وقالوا له اما تخطر ببالك يا حبيب
يوم أذعت على لسان النصارى أصحابك ان الروم عما قليل يصلون
الى ماردين وينقذونكم من ايدي المسلمين . اكتب لهم اذا
واستعجلهم على القدوم يا مغرور . فقد ساء ظنك وخاب املك ولم
يبق من عمرك سوى القليل . ثم ضربوه ولطموه وعادوا به الى محله
على هذا الاسلوب عذبوا الوجهاء والشرفاء . وفيما ذكرناه كفاية
لمن شاء الوقوف على الوان العذابات وهمجية الكفرة القساة
واصيل الاربعاء اقبل صالح البوليس الى السجن وفي يده جدول
الاسماء فأمر المسجونين فخرجوا خارجاً وجعل يقرأ اسم واحد فواحد
ويرده الى محله فقرأ تسعة وخمسين اسماً ولم يقرأ اسم بولس بن رزق الله
شوحا النجيب المهجة فاستفسره عن اسمه وكتبه في الورقة وانصرف
وما توقف ان وافى اثنان وقبضا على رقبته وذهبا به الى مقام جمعية
الاستنطاق المولفة من بكباش الجاندرمة ونوري البدايبي ومدير
البوليس وممدوح والقوم سير . فاستطلعه المدير عن اسمه واسم عائلته
ومولده ومملته . ثم قال له اتعرف التركية

— نعم

— اين تعلمتها

— في المكتب العثماني السلطاني التركي بدياربكر

— مذكم يوم انت مسجون

— مذ خمسة عشر يوماً وعند ذلك ابلسته الحشية واخرسته حتى غاب

(١) عن هذا الشاب وعن جرجس حكيم وجرجس حنجر وغيرهم ممن كان

في السجن نقلنا ما سبق من ماجربات العذاب

عن حسه . فأمهلوه هنيهة ريثما افاق . وكان سبب ارتعاشه نطقه
بمخلاف الواقع اذ كان قد أُلتي عليه القبض يوم السبت خامس حزيران
فلهم يستصوب ان يفيد المدير عن اليوم المرقوم لئلا يضيفه الى البقية
ثم قال له المدير اذا سجننت . أنت مجرم وما ذنبك

— سجننت لاني مكارى وعمري تسعة عشر عاماً فبدل ان يمضوا
بي الى القلعة مع رفاقي تركوني نسياً منسياً حتى اليوم
اما ممدوح فتناول جدول الاسماء العمومي وجعل يقلبه ويتصفحه
حتى قال ارى يا بولس شرحاً على اسمك مفاده انك كنت كاتباً في
الجمعية الهنچكيازية بماردين

— في اي زمان

— عام اول

— اني كنت اذ ذاك تلميذاً في المكتب السلطاني بدياربكر .
فاذا احببت الاطلاع على صفاتي واخلاقي سل شكري بك مدير
المكتب وهو اليوم بماردين يفدك عني وزد عليه ان ما في يدي من
الشهادات يُويد براءة ساحتي من هذه الجمعية اذ كنت مثابراً على
دروسي لا فرصة لي للاشتغال في امور خارجية لا توهمني

فتبسم مدير البوليس وامر الجند ان يرجعوا بولس الى محله .
وعند الغروب استدعاه احدهم وقال له هلم اغراضك والحقني .
فذهب به الى مقام الشعبة العسكرية فأمره الرئيس بالسير الى القلعة
وما كاد يدخلها حتى راى الجنود حاملين الحبال والسلاسل والقيود
منحدرين الى الشكنة والسجن . فبات ليلته في القلعة . واستحصلت
والدته في الغد الوثيقة فنزل واستاجر دابة حملها قمحاً وارسلها مع

رجل منصوراتي وبادر الى بيته واختفى خمسة عشر يوماً تحت الارض
لا يبصر نورا حتى هدئت نيران الثورة قليلاً فيخرج

الفصل الخامس

السيد اغناطيوس يُحاكم ويمذب ويسجن

ما وصل ممدوح وصاحباة الى دار الحكومة على ما وصفنا حتى
تألف المجلس وتألّب دعاة النفاق وارسلوا في استدعاء السيد اغناطيوس
رئيس اساقفة الارمن الى المحكمة . فقام من ساعته وتبع الجنود .
ولما دخل الردهة الفى الهيئة مستورين على الكراسي يتجهمون
ويزلقونه بابصارهم ولم يميكنوه من الجلوس كامس وما قبل فتحققت
لديه الخيانة والدسيسة واطرق ساكتاً لا ينطق حرفاً ولا يرفع طرفاً
فبدأوا يناقشونه ويطارحونه الاسئلة في امر البواريد والمدافع
والاسلحة المزعومة واوردوا له الاسانيد التي اعتمدوا عليها تاويداً لما
توهموا . فانكر عليهم الخبر الجليل مقاتلهم بتاتاً وقال لهم : ان
ما بلفكم عني وعن جماعتي ايفك محض فان صدقتموه واعتقدتموه فينا
فما جرى على غيرنا يجري علينا . والا فعلى ما يابوح لي انكم
تريدون لنا السوء عن غير علة . ذلك لمن اعجب الامور واغربها
فالحوا على المطران باستخراج المدافع وتسليمها لهم . فقال قلت
واقول هوذا الكنيسة ودار الطرنة وغرف الكهنة ودور وجهاء
الطائفة فتشوا ودققوا ما استطعتم عمقوا وحققوا جهدكم فاذا عثرت
فيها على شيء مما ادعيتم فلكم ان تنزلوا بي وجماعتي وبكل من
ينتمي الي اغلاظ النكال وافطع العذاب والا فما بالكم تقولون

الاباطيل وتناقضون الحق اليقين حال كونكم لا تجدون لنا جرماً
ولا ذنباً كبيراً او صغيراً

وما اتم المطران الشجاع كلامه حتى فار فائر الحضور ونهض
عرق الغضب بين عينيهم ومانقوا يرضجون ويصفرون ويقولون بل
عندك اسلحة تحاول ان تنصب الحكومة وتقاتلها . ولكن تربث
فسترى عقابك وعقاب جهاتك تجاه عينك

قال لهم المطران الباسل دعواكم هذه فرية بلا مزية فاني لم
اخالف الدولة في شي البتة بل دافعت وادافع عن حقوقها سرّاً
وجهرة واحامي عن صواحلها قدر الطاقة لاني منتم اليها وقد حصلت
على الفرمان الشاهاني والنوط العثماني من فضلها

قال له ممدوح اعلم يا هذا انك طبقاً لشهادة سر كيس ابن
طائفتك قد استحضرت صندوقي اسلحة الى كنيسة . ثم اخرج
مضبطة من جيبه ونشرها يقرأ فيها ان سر كيس احضر الصندوقين
الي غرفة المطران اذ كان الوجهاء والاعيان حاضرين فتناولوها شاكرين
لسركيس مشنين على همته . ثم تلا عليه اسماء الشهود المرقومة في
تلك المضبطة الازعومة كدرويش بن خضر افندي مدير تل ارمن وعبد
الرحمن القواس ومحمود عبدالو ونجم مدير بنك الزراعة وغيرهم

فدهش الخبر النبيل وتعجب وقال للحضور علي بسركيس والآن
فالمضبطة مزورة وتقولاتكم مرجمة . اما هم فأعادوا لمحامته عن

(١) هي المضبطة التي استنبتها دعاة الشر وكتبوها في تل ارمن وروى لنا غير
واحد ان منطوقها كان بويد ان مركيس حمل الى كنيسة الارمن خمساً وثمانين
بندقية وخمس بموت

نفسه وعن طائفته اذنا صما اذ كانوا قد سبقوا ففتكروا بسر كيس .
وجعلوا يتبصرون في تضاعيف جوابه . اللهم يحييون منه فلتة او
هفوة التمثيل به

فقال له خليل اديب وكيل المتصرف اعلم انه لا وافي اليك
سر كيس بالاسلحة وجد في غرفتك زعماء طائفتك الخونة كنعوم
جنانجي واسكندر آدم وانطون كسبو واخيك مالي فاستلمتم منه
الصندوقين ودفع له كل منكم ليرتين . فما لك اذا تخلط في الكلام
وتخني عنا الحقيقة

قال المطران البار . يا للغرابة قلت واقول لكم انكم اني غرور
فان هذه الدعوى ملوية معيسة لا اصل لها البتة

فاطرق ممدوح هنيهة ثم استتلى يمتج على المطران بلنه كان اماما
وقائدا للجمعية الفداوية يجرّض الجميع على الاشتراك فيها ويذب
عن حقوقها ويثير الشعب لمشتري الاسلحة والمناضلة والدفاع وقت
الشدة

فصرح له الراعي الامين بانه كان يناقض تلك الجمعية كل
المنافضة خفية وجهرة ونوه له بذكر الرسالة التي وجدت بين اوراق
السيد اندرياس مطران الارمن بدياربكر وفيها يصرح السيد اغناطيوس
باجلي بيان افكاره المخالفة لتلك الجمعية كل المخالفة

بيد ان براهين المطران الساطعة القاطعة لم تكن لتقنع الحضور
وتصرفهم عن كيدهم او تكسرهم عن مرادهم اذ كانوا قد
عجمجوا بالضعينة وتمالأوا على الفتك وما ابطأ ممدوح ان نهض من
كرسيه وشمر اضربه فقال للجنود الواقفين اسطحوه فسطحوه للحال

في صحن القاعة فتناول المخبزة ليصفهه

فقال له المطران البطل . مكانك يا رجل لا تتعدّ طورك فانه لا حق لك ان تجري معاملة كذا اعتدائية بمن استعرفته الدولة العلية بمثابة احد الائمة وانعمت عليه بنوط الشرف والفرمان .
قال ممدوح مستهزئاً : السيف يسد اليوم مسد الدولة وفرمانك لا يعني فتيلاً ونوطك لا ينفع شيئاً

فقاطعه احد الحضور وقال للمطران لا بدّ من التنكيل بك وجماعتك فان ما ابديت من الحجج باطل لا سند له . بيد اني دلالة على محبتي لك وشفقة على حالك ابذل لك نصيحة ان عملت بها نجوت من الموت وبقيت معزراً مكرماً محترماً في اعين جميعنا . وإن تلك النصيحة الا المجاهرة بالاسلامية والمناداة بالهيلة

قال المطران برباطة جأش . الاسلامية ؟ كلا معاذ الله ان اهجر ديني . هيهات هيهات ان اجحد مخلصي . اني يُتاح لي ذلك انا الذي ربيت في حجر البيعة الكاثليكية المقدسة ورضعت افويق تعاليمها الصافية وتضلعت من حقائقها الراهنة حتى غدوت دون استحقاق احد رعاتها . اني احسب سفك دمي في سبيل ايماني اشهى شيء لقلبي لاني عارف حق المعرفة اني اذا عذبتُ جأ لمن مات لاجلي غدوت من السعداء المغبرطين وفزتُ بروية ربي والهي في عليين .
فما لكم اذن الا ان توسعوني ضرباً وتعمواوا في الخناجر والسيوف والبنادق وتقطعوني ارباً ارباً فاني ان اجحد ديني اصلاً وقطعاً
فما كان من القوم الا ان ضجوا واشمعتوا وحولقوا وتشهدوا وحملقوا في الراعي ابصارهم واطبق احدهم كفه ولطمه قائللاً :

اهكذا استحقق ديننا في المكان الرسمي . والله اني لاعذبك اشد العذاب واذيقنك الموت الزوام . ثم ضربه بمدوح ضربات معدودة وامر الجنود ان يذهبوا به الى مكان الضرب والعذاب . فكان المطران تنهد عند ذلك وقال « اني اكابد في جسدي عذاب الضرب الاليم واما في نفسي فاني احتمل ذلك مسروراً [٢ مقاه]

وعند الليل اقبل نوري بن زلفو البديسي في الهيئة المذكورة آنفاً الى حيث كان الخبر الوديع فسدحه على الارض والقي العقلة في قدميه وضربه اثنتي عشرة ضربة . كان الخبر عند كل ضربة يصيح باعلى صوته ويقول « يارب ارحمني » ثم امره ان ينهض ويذهب الى المحل المعين له . لكن الراعي لوهن قوته لم يستطع الى السير سبيلاً فسجبه اولئك الاوغاد من قدميه على الحضيض سجباً عنيفاً فترضضت هامته المباركة وانخلعت اعضاؤه المقدسة فنادى يقول « من يسمع صوتي فليعطني الحاة الاخيرة » فسمعه القس بولس سنور وكان بالقرب من الشباك التحتاني وتلا على المطران صورة الحلة .

اما الخبثاء فتركوا المطران ملقى على الارض جثة هامدة وراحوا يستحضرون آلات العذاب ثم سارعوا اليه فجلفوا اظفاره عن اصابع رجلية واشفقوا على يديه لئلا يراها احد . وظل على تلك الصورة من صباح رابع حزيران الى العاشر منه يولمه اصحاب الذمة والروية والشفقة ويعذبونه . وكان يرى ابناء جماعته معذبين ويسمع نحيبهم وعويلهم فيبعث في افئدتهم روح البسالة والشجاعة وينشطهم ايقظهم الاخطار ويجودوا بالحياة القصيرة اسوة بمن ضحى لاجلهم بحياته الثمينة على خشبة العار

ومما بلغنا عن هذا الخبر المذكور في الخبر انه لم يجفل ولم ينزعج
وقتما كان يحذف به الاوباش ويهزون روسهم ويشاقونه ويبصقون
عليه ويسخرون منه واكدوا لنا ان احدهم قال له اخطر ببالك يوم
عارضت الحكومة واحتججت عليها في مسألة تلك النصرانية التي
كانت تروم ان تهتدي وتدخل في الدين المعدي . اذكر يوم
كنت تركب حصانك وتوافي الى دار الحكومة متمطرساً متبخترأ .
فقد حان لك الان ان تفتخر وتباهي . فان ايام حياتك وحياة
جماعتك امست معدودة!

ومما برح المطران الفيور يقضي ليالي السرد في السجن باسطاً
ذراعيه ورافعاً عينيه الى السماء يصلي ويبتهل الى الله ليخولاه النوة
والعضد له ولجماعته كأنه سبستيانس البطل فيقول : " اللهم اذك انت
الذي سمحت ببدء هذا العمل واليك مرجعه وبك منوط تسميه .
الا اظهر قدرتك فاننا في حاجة اليها . وأنعم علينا بجوارك في هذه
الآونة الحرجة فانا ضعفاء جبناء . امنن علينا ان نكون من انصار
دينك الذابين عنه المناضلين عن حقوقه . دعني انا عبدك الدليل ان
اشهر سلاح صليبك المظفر فتنهزم من امامي وامام جماعتي المحبوبة
ارواح الابالسة وتتدهدى في البلايع الجهنمية . اثنا البسالة والنجاة
واحظنا بروية محياك فانك على كل شيء قدير "

ومما يفطر القلب ويجرح الفؤاد ان والدة هذا الخبر العجوز البائسة
كانت تروم ان تشاهده فلا يتيسر لها . غير انه ليلة استياقه مع

جماعته ارسل في طلبها بعد استئذان الطغاة . فحدثها بكلام دُبح
 بالعدوثة والرقعة . وقال : يا امامه تيقني ان الله ربي ومخلدي لئلا
 هذا اليوم استبقاني . فبحقي ايك لا تحزني ولا تبتسى . لا تخشي
 ولا تكتئي . اعلمي اني غداً قبل الفجر اسير مع جماعتي على طريق
 ديار بكر ولست ادري ما سيحل بي وبهم . غير اني مستعد بمعونة
 ربي ان ابوء بدمي حباً لمن فداني . فهلمي الان اودعك . صلي
 لاجلي وعودي الى بيتك بسلام . اوصيك ان تبذلي النصيح والارشاد
 لجميع آلي ليقتفوا خطواتي فيثبتوا راسخين في ايمانهم ولا يخافوا
 هجمات العتاة ولا يكثرثوا لوعد الاعداء ووعيدهم — وعند ذلك
 اغرورقت عينا الام وابنها معا بالدموع السخينة وتوادعا بجزن وكآبة
 وعند عودتها اوصاها ان ترسل اليه حالا حذاء واسعاً ليقوى على
 المسير . ولم يستحسن ان يوضح لها ان الورم قد اثر في قدميه لسبب
 الضرب الشديد لئلا يزيد قلب الام ألماً ووجعاً

النصل السادس

المرسح او النساء ينقلن الطعام الى المسجونين من ٦ - ٩ حزيران

هلم بنا الان ايها الخل العزيز نتغلغل صفوف النساء والفتيات
 ونتقف خطواتهن لنرى اي موضع يقصدن . لا بأس ان نخلع
 الاحذية نظيرهن ونتأبط وعاء نجعل فيه شيئاً من الخبز والادام فاننا
 معولون على الذهاب لنشاهد اصحابنا المنكوبين ونواجههم في سجنهم
 ونفاوضهم ان تيسر لنا كي نشاركهم في غومهم ونسري عنهم
 شيئاً من همومهم فنخفف وطأة المهم ونطعمهم شيئاً من الغذاء ليسدوا

جوعهم ثم نعود

سر بنا الى شرقي المدينة حيث السجن ومنقع العذاب . الى
مقام حاكم البلد واعوانه واركون المظالم واحزابه . الى الثكنة
العسكرية لذي ثم ما حاق بابائنا واخوتنا واصحابنا وعشيرتنا .
ايانا والتائف مما نسمع او نرى في طريقنا فان في تسيارنا فائدة لنا
وتعزية لاحبائنا . لا يجمل بنا ان ندعهم وشأنهم ونأزم بيوتنا مختلفين
ولو قبض علينا نظيرهم وتجرأنا اكواب الضيم مثلهم . لانهم
انسائونا من لحمنا ودمنا شركائنا في ايماننا و معتقدنا وقد شاربناهم
واكلناهم وقمنا وقعدنا معهم فيجدربنا ان نشاعرهم ضيقهم وضحكهم
ايضاً اسوة بالاولاد الصالحين

حذار ان نعتق والدينا وآباءنا خاصة ونغفل عن مساعفتهم ما
امكننا او نفضل صوالحنا على صوالحهم فان ذلك ليس من شيم
البنين النجباء . اذن فلنشدد عزائمنا ونقرّ قلوبنا ونسر اليهم عاجلاً
يايتها النساء المسيحيات التفعن بالوشاح وحذار ان تحسرن الخمار
عن وجهكن . أقنعن الرووس واسرعن فانا مزمعون ان نخترق
صفوف الخصوم ريثما نبلغ الى المعلى المرغوب والا اصابنا ما لا ننتظره
ولكن . ما لي ارى الجنود ينهبون الطرق ذهاباً واياباً يقبضون
على كل من راوه ويستاقونه كالاسير المسكين صامتاً . الى اين
يمضون بهذا الشاب - الى الثكنة محل اصحابنا . فيها اننا قد وصلنا
اليها - عجبى ما للكوى مغلقة والابواب مقفلة ما للزوافذ والشبابيك
مرتبجة . قد عصت الثكنة بالرجال ويكادون ينطسون . ما هذه
الجلابة المخرئة . اسمع ضجيجاً ونحيباً . اشعربان الرعب مستحوذ

على قلوب جميعهم وقد ازدحموا ازدحاماً بحيث لم يعودوا يملكون
شداً ولا ارحاماً، ويتعذر عليهم الانتقال من موضعهم تكاد حيطان
الشكنة تتمد مرتجة من كثرة الضغط . كأن بيد كل منهم كأساً
يشرب ان يتحساها ويرتشفها . هوذا القسان يطوفون بينهم ويرفون
فوق هاهوهم كارواح ملائكية يشجعونهم ويبثون في نفوسهم شواعر
الحماسة الدينية وينشطونهم لقبول الاهوال والخوض في عباب الحرب
والقتال . اراهم يتناوبون بالحضور الى الكهنة يخر كل منهم عند
قدميه يقر بانامه ويندم على جرائمه طالباً الخل والمغفرة سائلاً الصلاة
والبركة

ها قد فُتِح الباب وأخرج منه شيخ وقور لعب البياض براسه .
الى اين يمضون به يا ترى . الى محكمة بيلاطس وهيرودس
قل يا نصراني اين السلاح . قل يا خان اين المدافع والقنابل
يا الله اي سلاح اي مدافع . لا علم لي . هذا اؤك محض . نفاق
بجت قولوا انكم مستشرقون على قتلي
اذا كان الامر كذلك يلزمك ان تؤدي مبلغاً كذا عقوبة لجسارتك
وجوابك او تنكر دينك

معاذ الله ان اكفر بديني واو ذقت الموت الاحمر . اني اوثر
خسارة ثل مالي وملكبي على انكار ديني
يا اللعنة . اسطحوه اضربوه انزروه الى السجن
ولكن صححوا دعواكم بنير الحجاج فأقبل عقابكم بالطر
الدعوى صحيحة وانت كذاب خراص
اين الشهود

لا حاجة اليهم نحن شهود

اذهبوا الى داري فتشوها

لسنا خدمة لك هات السلاح والا قتلتناك

ها هوذا قد خرجوا به وانزلوه الى السجن واغلقوا اياه

اليك شبالي الشكنة كبراء الحكومة والمنصبين وغيرهم ممن لا

اشغولة لهم قد رتبوا الكراسي ونضدوا المقاعد وتربعوا فيها او

خالفوا ركبتيهم . يتعاطون اقداح القهوة وبين يديهم النارجيلات .

كل يهز رأسه مستهزئاً ويضحك ضحكا حثيثا ويشمخ بانفه متبجحا

بينهم شيخ اعجبوا بالعمائم يقبلون طرفهم يمينا وشمالاً .

يصعدونه ويصوبونه في النساء الكذيبات كأنهم في روضة يجبرون

وفي قلبهم مراجل حقد وانتقام . يتوكفون الاخبار ويتجسسونها

وتتلاعب في مخيلتهم هواجس فاسدة شريرة يحاولون . شاهدة عدوهم

ليوقعوا به عاجلاً اسمعهم يعجبون ويفضجون ويقول هذا لذاك ليبتدر

النصارى الى السجن وليسارع المأمورون الى تعذيبهم وسوقهم وقتلهم

هوذا اتحد الوجهاء . قد لمح امرأة كان يود منذ امد طويل لو

يرى جمالها ليبثها بما في صدره من الوجد والغرام فيستغويها . قد قام

من موضعه ونزل مهرولاً يخطر بيديه ليصل اليها . أرى عيون اصحابه

مبثوثة نحوه وهم يتغامزون ويتصدونه ليعرفوا الى اين يمضي ومن

يحادث . فلما وصل الى السيدة الشريفة قال لها

مكانك يا سيدي مكانك ما لك حضرت على هذه الصورة

الى هذا المحل

.. قصدت مشاهدة قريني وابني

— لا تضطربي عما قليل يؤخذ اقرارها ويُخلى سبيلها

— بيد ان وجودها في موضع كذا لا يدع لي مجالاً للريب في

انها سيعذبان ويقتلان

— هيه . ليس الامر كما تزعمين فانه لا جرم لهما . سكاني

جاشاك ولا تقلقي . وهي انهما يساقان الى ديار بكر مع اصحابها

فانها سيعودان اليك دون تربث

— اراك تاتيني باخبار معصيات وحكايات ملويات وثلاثي بكلمات

لا نصيب لها من الصحة . والا فانزع الغل من صدرك واوضح لي

الحقيقة على جليتها

— قلت لك لا ذنب لهما فسيعودان . اذن لا توجلي ولا تتشعبك

المهموم لئلا تضعف قواك . فاني اخاف عليك . . . ولكن ما

لمحيالك قد تبدل وتغير اني بعد يومين اوافي اليك وارطب قلبك

واسليك

— خلني يا صاح وشاني وعليك شانك

غير ان صاحبنا حاول ان يكشف الامة بوجوده ويباحتها بوجه

في ذلك الوقت عينه ولكنه صبر النفس الامارة فراح يضر عليها

نية اثيمة وينتهاز الفرصة ليقترن بها سفاحا

ثم عاد الى محله واستوى على كرسيه مفتكراً في ايجاد الطرق

للفوز باربه فجعل اولئك القوم يطارحونه الاسئلة ليتحققوا اسم الامة

فلم ينبس بملوة ولا مرة

تباً لك يا هذا يا من اعمى الهوى قلبه وخسره رشده اعلم ان

الجنة اُزلفت للمتقين وُبُرت للجحيم للغاوين [سورة الشعراء] فان

بطش ربك لشديد

اما المرأة المسكينة فسارت بعد هذا الى الثكنة مضحية بالشرف والاعتبار حباً لقرينها وفلذة كبدها . ولما شارفتها تصدى لها البواب متمتراً وخرج ابيها رويتها . وازلقها ببصره النجس فالفى ان الحيا . قد صبغ محياها الوضاح فاسهب في الحديث كلاً بها وفاته انها امرأة حصينة كالغراب الاعصم لا ينالها عدوها الفاجر مهما جد واجتهد ثم اخذ منها الغذاء على ان يوصله الى ابنها وقرينها . فعادت المرأة الى بيتها مكسورة القلب

ولما كانت راجعة لجهها صاحب زوجها المزبور فلم يتالك ان يدع كرسيه ويودع صجبه ويتبع المرأة الحازمة ليشبع من جمالها حتى اذا اذنا منها جعل يلاطنها تكراراً ويعدها مواعيد عرقوب بنجاة بعلها وهو منتظر خروج زوجها من الثكنة مترصد قتله ليحوز بغيته . ثم سلك يده في جيبه كأنه يريد ان يعطيها شيئاً تودداً اليها فانهزمت من بين يديه وعادت الى بيتها حزينة قاطعة الامل من مشاهدة زوجها ونجلها

واذ كانت هذه المرأة الكئيبة راجعة سمعت اثنين يتخاطبان . فقال الاول الام انتهى امر النصارى الكفار المسجونين فقال له صاحبه الى ما احب وتحب انت . فانه لا بد من استياقهم سحرأ فاذهب اعد لوازمك وانا ابقى محلك لعلي اقع على شيء مما ترغب فتجددت آلام المسكينة ولسان حالها يقول :

ا اكد لنا غير واحد ان الغذاء ما كان يصل الى صاحبه لا مماحاً بالتراب او مزوجاً بالبصاق وغيره

لا مرجباً بغدي ولا اهلاً به . ان كان تفريق الاحبة في غد
 . ثم استودعت امورها الي ربها ومولاها مصطبرة وكثيراً ما
 رددت بمخيلتها ما قيل :
 يقولون لي اهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

الفصل السابع

سوق القافلة الاولى او مذبة الاربعانة والسبعة عشر شهيدا

كانت ليلة الخميس عاشر حزيران ليلة عصيبة . شوثومة نعق
 فيها بوم البين والحزاب فوق بيوت المسيحيين فشهدوا سهاداً ولم
 يعطوا جفونهم وسناً . واصلوا البكاء والندب . واستحوذ عليهم
 الهلع وشملتهم الحيرة واحتفت بهم فنون البلاء والشقاء رجع
 بعض النساء من السجن على ما وصفنا وهن حواد حفاة . واجتمعت
 كل منهن بمن بقي في بيتها واخذت تسكب الدموع السخينة على
 آها حتى احذل البكاء عينيها وقرح جفنيها

فكنت ترى في تلك الليلة السوداء . التاعسة جنود الظلمة ضاعدين
 الى القلعة ونازلين مهرولين حاملين اغلال الحديد والجمال الضخمة
 والزناجير الى السجن والشكنة . فكانوا يدعون زوجاً زوجاً ويربطونهم
 ربطاً محكماً لئلا يفرّوا من بين يديهم . يا للخبث واللامة ! . ثم
 افرزوا منهم الذين كانوا منضمين الى الجمعية الارمنية الزعومة
 واكلوا رقابهم بالاغلال وأوثقوا معاصمهم بالسلاسل . وتشاغل الخصوم
 بالربط والشد والغلّ حتى الهزيع الاخير من الليل . كذئاب هجمت على

(١) ما اوردناه في هذا الفصل هو حادث حقيقي حرجت علينا السبدة التي

خراف او بواشق انقضت على حمام او غورة نشبت برائتها بفرستها
 وبعده ان رتبوهم زوجاً زوجاً اخرجوهم من باب السجن
 والثكنة وتكوكبوا عليهم من كل صوب مشهرين فوقهم الاسلحة
 والسيوف وامروهم ان يلزموا الصمت التام . وبعثوا من فورهم
 مناديا ينادي في المدينة « من من النصارى خرج من داره مثل به
 وأضيف الى اصحابه » فساروا في الجسادة العمومية غلس الخسيس
 وبعدهم اربعمائة وسبعة عشر من اقليرس وشيوخ وشبان ارمن
 وسريان وكلدان وبرتستان ولما مروا في حي المسلمين خرج نساوهم
 النقرى يصخبن جذلات ويمترن المسيحين مستهزئات ويبرقن ويرعدن
 عليهم بالويلات وكان الاولاد يرمونهم بالحجارة ويسخرون بهم
 باعلى اصواتهم . ولما وصلوا بهم الى حي النصارى حجروا عليهم
 الخروج من بيوتهم فضلاً عن ان يتفاوضوا معهم او يودعوهم .
 فظل المسيحيون لازمين بيوتهم واقفين عند سدة السطح يكون
 ويعولون ويضجون بالابتهال الى الله ليخفف عنهم وطأة اعداء
 الدين وينتصف لهم من الظالمين . وكان قوم منهم يلحظونهم من
 النوافذ يريدون البلوغ اليهم فلا يتيسر لهم . فكانوا كمريم العذراء
 ترافق ابنها الحبيب الى الجلجاة . تشكو ظلم اليهود واعتداءهم على
 وحيدها البري

اما المسيحيون فكانوا يسيرون صامتين كطلبة قاصدين المدرسة
 او بالحري نظير فاديهم وربهم المحبوب لا يُسمع لهم صوت ولا
 تحتحة كأن على رؤوسهم الطير . ولما وصلوا الى باب البلد الغربي خرج
 كل من الرهبان الافراميين والمرسلين الاميركيين الى سطحي معيديهم

لينظروا اصحابهم النظرة الاخيرة ويقراوا عليهم آيات الوداع
فالمفهوم والحق يقال في حال كذبية مرعبة تجمد الدماء في العروق
وتلقي الرعشة في الابدان . والوعتاه ا لعمرى انه لا اصعب للعين
ولا اوجع للقلب من الوقوف في ذينك السطحين والنظر الى جمهور
المسيحين الموثقين فان المرء كلما حصل في احدهما والقي بصره على
تلك الجادة المنحوسة خطرت بباله مشية المطران النبيل والكهنة
الاجلاء والمسيحين الاعزاء وتذكر حالتهم المؤثرة فتجددت جراح
فواده وتنفصت عليه حياته فقال من ساعته :

الفصل الثامن

وقفة على سطح دير مار انرام

على رسلكم يا ليوث الحماسة وصناديد الشهامة رويدكم يا ابطال
السيد المسيح وبسلاء الدين القويم الصحيح . فاني اريد ان اشبع
ناظري من مشاهدتكم الحلوة واتلو عليكم كلمة الوداع الاخيرة
الوداع اذا يا حبر الكنيسة الجامعة ياسمي اغناطيوس النوراني
البطريك الانطاكي فقد مائلته بشجاعتك وستحاكيه عما قليل
باستشهادك . وكأني بك تقول لجماعتك السائرة امامك : اني لست
اشاء البتة ان يعارضني احد في نيل اكليل الانتصار بل احب ان
يوافقني الجميع في قبول النكال . لاني راغب كل الرغبة ان نموت
جميعاً حباً لمن مات من اجلنا وقضى على الصليب تشجيعاً لنا .

الوداع ايها الاقسى الابرار والشمامسة الاطهار . الوداع يا اجاويد القوم
وخيارهم فانكم حاكيتم قسوس البيعة الاولين وشمامستها المشهورين

وايتها المعظمين

لكن ما لي ارى الاوغاد قد قرنوا ايديكم في الاصفاد .
 ما بال رقابكم تنوء تحت ثقل الاغلال وقد اکتنفكم قوم من
 السفلة الاندال . اراكم مربوطين رباع وخماس وخصوصكم يضربون
 اخماساً لاسداس . عما قليل تفوزون بغايتكم وتحوزون جل رغبتكم
 وتشهدون وجه ربكم فطوبى والى فطوبى لكم . عما قليل يقضي
 الاعداء وطاهم وينزلون بكم سخطهم وغضبهم . ولكنهم سيلاقون
 ولا بدع تبعة حيفهم . وتنالون انتم جزاء ما تقاسون من جورهم
 ما لي ارى الجنود قد طاروا اليكم زرافات . واكبوا عليكم
 من كل الجهات . تتوقد في قلوبهم اللئيمة جمرات العدوان وتتلاعب
 في مخيلتهم افكار الكفر والطغيان . ارى سيوفهم محددة وقسيهم
 موترة . يحملون فيكم الابصار ويزجرون عليكم زجرة الليوث
 الضارية على الفرائس . ايشبعوا نهمهم ويبردوا غليلهم
 ارى امامهم نمدوحاً سود الله وجهه مختطاً سيف الغضب
 يتجرب اليكم ويسايركم ويملئكم بكلامه ويؤمنكم وفي قلبه
 تغلي مراحل البغضاء والنقمة لا خاف الله عليه ولا على تابعيه . عما
 قليل تلوح نبائنه وتنكشف خباثته عما قليل تعلن دسائسه وتنجلي
 ابازيره

اراهم يسوقونكم سوق الرعاة للحملان الوديعه ويقودونكم
 بعنف وشراسته الى المذبحة . هنياً لكم يا خراف السيد المسيح واولاد
 الايمان النير الصبيح . لله دركم يا ابناء الكنيسة الجامعة فانها تفتخر
 بكم وستذيع اسماءكم المباركة على مذابحها المقدسة

ارى السانتكم النقية تشغل بمفاوضة الغزة الصمدانية تنشى .
البارات الشجية وتلهج بالمزامير النبوية تشوقاً الى الفوز بالسعادة
السرمدية

كأني بقلوبكم تبرز العواطف الخفية تشوقاً الى التمتع بالعبطة
الابدية . وعيونكم شاخصة الى عرش الحمل الذبيح محذقة بتلك
الابهة الملكوتية . طيبوا نفساً فانكم عن قريب تفوزون بتلك
الناظر البهية والخاصن الشهية . لا بأس ان تعبتم وتوجعتم قليلاً
فستراحون وتمرحون وتطربون وتفرحون حيث لا خوف عليكم
ولا انتم تضرنون

ارى فتياناً ينهبون الطريق قاصدين البلوغ اليكم ليشبعوا
ابصارهم من رؤيتكم ويودعوكم . اسمعهم يصيحون قائلين :
يا ابت . يا اخي . يا عمي . يا خالي . الى اين انت راحل . الى
من التيتني . كيف تكون عيشتي بعدك ما سيحل بي على اثر بعدك
والسني عليك يا ابتاه واحسرتي يا اخي والهفتي يا آلي وآلوعي يا عشيرتي
ذهب الذين احبهم فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرين العيش لي فالعيش بعدهم حرام

عرفت ان العطش اذناكم والجوع اقيحاكم فها هوذا نبع
قريب به يتيسر لكم ان ترووا ظمأكم وتسدوا جوعكم اتقوا
على السير الى حيث يشاء العدو البت . ولكن هيات ان يدعكم
تأكاون او تشربون

ارى عصابة من الاكراد تتسلل اليكم من القرى القريبة وتغلق
عليكم وتنضم الى اعدائكم واذا بدت منكم التفاتة عربدوا

عليكم واستغفروكم بالعصي وهزروكم بالفؤوس . اراهم مدججين
 بالاسلحة حاملين الهراوى الضخمة كأنما خرجوا الى لص بسيف
 وعصي . . . ولكن هذه ساعتهم وهذا سلطان الظلمة [لو ٢٢]
 اراهم تشارهوا واستكلبوا على ما عندكم من ذهب وفضة وثياب
 والبسة حتى فاقوا اخوانهم الابالسة بالشيطنة والبيلسة . فقتاروا الوفاء
 والمروة واحيوا الجفا والقسوة . يارباه بعينك تنظر ذلك وتعاين
 مجازاة المنافقين [مز ٩٠]

ارى الوالد وفائدة كبده موثقين يفتلسان النظر ولا يتجراً هذا
 ان يحدث ذلك مخافة ان يضرب او يُلطم او يُصفع . ارى
 الشقيق وشقيقه وهما في شرح الشباب تحتلج في صدريهما لواعج الحب
 ولا يمكنها ان ينبسا ببنت شفة

ارى الراعي وقسانه متلوفين الى العراق منشوقين الى القتال
 ليبلغوا عاجلاً الى الرباء . سيروا على بركة الله سيروا في حرزه
 وصيانتته فانه رفيقكم في شدتكم وظهيركم في بايتكم وهو
 متأهب للاخذ بيدكم واحقاق حقكم

ارى ما بينكم شقيقاً محبباً اسمه يوسف احاول البلوغ اليه
 لاعانقه وابنه لواعجي . اود لو اتيح لي ان اتغافا الصفوف واخترق
 جماهير الخصوم واصل اليه فاضمه الى صدري واودعه او اخطفه من
 برائن البزاة الطغاة واو تجرعت لسبب ذلك اكواب الشتام بل كاس
 المنون . لاني عالم انه عما قليل سينزع عنه قميصه ويُطرح جسده في
 بئر عميقة ناكزة ويوثى بذلك القميص مغسواً بدمه . فاست امزق
 ثيابي وان اشد المسح على حقوي واكفي أنرح عليه مدة ثم ارطب

جراح قلبي واتعزى بانه صار لي شفيعاً لى مخلصي وانضم الى
طغمة الابرار في السماء

الا يا زمني لا تنسيه حتى افارق عيشتي وازور رمسي
فلولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل اخي ولكن اسلي النفس عنه بالتأسي

في هذه الجادة التي تقطعونها اليوم راجلين حفاة خائفين كنتم
قبل زمن وجيز تمتطون صهوات الخيل الجياد قاصدين الحداثق الغناء
والجنائن الفيحاء ترويحاً للنفس من متاعها وملتصاً من نواب الدنيا
ومصائبها . اما اليوم فقد غدوتم هلكى من التعب خائري القوى
حتى حال جمال طلعتكم واكدت بهاء صورتكم . ولكن كونوا

على يقين انكم اليوم تبلغون جنات النعيم حيث لا هم ولا كدر
قبل ايام كنت اراكم سائرين في هذه الطريق افواجا تتجادبون

اطراف الحديث جذلين وتتعاطون اقداح الفرح مبتهجين . اما اليوم
فقد علت وجوهكم شارات الاكدار ودبت في افئدتكم عوامل

الارتعاش وانتم صامتون ساكتون كأن على رؤوسكم الطير .
ولكن ابشروا فان ضعفكم سيؤول الى القوة وحزبكم الى

التغزية والسلوة

اما ترون تلك القاعة القريبة الشامخة قلعة اقرص الباذخة .

هناك آخر مرحلة تقطعونها في ارض هذه الدنيا الخون . هناك

ستلفظون الروح بيد ربكم وفاديكم الرؤوف الحنون . هناك

ستفجر دماؤكم كينبوع ماء زلال وتفوح من اجسامكم روائح

كالعند والحرام

تبصروا في قلعة زرزوان فستضحى يوما معهداً مقدساً يقصده
ذوكم الاعزآء واصدقاؤكم النجباء فيطيبون السنتهم بذكركم
الحلو ويتحمسون في الثبات على ايمانكم ويهنونكم بظفركم وانتصاركم
اشعر بان قواكم قد خارت وبنيتكم النحيفة انُهكت ولم يعد
في امكانكم التسيار . ولكن ربي قادر ان يعيد لكم القوى
ويجدد فيكم الشجاعة فان اجلكم قريب

سيروا اذن في عقبات الضيق الكوؤود سيروا بالرغم عما نالت
اقدامكم من الضرب الوجيع . عما قليل تصلون الى شيخان حيث
المياه الطيبة والاعشاب الغدقة والاشجار الياضعة الباسقة والثمار الناضجة
ولكن هيات ان يدعكم العدو تتمتعون بمشاهدتها او تلتذون
بمذاقها

في طريقكم بئر جرور فيها ستلقى جثثكم المباركة وعليها
سترف ارواح الملائكة . ستغدو تلك البئر كالدياميس الرومانية
مزاراً للامة المسيحية . كونوا على ثقة انه ساعة قتلكم تحصل
لكم قوة غريبة سماها نطس الاطباء النعشة الاخيرة وسيذرعكم
ربكم خوذة البسالة لتقهروا خصومكم . واذكروا ان الذي
ينطلق ذاهباً باكيا وهو حامل بذراً يزرعه سيرجع قادماً مرغماً وهو
حامل حزمه [مز ١٢٥]

لقد أعجبني صمتكم على شدة عنائكم واذهلني مسيركم على
كثرة اوجاعكم . لعمرى اي افكار تخالجم . فقد اثكلتم
امهاتكم وأيتم نساءكم ويشتم اطفالكم وكسرت قلب اعزائكم
فامسوا يعولون على فراقكم ويندبون حالهم وحالكم . الاسلام

على تلك القدود الرشيقّة والقامات اللطيفة سلام على تلك النفوس
 الطاهرة والاجسام الممزقة والعظام المجردة . والاكباد الملتعبة
 لقد كنتم لنا جدلاً وانساً فهل في العيش بعدكم انتفاع
 تيقنوا انكم كدرتم عيشتنا وصدعتم افندتنا وابكيتم مقلتنا
 وتركتم دورنا بلقعا ينادي فوقها بوم الخراب . الا سُلت عين قاتلكم
 وعميت عينه ويبست ذراعه وهبطت الى الجحيم روحه
 كأني بكل منكم يقول وهو ظاعن . الوداع يا وطني المنكود
 الحظ فان السماء والارض شاهدتن لنا بان مقتصيك اهلكونا ظلماً
 الوداع يا امي المسكينة وقرينتي الحزينة وعروسي الكثيرة . وداع
 لا اجتمع بعده . الوداع يا اطفالي اليتامى واخواني المحبوبين . الوداع
 يا آلي واصحابي وعليكم السلام

الفصل التاسع

مذبحة النافذة الاولى

سار المسيحيون موثقين أربعة اربعة وخمسة خمسة و كان القسان
 والمطران مربوطين اخر الجميع والجنود محيطين بهم احاطة الطوق
 بالعتق وهم مدججون بالاسلحة متنطقون بالبواريد مترزون بالرخوت
 والله وحده يعلم ما كان يلعب في دماغهم الخبيث من الهواجس
 والافكار . اذ كانوا قد شروا عن قدم وساق وفوقوا لهم اصوب
 السهام وكانوا يجرسون بهم ويجرقون عليهم الارم ويضربون كل من
 لا يالحق رفيقه سواء كان كهلاً او شيخاً او مريضاً او جريحاً او مصابياً
 باي داء كان

اما المسيحيون فكانت قواهم خائرة وعزائمهم واهنة لشديد ما
كابدوا من السغب واللغوب اثناء اقامتهم في السجن فتعذر عليهم
من ثم الاسراع في المشي . وتبادر الى ظنهم انهم عند بلوغهم الى
العين يستريحون هنيهة ويشربون جرعة ماء . غير ان الختم استعجلهم
على المسير فظلوا يلوبون على الماء فلم يسمح لهم . اما ممدوح واعوانه
الخبثاء فسقوا دوابهم وتبعوهم

وما تلبج ضو الصبح حتى نشموا يفرزون الشيخ والعاجزين
وينحونهم عن البقية ويبعدونهم الى محل قريب فيعرفونهم وياخذون
اسلابهم ويقتلونهم ويعودون

ولما ذنوا من عين عمر آغا استدعى منهم ممدوح بضع عشرة
وأوهمهم انه يريد الرجوع بهم الى بيوتهم لانه على قوله تأكد عنده
صدق امانتهم فسيرهم في عصابة من الجند الاوغاد الى قلعة قريبة
فعرّوهم وذبحوهم ورجعوا

ثم استدعى غيرهم وعلق يعنفهم على خيانتهم للدولة ويخبرهم
في المناداة بالاسلامية والا فينزل بهم افدح العذاب وينذبحهم .
اما هم فنبدوا قواه وصرّحوا بانهم لن يجحدوا ايمانهم معها كلفهم
الامر فبعث بهم الى اقرص في شردمة من الاوباش حتى اذا وصلوا
بهم الى قمة الجبل اشرعوا فيهم السيوف والخناجر وعرّوهم
وقصبوهم وهرسوهم اعنف هرس والقوا جثثهم في بئر هناك ناكز
وعادوا ادراجهم ولحقوا القافلة واذاعوا ان قد اوصلناهم الى بيوتهم
امين مطمئن وسرّ بهم اصحابهم واتحفونا بهدية شاكرين . اي
ولعمري انهم اوصلوهم الى دارهم الحقيقية الابدية وهش لهم

ملائكة السماء اصحابهم . وقدموا لقاتتهم هدية ثلاثهم . سود
الله وجه كل كذوب . وقد جاء في سورة الصف « كبر عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون »

اما ممدوح فبعد ان نحى اولئك المسيحين وبعث بهم الى البئر
استدعى فيئة اخرى ونتم لهم الاكاذيب وافتن عليهم بالحكايات
وعرض عليهم الاسلامية فنفروا من كلامه اي نفوز فأوفدهم كمن
سبق في زمرة من الاندال فمضوا بهم وعذبوهم وقتلواهم واخفوا
ثيابهم وقفلوا كعادتهم الحميدة راجعين كاذبهم لم يفتعلوا شيئاً
وقد قيل

لا يكذب المرء الا من مهنته او فعله السوء او من قلة الادب
وصاروا كلما افرزوا منهم جمعاً أبعدوا بهم وقتلواهم ورجعوا
واجروا ذلك في كل مرحلة حتى بقي نصفهم وهم يكذبون ويفترون
كانهم ان منعوا من الكذب انشقت فرارتهم . واعدلوا انهم لا
يمدوحن يداً على احد منهم ريثما يوصلونهم جميعاً الى رشيد الخبيث
ليحاكهم فان وجد عندهم خيانة زجهم في السجن والا سرحهم
واعادهم الى منازلهم سالمين

غير ان السيد اغناطيوس النبيل اكتشف على الكيدة وشعر
بالحيلة وتحقق ان الذين فصلوا من القافلة قد قضي امرهم وأهدر
دمهم وراحوا ينالون ثوابهم . ومن ثم استدعى ممدوحاً العملاج
راس اولئك المنافقين الاعلاج وقال له ما عاد يتيسر لك ايها المداجي
ان تخني علينا ابازيك مهما جمهرت علينا الاخبار . فقد تاكد عندي
ان خرافي بأسرهم قد قتلهم اعوانك بأمرك وما بقيت منهم عين

تطرف . بناء عليه لي طلبة اعرضها على جنابك راجياً من كرمك ان تاذن لي في انجازها ذرني اجتمع باولادي هنيئة من الزمان وابشهم لواعيج فوادي وابلغهم كلمتي الاخيرة . وبعد هذا لك الحرية ان تفعل ما ترى . فأمر ممدوح اعوانه ان يتنحوا عن المؤمنين ساعة فوجئا الحبر الباسل وأقسته وجماعته على الارض ورفعوا اكف الادعية الى رب الصباوث ملتسبين منه النجدة والمغوثة : فكان كمالك مرجب يكتفه جيشه الامين ويصفوا اليه بمزيد الحب والشوق

ثم اضرم في فوادهم جذوات الحماسة الدينية واستنهضهم ليخوضوا غمرات المنون دون وجل وتناول كسراً من الخبز تلاً عليها الكلام الجوهري واعطاهم الحلال الاخير والغفران العام وناولهم السر الاقدس ليؤيدهم في الايمان ويقويهم على احتمال العذاب . ثم باركهم وقال لهم : لا تخافوا العدد والعدد ولا تهابوا الوعيد والتهديد . استبسوا في سبيل دينكم واستقتلوا حباً بربكم واشتروا عذاباً زمنياً طفيفاً بغبطة سعيدة مؤبدة . قال هذا والتفت الى ممدوح يقول قد انتهت العمل فاصنع ما راقك واعجبك

وبلغنا انه اذا كان المسيحيون جثياً ركعاً يناجون الله مولاهم باخبات هبط عليهم غمام نوري غطاهم اثناء الصلاة وفاحت في تلك البقعة روائح زكية طاب عرفها وحلا شذاها مما لم يستنشقوا مثلها قط ولاحت على محياهم انوار عجيبة باهرة استلقت ابصار القساة الواقفين واكنها لم توثر في انفسهم لشديد حنقهم واسترسالهم في الخبث . على انهم كما اقرؤا على انفسهم لم يروا في غابر حياتهم ولن يروا ايضاً روثية كذا عجيبة غريبة . ثم ان المسيحيين وراعيهم

واقستهم ابتسمت ثغورهم وعلت سمات الجلال جباههم واحسوا
بتجديد قواهم ورقصت انفسهم طرباً وُخيل لهم انهم في نعيم النباه
يجرون وقد ثلوا بجميعا الغرام نحو فاديهم المرف الخنون . وما
انهورا صلاتهم حتى تقلص عنهم النعام و كأن كل واحد منهم كان
يناجي نفسه ويقول لها

يا نفس كوني عن الدنيا . بعدة وخلفيها فان الخير قدامي

ثم ان الاعداء الذين خيم على قلوبهم ظلام الضلال والغواية
انفجروا كالذئاب على اولئك الخراف الودية واستاقوهم الى الحف
قلعة زرزان فعروهم من ثيابهم واستفرغوا كل الطاقة في تنكيلهم
ثم مالوا عليهم ميلاً شنعاء وقتلوهم عن بكرة ابيهم ولم يفرطوا
منهم نافع نار فتضرجت اصداؤهم بدمائهم الارجوانية وتضجعت
عظامهم بالاطياب العطرة الزكية وتبللت الارض بقطرات دمهم النقية
ولم يبق من اولئك الشهداء البسل سوى امامهم الحبر القديس

فجعل يلح عليه ممدوح ليطاعه على دخيلة امره ويفيده عن مخزن
الاسلحة والمدافع . فقال له الحبر الشهم اراك يا ممدوح تجهل او
تجاهل اني قلت واقول الحق ان لا اثر ولا صحة لما تزعم انت
واصحابك . فهيا افرغ في كاس سيخطاك وألحقني باولادي سريعاً
لاشاهد حيلة زفافهم واشترك معهم في افراحهم ولا يفتك اذ يشق
علي جدا ان ينالوا اكليل الجدد درني ويدعوني في هذه الدنيا الغرور
وحدي . فالبدار البدار اضربني عذبني اذبحني اصلبني واهمر غصن

(١) أيد هذه الرواية جماعة من الجود والاكراذ ونقاوما خاصة للنصارى

الذين اسلموا حديثاً

حياتي فلا اعود ارى وجهك ووجه امثالك
 فصبر ممدوح نفسه وكظم غيظه وراح يكمل منترض دينه
 فقال المطران الجليل اما بودك ان تجاهر بالاسلامية . فقال له
 الراعي : عجباً تكرر علي السؤال وقد اجبتك غير مرة اني احيا
 واموت على اناي القويم وليس لي ان اتباهى الا بصليب ربي الكريم
 فخرج ممدوح اضراسه واخرج مسدسه واطلق الرصاص على
 الشهيد حتى فاضت روحه وهو يقول « اللهم ارحمني في يديك
 استودع روحي »

على هذا الاسلوب قضى هولاء الاربعمائة والسبعة عشر شهيداً
 في قنن الجبال وبطون الوديان كشهداء النصرانية الاولين الذين زينوا
 الكنيسة الجامعة باكاليلهم الدوية وانتصاراتهم على القوات الجهنمية
 وتم استشهادهم في العاشر والحادي عشر من حزيران ١٩١٥
 لعمرى ما مثل هذا الحبر البار وقساذه وجماعته الافاضل الامثل
 كوكب الصبح بين الغمام او البدر ايام التمام او الشمس في رابعة
 النهار او الزهرة بين الاشجار او الزنبقة على مجاري الانهار « ليكن
 ذكرهم مباركاً ولتزهروا عظامهم من موضعها وليتجدد اسمهم ويمجدهم
 بنوهم [سيراخ ٤٦]

من لي بجناحين فاطير وارف فوق هولاء الصناديد واجمع دمائمهم
 جمع لآل نفيسة ودرر يتيمة واكثرها في حنجود او سفظ ذهبي اضعه
 في احد المعابد كمشكاة تنير من رآها فتبعث فيهم الاشواق

(١) اردد بشو السراج غير مرة بتباهيا بانه بعد ان قتل ممدوح السيد اغناطيوس
 الشهيد قبض هو على لحيته واسئل خنجره وضربه في نرقوته تنقياً ثلاث ضربات

وتذكرهم بغلبة الاحياء والاصحاب وتدفعهم ليقصوا آثارهم . ليتني
احصل على رجال افاضل يسرون معي الى تلك الجبال وينحدرون
الى الآبار فيجمعوا تلك الاصداء في صناديق ثمينة ويحضروها الى
الكنائس لتصان فيها للذكر الطيب الخالد.

الفصل العاشر

تأنيقات القنلة الحونة من مصير القافلة الاولى

ان ما اسلفناه عما جرى لشهداء القافلة الاولى الامجاد رواه انا
جملة من المسلمين الثقة ممن يركن الى قولهم ويعتمد عليهم . بيد ان
الحونة الحراسين حاروا كيف يلفقون الاخبار ويموهون الاحاديث
ليحجبوا عنا الحقيقة اذ كانوا قد اقساموا بالطلاق الثالث وهو افطع
واغلظ قسم عندهم وحلفوا بالمحرجات ان يكتسوا عنا الامر .
بناء عليه جازا بالصقاري والبقاري واوردوا الغاطا ومعسات شتى
استدل منها كل خبير على خبيث نياتهم وكثرة تفنناتهم في فتق
الحيل واختراع الاكاذيب . فقد نقلوا لنا عن السننهم مئين من
لهطة الاخبار نورد منها على سبيل المثل ما سمعناه . فقاتل انهم
ساروا آمنين مطمئنين ووصلوا الى ديار بكر السوداء صاغين سالمين .
وقاتل ان مسلمي القرى المجاورة اولوا لهم الولايم واستقبلوهم بحفاوة
حتى ديار بكر . وقاتل انهم حين وصولهم الى شيخان اتقض عليهم
الانكليز والفرنسيس في ثلاثين طياراً واختطفوهم وذهبوا بهم الى
بلادهم . وقاتل ان الدولة وزعتهم في البلاد اثلا يرسلوا الدول

العظام ويدعوهم للاستيلاء على الاراضي والاملاك . وزاعم انهم
 وضعوا في قرى سويرك ليشتهروا في السكة الحديدية . وكاذب
 انهم موجودون في الثكنة العسكرية بدياربكر لا يجوز لكائن
 من كان ان يواجههم . وملفق انهم بعثوا الى بلاد الشام والحجاز
 او الى نواحي العراق وغيرها من البلاد . وان الشيوخ منهم توفوا في
 الطريق ولم يبق سوى الكهول والشبان . وان السريان والكلدان
 والبرستان قد أفرزوا من الارمن وارسلوا الى احد البلدان . بل
 ان ممدوحاً نفسه اكد للسيد جبرائيل مطران السريان انه قد قتل
 جميع الارمن وذهب بالسريان والكلدان والبرستان الى بلدة لا يجوز
 له ان يقول اسمها لئلا يجرمه ملاء ؟ تنف للخداع والتدليس

وانشرت هذه التلفيقات وذاعت حتى صدقها الكثيرون على
 ان السيد جبرائيل تبوني مطران السريان جعل يستخبر ويبحث عن
 محل اقامتهم ليتيسر له ان يبعث لهم شيئاً من الذهب لمعيشتهم .
 فكتب في ٢١ كانون الثاني ١٩١٦ الى الشاب النجيب ملكوف
 حبيب دي جروه رسالة اليك نصها

« جناب ولدنا الحبيب ملكوف دي جروه حرسه المولى
 » بلغنا ان مسلماً مهاجراً مرّ بنواحي سروج ورأى بعينه رجال
 القافلة الاولى ولم يعرف منهم سوى عزيز شاميه السرياني وجليل
 خرموش الكلداني وهم موجودون في محل حصين يقال له « قوم
 قشله سي » وقد واجههم المهاجر المذكور وحادثهم فقالوا له اننا
 مفتقرون الى شهادة توذن باننا سريان او كلدان فننجو من السجن
 لا محالة . واعلم يا ولدنا العزيز ان هذا الخبر ذاع وشاع وصدقته

المسيحيون . وبناء عليه كتبنا هذه الرسالة وسيرناها اليك مع الساعي
والقينا على عاتقك الاهتمام والفحص عن هذه المسئلة الخطيرة . لنقف
على جاية الامر

« فانهض ايها الابن الحبيب للقيام بهذه المصلحة المهمة جداً الان
حياة كثيرين من جماعتنا منوطه بها . ونزغ ان تصرف كل جدك
وجهدك وتسعى السعي الحثيث غير مبال بالتعب والنفقة والخطر ريثما
تتحقق الخبر . ومتى وصل اليك حامل كتابنا اعد له ما يلزم
وارسله الى « قوم قشله سي » للبحث والتنقير . ونزغ ان تستفسر
انت كذلك عن رجال القافلة الاولى وعن محلهم وعددهم واسمائهم
البح فان اصبت الغرض تيلنا « صحتي جيدة » فنفهم من ذلك ان
رجال القافلة الاولى هم في قيد الحياة . وبعد هذا ارسل الينا مع
الساعي التفاصيل الوافيه

« واعلم يا ولدنا النجيب ان والدكم المقدسي حبيباً العزيز هو
من جملة الرجال الذين نفتش عنهم . وعهدنا بنشاطك واقدامك
وحذقك انك ان تقصر في البحث والتفتيش فتكسب بذلك ذكراً
طيباً واسماً حياً وجباً خالصاً وتؤدي اجل خدمة لطائفك السريانية
وتغدو من افضل الابناء البررة وتحوز الشرف والاعتبار . هذا
واننا ندعو لك بالتوفيق الصمدانية حرسك المولى من كل اذى
وخطر »

والا وصل السفير الى محطة عرب بنار دفع الرسالة الى ملكوف
دي جروه فتصفحها ملياً واعمل الروية في كيفية البلوغ الى الغرض
المطلوب فألى على نذسه ان يقتحم كل خطر ومشقة ويبذل كل

صعوبة ومخاطرة في طلب الرجال المسيحيين ولاسني والده
 فقصد صديقه عبد القادر الجرکسي وقال له بلغني ان في قري
 سروج رجلاً نصرانياً هو من اعز اصحابي فاروم ان استخبر عنه
 واقف على موضع اقامته . وارغب اليك ان تسير معي للبحث عنه
 فتوليني بذلك منة كبيرة لن انساها لك ما حيت . فاستشار عبد
 القادر الجرکسي باصحابه واعد جوادين ركب هو احدهما وركب
 الاخر ملكوف وغادرا المحطة وتوغلا في برية سروج يبحثان
 عن الرجل

غير ان ملكوف ما كذب ان اسر الى صديقه الجرکسي انه
 شاب مسيحي وان الذي يفتش عنه هو ابوه . فبهت الجرکسي اذ
 كان يظنه مسلماً . واما رأى شديد حزنه ومزيد قلته حلف له
 بالله العظيم وجمع الى اليمين بالله يمينا بالطلاق واكد له انه يجول معه
 ويساعده بكل طاقته ريثما يحصل على النتيجة . فجعلا يقطعان الطرق
 ويسألان عن موضع العملة حتى انتهيا الى تل حمر بالقرب من الفرات
 وصادفا جملة من العملة كان اغلبهم من بلاد ارمينية . ثم قصدا
 « قوم قشله سي » فامر ذلك الجرکسي ان يخرج الذين بها ليراهم
 ملكوف فخرجوا فلم يصادف احداً ممن يطلب

وافضت المحبة بعبد القادر الى ان استحضر كل من كان يشتغل
 في تلك النواحي واستعرضهم امام ملكوف عله يجد بينهم والده .
 فغاب امله ولما ملّ التفتيش والتنقير عاد الى المحطة وظل القلق
 مستحوذاً على الشاب النجيب فبات ليلته تلك ساهداً لا يدري كيف
 الوصول الى الغاية . فكرر التوسل الى صديقه فقصدت فقدت العملة

ثانية وثالثة فلم يجد احدا ممن يطلب . فعاد الى محله مأيوساً
وكتب الى المطران ان ما بلغه لا اثر له البتة - فانجلي له ان احاديث
الخصوم في ذلك الشأن مسرجة مختلفة

وقد حدث مثل ذلك للقس اسحق ارملة فانه في ٥ تشرين
الاول اي بعد القافلة الاولى بنحو اربعة اشهر كتب اليه القس
جبرائيل احمر دقنه نائب بطريك السريان بخربوط رسالة برقية بالتركية
هذا شرحها « اخوك في نواحي خربوط ابعث له دراهم » ولما طالع
الرسالة شمله السرور واذاع الخبر فاقبل غير واحد وهنأوه يعتقدون
ان ذويهم ايضاً اجيء . ثم ان القس اسحق كتب الجواب الى
النائب المومي اليه ان « ادفع لآخينا يوسف ما يحتاج اليه . التفصيل
بالرهد » وبعد هذا كتب اليه رسالتين في الصدد عينه فوافاه الجواب
يصرح له بنص الرسالة البرقية وهو « الياس بطروسي يرغب ان تعلمه
عن والده وذويه . قل لهم ليكتبوا ويطمنوه » فاستنتج القس وغيره
ممن اطلع على الخبر ان المأمور بدل النص ليدخل الوهم عليه وعلى
النصارى . فتأمل

وبلغنا في هذه الايام الاخيرة از نحمد اجيج الحروب وزالت
ويلاتها وأعتق العالم من المظالم والشقاء ونهضت الدول المظفرة تعقب
على الجناة راح سعاة الشر والقتلة يعملون الفكرة في استنباط حيلة
وايجاد وسيلة لينفضوا يدهم مما اجترموا فلانقروا على ما بلغنا مضبطة
كجاري عادتهم ادعوا فيها ان السيد اغناطيوس بعد ان سار في
قسانه وجماعته آمننا مطمئناً ووصل الى شيخان صحيحاً سالماً استحضرت
عشياً مزجه بالسهم الزعاف وقدمه للجنود الحفظة فاكلوه على غرارة

منهم فأصابهم الموت الزوأم . فاحس من تبقى منهم بالدسيئة
فنهضوا مسرعين ليثروا من الرئس والمرووسين فانجفل المسيحيون
وتقطعوا طرائق وتفرقوا خزائق . فاطلق الجنود عليهم البنادق فلم
يصيبوا منهم الا نفرًا يسيرًا اما عامتهم ففرّوا الى الجبال وتبطنوا
الوديان واختفوا عن العيان . فلما رأى اغناطيوس مطرانهم ما صار
لاختلس مسدس احد الجنود وافرغ رصاصتين في فيه فقضى نجه
يا ويح المنافقين الخراصين كيف يتيسر لهم الهرب من خيانة
ظهرت ظهور نار على علم . ام كيف يتبراون مما اجتموا وجرائمهم
تلحقهم لحوق الظل للجسام . هلا بجمعوا لنا بالحق واستشنعوا ما
ارتكبوا وندموا على ما افعلوا

افتح اذنيك يا صاح وانصت لقولات هولاء الكذبة وتعلم
التدليس من ابي الكذب ابليس . ولكن ابليس اعقل من ان
يوسوس لهؤلاء بهذا وحاش له ان يتزع بينهم بمثل هذه الخزعبلات .
فانهم فاقوه في البياسة والشيطنة معاً . ولعلمهم متى حظوا به في
الظلمات الدامسة الابدية زحزحوه عن كرسية الناري وتربعوا مكانه
ولقنوه ما لا يتصل اليه خبثه ولا يخطر على باله . هناك سيشهدون
اصحابهم فيقولون لهم اهلاً وسهلاً بكم . هلموا شاطرونا فاننا
قد طوبنا جهنم لحسابنا وغدت ملكنا الخاص وما عدنا نخرج منها
الى الابد . نعم الاباء تمخضوا وحببوا وولدوا نسلًا باراهم في الصنعة
وفاقهم في الدهاء والمكر والشناعة . فلهم ما للاباء من العقاب بل
اوفر ومن المذاب افطع واكثر

الفصل الحادي عشر

صاوات المسيحيين واذورهم . غيرة الشهيد القس متى . ملاح السرياني

صفا الجور لاعداء المسيحيين وايقنوا بالنعرة التامة وما بعثوا بالاقافلة الاولى واخرجوها من البلد حتى استأذنوا يلقون الايدي على الباقيين ويسوقونهم بعنف الى دار الحكومة والسجن مذ ثالث خزيان الى اليوم الثاني عشر منه اذ كان ذلك شغلهم الوحيد .

فهب اثناء ذلك جمهور الاقليس الباقيين والمؤمنين الخائفين لاقامة الصلوات في الكنائس ورفع الابتهالات الى القادي ليدراً عنهم البوس والبرحاء او يعضدهم ليخوضوا مضمار الآلام كأجدادهم المسيحيين العظام . فكنت ترى الكهنة يخطبون فيهم ويحرضونهم على تسام مقاليد امورهم للرب القدير . وكان المسيحيون كبيرهم وصغيرهم دنيهم وحقيرهم يهرولون منسبلين الى الكنائس ليشتروا في الصلوات الجمهورية طبقاً لشورة يسوع القادي « انه حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي كنت في وسطهم » . وكانت كنيسة مبار يوسف للارمن مفتوحة بعد يقصدها المسيحيون اما كنيستهم الكبرى فكانت مغلقة

اما النساء فطلقن الدنيا وهجرنها وتجردن العبادة وكن يزدحن في الشوارع حافيات ويقصدن كنيسة السريان والكالدان بانسطات الايدي الى السماء ليويدهن الرب في الايمان ويخفف عليهن وطأة الاحزان . وقد رأينا بعيننا اثناء ذلك احدي السيدات الورعات تقطع الطريق راكعة على ركبتها قاصدة الكنيسة لاستمطار الرحمة

والمعونة . وما ولجت الباب حتى استلمت اليها الحاظ المسيحين
فمزجوا دموعهم بدموعها و اضافوا خشوعهم الى خشوعها وظلت
بجائية حتى نهاية الذبيحة فاستودعت امورها بيد ربها وراحت تهيب
ما يلزم لرحيلها اسوة بابنها او بعلمها او اخيها او ابيها
وسارت غيرها من النساء الى الكنيسة تجبو وترحف على ذراعيها
وتنذر النذور لنجاة نجلها وتسال الله ان يصرف عنه كل محذور
ومكروه ائلا يعند عن السراط المستقيم

اما كنيسة السريان فالداخل اليها اذ ذاك كان يرى جبرها كلاك
النور واقفاً في مذبح البخور يحيط به من بقي من الاقليس رافعين
الايادي الى الرب الغفور طالبين منه العفو والغوث . وكان جمهور
المؤمنين يخرتون على وجوههم ساجدين يسمعون اناشيد الشمامسة
وترانيمهم المعززة

ايها القارى العزيز ادعوك لتحضر بالفكر الى كنيسة العذراء
السريانية وتتفرس خاصة في ذاك الاب الغيور النشط والكاهن
الورع التقى القس متى ملاش منتصباً امام المذبح القدس صباح الجمعة
١١ حزيران عيد قلب يسوع الاقدس يخطب في المومنين ويذكى
حماستهم بزواج وعظمه البليغ ويهز اغصان همهم بنسيم نصائح الطيب
وينثر عليهم لآلي ارشاده الكريمة ويستقيهم مناهل التعاليم الصافية .
فكان كلامه كرزاذ غيث اصاب زرعاً نبت وتاصل واتى الواحد
بثلاثين وستين ومائة . طوبى لمن عاينه وسمع نصائح وعمل بموجبها
فانه كان يود من صميم فواده او يجوز غار الاستشهاد فسمع الرب
نجواه وافازه بما تمناه . فقد كتب في نهاية دفتر قداديسه ما نصه

بجروفه " في تسع حزيران اقامتُ الذبيحة في شان من قبض عليهم من الارمن والسريان اثبتهم الرب الاله في الايمان والنعمة او يفكهم وينقذهم من الاسر . وكتب في عاشر حزيران اني اقامت الذبيحة الالهية في شان من استاقوهم وفي شان الباقيين . فالذين يريد الله ان يموتوا فامعظهم نعمة النبات في البر ويقوهم على الاستشهاد . والذين يريد الله ان يبقوا في قيد الحياة فليحفظهم ويصنهم من الكفر والخطية اقبل يارب . اقبل يارحيم " هذه اخر عبارة كتبها بيده المباركة .

على انه يوم الجمعة حادي عشر حزيران القي عليه القبض وسيق الى السجن وانضم الى سائر كهنة الارمن والسريان . ولم يفتر ثم ايضاً من بذل النصائح العسلية للمؤمنين المسجونين والاسترسال في تنشيطهم وتشجيعهم لترسخ اقدامهم في الدين المتين . وكان يسمع اعترافهم ويحلهم من رُبط مآثمهم . ولما رأى الخُصوم حماسته تأمروا على قتله دون غيره فالقوا طوق الحديد في رقبته فتهلل مستبشراً له لانه أهل ان يماثل زعيم الرسل والاناء المختار . ولما وصلوا به وبرفاقه اصحاب القافلة الثانية الى شيخان ذبحوه كسائر من ذبحوا

لله درك ايها الكاهن الورع فانك نلت السعادة المخالدة . باتعاب زهيدة وآلام طفيفة . كأنني بارواح الملائكة يرفون فوقك وفوق رفاقك الابرار ويطيرون بارواحكم الى مقر الافراح . هي صلواتك واسهارك المتواترة ودموعك المتكاثرة وغيرتك المتقدة قد اعدت له اكليلاً سنياً مجيداً احرزته بكل استحقاق وجدارة . فهنيئاً لك وطوبى والف طوبى لنفسك

اما هدايا المسيحيين اثناء الضيقة وتقادمهم الثمينة للكنائس

فكثيرة . على انهم استصغروا في اعينهم كل حلية وحلة واستغنوا عنها واتوا بها الى مريم سيدة النجاة ومغزية الحزاني ومعونة النصارى فامتلات كنيسة السريان وكنيسة الكلدان في مدة وجيزة من التحف والهدايا المعتبرة . وما كان يخطر ببالهم ان يمدوحاً وزمرته يهجمون عما قليل ويخطفونها . على انهم ما استكفروا بما جمعوا من الذهب الوافر حتى يادروا الى الكنائس والاديار وانتزعوا تلك التقادم والندور مدعين بانها للارمن وان مال الارمن حلال لهم وحدهم وانقلبوا يتقاسمونها فيما بينهم وأفضى بهم الطمع حتى اقبلوا الى كنيسة دير مار افرام وعروا شخص العذراء من التحف المزدان بها . بورك لهم فيها

لا جرم ان تلك الهدايا والندور ستغدو كمنابر تحز ضمايرهم او كسفايد تشيكهم او ظلال نارية تحف بهم من كل صوب في أسفل سافلين

الفصل الثاني عشر

في الغاظة الثانية

واصل اعداء المسيحيين شغلهم وقبضوا على جم غفير واستاقوهم ترواً الى السجن والثكنة . وفي عاشر حزيران ساروا الى كنيسة مار يوسف فألفوا القس يعقوب يتمشى فاطموره واستدعوا القس اسطيفان الشيخ الوقور وقلبوا ثوبه الى راسه وسطحوه على الارض وانزلوا به اوجع الضرب وقالوا له هات ما عندك من الذهب والفضة والودائع بما يخص الكنيسة فاضطر ان يسلمهم المفتاح فاخذوا كل ما كان

في صندوق الكنيسة والفقراء ثم فتحو الكنيسة وانتقوا من الاواني
والخلل والنذور والخلع ما داب لهم ثم اغلقوا الباب وجمعوا الكهنة
واستاقوهم الى السجن ما عدا الاب اسطيفان والاب يعقوب . وبعد
هذا وافوا الى كنيسة السريان وقبضوا على القس اويس والقس يوسف
معلمي المدرسة ثم قصدوا غرفة الاب دومينيك بييره رئيس الرسالة
الدومنيكية بالموصل واستدعوا رفيقيه الاب يعقوب والاب سمعان
واستعجلوهم على مغادرة غرفهم فقال لهم الاب بييره " انما نحن
فرنساويون لبثنا ههنا بامر الحكومة ومعرفتها " فانصرفوا واستشاروا
كبيرهم فقال ذروهم الساعة في مكانهم وسارت طائفة منهم الى
بيت القس حنا بنابيلي وانزلوا به الضرب العنيف واستاقوه الى السجن
ويوم السبت ١٢ حزيران عاد الجنود الى كنيسة السريان وحاولوا ان
يلقوا القبض على راعيها لكن الله سبحانه لم يشأ ذلك فاجتمع في
السجن كهنة بيعة مار يوسف وقس تل ارمن ووجهاء جماعته وقس
دارا وسبعة قسان من السريان واليك تفصيل ما جرى لهم نقلاً عن
القس متى خريمو احدهم دون زيادة ونقصان قال :

عند ظهيرة السبت ثاني عشر حزيران اذ كنت منزوياً في غرفتي
افتكر في حال المسيحيين وما صاروا اليه من الذل فتح باب غرفتي
صالح الفروخ وفواد الكرجيه ودخلا علي وشرار الغضب تقدح من
وجهها فقال لي صالح انهض مسرعاً واتبعني الى مقام البوليس . فقلت
امهاني هنيئة فخطف كتاباً كان بيدي والقاء الى الارض وقال سارع
قلت مالك ساخطاً وما ذنبي . وما مرادك . فلطمني على خدي
لطمه دوختني وقال لي انت عضو في الجمعية الفداوية ؟ قلت ساء

ظنك . قال استعجل وقم . قلت أبودك ان ارضخ لك بشيء من
 الاصفر فتجيبني وقال . اسمك مرقوم في الدفتر ولا يسعني السكوت
 عنك . على ان اقطاب الجمعية كانوا كل ليلة يكتبون اسماء من
 ارادوا سوقهم في ورقة خصوصية يدفعونها الى البوليس في الصباح
 ليقبضوا عليهم . فتهيات الرحيل واستدعوا القس حنا طبي وبطرس
 ملاش وافيه الكنيسة وجرجس الوصلي خادم الاباء الدومنيكين
 وغيرهم ممن رأوهم في ساحة الكنيسة والغرف وذهبوا بنا الى مقام
 البوليس فمكثنا ثم الى الاصيل فدونا اسمائنا مع اسماء من احضروا
 من الارمن والسريان والكلدان . وساقونا الى السجن

ونحن في الطريق بالقرب من دار الحاج علي بك اذا بالاعلاج
 يسخرون منا ويقذفون بالحجار علينا واتفق ان ثلاثة منهم تهوروا
 من السطح الى الارض في قلب بعضهم . ولما وصلنا الى باب الحبس
 جعلوا يفتشون كلاً منا . فضربوا القس حنا طبي واوقدوا لحيته بالكبريت
 ثم ازلونا وجشرونا في غرفة ضيقة حرجة وبلغ عددنا نحو ثلاثمائة .
 وبعد الغروب بساعتين قبضوا على ثلاثة وثلاثين شخصاً في جملتهم
 ميخائيل ماغي المشلوله قدمه فساقوهم بعنف الى ساحة دار الحكومة
 وطفقوا يضربونهم ويهمزونهم بالبواريدي . ثم اخذوا حذاء ميخائيل
 المذكور وطربوشه وكيس دراهمه واقبلوا بهم الى السجن ودفعوهم
 من اعلى الدرج الى اسفل . فصار مجموع النصارى في السجن ثلاثمائة
 وتسعة من ارمن وسريان وكلدان وبرتستان

واتفق ان توما شد وفرج الله جرباوه قدما اذ ذاك من حلب
 فكبس الجنود داريهما واستاقوهما الى السجن واضافوهما الى جماعة

المؤمنين

واستدعوا في تلك الليلة بعض القسان والوجهاء الى غرفة العذاب
وعلقوهم بالحبال الضخمة وانطبقوا عليهم يضربونهم بشراسة كالقس
حنا بنايلي وغيره . وفي الهزيع الاول من ليلة الاثنين رابع عشر
حزيران وافى السجن وتقدم الينا بالخروج قاطبة من تلك الغرفة .
فاخذنا المقيم المقعد لشديد وجلنا ومزيد رعبنا فخرجنا وصادفنا قوماً
من الضباط والعسكر مصطفىين قلوبهم منشرحة وآمالهم منفسحة
واكبوا علينا من الجهات الخمس اعني من اليمين والميدرة والمقدمة
والساقة والقلب ومضوا بنا الى الثكنة ثم اقبل احد الضباط وامر
القسوس ان يصطنفوا على حدة فامتثلنا الامر وطفق يدعو واحداً
واحداً ويغله واول من استدعى القس متى ملاش فالتقى في جيده
طوق الحديد وهو يتهلل بشراً ثم انصب علينا المشكوية والداشية
كفارس بن حمي الباشا وعمه عمر وواصي بن محمد سعيد آغا وياسين
ابن عمته وغيرهم وانتقوا منا اربعة وثمانين شخصاً القوا في رقابهم
اطواق الحديد . وغللوا كذاك يدي القس حنا طبي واوثقوه مع
شاب ارمني من تل ارمن . ولما نفدت الاغلال الحديدية عمدوا
الى الحبال الضخمة فاوثقوا كل خمسة بجبل . وقام بقية العسكر مستلين
سيوفهم فوق رؤوسنا مخافة ان ينهزم منا احد . ولما انتهوا من
الربط والغل كالعادة اقبل مامور السوق والعسكر الخمسيني من
فورهم واحتفوا بنا وكان نعمان النمس واخوه اسعد واقفين فاستدعيا
المامور وقالوا له قد آن الاوان للفوز بغايتكم فتقروا ولا تكونوا
كالماردينين يوم ردعوا الاكراد سنة ١٨٩٥ وخرجوا عليهم قتل

النصارى

وما بزغ فجر الاثنين ١٤ حزيران حتى استاقونا . ولما بلغنا الى باب المشكية تعهدوا الجبال فشددوا ما ارتحى واوثقوا ما انحل وجعلوا يستلحموننا ضرباً وطعناً ويزيدوننا رفساً وشفعاً ويتفلون في وجوهنا ويكفخوننا بالعصى ويوسعونا سباً وشتماً وينتثمون علينا بكل قول قبيح كما اعتاد لسانهم القذر . واتفق ان احمد الشيال كان بجاني يكثر من ضربي ويتفل في وجهي فما تماسكت ان قلت له : اكفف يا غبي يا كافر . اما تراني لاحقاً برفاقي صامتاً . دعني وشأني . فتركني وانصرف الى غيري . ولما غادرنا العين القريبة نشموا في اختلاس ما زاد من الثياب واختلاع ما عندنا من الدراهم ولقائف الدخان والطعام

وبما يستحق الذكر ان الياس شوفا بعد ما ساقوا اخوته الاربعة مع اول قافلة وهم في شرح الشباب غدا طريح الفراش تعذبه الحمى الشديدة وكان الموت اليه اقرب من جبل الوريد فلما القي عليه القبض واضطر ان يسير معنا احس بان قواه قد رجفت وصحته تحسنت فأولاه الله شفاء دون دواء

وعند وصولنا الى عين عمر آغا طلبنا مهلة لنشرب ماء فامرونا بالجلوس واخذوا يصلحون البواريد ويهيئونها للقتل . ويتشاورون على اختلاس الاسلاب

الفصل الثالث عشر

استشهد اربعة وثمانين مسيحيًا تبعم خمسة عشر شهيدًا في ١٥ حزيران

ولما شارفنا شيخان ووصلنا الى مزار الشيخ موس اميرنا الجندان
 نقعد ونقوم ثلاثاً احتراماً لذلك المحلّ المعتبر عندهم وكانوا مصميين
 ان يذبحونا ثم ويقدمونا ضحايا لشيخ موبسهم المحترم . فوصلنا الى
 المحلّ المرقوم وربغنا عند ساقية الماء جياً عطاشاً هلكى من التعب
 فاذنوا لنا ان نشرب ماء دلالة على جودهم وكرمهم المشهور - لا
 بارك الله فيهم - والتمسنا ان يبيعونا خبزاً فاحضروا لنا ارغفة شعير
 سوداء استطبناها وارتحنا . وما عثم ان جاؤوا الينا يريدون ان
 يقسمونا قسمين يذهبون بالواحد الى المغارة ويذرون القسم الاخر في
 محلّ الزيارة . فلم نرض لانا توخينا العذاب والموت معاً فقلنا لهم بل
 نذهب باجمعنا . فاستاقونا بين الاشواك والاوحال حتى وصلنا الى
 تلك المغارة لنبيت فيها تلك الليلة المشؤومة . فدخلناها ومكثنا
 بها زهاء ساعتين . والاكراد والعشائر كالرنابير مزبارين الشرّ وفي
 ايديهم الفؤوس والبواريد والخنجر والمديات والسيوف والهرواي .
 فاستحوذ علينا الارتعاش ثم اقبل الامور وطلق يخاطبنا بالتركية ما
 شرحه : اولادي انكم مزمعون ان تكثروا ههنا الليلة . غير اني
 اخاف ان يهجم الاكراد والعشائر ويأخذوا ما عندكم من النقود
 والخواتم الذهبية والفضية فالاجدر ان تتسلموني اياها فاكتبها في ورقة
 على حدة . ومتى وصلتكم الى ديار بكر سلمت كل ذي حق حقه .
 فجمع المامور ما شاء وملا حقيبة من الذهب والفضة والساعات

والخواتم والسلاسل . ثم تأبطها وانصرف جدلاً مسروراً . واقبل
الجنود بعده يفتشون عما بقي فاخذوا اسلابنا واموالنا واحذيتنا
وطر ايشنا وثيابنا ولم يدعوا علينا الا ما يسترنا . فلاح لنا اذ ذاك
اننا عما قليل نغادر هذه الدنيا الفرور ونخاض من روية تلك الوجوه
المقيبة . فنهضت انا وجميع اخوتي الكهنة رفاقي في النبي والاضطهاد
وجعلنا نحث المؤمنين ليتأهبوا لشرب كأس العذاب صابرين فطفقوا
يبكون ويصلون ويسدقون صدورهم ويقرون بخطاياهم ثم بدأوا
يرغون نشيد :

ننال ننال جزانا في السماء . ننال ننال جزانا في السماء .
جزانا في السماء لم تسمع به اذن ولا راته عين جزانا في السماء
جزانا في السماء هذا من الايمان وضيق ذا الزمان لا يوازي الجزاء
ولبئنا كذلك حتى الساعة الثامنة من الليل والحفرة يحرسون
المغارة والاكراد ينتظرون الساعة متى ازفت يشرحفون للقتال وسفك
الدماء . وما مضى القليل حتى اوقع فينا احد الجنود صيحة عظيمة
ارتجت لها المغارة وارتجفت لها الافئدة وقال فليخرج كل من كانت
يدها مغللتين وعنقه مصفداً . فنهض اهالي تل ارمن وجماعة من
اهالي البلد والكهنة بلغوا اربعة وثمانين وودعونا وخرجوا فجعلنا
نحن الباقيين نتلو السبحة الوردية خاشعين نسال لاختوتنا المغوثة والحول
ونسال لهم الثبات والايدي

فازدحم الاكراد الاوباش والجنود الاوغاد على الاربعة والثمانين
وطفقوا يتقارعون على ثيابهم والتحم القتال بينهم وبين العسكر
الخمسيني اذ كان كل منهم يحاول مد يده على الغنيمة . فتشاققوا

وتضاربوا وتصايحوا وتقاتلوا وضرب الجند كردياً فتكروا به فذهب
الى لعنة الشيطان سيده . ثم جد الجنود واجتهدوا في كشف
الاكراد عن الخراف الوديعه وطالت المناوشة بينهم . فلم يعد في
وسعهم ان يرجعوا عاجلاً وياخذوا غير من اخذوا لان النهار انتفخ .
وكانوا يحاولون ان يتعدوا بنا قبل ان يتعشى بنا الاكراد فحقق
امل هولاء واولئك . بناء على ما قلنا رجع الجنود بعد ما فتكروا
بارواح اخوتنا وقالوا لنا اخرجوا كلكم . فشملت الرعدة فرائصنا
وقلنا لبقية الجماعة لقد برح الخفاء وانكشف الغطاء فلا بد من سفك
دمنا كما سفك دم اخواننا . وما خرجنا من المغارة حتى شدوا
اكتافنا وقالوا ان شتم ان تشربوا ماء فاشربوا فذلنا للشرب ونحن
غافلون عما كاده لنا العسكر الحسيني والاكراد اذ كانوا قد احتججوا
عن عيننا في الغياض ولزموا الصمت والسكوت حتى اذا دنونا من
الماء اطلقوا علينا البواريد فبتنا مبهوتين على حالنا حائرين في امرنا لا
ندري انشرب ام لا . غير ان اغلبنا استغنوا عن الشرب . اما الذين دنوا من
الماء فاصابهم الرصاص وقتل منهم خمسة عشر من جماتهم القس جبرائيل
الارمني وحبيب الحلاق السرياني وجرح القس حنا بنابيلي وجميل اينور
ويوسف ترزيباشي ورجل من تل ارمن فهذا اصيب بخنجر في عنقه حتى
شارف المنون فاقبل احد الاكراد ليعريه فقبض ذلك المسيحي على خنجر
الكردي وانتضاه وضربه به فجرحه جرحاً بليغاً . اما رزق الله دماغ فلما
راى ما راى من غلاظة اولئك الطغاة ايقن انه يقتل عما قليل فيخر
عجائياً على ركبتيه ونادى باعلى صوته يرمم التقاديس الثلاثية ويقول
قدوس قدوس قدوس رب الصابوت . وكان شريكه في قرينته

في جملة الجنود المرافقين القافلة فعرض عليه الاسلام فزجره رزق الله
وزبره وقال له اكفف ولا تعد علي الكلام ثم ان نصري المقدسي
جبور نادى الاكراد وقال لهم . ان شئتم قتلنا اقتلونا خارج الساقية
لاذنه ما من احد منا يعارضكم . فقال لهم البوليس قد كذبكم . كفاكم
ثم طلعنا من الساقية فاقبل الجنود وفكروا وثاق من قتل وانثنوا
يحكمون الربط وطفقوا يسوقونا في الجادة ونحن خائفون . فثبت
لدينا ان الذين افرزوهما منا قد فتكوا بهم في الجبل القريب

الفصل الرابع عشر

سوق من بقي من القافلة الثانية . الفرو . وصولهم الى ديار بكر

وحبسهم من ١٥ - ٢١ حزيران

وابلنا السير وعيوننا تحوم يسرة ويمنة لئري اثار الذين سبقونا .
فصعد احد الجنود الى تل قريب ونادى يقول بما ان عيد رمضان
مقبل فمن اراد ان يقرب قرباناً فليبادر وكان من نيته الخيثة ان
يتخير من شاء منا ليضحي به كرماناً للعيد . غير انه عاد بخني حنين
ولم يصنع احد الى مشورته . وما وصلنا الى خانكه حتى خواط
ثلاثة منا لشدة هلعهم كجرجس قاووغ ويوسف فروجي واوهنيس
بن جرجس ساعور فنهض عليهم الاندال وبطشوا بهم في افكور
ثم استانفنا السير عراة جياعاً عطاشاً صابرين ونحن كذلك
اذا ثلاثة من الخيالة راكضين بسرعة من ديار بكر رافعين ايديهم
يصيحون . مكانكم مكانكم . فرف فوادنا لمجيئهم وعللنا
النفوس بالنجاة وما وصلوا الينا حتى قالوا لنا قد جاءكم العفو فادعوا

للدولة بالنصر وقولوا « بادشاهم جوق يشا » فقلنا ذلك ثلاثاً . ثم
 وصل الينا من ديار بكر مامور سوق في جملة من العسكر الخمسيني
 الامدي فزحزحوا عنا العسكر المارديني ومأمورهم فتبعناهم حتى
 يمينا خانكه وكلا العسكرين يكتنفاننا . ولما وصل الينا المامور
 جعل ينفذ بمنشفته وجوه الكهنة المتربة ويقول واهاً لكم . واهاً
 لكم . وآسفاه عايكم . ومضى بنا الى الماء فشربنا وارتويينا . ثم
 قال لنا اعطوني دراهم لابعث في مشتري خبز لغدائكم . قلنا ان
 المامور المارديني اخذ جميع ما كان عندنا من النقود فاستدعاه واستخبره
 عن ذلك . فقال : خفت ان يخلصها العشار فاخذتها . وهذا
 اردها لهم . فاستحضر الحقيبة المملئة ونشر الورقة يقرأ فيها اسم
 كل منا ويدفع له ما استلم منه المامور المارديني عدا الدين قتلوا
 ليلة البارحة فان نقودهم بقيت تراثاً للدولة . فارسلنا في مشتري خبز
 اكلنا باجمعنا وشكرنا للمأمور حسن التفاته . ووعدنا المامور نظراً
 لرقه قلبه ان يحل الجبال من اكتافنا علي ان لا ينهزم احد منا .
 فاصدقناه الوعد وقلنا من هرب قتل حالاً . ثم قال للمأمور المارديني
 اين الاشخاص المكتوبة اسمائهم في الدفتر . فأوما اليه ان قد غابوا
 اي قتلوا . فتأسف المامور على ما فرط وعنفه تعنيفاً شديداً على
 فعلته الخائنة المنكرة وقال له ارجع انت واصحابك الى شيخان
 فرجعوا

اما نحن فقمنا ليلة الثلاثا ١٥ حزيران في خانكه مرتاحين ولما
 اصبحنا اذا برزق الله دقماق قد فل عنه عقله لشدة خوفه . وكان يولول
 ويصيح ولا تكاد تسمه الارض . فقصدت نحو المامور وافدته اني

شيخ لا يستطيع السير حافياً . فياذن لي ولكل من احب ان
نكثري دواب نركبها فاستكرينا دابة ركبها رزق الله المذكور وقام
القس لويس الفيور بخدمته فلما كل رزق الله وتعب وأزعج جميع من
معنا بصوته وصياحه انزله الأمور عن دابته ونحاه عنا وما سرنا قليلاً
حتى سمعنا اصوات اطلاق البنادق فتأكد لنا انه قُتل

ولما انتهينا الى الجسر الأسود استرجع اصحاب الدواب دوابهم
وانقض علينا عشائر قري دياربكر كالبواشق وحاواوا ان يهلكونا
وظفقتوا يسوقونا بعنف حتى اوصلونا الى دجلة فدب الفشل والقنوط
في قلبنا وتجددت عوامل الحزن فينا فقلنا :
آيس من الناس وارج الواحد الصمد

فانه هو أعلى منة ويذا
وافضي بهم اللوم حتى اضطرونا ان نعب دجلة راجلين لتغرق .
فشعر المامور بالكيادة وطفق يعنف العشائر ويكثت العسكر الامدي
الذي مال الى قولهم ثم استدعى احدهم وضربه وقال له : اغايتك
يانذل ان تهلكني . اتجهل اني انا المسؤول لا انت . اخني عنك
ان الوالي امرني ان اوصلهم الى الولاية سالمين . فكيف ادت بك
الجسارة الى ارتكاب هذا الفعل اللئيم المنكر ؟

واصيل الاربعاء دخلنا باب دياربكر فخرج المسلمون يتفرجون
وكانوا يرموننا ويبصقون علينا ويهزأون بنا حتى وصلنا الى محل
المسافرين [المسافرخلنه] فلبثنا منتصبين في الباهة صفاً صفاً . فنزل
وكيل الوالي وممدوح وقوم من الوجهاء والمامورين وتفرسوا فينا
واحدًا فواحدًا . ثم التفت الوكيل نحو ممدوح الخبيث وقال له

بالتركية « خوش عملة » نعم العملة أحضرتهم فقد كان الخليفة بك
ان تحضر تجاراً ووجهاً لا قسوساً وفقراء . اجاب ممدوح ان لم يبق
تجار في ماردین . فرجع الوكيل واخبر الوالي وارسل من يقول ادخلوا
الى دار المسافرين فدخلنا باجمعنا فاستأثرت بالبقاء عند الباب رغبة ان
اسمع ما يُقال واقف على حقائق الامور وكانت الدموع تتصبب على
خدي وعوامل الحزن مستولية على قلبي . فقلت

وما ملجأ لي غير من انا عبده الى الله انهي شقوتي وسعادتي
وعند الغروب جاءنا اصحاب الخير بقاء وكيس كبير من التبغ
مع ورق وزعوه علينا ثم ارسلوا الينا ثلاثة اجمال خبزاً وجبناً فاكلنا
وشكرنا للمحسنين الذين شاطرونا مشقاتنا وكشفوا عنا شيئاً من
ضنكنا وضيئنا . ثم اقبل رجل ارمني يقول لنا قد هيات الطعام
لجميع الكهنة واما قليل آتي به . ولما كنت متوسداً الاحزان
مفتراً الغوم والاكدار افكر في من فقدنا وما صرنا اليه اذا
برجل وافي الي يقول بالتركية ما شرحه : ما لك تبكي ايها القس
وعلام اراك جالساً ههنا على الباب وحدك لم لا تطلع وتنضم الى
رفاقك . قلت له

برمت بالناس واخلاقهم فصرت استانس بالوحدة
كيف يتيسر لي ان اتكلم او اتسلى انا الذي كرتتني الكوارث
فخسرت اعز اصحابي وفقدت افضل اخواني . فتركني الرجل ثم عاد
فاخرج خبزاً ملتوتاً بالسمن وجبناً وناواني يقول خذ كل فاخذتها
وجعلتها الى جانبي واطرقت ساكتاً . ثم بثني ذلك الرجل ما في
صدره فقال ربما يوافي اليكم رجل في زي نصراني متعمساً ومزناً

كالارمن ويفاوضكم في مسائل سياسية ليصيب منكم حجة
 للتشيل بكم . فالخدار الخدار من ان تتفوهوا بكلمة تضاد الدولة
 فشكرت له وقصدت نحو رفاقي المسيحيين وبلغتهم مشورة الرجل
 النضوح فشكروا له . وفي الحق انه ما عثم ان وافانا في تلك
 الليلة عينها غير واحد من الشبان يقولون مثلما افادنا الرجل الامين
 فقلنا لهم ان هذا إلا امر الهي نضطر ان نقبله بكل مسرة .
 وبعد ان ذهب هولاء وافى السجن وقال لي انهض واتبعني فنهضت
 وتبعته حتى انتهينا الى المراحيز فأمرني باللكث ثم حتى الصباح .
 ويعجز اللسان عن وصف ما رايت ثم مما اقشعر له جسمي والقي
 الرعب في فوادي وغدا مصوراً في مخيلتي حتى اليوم . افتح يا جنبي
 اذنيك واستمع وانذهل لتشاطرنى قليلاً في الخوف وتتفق معي على
 تقريع كل مرید كافر ظالم فاجر . على اني شاهدت في ذلك المحل
 ثلاثة زناويل كبيرة ممتلئة انوفاً واذاناً وأسناناً واطافر وشعراً وعيوناً
 واصابع الخ . ورايت جثتين هامدتين ورجلين مدنفين يكادان
 يموتان فذعرت لما شاهدت وقلت في نفسي لعلي اصير الى ما صار
 اصحاب هذه الاعضاء .

وعند الصباح امرني السجن فخرجت من ذلك المحل البرعب
 المكرب وقصدت رفاقي وانضمت الى اخوتي الكهنة لا استحسن
 ان اذكر لهم ما عاينت لثلا ازيدهم وجعاً وقلقاً

ويوم الخميس ١٧ حزيران مللنا الاقامة في محلنا فكتبنا الى الوالي
 بما نصه « اننا وصلنا الى ديار بكر جوعى مرضى هلكى عراة
 حفاة فنسترحمكم المساعدة » فحوّل الاستدعاء الى رئيس الضباط فتركه

لديه ثلاثة ايام ونحن ننتظر الجواب بفارغ الصبر . وكان المسيحيون يحضرون الينا الطعام قدر ما يسعهم

ويوم الاحد ٢٠ حزيران اقبل السجنان يقول لنا اريد ان يوافي الي رجلان كاملان فابثهما سرًا . فقلت اليه انا وسليم حيوا فقال : تاهبوا فانكم عند نصف الليل تسافرون . قلت الى اين اطال الله عمرك . قال لا ادري . فرجعنا واهدنا اصحابنا عمًا قيل لنا . فشملتنا الحيرة والحنابة معاً . وارتأى البعض ان يتحفوه بشيء . للاطلاع على الحقيقة . فنهضنا انا والاب مكرديج وجمعنا نيفاً واربعمائة غرش فاخذتها وطلبت السجنان وقلت له ارجوك ان تقبل منا هذه الهدية الطفيفة بدل تعبك . الا اني ارغب ان تنفيذني عن المجل الذي تقصده . واخذت ابكي واتأوه . فقال لي السجنان . اعلم ايها القس انه لا يجوز لي ان اخذ دراهم من رجال فقراء معوزين نظيركم ثم اقسم انه لن ياخذها ابداً . فوضعتها في جيبه وقلت له رحماك قل لي الى اين مزعمون ان نتوجه . فقال امهلوني ساعة ريثما اطلعكم على الحقيقة . فانصرف وما تعوق ان عاد وقال ابشركم انكم ستارجعون الى ماردين فعدت بسرعة وافدت اخوتي فسررنا واخذنا نصلي

الفصل الخامس عشر

في عودة القافة : ثمانية وتميز السريان عن الارمن

واستتلى القس متى خريمو الموتر يقول : قضينا ما بقي من الليل في الصلاة والابتهاال حتى اذا كان فجر الاثنين ٢١ حزيران

جاء السجنان في نفر من الجند يقول اخرجوا وانزلوا . فخرجت
قبل الجميع وشاهدت عدداً عديداً من الضباط والجنود مدججين
بالاسلحة وفي يد احدهم دفتر فسألني ما اسمك . قلت القن متى .
قال من سمع قراءة اسمه فليخرج ومن ليس موجوداً قولوا انه غائب
[مقتول] ثم امسك الضابط بيدي وسلمني الى ضابط ثانٍ فاوثقني
بالحبال وهكذا اوثق البقية ما عدداً من اصابعه جرح كما نرهننا
كالتس حنا بنابيلي ويوسف ترزيباشي ولولي كورو وجميل ايفو وغيرهم
فامروهم بالملكث في دياربكر ريثا يستصحون . ثم اقبل الامور في
شردمة من العسكر الخمسيني واحاطوا بنا ونادى يقول سيروا .
فسرنا وما غادرنا البلد حتى طفق العسكر كعادتهم يصنعوننا ويهزروننا
باعواد بواريدهم . فلما شعر الامور قال لهم حذار ان تمداوا عليهم
يداً فان ذلك منوط بي فقط . فاستانفنا السير حتى وصلنا الى آخ
بوار [خانجوار] فجلسنا واسترحنا وشربنا واكلنا وشكرنا . ثم
قمت الى الامور وقلت له تراني شيخاً حافياً يتعذر علي السير فاستاذنك
ان استحسنبت في استكراء مركوب . فقال متى وصلنا الى خانكه
اطلقت لكم الحرية في ذلك . ولما وصلنا الى القرية حل ربطننا
وابتاجر لنا دواب ركبناها وواصلنا السير نقول له خلف الله عليك
وجازاك على بمروفاك . وما برح هذا الامور الامين يسايرنا ويحمانا
حتى وصلنا الى عين سنجه جذلين محبورين بعودتنا
وعند ذاك امرنا بالتزول عن ظهر الدواب واوثق الجميع بالحبال
سواي وحدي . وخرج علينا التكلم مع ذويتنا عند وصولنا الى
البلد . وخرج اذ ذاك عدد من المسيحيين لاستقبالنا . ظانين اننا

مثلما ذهبنا رجعنا . وكانوا يتسألون اين فلان واين فلان . واذاع
 الخصوم بماردين ان جميع النصارى راجعون
 ويوم الاربعاء ٢٣ حزيران صباحا دخلنا ماردين على ما شرحنا
 وشرنا توتاً الى دار الحكومة وجلسنا موثقين فاصدر بدري المتصرف
 امره ففكوا وثاقنا وادخلونا الى الثكنة واعلن انه يفتك بنا قاطبة
 بالرغم عن العفو الذي صدر في حقنا من العاصمة . ثم احضر الاهالي
 ادويهم الماكل . اما الكهنة فارسل اليهم السيد جبرائيل مطران
 السريان قوتهم . وبقينا يوم الخميس كانه في الثكنة . ويوم الجمعة
 ٢٥ حزيران شخص الينا ممدوح بزى عادي وجعل ينتقدنا واحداً
 واحداً . ثم سرت اليه انا والاب مكرديج قليونجي وقلنا له لا
 يحقك اننا مطيعون للدولة نتحرى تادية كل ما تامر به دون تدمير
 فمر ان شئت باطلاقنا . فقال للاب مكرديج ما اسمك . قال
 اسمي مكرديج . قال ممدوح هذا اسم خرا . لانه ارمني . فامتنع
 اوننا وتجدد حزننا . ثم انتهرنا وقال ارجعنا فرجعنا مايوسين . وما
 مضى من الليل ساعتان حتى استدعيني الاب مكرديج الى منع
 العذاب فضربوه ضرباً عنيفاً ومضوا به الى السجن التحتاني
 ثم اقبل نفر يستدعيني باسمي فقتت من ساعتي اليه فقبض على
 لحيتي واخذ يجري بعنف وتبعه ثان فقبض على رقبتى واقبل ثالث
 يرقص قدامي جذلاً ويصفق طرباً . اما انا فرفعت يدي وضربت
 الذي امسك لحيتي وقلت له كن اديباً رصيناً لا تمدد يدك الى لحية
 شيخ ابيضت . لكنه لم يكثر لقولي بل زاد في السحب والجر
 قدر طاقته حتى افضى بي الى قاعة العذاب فقال لي المستنطق ما

اسمك . قلت القس متى خريو السرياني القتوليكي . قال اجلس
 نستوضحك عن امور مهمة . واستتلي يقول : ان دولتنا وحكامنا
 كانوا يغزونكم ويعتبرونكم ويكرمونكم . غير انكم ابتم
 الا مقاومتها وبختموها . فاعلم اذا انكم قبل زمن وجيز استحضرتم
 الى كنيستكم خمسة اجمال من الاسلحة والبنادق في جملتها مدافع
 فاقتسموها انتم ومالويان صديقكم ولا يدري بموضعها احد سواك
 لانك شيخ معتبر امين لك زمان طويل في خدمة البيعة . قلت له
 لا اثر لما تقول ولا صيحة لما تزعم . ليت شعري من بلغك هذا الخبر
 الكاذب . فان المبلغ مشترك معنا عارف بما عندنا فاحضره لنتحاكم
 مواجهة فري من الصدوق ومن الكذوب

قال لي انت فرنساوي . قلت مالك تمتعض من فرنسا وفرنسا
 فضل عظيم على دولتنا فعلى ما اعهد ان دولتنا مديونة لها بخمسة
 وثلاثين مليوناً . قال : اتجهل ايها الزنديق ان فرنسا اليوم تحاربنا
 قلت : كلا . ان فرنسا لا تحاربنا بل نحن نحاربها . قال الست انت
 وكيل اوقاف طائفك . قلت بلى . قال اذن انت الذي كنت
 تحاول ان تقوض مقام البوليس الذي ينخص ملتكم وقد شغلناه اليوم
 لصولح البلد . قلت كنت اوثر ان تغادروا المحل لانكم لاتدفعون
 الاجرة بل انتم تاكلونها وتحرمون الفقراء والجياع . فاحتمد غيظاً
 ورفسني برجله فوقعت على ظهري فاقبل احد الجنود وعقل قدمي
 واوثقها ونهض خمسة منهم في يد كل منهم عصي ضخمة وجعلوا
 يتناوبون في الضرب ويعدون الضربات تشفياً . وما انها مائة ضربة
 حتى استخبرني احدهم : . أما خطر ببالك مكان الاسلحة والمدافع .

فاكدت له بقسم انه لا شئ عندنا ولا عند مالويان ابداً . ثم نهض
 خمسة اخرون وشرعوا يضربوني وسدّ احدهم فمي لئلا يزعمهم
 صراخي فصنعوني مائة صفقة اخرى حتى فزت الدماء وتناثر اللحم
 فأغمني علي وكادت تزهب روعي . فامرهم المأمور ان يكفوا فحلوني
 وتركوني جثة هامدة فبادر احدهم وضرب خاصرتي برجله ضربة
 افاقتني فقلت . آه اني اشعر بان موتي قريب . فقال احدهم للذي
 ضربني . لا ترفسه بل اصلبه كسيده فاوثقوا كتفي بالحبل وعلقوني
 منكوساً فوق اثنان عن يميني وشمالي وجعلا ينتفان لحيتي ويسمعاني
 كلاماً جفياً وغلظاً معاً . وكانت الدماء تسيل على وجهي وثوبي
 فخارت عزيّتي وغبت عن حسي . فقال لي احدهم ابشر فقد طابت
 حالك الان - كيف وانبسط - ثم ضربني على راسي ولطمني وقال
 حلوا وثاقه فوقعت فددق راسي في الارض وسمع له صوت قوي .
 ثم جمع احدهم شعر لحيتي ودفعه اليّ يقول: خذنه والله في الكنيف
 ثم اخرجوني من تلك الغرفة الشيطانية ومضوا بي الى السجن ودفعوني
 على وجهي فنهض السّيحون وحملوني على اكتافهم . واستحضر
 جبرائيل حاجيكبي ماء مزجه بالملح وضد به جراحي . فلبثت
 كذلك حتى الصبح لا ادري احيى انا ام ميت

وصباح السبت ٢٦ حزيران وافي بمدوح الى راس السطح يامر
 ان نخرج فحملني رجل من تل ارمن فقال بمدوح يلزم كل سرياني
 وكلداني وبرتستاني ان يرفع ذراعه ويذكر لي اسمه . فكتب
 الاسماء وامرنا ان نرجع الى غرفتنا . وقبل الاصيل عاد فافرز السريان
 والكلدان والبرتستان ومضى بنا الى غرفة المتصرف فحملني اذ ذاك

خرجت المقدسي بولس كدا فدخلت فقال لي ما اسمك . قلت
 القس متى السرياني القتوليكي . فكتب اسمي في الدفتر وقال
 لي انصرف الى بيتك . واخذ يتلو اسماً فاسماً ويطلقه . ولما خرجنا
 باجمعنا وافى ممدوح يقول لنا ادعوا للدواة بالنصر وانصرفوا فام
 يبق من السريان سوى القس يوسف رباني وسليم نجديو ونعوم شموني
 وعبد المسيح بطيخة ونعوم جمال فاعادوهم الى السجن . فسارع الي
 جرجس كدا ليحملني فقلت له امهلي ريثا اتكتب واصلح ثيابي
 فقال . كلا بل يجب ان نستعجل في المضي لئلا يقلبوا علينا - اقلبهم
 الله - ويعيدونا الى السجن فاصبحت لمشورته فحملني الى الكنيسة .
 وكان قسان الارمن وشعبهم المسجونون يقولون لنا عند خروجنا :
 رحماكم اذكرونا واسعوا في انقاذنا ونجاتنا فتالم فوادنا وودعناهم
 بشديد الاسف . على ان اعداء الخير والدين بعد ايام معدودة استاقوهم
 وفتكروا بارواحهم كما سترى

وما وصلت الى الكنيسة على الصورة المشروحة حتى اقبل المطران
 جبرائيل ومن بقي من الكهنة يعزوني ويسرون عني غمومي ويرطبون
 قلبي بعذب كلامهم ويشجعوني . اما الاباء الدومنيكون الثلاثة فما
 تمالكوا ان خروا جثياً امامي وقبلوا يدي يقولون مرحباً بك يا شهيد
 الديانة فقد شاركت ابطال الكنيسة في عذابهم . فنسألك ان
 تباركنا وتدعو لنا . فبكيت لطلبهم وبكوا معي ولبثوا عندي
 ساعة اخبرهم بما جرى لي . وذكرت لهم خاصة ما قلت للخصوم
 وقت الاستنطاق عن فرنسا وفضلها مما جعلهم ان يتحمضوا ويبالغوا
 في تعذيبي

الفصل السادس عشر

حوادث من وقفنا على تفاصيل عذاباتهم

لا جرم ان في ايراد حوادث العذابات التي كابدها بعض الافراد
المسيحيين الابطال حباً ليسوع فاديهم منفعة لذويهم وفائدة للقارىء
وفخراً للنصرانية وباعثاً الى تعجب غير المومنين من صبرهم وثباتهم
في ايمانهم حتى النفس الاخير . وناهيك ان الواقف على جليلة الامهم
يلاقى فيهم مثال المسيح ربهم ومعالمهم فيغرم نظيرهم بحبه ويزداد
رسوخاً في ايمانه ويتوق الى الفوز بما فازوا من باهر الانتصار وعظيم
الجزاء على اثر ذلك العذاب

فهللم اذا ايها الودود دموا غزيرة تغسل ادرانك . واعد اذنيك
وقلبك لتسمع وتعي . افكر ملياً في اشكال العذابات وتعجب
وانذهل . تروى في ثمن دماثهم الزكية وافرح وابتهج . املاً سمعك
وبصرك رجاء وعزاء . وارتح من كل قلبك لتحصل على ما حصل
اجباؤك . واليك اخبار جهادهم واستشهادهم واحداً واحداً

١ : اوهنيس ساعور قيم كنيسة الارمن

لما كان السيد اغناطيوس وجماعته مسجونين مضى بمدوح العتل
الى كنيسة الارمن في ٦ حزيران يصحبه قوم من المنصبين يريدون
على زعمهم الوقوف على مخابئ الاسلحة . وما وصلوا الى باب
الكنيسة حتى قبضوا على اوهنيس وافه الكنيسة وتهددوه بافطع
العذاب لهم يطلعهم على مخزن الاسلحة . فقال لهم الوافه : صدقوني
صدقوني انه لا صحة لما تدعون ، فاخذوا من فورهم يلطمونه ويهزرونه

ويقولون له . بل تكذب . وانت تعرف المحل فافدنا عنه والا
قتلناك انت ومطرانك وقسانك وجماعتك . قال اوهنيس : باي
قسم تصدقوني . اني اوكد لكم ان مدعاكم باطل . غير انهم لم
يعبأوا بكلامه بل احضروا نصرانيين وامرؤها بجفر ارض الكنيسة
ونبش ارماس الاساقفة ودك المذابح فلم يعثروا على شي . فاقبلوا على
اوهنيس المذكور ينتقلون عليه ويبكتونه ثم اتوا بمسارين ضخمين
سروا يديه في الحائط واخذوا سياطاً جلدوه . وبعد مدة انتزعوا
المسارين وتركوه ومضوا . ويوم الاثنين سابع حزيران رجعوا الى
الكنيسة واستدعوه ثانية واغلظوا له في الكلام وحرقوا عليه الارم
وقالوا اخرج الاسلحة . فقال لهم ساء ما توهمتم . فاستشاطوا غيظاً
وقلفوا اظافره عن اصابعه ثم حموا حديداً وضعوه على صدره فاحتمل
ذلك الاذى مصطبراً ثم وضعوا جلجلاً ثقيلاً في عنقه وارادوه على
المشي سريعاً ليضجكروا عليه . وعادوا اليه ايضاً ثالث دفعة بعد
سوق القافلة الاولى فاستاقوه الى السجن واضطروه ان يتوجه الى
دياربكر مع القافلة الثانية حتى قضى شهيدا ليلة الثلاثاء ١٥ حزيران
في آفكور

٢ : داود حنا سوسي

تنتمي عائلة سوسي الارمنية الى عائلة جناجبي النبيلة . وكان
داود هذا شاباً في ريعان العمر لا يكاد يناهز الخامسة عشرة فقبض
عليه شركاء والده في التجارة يوم السبت خامس حزيران ومضوا به
الى اسطبل بيت حسين بك وحموا سفايد الحديد وكروه وانزلوا به
الوان العذابات حتى خر شهيدا وفي فجر الاحد سادس حزيران عروه

من ثيابه بالمرّة واثقوه بالحبال وجروه الى باب دار توما القواق
فالقوه ثم وتركوه ومضوا . وعند الصباح اتى الحفظة فراوه على
تلك الصورة فطلبوا من المقدسي توما غطاء يسجونه ويسترونه ثم
استدعوا والدته فأنت من فورها تعول وتبكي وسجت جسمه بعباءة
وحملته الى بيتها ثم شيعته الى المقبرة ودفنته

٣ : سعيد بطاني مختار الارمن

التي عليه القبض يوم الجمعة ١١ حزيران بعد سوق القافلة الاولى
ولما اوثقه الجنود ليخرجوه من داره قال الجديري ان استصحب
يعقوب ابني ونعوم ابن عمي ليشاركاني في نيل اكليل الظفر
والحصول على السعادة . فمضوا بالثلاثة الى السجن وضموهم الى
سائر المسجونين . وفي تلك الليلة استدعوا سعيدا الى غرفة ابليس
واوثقوه وضربوه ضربات عنيفة كثيرة على رجليه وجسمه حتى تناثرت
لحمه . والحوا عليه في الاقرار عن مخزن الاسلحة والمدافع . ثم
اضطره ممدوح ان يجول معه في البيوت ويقر بالاسلحة الموجودة عند
وجهاء الطائفة . فسار به الى دار اسكندر آدم وجنائحي وجرما
وكتبو فلم يقنوا على شي . فعادوا به الى السجن وجعلوه في
غرفة خصوصية وعند المساء احموا السفايد وكووا بها جسمه فتشنج
واحترق وتفتح ولم يعد يقوى على الحركة . ولما ذهبت نجمة ابنة
عمه لتتفقده في ١٢ حزيران حمله احد النصارى واتى به اليها يصعبه
ابنه المحبوب فالقباه بالقرب منها فقالت له : ما جرى لك يا ابن
عمي ومن اوصاك الى هذي الحال . فقال لها لا تغمي يا ابنة
العم كوني على ثقة ان الله معي يساعدني في ضيقتي وضيقتي . ولا

يشرد عن فكرك انه تعالى انما خلقتني هذه الساعة . ثم التفت يقول
لنجله يعقوب لا تبتئس يا ولدي فانا عما قليل نغمض عيننا ونفتحها
في السماء وبعد تلك الزيارة المولة عادوا بالاب وابنه الى السجن .
وفي ١٢ حزيران استاقوا سعيدا فيمن استاقوا مع القافلة الثانية ثم
عاد الى ماردين . وذكر لنا نعوم بن نصري جمال اذ كان مسجوناً قال
استدعوا مساء الاثنين ٢٨ حزيران سعيدا المذكور الى غرفة العذاب
وضربوه نيفاً وثلاثة الاف ضربة بالمناوبة حتى تناثرت لحانه الباقية
ولاحت عظامه وتفجرت دماؤه « يا للقسوة والفظاظة » ثم رموا به
الى اسفل فقت اليه وجعلت اعاجله واضر جراحه . ويوم الثلاثاء
٢٩ حزيران ذهب به وباوسيب باطري قليونجي وسليم حيلو وسموئيل
حنجو وغيرهم قوم من الجنود القساة الى المغاور القريبة وقتلوهم .
وذكر احمد بن عيشي صاحب بيت الخلوصي انه بعد ما اراق دم
سعيد احضر منه قطرات في زجاجة الى امرأة اسحق الخلوصي فحسته
فعلقت وحبلت وولدت . اف من الفظاظة والتوحش

٤ : الاب مكرديج قليونجي

ذكرنا فيما سبق نفور ممدوح من اسمه الارمني وانزاله به الضرب
الوجيع . وزادنا نعوم جمال وغيره ممن كان في السجن ان الجنود
الغليظي الرقاب نتفوا لحيته برمتها وضربوه دفعة ثانية ليلة ٢٩ حزيران
ضربات لا عدد لها حتى خلعت اصابعه عن قدميه بالمرّة وفاضت
عيناه بالدموع مع دماؤه ثم اخرجوه وطرحوه الى اسفل وابث يتلمل
معذباً حتى ساقوه مع رفاقه القسان والجماعة وقتلوه يوم الجمعة ٢

٥ : سليم حيلو

واستدعى الكفرة سليماً حيار وصفعوه نيفاً وخسمائة وخمسين ضربة كان المسيحيون المسجونون في الطابق التحتاني يعدونها واحدة فواحدة ثم طرحوه الى اسفل ولما افاق قال للمسيحيين المسجونين ان خمسة من القساة تناوبوا في ضربتي بقضبان رطبة حتى انخلعت اصابع رجلي كما ترون . وما اتم ان ساروا به في ٢٩ حزيران الى المغاور وقتلوه مع رفاقه

٦ : الياس تفنكجي

هذا ايضاً بالغوا في التمثيل به حتى فاضت دماؤه وخولط في عقله ثم قتلوه مع من سبق في ٢٩ حزيران في المغاور المعروفة بالمقاطع

٧ : فتح الله شامي

اوثقوه بالعقلة وبالغوا في التنكيل به ورفضوه ولطموه حتى فقت احدى عينيه . ثم ساروا به في ٢٩ حزيران مع من ذكرنا وفتكروا به

٨ : جبرائيل حاجيكي وجرجس ابنه

يقصر اللسان عن تعداد اشكال العذاب التي انزلها اعداء النصرانية الهمجيون بجرجس الشاب المذكور الذي كان منتبياً الى الجمعية على زعم الخونة . فانهم ذهبوا الى داره وانزلوا العذاب بزكية قرينته وبالغوا في التفتيش والتنقير عن الاسلحة ثم عادوا مايوسين وذنثوا في جرجس سم غيظهم وضربوه ضربات لا تعداد لها بحضور والده جبرائيل كي يشترك معه في الالم . وكان والده المسكين يحمله كل

ليلة الى قاعة ابليس فيضربونه بازائه ويضطرونه ان يعود به الى مكانه . ما افظك ايها الانسان وما اغلظ طبعك فقد فقت بعملك اوحش الوحوش واخبث الشياطين واقسى القساة . ولبت جرجس يتعذب ويتالم حتى ساقوه مع القافلة وقتلوه هو واباه في ثاني تموز

٩ : جبرائيل نبيهه

هذا ايضاً اشترك في العذاب الفادح كسائر من ذكرنا حتى قل عقله وُجن ثم استاقوه مع القافلة وقتلوه في ثاني تموز

١٠ : يوسف مالو

كان يوسف فتى نجيباً لم يبلغ من العمر ستة عشر ربيعاً وكان منزوياً في دار السيد اغناطيوس مالويان . وبعد سوق القافلة الاولى جدوا في طلبه حتى القوا القبض عليه واحضروه الى السجن واستاقوه مع القافلة الثانية الى ديار بكر ورجع معهم وظل في السجن وما مر الا القليل حتى استدعوه الى منقع العذاب وصفعوه بنجشونة لا مزيد عليها . وعلى شدة ضربه لم ينبس ببنت شفة ولم يتأثر للوجع ولم يتشك عضواً من اعضائه مما حير القتلة الكفرة واذهلهم . ففتشوا يوسف فاذا صليب عود الخلاص في عنقه فانترغوه من صدره وجعلوا يتناوبون في ضربه مدة خمسة عشر يوماً كل يوم ثلاث دفعات وهو اثناء ذلك صابر صامت لا يلفظ حلوة ولا مرة . ذلك ليس مبالغة البتة فان نعوم حال وغيره رووا انا هذه الحوادث وقالوا انا بعيننا زاينا وباذنينا سمعنا ذلك كله . وما برحوا يعذبونه حتى استاقوه مع القافلة وقتلوه في ثاني تموز

١١ : توما بن عبد المسيح حنجر

سعى به شيخو بن اوسو عبدال المشكوي احد خصوم أهله
الالدا . وكان شيخو هذا من جملة العسكر الخمسيني المشهور
بالدهاء والجفاوة . واما وصل بتوما الى منقع العذاب هجم اصحابه
على توما ونكلوا به تنكيلاً شديداً مدة سبع ساعات بتمامها
فتضعفت عظامه وتدفقت دماؤه وتناثرت لحمه . ثم القوا به
من الدرج الى اسفل وهو يصيح باعلى صوته ويقول يارب يا رب
وظل كذلك حتى ساقوه وقتلوه في ثاني تموز وفتكروا به

١٢ : رزق الله ديلنجي

هذا بعد ما انزلوا به صنوف العذاب علقوه في الغرفة المعهودة
منكوس الراس وتناولوا القضبان وتناوبوا في ضربه حتى الصباح
ثم القوه من السطح الى اسفل على آخر رمق . حتى ساقوه وقتلوه
في ثاني تموز

١٣ : شكر كسبو

بالغ الاعداء في التفتيش والبحث عن شكر المذكور من ثالث
حزيران الى ان رجعت القافلة الثانية . فتهددوا اسرته وتوعدوا
النساء بالتمثيل بهن علانية الم يطلعنهم على موضع اختبائه . وكان
شكر اثناء ذلك مختفياً في اعماق بيت عمه المعلم فرجو كسبو .
فارسلت اليه عائلته تقول احضر الى دارك والا هلكنا باجمعنا .
فاضطر ان يغادر مخبأه ويعود الى بيته تحت الليل . وصباح ثلاثين
حزيران انقض الجنود كالبواشق على داره وقبضوا عليه وساروا به

الى السجن وانزلوا به اغلظ العذاب حتى جعل يقول لهم اطلقوني فاعطيكم قدر ما تريدون من البنادق والمدافع فان عندي الف مدفع وalf بندقية وalf بارودة ثم صلبوا كتفيه وتناوبوا في ضربه من المساء حتى الصباح دون مدل . ثم دعوه دعاً من السطح الى اسفل فاقبل ممدوح عند الظهيرة وامر ان يحمل الى بيته . وعند العصر سار اليه واخذ ما اخذ من المبالغ الباهظة . وظل شكر ملازماً داره يتململ من العذاب حتى سيق مع قافلة النساء الاولى كما سترى في ١٥ تموز ١٩١٥

١٤ : يعقوب ويوحنا ابنا عبد المسيح النجم
ووالدتهما صوفيه.

بعد مذبحه رجال القافلة الاولى سار شاكر بك وامين بك ولدا الحاج عبد القادر باشا الحاج كوزه الى دار عبد المسيح النجم وفاوضا صوفيه امراته واكدا لها انها يحقنان دمها ودم ولديها ويقصيان عنهم كل خطر . فدفعت لها صوفيه ثمانين ليرة وشيئاً من الجلي ثم استحضرا قوماً من الحمالين نقلوا كل ما كان في البيت من البضائع والاثاث والامتعة وذهبا بالام وولديها الى دارهما . وما مر الاسبوع حتى قصبت مريم ابنة عبد المسيح تلك الدار لتستفسر عن حال امها وشقيتها فقيل لها انهم في الميستان فعادت مضطربة الى بيتها وما مر على ذلك ثلاثة ايام حتى سارت تكرر اذ لتستوضح عنهم فأرتجوا الباب في وجهها فرجعت والافكار تزعجها . وفي الغد سارت ثالثة لتقف على حقيقة الخبر فاغلظوا لها وقابجوها وقالوا لها مالك تحتلفين الى دارنا او حسبتها سوق مزاييدة . ارجعي الى بيتك والا .

فهمت المرأة المسكينة ان قد قضي امر امها وشقيقها . . وحققة
الواقع ان الام وولديها بعدما قضا ليلتهم في تلك الدار قتلوا غيلة
وذبحوا حتى خرجت ذات بطنهم . ثم بعثت جثثهم والقيت تحت
الباب الجديد وتركت فريسة للوحوش . وعلى هذا الاسلوب تم
استشهاد الام وابنيها الفتيين النجيين وهما في طراوة السن ونضارة العمر

١٥ : يوسف خضرشا وابنه ميخائيل

كان يوسف اثناء المذبحة في تل ارمن فتريا بزى النساء وتقنع
وركب فرسه يريد البلد . ولما وصل الى عين عبدال شعر به قوم
من الحفظة والمشكوية فثاروا به واحتلبوا فرسه ودراهمه واطلقوا
له الحرية ليدخل المدينة فتوجه الى بيت منصور سحار واختفى فيه
مدة . وفي تلك الغضون شخص اليه مصطو بن يدو المشكوي وابنه
ابراهيم وبذلا له كلمة الامان ونصحا له ان ينهزم الى سنجار . فتأكد
ليوسف صدقهما وارسل في استحضار ابنه ميخائيل وكان ميخائيل
شاباً نجيباً لم ير عليه منذ حضر من اميركا الى وطنه الا اسابيع .
فركبا كلاهما الى الخاص قرية بيت شهتنا ونزلا في دار خضر بن
عبد الرزاق صديقهما . وما قضا تلك الليلة حتى نهض عليهما خضر
وعبد الكريم اخوه وخرجا بهما الى خارج القرية وقتلاهما كليهما
واذا بما ان قد ارسلناهما الى سنجار

وعلى هذا الاسلوب ضرب الاعداء القساة وصفعوا وهزروا
وعقلوا ونكلوا بقوم غير يسير من اعيان الارمن خاصة . ومن
جملتهم ايضا نذكر الياس بعروصي وسليم بجديو ونعوم شموني
السرياني وابن شاهين وغيرهم

ويجدر بنا ان نختتم هذا الفصل بما حدث للشيخ الوقور نصري
 حال احد اعيان الطائفة السريانية فان الخصوم الاندال بعد ما القوا
 القبض على انجاليه الثلاثة اسكندر وفيلبس . وبعد المسيح وهم في
 شرح الشباب واستاقوهم الى السجن . اقبل الى داره في سابع
 حزيران صالح الداشي وحقي البوليس وجينو القزاز وابن اخيه وبعد
 السلام الروضة ومعهم فيلبس ابنه فتركوا فيلبس على الباب واخذوا
 زناره ودخلوا يقولون لنصري ان فيلبس ابنك يقول اعطنا البندقية
 وهوذا زناره يدل على صدق مقالنا . فقال لهم نصري . لست ادري
 اعندنا بندقية ام لا فاذا كان قولكم صحيحاً احضروا فيلبس
 يعطكم ما تبغون . فتهددوا الشيخ وتوعده بالقتل ثم سار احدهم
 واتى بفيلبس . فقالوا له اخرج البندقية . قال فيلبس اي بندقية .
 قالوا اتنكر ذلك علينا ثم سطحوه في قاعة الدار وضربوه وضربوا
 نصري والده ضربات شتى بالمناوبة . وظلوا يضربون الاب وابنه
 مدة اربع ساعات . ولما اعياهم ذاك اوثقوا نصري وفيلبس نجله
 وساروا بهما الى جامع محمد الضرار جنوبي البلد . فوقف من يتي
 في البيت ليشاهدوا ما سيعرض لهما . فاذا بالكفرة الاوغاد قد
 ربطوا عيني الاب وابنه ربطاً محكماً وتناولوا بندقية اطلقوها في
 في الجوفظن الاهل انهما قتلا . وما مضى قليل من الزمان حتى
 احضروا نصري الى داره واعادوا فيلبس نجله الى السجن . ثم حضر
 توفيق الانصاري وحقي البوليس وقادي آيو المشكوي ورفاقه وقالوا
 لنصري ادفع لنا البندقية والا اخذناك الى السجن وضمنناك الى
 اولادك . فاكد لهم ان ليس عنده شيء مما ذكروا . وما لبث

نصري يتعذب حتى ساقوا اولاده وقتلوهم مع من قتلوا في القافلة
الاولى على ما ذكرنا

ويوم الخميس عاشر حزيران النبي النبض على نعوم ابنه فسار مع
زفاقه الى ديار بكر وعاد معهم على ما سبقنا . ولما فصلوا السريان
عن الارمن واعتقوهم من السجن وسرحوهم الى بيوتهم . امر
ممدوح ان يبقى نعوم في السجن فلبث حتى ١٥ تموز لم يمدد احد عليه
يدا . غير ان الخبصوم حاولوا ان يسرقوه مع من استاقوا من السجن
في ٢ تموز فبذل لهم رشوة وافرة فسكتوا عليه . وفي ١٦ تموز قصد
الجنود دار نصري ايضاً يقولون ادفع بدل نعوم ابنك فيفلت من
السجن فذفع ثلاثاً واربعين ليرة وطلب التذكرة فقالوا هي عند ممدوح
فقصد نحوه نصري والتمس التذكرة منه . فجعل ممدوح يتهمدده
ويتوعده بما فطر عليه من شراسة الطبع وفظ اللسان . وامر الذين
حواله ان يقبضوا عليه ويخزوه في السجن ويضموه الى نعوم ابنه . وما
وصل الى المحل حتى اختلس نوري البديلي ما كان عنده من
الدراهم . ومنذ ذاك تعود نوري وغيره على الاختلاس واستنزاف
المال . اما ممدوح فاضطر نصري ان يدفع له الفاً وخمسمائة ليرة
ليطلقه هو وابنه . غير ان ملكة ابنته قصدت احمد بشار ودفعت
له من الاموال ما بلغت قيمته نيفاً ومائة ليرة ليسعني عند ممدوح في
اطلاق ابنيها واخيها . فسمع ممدوح الخبر وامتعض اي امتعاض
واستدعى نصري وقال له مالك توسط الناس في تخليتك . اعلم اني
لست اطلقك الم تدفع لي مائتي ليرة فوق ما اخذت منك من
البضائع . فقال له نصري . مر في احضار ملكه ابنتي فابلغها ما

يجب ان تفعاله . فلما حضرت استدعى نصري وابنه الى فوق وراح
عبدى حمود و خليل الداوجي يتنصتان ثم حضر ممدوح وقال
للضابط عليّ بجزمة من القضبان . فاقشعر بدن نصري وهلع قابيه
لدى سماعه الكلمة وما زالت الرعدة والقشعريرة لازمة له حتى اليوم .
ولما اخذ ممدوح القضبان وعجمها القاها من يده يقول : هلم قضباننا
رطبة لا يابسة . . غير انه لم يضرب بها نصري بل اتخذ ذلك وسيلة
لتخويله حتى اذا كان رابع اب دفع له نصري مائتي ليرة فاطاقه .
اما ابنه نعوم فظل مسجوناً حتى ١٥ اب فبقى في السجن ٤٨ يوماً .
ثم سرح الى بيته

الفصل السابع عشر

عذاب الارمن المسجونين . كبس كنيسة الارمن . ضرب الورتبيت اسطغان
والاب بمقوب . سوق المسجونين - قتلهم . اماء الكهنة
الارمن . البحث عن الاماحة

ولما اطلق بقية رجال السريان والكلدان والبرستان من السجن
وبقي الارمن وحدهم نشم اعداء الانسانية ينزلون بهم انواع العذابات
الفادحة حتى ٢٨ حزيران فكبس عند العضر كنيسة مار يوسف نحو
ثلاثين من الجنود والعملة في مجارفهم ومعاولهم وعصيهم فشهدوا
الورتبيد اسطيفان خولوزو الشيخ الوقور منزوياً يصلي فرضه فعربدوا
عليه واستدعوه بسخط وغضب وقالوا له انبش الاساحة والقنابل
المطمورة في الكنيسة . فانكر عليهم الشيخ وجودها . فحملقوا
فيه الابصار وقالوا له كيف يسوغ لك ان تكذب على الدولة ونحن

عارفون حق المعرفة ان القنابل والمدافع مدفونة في قلب ارض هذه الكنيسة . فقال لهم بتدل صدقوني انه لا اثر لما تقولون . فاحتدموا غيظاً . وعلقوا يضربونه وينتفون لحيته البيضاء ثم اخرجوه خارج الكنيسة ونزعوا عنه رداءه ومضوا به الى غرفته واخذوا ما كان قد بقي في صندوقتي الكنيسة والفقراء من الذهب والفضة . وبعد ذلك رجعوا به الى الكنيسة تكراراً . وما كاد يضع قدمه في الباب حتى دعه احدهم بشراسة فوق علي وجهه وانغمي عليه . فتركوه على تلك الصورة واستدعوا رفيقه الجليل القس يعقوب والحوا عليه في الاقرار بمطامير الاسلحة فما تمسك الاب ان قال لهم بجرأة . « قلنا ونقول لكم الحق ان ليس عندنا اسلحة بته . فان ديننا لا يعلمنا الكذب ابدا فانتم ترمون الى قتلنا لغير علة فاقتلونا عاجلاً لنخلص وتخلصوا »

فما كان من اوائك اللثام الا ان افحشو له في الكلام وساروا الى المذابح الثلاثة فاختلسوا اغطيتهما ولما صادفوا الشمامسة الكبيرة التفتوا نحو جبرائيل نسبه الشيخ الارمني وكان وحده اذ ذاك في الكنيسة وقالوا له : ما هذا يا رجل . فتبسم جبرائيل وقال : هذه شمامسة توضع فيها الشموع وتوقد . قال القوم سير : كلا . بل هي اسلحة ومدافع صغيرة . فاصدقنا المقال وافدنا عن مخاليء القنابل والاقتلناك الساعة في مكانك . قال جبرائيل انا رجل سرياني لا معاطاة لي مع الارمن وقد حضرت الساعة لاصلي ههنا . فجعل احدهم يشتمه اقبح شتم ويقتذف من فيه النجس كل كلام بذي ضد الدين والاسرار الخ حسبما اعتاد لسانه القدر من نعومة اظفاره

ثم صاح القوم سير بالفعلة الحاملين الآت الحفر فحفروا تحت المذبح الكبير مقدار نصف ذراع . وحفروا عند المذابح والشباك الجنوبي وساروا الى طابق الكنيسة الاعلى وحفروا كثيراً ثم حفروا في ازواق الخارجي نحو ذراعين ثم دخلوا الكنيسة ثالثة وقوضوا درج المذبح وحفروا نحو ذراعين وقصدوا السكرستيا (الموفه) واستلبوا ما شاهدوا من الاطباق الفضية والذهبية وفتحوا بيت القربان واخرجوا الكاس وصعد احداهم الى درج المذبح واستل سيفه وضرب شخص مار يوسف كأنه شلت يده يريد الانتقام منه . وكان جبرائيل نسبة واقفاً يلحظهم وهو صامت مبهوت . ولما ملوا البحث والتنقير وآيسوا انقلبوا الى منازلهم

وفي ٣٠ حزيران تم قرار اللجنة الشيطانية على استياق الارمن المسجونين وذبحهم كالذين سبقوهم . فشد من بغتة قوم منهم على الكنيسة المشار اليها واغلقوا الابواب واستلموا المفاتيح واستاقوا الكاهنين الناضلين الى السجن واضافوها الى اولادها الاعزاء

وغلس الجمعة ٢ تموز نشموا كمالوف العادة يوثقونهم ويفللونهم بحنق وغيظ ثم استاقوهم شرقي المدينة وما خرجوا من الباب حتى شرعوا يقضبونهم ويجرونهم بقسوة اشد من ذي قبل ويستعجلونهم على المسير . ومن تخلف منهم لسبب ما اصابه من العذاب في السجن ناروا به وقتلوه حالاً والقوه في ذلك الوادي الهائل فاصبحت تلك الطريق مبدورة بالجثث . ولما بلغوا بهم على تلك الحال التاعسة الى حرين بادر اهالي القرية الاردياء وانضموا الى العسكر الحسيني وانكالوا عليهم بالشم والضرب والطنن واللطم ربثا وصلوا الى دار

فبادر اليهم كبار البلد ايضاً واطبقوا على اطلاق الرصاص على جماعة منهم فقتلوهم وذبحوا طائفة على افواه الابار والقوا فيها الجثث جميعها والتقفوا الالبسة والاثقال وانكفتوا الى منازلهم

وذكر لنا ثقة عن القس يعقوب فرجو انه بعد ما قتل الكهنة تقدم اليه شاكر ابن الحاج قاسم افندي وعرض عايه الاسلامية . فسخر منه القس يعقوب وقال له . ويحك يا رجل . ما هذا الكلام البارد البتة . اسرع في قتلي والحقتي برفقتي لافوز بغايتي . بادر واذنجني كي يمتزج دمي بدمائهم . فاني لا اغمض عيني حتى افتحها في السماء عندهم . على هذا المنوع قتل جميع كهنة الارمن الافاضل وافيف شعبهم المحبوب . واليك اسما اولئك الكهنة الشهداء .

الورتبيد اسطيفان حولوزو . الاب اثناسيوس بطانه . الاب يعقوب فرجو . الاب انطون احمراني . الاب ليون نزر . الاب ميناس نمي . الاب مكرديج قليونجني . الاب اغوسطين بغدي . الاب ورطان صباغ . الاب نرسيس جرّو . الاب هاير بوغوص سنيور . الاب بولس شدّ خوري دارا . الاب جبرائيل قطرجي . الاب اغناطيوس شادي

اما الورتبيد اوھنيس بوطري كبير الحوارنة البالغ من العمر ثمانين سنة ونيماً فان الخصوم نفسوا به عن القتل توفية لمطامعهم فانزلوا به الران العذاب يقررونه عما عنده وعند الجماعة من الذهب وافضى بهم الامر الى ان حبسوه في غرفة طولها خمسة اشبار في مثلها عرضاً وضيقوا عليه جداً حتى صاح الموت . ثم استحصلوا منه مقدار مائتي ليرة ذهباً ومضوا به الى دار السيد اغناطيوس مالويان

فاستمر فيها حتى ١٥ تموز فاستاقوه مع قافلة النساء الاولى وقتلوه
وتشاغل اعداء الدين والانسانية منذ ذلك الى ١٥ تموز في الفتك
بنصارى القرى المجاورة . ولم يفتروا من البحث عن الاسلحة حتى
انهم في رابع تموز ارسلوا بعض العملة الى دير مار افرام فاخذوا
كمية من الشموع الى مقبرة الارمن المعروفة بالتلول فحفروا يوماً
صحيحاً كاملاً ولم يعثروا على شي . البتة . ولعمري انهم لو وجدوا
قطعة واحدة او كما يقول العامة طقطوقة صغيرة عند المسيحيين لمحقروا
كاثليك المدينة واجشوههم قاطبة

الفصل الثامن عشر

ذكر الشهداء الذين قتلوا في المذبحة الاولى والثانية

في ١٠ و ١١ و ١٥ حزيران

قلنا ان عدد القتلى في القافلة الاولى بلغ اربعمائة وسبعة عشر
وفي القافلة الثانية تسعة وتسعين . اما في القافلة الثالثة التي ذكرناها
في الفصل السابق فكانوا نيفاً وستمائة نسمة . وقد اوردنا اسماء
الكهنة جميعاً واسماء البعض من وجهاء الارمن وغمضنا عن ذكر
سائرهم لكثرتهم . وعلى الاجمال نقول انه لم يبق من رجال الارمن
سوى الشيخ او من اختفى عن العيان فقط فقرروا ان يضموهم الى
النساء ويسوقوهم معهم . وقد كنا نحب ان نورد ههنا اسماء
الذين ذبحوا من غير الارمن فتغذر علينا الحصول على اسماء الكلدان
الا اننا عرفنا انهم ناهزوا الاربعين ومن جملتهم اربعة اخوة شبان
اعزاء من اسرة شوحة النبيلة

واليك اسماء الكهنة السريان . الخوري رافائيل بردعاني . القس بطرس عيسى . القس حنا طبي . القس متى ملاش . القس يوسف معمارباشي . وكان هذا قد شخص الى ماردين يوم كان المسيحيون مسجونين في ٧ حزيران فاستلمه بواب البلد واستاقه توطاً الى السجن ثم سار مع القافلة الاولى وقتل

إما القس متى خريمو . والقس لويس منصوراتي . والقس يوسف رباني فنجوا من القتل يا عجوبة وعادوا الى ماردين . اما القس حنا بنابيلي فأصيب برصاصة في فخذه اضطر لذلك السبب ان يستمر في ديار بكر حتى سلخ سنة ١٩١٥ فيمهم ماردين وظل الى تموز ١٩١٦ فانتقل الى جوار ربه

اما شمامسة السريان الهنودياقونيون فهم عبد المسيح نصري جمال يوسف ارملة . رزق الله عبيد الصمد . فيابس تبسي . منصور اينغو . فرنسيس شمعي . نعوم اعرج . ملكي ابن الخوري ابراهيم معمارباشي . جرجس هاقوري قنذافت [وافه | الكنيسة . يوسف بوصيك . جرجس مكا

الجماعة

حبيب ترزي دي جروه . اسكندر نصري جمال واخوه فيلبس . يوسف جرباقة وانجاله ابراهيم وفرجو وجرجس . اسكندر جرباقة واخوه حنا . اسكندر سيدي . حبيب معمارباشي وابن عمه رزق الله . فرنسيس تبسي . رفاثيل كالمو واخوه ميخائيل . جرجس حنا جتي . بحبيب اينغو . فرجو مقدسي نعوم . المعلم رزق الله سلمو . سعيد قره كله . حنا بجدايو . فرنسيس دقاق وابنه يوسف واخوه رزق الله

سكندر دقماق ويوسف والياس اخواه . سعيد دقماق . وفرنسيس بن
 جرجس دقماق . عزيز شاميه . رزق الله آخو . ويوسف آخو . حنا
 عبد الصمد . وسعيد عبد الصمد . جبرائيل قاووغ واخوه جرجس .
 يوسف باهر المختار . يوسف حنا باهر . فرجو بردعاني . مالي صوفيه
 سعيد اسطنبولي . يوسف مغزل . رزق الله انطي . فرنسيس اينغو
 وبولس اينغو . الياس طبي واخوه جرجس . ملكي مال الله . اسكندر
 جرجس هيلي . فرنسيس منشي . فترح اينغو . حبيب نصري اينغو
 جليل كاتو واخوه يوسف . سعيد شاعو . رزق الله حنا عندو . منصور
 سعيد كدا . رزق الله بوصيك . حنا بجي . حنا سلمو . اسكندر
 حنا قرطي . جرجس ايليا مورو . الياس يوحنا . يوسف مال الله .
 اسكندر مرزا . اغناطيوس مرزا . بطرس ملكي داودو . جبرائيل
 صقال . فرنسيس قواق . يوسف بمب . الياس خابوط . جرجس
 عيسى الكربوراني . حبيب حلاق . عيسى جرجس عبد النور . سليم
 مجديو . نعوم شموني

اما بطرس عجمو فلما كان في السجن حرضه اليعاقبة وحشوه
 ليخرج معهم يوم اطلقتهم الحكومة فلم يرض فصار مع اصحاب
 القافلة الثانية وقتل مع من قتل في شيخان وراح ينال الجزاء المعد
 للمجاهدين

فهو لاء . والذين ذكرنا سابقاً قد قتلوا في سبيل الايمان الكاثوليكي
 المقدس من دون جرم البتة . اما الذين اطلقوهم من الحبس من
 السريان والكلدان وغيرهم فقد توفي اغلبهم لسبب المخاوف والعذابات
 التي اصابتهم في ذهابهم واياهم وسجنهم

الفصل التاسع عشر

الى فرنسا ام الخير والمعروف

او نكبات راهبات الفرنسيس ودهبانهم

ابي الاتراك الا ان يفوقوا سهم حنقهم وكيدهم ويصوبوه نحو
فرنسا بنات الكنيسة البكر المجدوبة ويفرغوا في رجالها الكرام
وجميع المنتمين اليهم اسمهم الزعاف ليحرقوا اسمها وذكرها ويستحذوا
على اراضيها واملاكها . غفلوا عما سبق لها قبلهم من العوارف الشتي
والمبرات الكثيرة ونسوا ان انور امامهم وقائدهم يوم حصل في
الضيقة لم يجد الفرج الا في فرنسا . فمنها استقرض المبالغ الطائلة
واوفدها الى المانيا في استحضار الآلات والادوات لمحاربة من اصطنع
اليه المعروف والاحسان . وفات الاتراك ان الفرنسيين محتصنون باحرز
المعاقل لا ينالهم الخضم الا لد مها بالغ في الحيل والجد والاجهد بل لا
يتيسر له ان يزعمهم او يزحزحهم لان صروحهم متينة مشيدة على
دعامة وطيدة راكزة على صخرة ثابتة . فاصبح مثلهم مثل ربح
لاقت اعصاراً فردوا بافوق ناصل ورجع كيدهم في نحرهم

على اننا رمنا ان نورد للقراء في فصل خصوصي كل ما عرض
السنطين الى فرنسا العزيزة في مدينة ماردن مما يبغس حقوقها فان
الدواهي انجزت عليهم منذ خامس كانون الاول ١٩١٤ وتتابع
عليهم ضروب الارزاء والنواب واليك تفصيل ذلك نقلا عن دفتر
الاب ليونزد النبيل

صباح اليوم المرقوم كبس كنيسة الكوشين اثنا عشر جندياً

وجزموا . ان يطلعهم الابوان عن اسميهم واسماء الراهبات معاً
 ويفيداهم عن وطن كل منهم . فقيل لهم ان الاب دانيال الشيخ
 الوقور ايطالي النحلة وان الاب ليونزد لبناني الاصل ماروني المحدث
 و كليهما يمثلان دولة فرنسا ويخدمان ديرها طبقاً لامتيازات الدول .
 وقال لهم ان من الرواهب ثلاثاً هن اثانيات مولودات في ماردين
 وهن باسيفيك واسومبسيون واغاثا والبقية مولودات في فرنسا لاثذات
 مجهاها متفنيات بوريف ظلها

وعند ذلك ركب الجنود شيطان السخط والحرد فنهضوا من
 فورهم وفتشوا الغرف وبحثوا عما فيها ثم ختموها كلها واخرجوا
 الراهبين واوصدوا الابواب وقصدوا تورا دير الراهبات وعلقوا يعربدون
 عليهن ويسمعونهن كلاماً جفياً غليظاً خدش اسماعهن الطاهرة

وانا ليعرونا الحياء والحجل من ايراد ما قاله وافتعله اوائك
 الاجلاف في دير الرواهب الحواصن فانهم عدا ما افحشوا في الكلام
 تصرفوا في الامتعة كما طاب لاهوائهم بل ضربوهن ودفعوهن الى
 الارض وامروهن امرأ فصلاً بالتسحي عن غرفهن والخروج من
 ديرهن . ثم اغلقوا الحجر وختموا الابواب فتجمهر اذ ذلك الرعاع
 يتحينون الوقت المناسب ليفوزوا من دون تعب بالغنائم والمكاسب

اما الاب ليونزد فلما راي ما اجري هولاء العتاة انحدر من
 ساعته الي الكنيسة وفتح بيت القربان واخرج الكاس المقدسة
 باحترام وانها بمنديل نقي وضماها الى صدره وسار بها الى دار الخوانجا
 حنا مركيزي الارمني ورجع حالاً الى الدير يريد البقاء فيه ليلته .
 فقال له احد الجنود لا نحيس لك من مفادرة الدير والا فليس لك

ان ترقد الا في بيت الونة . وما مضى من الليل ثلثه حتى اقبل
محمد كبوشو الخبيث الذائع صيت فظاظته الشائع خبر غلاظته وجمع
الفرش كلها وسار بها الى دار الحكومة واخرج الاب ليوزد خارجاً
فبحار في امره وظل يرعى النجوم حتى الفجر . وصباح الاحد سادس
كانون الاول نقل كاس القربان الى كنيسة السريان واقام فيها
الذبيحة الالهية

واقبل في ذلك اليوم جماعة من رجال الحكومة فاستدعوا الابوين
وامروهما باستخراج ما في الدير من الاسلحة والمدافع مما لا اثر له .
وكانت تلك دنيسة ومكيدة اختلقها عبد الرحمان القواس صاحب
الرحى انتقاماً من الكبوشيين . فجال الجنود في الدير متبخترين
وبخثوا عما زعموا مدققين ولم يذروا موضعاً الا دخاوه ولا ثقباً الا
وسعوه وافضى بهم الامر الى ائزال اشخاص الى البئر عساهم يجدون
فيها اسلحة فعادوا بالخبوبة

ورام الاب ليوزد مساء ذلك اليوم ان يبني ليلته في الدير فلم
يأذن له الجنود فقصد دار الخواجا حنا مر كيزي ولزمها اربع ليال لا
يخرج منها ابداً . وظار الخصوم يفتشون وينقرون وينقبون من سابع
كانون الاول الى العاشر منه : يفتحون الغرف ويبعثون الكتب والاوراق
ويبعثون في الامتعة والاعراض ويتجنثون على ما طاب لهم دون
معارض لا يراقبون الله ولا يستحون من عبده . ثم قصدوا دير الراهبات
وفتشوا الحجر اجمع وفتحوا الصناديق واستبحثوا عما فيها وتلبوا
بها ثم كوموها على بعضها واغلقوا الابواب وختموها وحشروا
الراهبات في غرفة واحدة وانكفرتوا الى منازلهم يترقبون الفرصة

للاستيلاء على المال والدار كأيهما

فضاق ذرع الابوين وعميت عليهما طرق التملص فكتبا الى اديب نائب المتصرف في ان يرخص لهما ان يُعدا الزاد للرواهب ويسعيا في امر سفرهن فاضرب عن الجواب واتخذ الطلب لغوا . فكتبا في ذلك الشأن الى القومسير ايضاً فلم يجبهما . بل اضافوا الى ذلك انهم اقاموا خفرة على بابي الديرين لا يدعون كائناً من كان ان يدخل او يخرج ووضعوا خفراً ايضاً على بابي دار الخواجا مركزي . وفي ثامن كانون الاول امر اديب الوكيل بفتح الابوان كنيستهما واقاما الفروض الدينية وظل الجنود يوافون الى الدير كل اُصبرحة وامسية ياكلون ويشربون على كيس الرهبان . على ان الذين كانوا فيما سلف يودون الرهبان ويجلونهم اخلفت خضراء مودتهم فقلبوا لهم ظهر المجن وتغيروا عليهم وعلقوا يحفرون لهم الحفائر

وعاشر كانون الاول استكرى الراهبات اربع عجلات بثمانين مجيدياً وركبن الى ديار بكر وفي غيبوبتهن شخص القومسير في جماعة من البوليس الى الدير وفتحوا الصناديق والحزانات والصرر والاسفاط واختاسوا ما طاب لهم . واجتمع وقتئذ لفيف من الرعاع على الابواب ينادون ويقولون الان نحول الدير جامعاً والمدرسة مكتباً . بل ان امرأة مسلمة اقبلت حاملة مكنستها تقول اين الجامع الجديد الذي ضبطناه من فرنسا فقد نذرت ان اكنسه بيدي . فصاح بها فرج الله كسبو معلم المدرسة وزبرها وقال اصمتي ياسفيهة وارجمي الى بيتك . وفي ذلك اليوم عينه مرّ بتلك الجادة جرجس مطران

السريان اليعاقبة يصحبه الراهب يشوع فبادر الاعلاج وخطفوا قبة
والقوها الى الارض فزجرهم المطران وقال لهم او ظنتم اننا فرنسا
فعاملمونا هذه المعاملة . كلا . بل اننا عثمانيون . فعلام يا
تحتقرون من ينتمي الى تركيا ويتباهى بالدولة فسكت او
الصبيان وردوا لها القبتين

اما الراهبات فلما وصلن الى ديار بكر بلغن الوالي ان ثلاثاً
عثمانيات فاصدر الامر بروجوتهن الى ديرهن . فقفلن راجعات وود
الى ماردين في ٢٤ كانون الاول ليلة عيد الميلاد . وتبادر الى
انهن يستلمن الدير بما فيه . غير انه خاب الامل فلزمن دار الخو
مركيزي اربعة اشهر

وفي ٧ كانون الثاني ١٩١٥ نادى النادي في الشوارع ان اغرا
الرواهب تعرض غدا البيع فمن شاء مشتري شيء فليحضر . فاحت
في الغد رجال المسلمين ونساوتهم وحضر معهم نفر من النصارى
ولاسيا اليعاقبة وما دخلوا الدير حتى بعثوا عجيجهم وضجيجهم وطف
يزأطون ويهرجون وفكوا الحثوم وباعوا الاغراض كلها بالزاد
الصور والتماثيل مما لا يفيدهم . ثم اخرجوا الحلل الكهنوتية
وصحنوها باقدامهم النجسة بعدما انتقوا منها ما يصلح لكسوتهم
وافرزوا الشموع والقناديل والشماعد فاخذوها الى الجامع الك
وظاوا يبيعون ويشترون مدة ثلاثة ايام حتى امسى الدير خاوياً خ
كان البناء قد خرج منه جديداً

وبدعاشر كانون الثاني خصصوا دير الرواهب بالجنود فك
الصنكر منذاذ يجتمعون في ذلك المعهد المقدس ويسرفون الليالي

الاكل والشرب والسكر وسائر انواع الخلاءة والملاهي والبطر مما
 حرمه الله تعالى . وامروا المؤمن ان يؤذن كالعادة على سطح الدير
 في الاوقات الخمسة وزفخوا الناقوس وجاؤلوا ان يكسروه الا ان
 احد المسيحيين تصدى لذلك فصرفهم عن سوء نيتهم

وتاسع شباط نقلت الكتب والكراسي وجميع ما تبقى
 من الامتعة الى الجامع وشغل الغرف بعض الموظفين ما عدا غرفتين
 انعموا بالواحدة على الاب دانيال وبالاخري على الاب ليونز .
 ويوم الخميس ١١ شباط اقبل خمسة وخمسون من طابئة المسلمين
 حاملين الرايات والبنود منادين بالهيللة والحيعة ودخلوا ساحة
 الكنيسة وسكنوا في المدرسة . واذاعوا منذ ذلك ان الكنيسة
 وسائر مشتملاتها ستغدو مركزا للحكومة والتناغراف معا . وبدأوا
 يمتثلون الى الدير صباح مساء واحتموا بالمرّة على كل ما فيه كما
 يقال من النحاس الى الرصاص دع الذهب والفضة والامتعة والاثاث .
 من حملتها اشياء كثيرة كانت للمسيحيين المنتمين الى الكهوشيين
 فراحت صدقة راسهم وامست طعمة للحكومة واعوانها . نذكر
 من ذلك طنفسة كبيرة عجمية بلغت قيمتها نحو ثلاثين ليرة ذهباً
 كانت للخواججا عبد المسيح بطيخه . وطنافس غيرها . بلانها
 الفا غرش كانت لفرنسيس توماس . وكان الخواججا الياس بعروضي
 طنافس بمبلغ الاني غرش وايوسف آحو جلود بالفني غرش . وللعمام
 رزق الله سلمو ثلاثة اكيال حنطة . ولقرينة يوسف مغزل صف برباعيه
 الذهبية ولاآيه بالني غرش . فهذه الاغراض برمتها استولت عليها
 الحكومة وتصرفت بها كما ارادت . فعرض الابوان الامر على

حاكم البلد فوعدهما مواعد عرقوب ولم يردد لهما ما طلبا . وعلا
على ما اوردنا انهدت الحكومة الى مستاجري دكاكين الكبوشية
ان يدفعوا الاجرة لها لا للكبوشيين . فحار الابوان في امره
وغابت عليها طرق المعيشة والنجاة . واتصل الخوف بالكاثليك
الى حد انهم لم يعودوا يجسرون ان يفتقدوا الابوين ويذورواهما .
على ان اعداء الدين لم يقفوا عند ذلك الحد من التعدي والجل
والعسف بل تجاسروا فالقوا القبض على الاب ليوزد في خامس حزيران
١٩١٥ واستاقوه الى السجن حيث كان السيد اغناطيوس وجماعته
على ما وصفنا . ولشد ما جنوا على الاب العزيز ونكلوا به فانه
ما كاد يصل الى باب السجن حتى استلمه البواب بلهوجة ولطم
بشراسة واجتمع احزاب الشر واحاطوا بالاب الوديع وطفقوا يصفعون
ويرفسونه وينتفون لحيته ويقولون ادع فرنسا لتبادر وتنقذك .
نكسوه على راسه نحو ساعتين وتكالبوا على ضربه الضرب الوجع
واقترفوا اظفار يديه ورجليه معاً ثم دحرجوه في الدرج فانغمي عليه
والله يعلم ما ناله من تباريح الالام والوان العذاب اما ساقوه
القافلة الاولى في عاشر حزيران حتى فتكوا به ولفظ روحه الباطه
بيد خالقها

افتحي اذنيك يا فرنسا المحبوبة يا ام المسيحيين ولاسيما الكاثليك
واصغي الى ما جرى من يتباهى بك وينتمي اليك
اما الاب دانيال الشيخ الوقور فلم يمدد عليه الخصوم اذ ذ

يداً اثيمة . فظل منزوياً في بيت محاذ للكنيسة لم يرقه الخروج منه أصلاً حتى اذا كان ١٧ تموز ١٩١٥ قبض عليه وأُتي في الحبس وضيق عليه جداً وابتز منه ممدوح واصحابه ثلاثاً وعشرين ليرة علوه بالاطلاق على ان يدفع مائة وخمسين ليرة علاوة . ذلك لتكون بمثابة مكافاة لهم عن سوقهم رفيقه الاب ليوزد وقتلهم اياه شهيداً . يا يهوذا الخائن ماذا صنعت بالثلاثين من النضة . قل لي أما تدمت ورددتها وقلت اني خطتُ إذ اسلمتُ دماً زكياً . بلى . ثم ماذا . . . علقك نفسك وانشقت من وسطك واندلقت امعاوك ومات اقبح ميتة ذلك عقوبة خيانتك

ثم ان الاب دانيال دفع ١٥٠ ليرة ايضاً ثمن دم القتل الزكي فاطلق سبيله في ثلاث آب بعد ما قضى في السجن سبعة عشر يوماً . ولبث منزوياً في بيته حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩١٦ فسافر الى حلب فقونه صحبة الابهاء الدومنيكين . اما ما جرى في الديرين والكنيسة وما حدث من الخراب فكثير فانهم هددوا الحائط الجنوبي من راسه الى راسه و اضافوا ساحة الدير الى الطريق العمومية وجعلوا الكنيسة اهراء وخصصوا غرف كلا الديرين بماوى العسكر المرضى حتى اليوم . على انهم اثناء قامت قيامتهم لم يخطر ببالهم ان ليالي الحروب سينقضي نجبها وينطني لهبها وان كل الدسائس ستعان جهرة لتجزى كل نفس بما عملت . وان سوء التدبير اخيراً سيفقد سبباً للخراب والتدمير

الفصل العشرون

انفلاق الكنائس والماابد وتدنيسها

دُمرت الماابد واخربت الكنائس والغيت الذبائح وبطات الصاوير والطقوس . ولزم بقية المسيحيين بيوتهم . وقامت رجاسة الخمر في جناح المياكل المقدسة [دانيال ٩] وحدث ضنك شديد وخوف عظيم استولى على الشيوخ والكهول دبع الشبان والحبالى والمرضع حتى كادت تزهد الارواح

ذلك لان اعوان الشر والنفاق بسطوا الامال في الاستيلاء على الكنائس والاديار فظفقوا بادىء بدء يهجمون غرف الاساقفة وحق الكهنة يفتشون عما فيها فكبسوا كنيسة السريان في ٢ ايار فرم العملة يبنون مذبحاً حديثاً فما كان منهم الا ان ضجروا وعجروا وامرو بتقويضه والحفر تحته وما حوله لينبشوا الاسلحة والمدافع فلم يعثر على شيء فرجعوا مايوسين فاعترضهم في الطريق حمو البقال بن الكلس وقال لهم . اني انا عارف بمخابى الاسلحة واكد محمد عبدالو الليم قوله وقال اني انا بنفسى قد بعث بندقيتين كبيرتين المطران حنا معمارباشى وحنث لهم بالطلاق الثلاث ليويد دعواه الكاذب فعادوا الى الكنيسة حامضي النواد فاسدي النيات وامروا بنبذ ضريح السيد يوحنا معمارباشى ففتشه القوم سير تفتيشاً عميقاً فلم شيئاً فعادوا مخذولين

ثم ساروا الى بيعة الارمن الكبرى يوم كان راعيها السيد اغناطيوس مسجوناً يتقدمهم اديب وكييل المتصرف وممدوح المسخوط واستحضروا اساتذة العملة كرافائيل كازار واولي (ايليا) كيسو وجبرائيل نهبيه وهددوهم واوسعروهم ضرباً وشتماً وقالوا لهم استخرجوا المدافع والا قتلناكم . فقال لهم الاستاذ لولي : استحضروا كمية وافرة من البارود وهدوا البيعة من اساسها وفتشوها من راسها الى راسها فان صادفتم شيئاً قتلتموني وقتلتم عامة الارمن والا فما بالكم تتقولون الاباطيل وتدعون دعاوي لا اثر لها ولا صحة . فسخط عليه ممدوح وطفق يضربه اعنف الضرب حتى جرت الدماء من وجهه واذنيه . ثم ضرب رفيقه رافائيل ايضاً فقال انا سرياني لا خلطة لي مع الارمن في هذا الامر . اما جبرائيل نهبيه فلما انكر عليهم توهمهم قام اليه ممدوح وسطحه على الرصيف ورفسه وصنعه واوسعه ضرباً وجيماً جداً حتى امست لحماته سوداء كالنيل واضطر الجند ان يحملوه الى السجن على الاخشاب

ولما لم يبرد الاعداء غليلهم بوجود شيء مما توهموا راح ممدوح الوجد واصحابه الخالعة العذار كهرون وصالح وفواد وحيدر وغيرهم يستعمون عملاً افطع واشنع . على انهم في سابع حزيران اي يوم كان الطران والجماعة مسجونين استحضروا ليلاً الى الكنيسة المذكورة ابنة لولي منبو المشهورة . فاوقدوا المصابيح واضطروا المرأة ان ترقص . وامروا الرافه في احضار زجاجات الخمر فجلسوا يتعاطون اقداح الطارب ويشربون كاس بابل حتى قعرها . فكان مثلهم مثل بلطشاسر لما احضر آنية القدس وشرب بها هو واقطابه وحواشيه

وبعد ان لعبت الخمر في ادماغهم النجسة وانجزوا شهوات قلوب
الرجسة عادوا الى منازلهم . ولكنهم لم يملوا من البحث والتنقيب
اذ كانوا حين قذبت عينه فلا يزال يحكها حتى يسي الحك
في ذهابها

وبعد سوق القافلة الثانية سار هولاء الخالعون الى بيعة مار يوس
ايضا وافتعلوا القبائح والشنائع مما لا يسمح انا المقام ان نسرده
مسماع قرائنا لئلا تحدش اذهانهم الطاهرة

اما معبد الراهبات الفرنسيات فكان امر افتعال القبائح فيه
مشهورا معروفا منذ غادرته صواجه الفاضلات التقيات . ذلك
الانذال جعلوا بعض غرفه العذابات وافرزوا المعبد خاصة لافاعي
الخلاعات حتى ان علي جاويش واصحابه كانوا يجمعون زهور المذ
ويلطخونها على صدور العواهر ويضطرونهن الى الرقص الفاسد
وهائم جراً

وما كناهم ذلك بل تجشوا على الكؤوس والاطباق الذهبية
والفضية وتلففوا على الصلبان والصراجة والحلل والتيجان وال
والقناديل والندخائر مما لا ثمن له . واستحلوا الطنافس والافر
فباعوا ما باعوا واختصوا بالبقية

ولما ساقرا النصراني وخلا لهم الجو وانبسطت امالهم لل
والانتصار انتشطوا لافراغ بقية الكنائس وجعلوا فيها الاسنة
والمون والعسكر وعاثوا فيها كما ارادوا وتحامقوا في تخريبها وتدمير
من ذلك انهم اخرجوا الرهبان الافراميين من ديرهم وج
مستشفى الى اليوم وتصرفوا به حتى اخذولقت غرفه وتصعدت ابني

واخلوا كنيسة السريان الكبرى مدة سبعة شهور وجعلوها مخزناً
للاسلحة والموتن وابطلوا اقامة الصلوات فيها والغوا الذبائح ونسخوا
قرع الاجراس . ثم نقلوا الذخائر والاسلحة الى بيعة الكلدان وجعلوا
كنيسة الارمن ميتما وكنيستهم الاخرى مستشفى . اما كنيسة
الكبوشيين فما برحت حتى اليوم اهراء ومستشفى معا

ولما شخص الايمان الى البلد استبشرنا خيراً وغلب على ظننا انهم
يلتفون علينا ويفرجون الضيم عنا ويأمرون بتخليه كنائسنا واديرتنا .
غير انهم لم ينفعونا بنافعة قطعياً بل طورا الكشح عن محاماتنا
واسترجاع حقوقنا ودرء الابخاشي والبخاوف عنا فكنا وقتئذ نتامل
على فراش الاكدار ونتحسى كاس المرائر مصطبرين على كوارث
الزمان الخوون نستنجد الله ان يقشع عنا غياهب الاستبداد وياتي
بنا الى فجر الامان والسلام . وقد كنا نعرف حق المعرفة ان لا
هد ان يوافي يوم تصالح فيه الخرائب وترمم الدوارس ويمسي اعداء
الانسانية والدين مخذولين يا كلون ايديهم نادمين على ما فرطوا .
اسمعوا يا هولاء وعوا فان لكم اليوم قصفاً وغداً خسفاً . لكم
اليوم خفضاً وحصناً وخمراً وهناء . وغداً قلقاً وكدرًا وثقاء وعناء
ما دام الله الالهاً

الفصل الحادي والعشرون

الارمن الذين جحدوا ايمانهم

يشق علينا جداً ان نسرّد في هذا الفصل اسماء الارمن
الكاثليكين الذين لشديد رعبهم باعوا دينهم بدنياهم . فخالفوا

لهم ولا عقابهم سوء، الذكر . نبي انا نعرف ان ذلك جبراً واكم
وان دينهم في صدرهم حتى الموت . غير انهم اذا اخطروا بعباد
قول يسوع فاديبهم " من انكرني في قدام الناس انكرته قدام
الذي في السموات " استبشعوا علمهم واستشنعوه وقضوا على انفسهم
بالشroud عن الطريق المستقيم والخرمان من فوائد سر التجسد وسما
اسرار الكنيسة المقدسة اميم التي ارضعتهم لبان التعاليم الحق
واجزلت لهم المنافع الجملة . وعلمتهم ذات الارار انهم ما خافوا
ليتمتعوا بلذات الحياة الدنيا وانما يبها بل ليسعوا جهدهم في منا
الغبطة الابدية . فما كان ضرهم او باوا بدما، اعناقهم حباً بينو
ربهم اسوة بايتمهم واخوتهم وعشيتهم . اما طوحوا نفوسهم بعمالهم
المقوت في مدارج الملكات واصبحوا عثرة لسائر المسيحيين . بلى
ولا سبيل لهم الى انكار ذلك لانهم تعمموا بالعبائم البيضاء وحضر
في الجوامع والمساجد وتشهدوا وكبروا وخلقوا لهم سبة لا تنجي .
صفحة حياتهم اللهم الا بسكتب الدموع الغزيرة والتوبة النصوح
دام فيهم رفق

وناهيك انه وقت الضيق يعرف العدو من الصديق . في الضيق
والشدة يمتحن الذهب الخالص ويصدأ فيعرف جيده من خبيثه . وقت
المصيبة تتقد جذوات الحجة الدينية ويثبوا سميت الاهواء الدنية
في الضيق والعسر تلوح . صاحبيح الايمان النيرة وتتلبد غيرم الطغيان
الحالكة

فلمثل هولاء الجبناء نقول : انكم ايها النصارى المعمودون
رايتم آباكم يساقون ويعذبون ويذبحون فتوخيم البقاء بعدهم

مستأثرين بالحياة الزهيدة . سمعتم ان آلکم واصحابکم باؤا ابديا .
اعناقهم حباً لايمانهم . اما انتم فغصتم في بحار الطمانينة ضناً
بجياتكم القصيرة الفانية . رايتم شبانكم منتصبين في المحاكم
الجاثرة تلاق عليهم الشكاوى الظلمية فيغلغون في ايدي الكفرة
يحكمون في دمائهم ما شاؤوا . فيغلون في دينهم ويتوطدون في
معتقدهم . اما انتم يا قليلي الايمان فاستياستم وقنطتم وغرقتم في
امواج العالم الغدار . يا للعار ويا للشار . رايتم اخوانكم ذاهبين
لمنال تاج الغار اما انتم فلففتهم العمامات البيضاء وتخطرتم في شوارع
المدينة على اعين بقية المسيحيين دون حياء . فاتكم ما قيل

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاتته منها فليس بضائر
وزبدة الكلام انكم خنتم عهد ربكم وجحدتم دينكم
حباً لصوالحكم وضناً ببيالكم مع انكم سمعتم ربكم يقول
« طوبى لكم اذا عيروكم واضطهدوكم وقالوا عليكم كل كلمة
سوء من اجلي كاذبين . افرحوا وابتهجوا فان اجركم عظيم في
السوات . لانهم هكذا اضطهدوا الانبياء من قبلكم » [متى ٥]
وهكذا عذبوا اجدادكم المسيحيين في مغارب المعمورة ومشارقتها
وفي شماليها وجنوبيها

شاهدتم اخوانكم يغلون في اعتفادهم اما انتم فرحتم تقذفون
التجاديف وتقسمون باسم الله العلي كيفما كان ولاي سبب كان اسوة
بالذين جاريتموهم وتبعتموهم . ويا ليتهاهم عاملوكم بالطفف والمجاملة
وما اضطروكم الى الاتعاب والمشقات والعمل في المنارة والبيوت
مجاناً حتى ضارعتم الاسرائيليين يوم كانوا تحت رق المصريين . بل

افضت بكم الجسارة الى تكذيب ما تلقنتم من المبادئ الراهنة
وتسفيه التعاليم الحققة حتى انكم اثناء الشدة الغيتم ذكر آباءكم
بالمرّة ونسيتم فضلهم وفضائلهم بالكلية

فليس لكم بعد هذا كله الا ان ترجعوا الى كنيسةكم وتكفروا
عن خطيتكم بالتوبة النصوح وتلوذوا بدماء اوليائكم وآلكم
وتستغيثوا برفاتهم وتستعينوا بدعواتهم لعل الله العفو الغفور يغمض
عما اسلفتم ويمحو من صك عدله ما اجترتم . لانه تقديس اسم
يُطلع مشه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين
[متى ٥] ولا تنسوا ما قيل

وغاية هذي الدار لذة ساعة ويعقبها الاحزان والهلم والندب

ونختم هذا الفصل بمراد اسماء جميع الذين هجروا الايمان المسيحي
صيانة لحياتهم . ضاربين الصفيح عن مات منهم وقام المسلمون
بتشييعهم ودفنهم

الاستاذ ايليا (لولي) كيسو وابناه عبد الجليل ومسلم . واوولا
سلم الثلاثة . الياس بعوصي . جرجس صاني . حنا صاني . فرج
حنجو . سعيد وعبد المسيح صاني . يعقوب توما كيسو وابنه توما
حنا حنجي . اسكندر بجدو الميمي . جبور نكزي . يوسف
صباغ . الياس جرجي . جبرائيل اصبهان . انطون بيدرزس . سعي
مريخ . ابن خاجو . اوهنيس نهيه وجبور قصعه السرياني . يعقوب
سوسي وجرجس مرزاو اما النساء اللاتي اضطرهن المسامون او
جحود الايمان المقدس فلا حاجة الى ايراد اسمائهن

ولنا وطيد الامل انه سيوافي وقت فيه تفتح الكنائس المغلقة

ويعود النصرى الباقر الى ما كانوا عليه من شديد العبادة وحميم
المحبة نحو الالههم عز شأنه ودينهم المتين الوطيد قرب الله ذلك
اليوم السعيد

الفصل الثاني والعشرون

في المآدب

تهيأ المآدب للمصفا والانشراح وتتوفر فيها بواعث الهناء والافراح
واذا قضاها المرء على كيس غيره كان صفاوه اكثر ولذته اوفر
ومتى حضر شيطان الخمرة واعب بالرأس استنجلت الشرور وتفاقت
الفظائع ورقصت المفاصد والمظالم

فالنصرى اذ كانوا غائضين في بجمار الهواجس متقلبين على بساط
العموم متجرعين كورئس الضيم مختفين عن عيون الخصوم حائرين
كان اولو الشهوات يجتمعون في النوادي يتساقطون الاسماذيت والابخار
ويعقبون على من بقي من الشيوخ والفقراء ليوقعوهم في الورطات
ويقطعوا خيط حياتهم ويحتورا على جميع ثرواتهم وقد قيل ويل
للسجى من الخلى اي ويل المهوم من الفارغ

وعليه فلما استاقوا الاغنياء والوجهاء وفتكوا بارواح زهرة
النصرى في القافلات الثلاث التي ذكرناها في ١٠ و ١٤ من حزيران و ٢
تموز . راحوا يستنبطون الذرائع لسوق النساء ايضاً . فتم الرأي ان
يبقى من بقي من الرجال يساق في القريب العاجل مع النساء بنوع
انه لا ينتهي شهر ايلول حتى ينجزوا الامر حسب المامول

فجعلوا يولون الولايم ويأدبون المآدب كل ليلة في دار فيتمضون

لحم النصارى ويتولون عليهم السوء ويعقبون ، ويعقبون على الاسما
ويقومونها في ورقة على حدة ويبعثون بها في ان اصبوحة الى الضباط
القبض على من كان اسمه مدرجاً فيها . وكانت نوادي الخنوص
والحالة هذه كأوكار انضم اليها ذئاب الخبث وثمان الف قدر واسود
الفساد وغورة الخيانة . واصاب السهم الافوز في ذلك كله بدري
المتصرف فكان اسخن الله عينه ناطورة الديوان وعين اولئك الاعوان .
اذ كان نهض بامور الخبث والدهاء من غيره . فكان يستتر
الذهب والفضة من سيدات النصارى فيولم الولايم الحافلة بالاطارب
من المآكل والمشارب وكانت تتخللها اغاني القينات السميحة وحركات
الرواقص النجسة ذاك اقتناصاً لحنة المنصبين واستخلاصاً لافكارهم
ورضاهم ليسكتوا عما يبدو منه مما يجبه الذوق وينفر منه الطبع
وتشتمه الانسانية الحرة

وعلى هذا المزاج كانوا يقضون الليالي . ثم عاشر حزيران فصاعد
ويتقاربون في الترفغ والتزفه . وكانت عقولهم ثمة برحيق الانتقا
والتشني ونفوسهم فرحى بما صار ويصير وقاوبهم مرحى بالمكاسر
والارباح المستهجة . وكثيراً ما قالوا ما النصارى الا كسعر الراسر
نخدمهم ونكرمهم ما داموا على كرههم وفرهم . ومتى فارقوا
استقدرناهم ورفضناهم واستحوذنا على جميع مالهم وكنوزهم
وتتابعت المادب وتوات في بيونات الوجهاء جماء وما كادت
تنتهي ليلة بدري حتى كان غيره يرغم ويوثم من لا يحضر ليلة الغم
في داره للمسامرة ومواصلة ما سبق من المحادثة وعلى هذا النمط
قضوا شهراً كاملاً والمصاريف كلها على حساب النصارى المظلومين

يستلبون اموالهم وحليهم ويسرفونها في البذخ والرفاغية فتم ما قيل :
ومصائب قوم عند قوم مسرة

ومن الغريب ان هولاء لم يكونوا فيما سلف يراءون عهود
الصداقة وحقوق الولاء. لبعضهم بعض ولكنهم في مسألة الحاق الضرر
بالنصارى وازعاجتهم تصافقوا وتسابقوا في الشر والعنف وصدق فيهم
ما قيل " راح العدو من بيننا فتصافينا " راح النصارى فتأخينا
وتصالحنا. على ان نجم بن امين مدير بنك الزراعة رقم لائحة عنوانها
" فرخ الحية حية " فيها صرح بوجود استياق النساء المسيحيات
واجتثاثهن . وبناء عليه . أصلتوا سيوف الفتن ورفعوا الوية البغض
واحيوا معالم الجور ومرجروا اللسنة في الاعراض واعتمدوا على سوق
النساء كالرجال وافتخاضهن وسبيهن او قتلهن وسفك دهن

تتعوا يا هولاء تتعوا بكفركم وطغيانكم وتنادوا في ضلالكم
وربهتانكم . فلا بد من يوم ينقطع فيه وتر حياتكم التابعة
فتغدو رؤوسكم ناكسة ووجوهكم ممتعة بسوداء عابسة . فتستحيل
الأدبة مندبة والفرحة ترحة والصفاء مناخة . فاذا قيل لكم لا
تفسدوا في الارض قلتم انما نحن مصلحون الا انكم انتم المفسدون
| سورة البقرة |

الفصل الثالث والعشرون

في التهمة او ذوم فانلات الارن من ارضروم

وغيرها ٦ - ٦ تموز

كأني بك ايها القاري، النجيب سئمت مطالعة مسا اقص ايك

من الحوادث المحزنة والاخبار المزعجة مما يزيدك كدراً وغماً ويبرد
منك الهمم ويضعف فيك النشاط فتود اذن لو اخبرك بما يسر قلبك
ويكشف عنك ضيمك . بناءً على طلبك وافيت ادعوك اليوم الى
نزهة في غربي البلد الى باب المشكية لتسرح الطرف في الاراضي
المخضوضرة المعتلجة التي استأسد نباتها والتفت اشجارها وكثرت ثمارها
وعذبت بقولها . وبما اننا في شهر تموز فالنزهة صباحاً اولى واوفى
انلا يتعذر علينا اذا اشتد لافح الحر ان نرجع الى دارنا دون تكلف
ومشقة

هلم بنا اذاً الى كرم الدير المفردس نشرق هنيهة في ذلك
القهقور ومتى ذر قرن الغزالة تنفينا تحت العرزال واستنشقتنا نسيم
الصبا الطيب . اليك ايها العزيز اهالي القرى والبساتين موافين
بضروب البقول والثمار من الحدائق الغناء كالشمش والكرز والتفاح
والخوخ والاجاص والخيار والكرفس الى غير ذلك من الثمار والبقول
اليانعة اللذيذة . تراهم جذلين مجبورين فرحين فخورين بما تدفق
عليهم من الخيرات وما حصلوا عليه من الاموال وقد خيست فوقهم
الطماينة وساد فيهم الامان . وامتلات اكياسهم من الفضة والاصفر
الرنان . يودون لو تطول هذه المدة وتطمئن لديهم الارض . . ما
اعذب الهواء الذي نستنشقه . وما اطيب الروائح المنبعثة من النباتات
الحافلة بانواع الزهور والوان الورود مما ينعمش الطبيعة بعد خمودها
ويربعث فيها روحاً جديدة بعد همودها . تفرس في تلك الروابي
الكللة بالاشجار وقد فرشت عليها شمس الضحى ارجوانها القاني .
ما اجمل هذا المنظر !

والكن يا لله ماذا ارى عند عين عمر آغا . ارى قافلة كبيرة
تسرح كأنها قطيع غنم او بقر . هلم المنظار انتحققها . . جيش
عمرم يناهزون عشرة الاف نسمة . ارى اغلبهم نساء واطفالاً
صغاراً وبينهم بعض الشيوخ والعجائز . ارى جنوداً محتفنين بهم
يوسعونهم ضرباً ورفساً يحملون عليهم فينجفون بين يديهم . اليك
دواخن البواريد متلبدة فوقهم . تطرق اذني اصوات كالمدافع .
أفرزت منهم شرذمة اكتنفها بعض الجنود . اراهم يدعونهم دعاً
عنيفاً ويتسلقون بهم مصاعد تلك القلعة . يا لله ! الى اين . الى البئر
كالامس وما قبل استعرضوهم التعري واحذوا عليهم السكاكين
واعملوا فيهم الخناجر وفصلوهم وزجوهم على حاق راسهم وعادوا
ادراجهم . تبا للفظاظه والخشونة

ها هوذا مينات^١ منهم انعرجوا عن الجادة ونزلوا بهم في منعطف
الوادي الجنوبي هوذا سكان قرية الموسكية قد بادروا اليهم كالكلاب
الكلبة يعرفونهم ويحاولون ان يرتكبوا المنكرات ويقضوا الاوطار
يقسرونهم ليكفروا بدينهم . يسدحونهم فيختلعونهم فيذبجونهم
ويعودون فيقولون مع عنبرة :

لنا النفوس وللطير اللحوم والوحش العظام وللخيالة الساب
اليك البقية قادمين افواجاً افواجاً كالجراد يبلغون ثمانية الاف
عدداً . عجبني قبل هنيهة كانوا زهاء عشرة الاف . فاين الالفان .
فاذا كان الحُصوم الطغاة قد فتكوا بارواح النسي نسمة في مدة ثلاث
ساعات . فكم كان عددهم يا ترى حين نفوا من اوطانهم ؟ لا
شك انهم كانوا اكثر جداً من هذا العدد . وقد سمعت منذ ايام

انهم يبلغون خمسين اناً . وهم قادمون من ارض روم ووجه وخرابو
وما والاها من بلاد الارمن . ها قد وصلوا الى الصهرريج وقت
تاجج صدرهم عطشاً فلا يدعهم الجند ان يبردوا اكبادهم بـ
يلجئونهم ان يسيروا السير العنيف . وها هم يتوكأون على بعضه
والنساء حاملات الاطفال على الاكتاف

اليك كبار البلد وقد وخطوهم الشيب مستوين على سهوات الخي
يتبعهم الاولاد والنساء راكضين مبادرين في هرج ومرج وقد انجلق
افواههم منرطين في الضحك تاعب في عقولهم هو اجس الطمع واختلا
يستر كضون الخيال للبارغ الى العين . يسبق بعضهم بعضاً عـ
الاختلاس والخطف . حذار ان يلمحونا . هلم نخفف عن عيوننا
تمت هذه الشجرة لئلا يصيبنا ما لا تحمد عواقبه

هوذا فيئة اخرى من المسلمين الصعافيق متباطين او عية ملا
بالماكل حاملين اطباق الفواكه والثار كأنهم خارجون الى نزه
او فرجة . ولكنهم مشاؤون الى السلب والنهب والخطف . ا
وحده يعام سرهم ونجواهم . قد دنوا من القافلة واكتنفوها اختر
قوم منهم الصنوف المتفتيش والبحث

انظر النصارى الارمن في حال يرش لها مفترشين الارض ليستريح
من تعب الطريق . قد اجهدهم الجوع وجد بهم العطش يتالمو
ويتلعامون يطلبون البلوغ الى الماء ليرروا ظمأهم فلا يؤذن لهم ا
بعد قبض شي من الدراهم . لا يكاد يصل الواحد منهم الى النبي
ويتقدم ليجرع جرعة حتى يقبض فتاتيه الضربة فاللطة فالرفس
فالموتة . يلتمس نفر كسرة خبز فلا يدوقها الا ممزوجة بالزقوم

وصل اليهم اصحاب الخير والمرؤة ايبيعوهم شيئاً مما استحضروا
 - قواكم الله يا نصارى . الحمد لله على السلامة يا ارمين
 - مرحباً بكم يا اسلام . ما عندكم من القوت والبار
 - الرغيف بتجيدي ابيض - حفنة الزبيب بعشرة قروش - التفاحة
 بفروش - الاجاصد بفروش - سمر محدود - لا يقبل اعتراضاً - الاسعار
 متهاودة - جرعة الماء بخمسة غروش - كلوا واشربوا هنيئاً مرياً .
 انما جننا اليكم مشفقين عليكم انسد جوعكم ونسليكم - وان
 شئتم استصحبنا الى بيوتنا جماعة منكم
 الاحظ وجواء المسلمين ونساءهم متغافلين وسط النصارى الفائضة
 عيونهم بالدموع والمحشوة قلوبهم من الاكذار . ينتقون منهم من
 ارادوا دون مانع . يتخيرون من استحسنوا من الاطفال والاولاد
 والنساء . ولاسيا الفتيات . يضطرونهم ان يجحدوا دينهم فلا ينجحون
 يعدونهم بالنجاة من القتل ان وافقوهم فلا يوافقون . فالنصارى على
 شدة عناهم وشقاهم يظهرون بسالة غريبة ونسالة عجيبة ويقولون
 لهم ما نحن بتاركى الاهنا وجاحدى ايماننا . اختاسوا واسلبوا واخطفوا
 واقتلوا . طوحونا فى الصحارى . القونا فى الآبار . فانا لاثنون بالصبر
 الجميل حتى يركم الله لنا وهو خير الحاكمين
 اليك نبلاء البلد قد اختطفوا عدداً صالحاً من الفتيان والفتيات
 من دون ان يمارضهم اجد الجنود الحراس او ان شئت فقل الجنود
 الداعين الى الاختلاس . اراهم راجعين يتجلقون . فقوم مردفون
 فتياناً على خيلهم وقوم محتطفون بنات قنعوا وجههن كى لا يراهن
 اصحابهم الاندال فيتقاتلون عليهن . هذه حاماة على ذراعيها فتى

جميل المنظر تريد ان تتبناه لانها عاقر . وتلك قابضة بيدها على ابنته
تريد ان تستخدمها . هذا ملا جيبه من الذهب والفضة وعاد مسرور
يضحك بل ، شذقيه وذاك حمل ما طاب له من المتاع ورجع يقرقر
ويكرر . نزل هذا من دابته وحملها ما شاء ، وترجل . وذاك
ينهب الطريق ليصل الى داره قبل ان يشعر احد . هولاء ، يتخاطبون
في الطريق مبتهجين لا يملكون نفوسهم من الطرب لما نالوا من
الغنائم في اوجز مدة جاهلين ان ما جاؤا به هو سحت حرام ، وان
الخائن كبر مقتاً عند الله

قد انكفتوا راجعين الى منازلهم يكادون يخرجون من جلدتهم
فرحاً وقد امتلا كيسهم وانجلي بونسهم . تركوا من بقي من الارمن
تقطع احشائهم لهما وتتساقط نفوسهم غماً واسفاً وانثوا عائدين
يتدفق السرور من وجوههم - صبر يارفيق النفس لنظر منا يضي
ونقف على النتيجة

اليك الجنود القساة وقد شدوا وطأتهم على الارمن ونهضوا
يضربونهم ويصفعونهم . قبضوا عنهم جناح الرحمة والجاؤهم ان يمشوا
وقت الهاجرة لتطبخهم الشمس بجرارتها الوهاجة وتنهك ما بقي فيهم من
القوى . ها هوذا قد ساقوا قسماً كبيراً منهم وطوحوهم في مهاوي
التركان - اسمع اطلاق القنابل عليهم وانظر عجاجهم وعجيجهم
صبوا عليهم سياط الالام وتركوهم جزر الحيوانات وعادوا . ها هوذا
يسوقون البقية الى البلد . الى اين ياترى ؟ - الى الدير على
اسمع . اذا فلنبادر الرحيل ولنعد الى منزلنا . كفانا ما راينا
لعبري لقد تمزق قلبنا واقشعر جسمنا وشملنا من الحزن والكآب

اضعاف اضعاف ما شملنا من المسرة في اول وصولنا الى هذا المحل المشؤوم - لا يعزب عن فكركم ايها المنافقون والمنافقات ان الله العادل قد وعدكم نار جهنم خالدين فيها هي حسبكم ولعنكم الله وانكم عذاب مقيم [سورة التوبة ١٩٦] طالع ما سنكتبه عن دير مار افرام في الاءتكاف [ج ٣ : ف ٣٠]

الفصل الرابع والعشرون

غدر وخيانة . مصرع الفتى انطون . مار باثي

ما برح كبار الحكومة ووجهاء البلد يتشاورن ويتباحثون في مسألة النساء الارمنيات حتى اتفقوا باجمعهم على سوقهن . فذاعت هذه الكلمة وشاقت ودبت الرعب في الافئدة وايقنت النساء انهن سيعرن الى ما صار اليه الرجال . وتاكّد لهن ذلك لما رأين قافلات النساء اخذت تتوارد من اعالي ارمينية كالقافلة الكبيرة التي اشرفنا اليها سابقاً . وفي خامس تموز وصل الى ماردين طائفة من سيدات ديار بكر الارمنيات تقلهن عربات النقل فذهبوا بهن الى دارا وذبجوهن باجمعهن . فهذه الحوادث وما شاكلها ادخلت الرعب على قلوب سيدات ماردين فارسلن الى بدري المتصرف غراً بنت القصار لتقف على النتيجة فقال لها اجمعي مبلغاً كذا اعف عنكن . فجالت في البيوت وجمعت شيئاً كثيراً من الذهب حملته في الحقيبة الى المتصرف ولكن القلق كان يزداد يوماً فيوماً

فاتفقت اذ ذلك شموني قرينة نعوم جناجي وريجينا قرينة اسكندر آدم ووردة قرينة يوسف خوجا يونان وقصدن دار عبد

القادر باشا الحاج كوزة في سابع تموز يلتصق منه ان يوقفهن على
 حقيقة الامر . او يسعى في نجاثهن والبقاء في بيوتهن . فما كان
 من الباشا الا ان زجرهن وانتهرن وقال لا سبيل لي الى تخليصكم
 ارجعن من حيث اقبلتن ولا تعدن تاتين الي . واعلمن انكم
 ستسقن كالكلاب واذا بقيت منكن بقية فستطرد من بيوتهن
 وتلزم الاصطبلات ويرتب لها المعاش اليومي الجوهري لا غير . فاستحو
 على السيدات المذكورات القلق والرعب وعدن الى بيوتهن مأوسات
 واخذن في التاهب والاستعداد الرحيل

واليك ما روت لنا زوزف قرينة اسكندر محال عن والدته
 زيجينا قرينة اسكندر آدم لتتخذ من ذلك امثلة عما جرى لسواها
 من السيدات الارمنيات قالت :
 لما عادت والدي ريحينا من دار الباشا سرت اليها حالاً لاقتني
 على نتيجة ما جرى فاكدت لي ان لا بد من سوقها وقتلها وقتل
 كنتها وانجالتها وجميع السيدات الارمنيات . فلبست ولبسنا معها
 السلاب واكبت تبكي وتزوح حتى نضحت خديها بوابل دموعها .
 ثم جمعت افراد الاسرة وكانوا احد عشر ودعتهم ليصلوا
 ويلتمسوا الغرثة من رب السماء . وظاوا كذلك ثلاثة ايام بلياها
 يعذب السهر اجفانهم ويوالم الجوع ابدانهم . اما والدي فزادت
 على ذلك انها فرشت الرماد وازمته مدة ثمانية ايام بلياها . ويوم
 الاثنين خامس تموز اقبل ممدوح وهرون وعبد العزيز بك في ثمانية
 من عسكر الخمسين المتطوعين وقال لوالدي اخرجني السلاح وادفعه
 لي . وجعل يقضبها ويضربها وهي تقول وا ويبي من هذا الرانز

الجائر الذي يتظاهر بالانس وهو فاجر كافر . ثم خلع ممدوح رداءه
وعلق يضرب سائر من في البيت ويقول علي بالسلاح والا قتلتكم
جميعاً . فاكدت له امي ان لا سلاح عندها البتة . والتفتت تقول
لدويرها . اعلما يا اعزائي انكم نزهة قلبي وقرّة عيني فلئن صدغت
ايدي الائمة شملنا فاننا لا نبطأ عن الاجتماع في مقرنا الابدى فبحقي
عليكم ضعوا الصليب الكريم على فؤادكم وجددوا وثيق ايمانكم
ولا تنتروا من ان تقراوا : اننا نحيا ونعذب ونموت على ايمان يسوع .
اما ممدوح فجال الحجر والغرف كلها ثم عاد الى امي يبائع في
تهديدها . رغبة الحصول على ما توهم . فلما لم يجد عندها شيئاً خرج
يضمر لها السوء و اراد ان ياخذ فرس والدي لكنه اضرب عنها
ساعةً وانصرف

واتفق ان ابن خالتي انطون بن انطون معمار باشي وعمره يناهز
الخامسة عشرة وجد اثناء ذلك عند امي ريجينا يتعهد احوالها .
فاستدعاه ممدوح الى مقام البوايس فضربه ضربات شتى واضطره الى
ما لا يجوز ثم سار به الى السجن . وعصر الاربعاء ٧ تموز استدعاه
يقول اعلم يا هذا اني ساطمك من السجن خائض والدك . ولكني
لست اخلي سبيلك ما لم تجزر الي فرس اسكندر زوج خالتك .
فاقبل انطون واخبار ملك عمه بما حدث له ثم راح يطالب الفرس من
خالته فاستشارت خالته بطران السريان فاشار عليها ان تعطيه الفرس .
فركبها انطون وسار بها الى ممدوح فرآه من رآه من المنصبين فقالوا
هذه رشوة يحاول ممدوح ان ياكلها وحده . فشعر ممدوح بما
افتكروا واخذ الفرس وقال لانطون قد اصطفتك لتجول معي

بمثابة ترجهان في بعض الدور . فسار مهنه الى دار جناجني وشلمي
وانتخلص ممدوح من البيتين ما طاب وتيسر له . وبعد هذا ارسل
انطون الى بيت ميخائيل كامل كندير ان اعدوا اوازمه فانه الليلة
يسافر . فما لمح البوليس انطون حتى قبضوا عليه وساروا به الى مقام
البوليس فشعر ممدوح بذلك فبعث واطاقه وسرحه الى بيته
وليلة الجمعة تاسع تموز عند الساعة الخامسة ليلاً اذ كان انطون
نائماً في التخت خارجاً اقبل كبوشو الشهور يتبعه حتمي صاحبه في
افتعال الشرور ومعهما خشبة ضخمة وضعها على الحائط وركبها
متعشين بها حتى وصلوا الى سرير انطون فاوفدا كبريتاً فأثبته ونهباه
وقالا له هلم الساعة فان ممدوحاً يطلبك . فنهض انطون مذعور
ولبس ثيابه وتبعهما . وعند الصباح سارت في طلبه ابنتا عمه ملك
فقيل لهما ان قيد ساقوه فقصدتا دار ممدوح . فتجاهل وقال كيف
تقولان ساقوه . ومنو الذي ساقه ؟ فاذا كان ذاك صحيحاً فما ان
مرسل خيالاً ليرده . وما عثم ان اضرر ممدوح الامر بسجن الذي
اذاع ان قد سيق انطون . اما ملك عم الشاب فرفع الدعوى الى
بدري فحولها الى ممدوح فبارت ابنتا ملك لتقفا على النتيجة فضربهم
الضباط وزجروهما . ويوم السبت ١٠ تموز وافى معاون القومسيير الى
دار ملك معمارباشي يستنسر عن انطون متجاهلاً ويقول ان عليه دعوى
وحقيقة الواقعة ان محمد كبوشو وحتمي سارا بانطون الشاب
اللطيف الى باب الصور واطلقا عليه الرصاص وقتلاه وعادا فاخبر
ممدوحاً بما اقرفا فلم يصدقهما الا بعد ان رجعا فيحزا هامته وحضر
بها اليه ولما استحقها سر قلبه الخبيث وطاب نفساً . فغدا مثل ممدوح

وانطون مثل افعى يطعمها المرء ويكرمها ثم لا يكون منها الا اللدغ
اوردنا ههنا حادثة ربيينا آدم وحادثة انطون معمار باشي ملمعين
بذلك الى ما جبل عليه الوجهاء والمنصبون من اللوم والذم والخيانة
وقد جاء في القرآن « هل انبثكم على من تنزل الشياطين . تنزل
على كل افاك اثم . ان الله لا يحب كل خوان كفور [سورة الحج]

الفصل الخامس والعشرون

قافلات النساء القادمات من ديار بكر ٥ - ١٥ قرز

ومذ خامس تموز اخذت قوافل النساء والاولاد تتوارد من
ديار بكر ونواحيها طبقا بعد طبق فكان اعداء النصرانية يبادرون
مسرعين وينتقون الحسان من فتيات وفتيان ويخطفونهم ويمضون
بهم الى بيوتهم ويذهبون بالبقية الى دارا ونواحي ويران شهر وراس
العين فيعرونهم ويذبحونهم ويلقون الجثث في المغاور والابار ويحتوون
على الاسلاب من الحلي والثياب ويعودون

وروى لنا الكثيرون ان داود بن خضر افندي احد الجلادين
الثمانية الذين اصطفاهم دعاة الكفر والنفاق لانزال الزكالك بالحريم
والاطفال قال متشداً ذات المرار: اني لما كنت اعري النساء والفتيات
والفتيان واجلدتهم فوق آبار دارا وفي مغاورها كنت احسو في كل
فترة شيئاً من دمهم ليزول عن راسي الدوار واستجمع القوى لاواصل
العمل . تأمل يا هذا وتبصر وانظر الى اي حد يتصل الانسان من
الخبث والنظاظة واحكم بما يستوجه

وفي ٨ تموز وافت الى ماردين قافلة ثانية من نساء ديار بكر راكبات

عجلات النقل فسارع اليهما الانذال وخطفوا منهن من استحسنوا
واستحوذوا على الحلي والثياب وركبوا الفواحش قدر ما اشتهوا
من ذلك ان صادق بن علي النرزي خطب فتاتين جميلتي المنظر ولفعه
راسيهما برطين حذر ان يراها سائر اصحابه ومضى بهما الى بيته او
ان شئت فقل الى ماخوره وارادهما على الذكر فابتا كل الاباء
فحنت عليهما وسار بهما الى جنوبي البلد فعراهما واوثقهما وركب
منهما الذكر قسراً ثم قتلها عند صهرريج شاق التين وتابط ثيابهم
وانقلب راجعاً الى بيته وكانت عيون نماري الحلي تلاحظه . وعند
الصباح سار حنا منصور السرياني الى المقطع ليشتغل مع الحجارين
فراى الجنتين ملقائين على الخضيض وبالقرب منهما صليين مكسورين
وكتاباً ازمنياً ممزقاً فاستدعى فرنسيس صاني وحفرالهما ضرباً دفناهما
كلتيهما . وكان يشاهد في كل اصبوحة جثة او جنتين فيدفنها
وباراه في الفحشاء والخشونة والقسوة ججانو بن خلفو الذي
خطف من تلك القافلة عينها فتاتين جميلتين واخذ منهما سبع ليرات
وشياً من الحلي واكد لهما انه يصونهما ويحمن دمهما ويدرا عنهما
كل ضيم . غير انهما ما باتتا عنده ليلتين حتى مضى بهما الى البلسيق
واخذ معه سفوداً ثقب به قدميهما كاتيهما وسلك الحبل في تلك
الثقوب واوثقهما وعراهما وركب منهما الفاحشة ثم جعل يجرهما
بشراة على تلك الصخور الصلدة حتى ترضضت عظامهما وتكسرت
واغمي عليهما - افتح اذنيك يا انسان واسمع - وما كفاه ذلك
بل انتقى حجراً كبيراً كفخ به هامتيهما وفسخهما وعاد بالغنيسة
الى داره - انفتحي ايتها الارض وابتلمي هولاء الارجاس الانجاس

المتكئين الخالعين

وحضرت قافلة ثالثة من ديار بكر في عربات النقل ايضاً بلغ عددها نيماً واربعمائة . ولما وصلوا الى خانكه جزموا ان يفضلوا الفتيان والفتيات من اماتهم . واتفق ان جميلة بنت بطارس حكيم الكلداني قرينة ارموش (ارميا) ابن سعيد حداد السرياني بادرت الى عربة اولادها لويس ورحيم ومساري وعانقتهم والدموع تتساقط على خديها وودعتهم . فساقتها مع صواحبها الى محل قريب وفضوحنهن وقتلوهن . اما ماري فافرزوها من اخويها وضمورها الى سائر الفتيات واحضروهن الى ماردين واقتسموهن قسمة ضيزى . فوقعت ماري في حصة رجل يقال له صالح فدفعها الى امراته لطيفة فمضت بها الى بيته اما عزيز اخو صالح فخطف ابنة اسمها روزا عمرها اثنا عشر ربيعاً . وبعد ان اقامت كلمتاها في دار صالح وعزيز حولا كاملاً استاذنت روزا في الذهاب الى ديار بكر واخبرت كدار جدة ماري بامرها فدفعت لصالح عشرين ليرة ذهباً فاوفدها الى ديار بكر ورجعت روزا الى ماردين واستمرت عند عزيز

ثم وافت قافلة رابعة كان اغلبها من اهالي ماردين عرفنا منهم عبد المسيح كركوش وامراته وابنه وصمروا ان يسوقوهم مع البقية فلاذ عبد المسيح بالسيد جبرائيل مطران السريان فاستحصل الامر بنجاته . اما البقية فمضوا بهم الى نواحي ويران شهر وقتلوهم والقوا جثثهم في الآبار وعلى هذا النسق افتعلوا في جميع قوافل النساء المسيحيات وفيما ذكرناه كفاية

الفصل السادس والعشرون

انقضاء البراة على المذارى المحصنات

لزمت الحمامة مقصورتها خائفة مذعورة وفي صدرها نجية اسهرتها
 وفكرة مزعجة دوختها واسكرتها فراحت تعلل فوادها العليل
 بالاسى والصبر الجميل واستدعت صغارها وطفقت تناغيهم وتشدو
 لهم الاغاني المحزنة وتنشيء لهم المراثي المرة الراجعة وتذكرهم بما
 صار اليه آباؤهم واخوتهم وتوصيهم ان ايرفعوا حميم الدعاء الى المولى
 العطوف ليخفف عنها وعنهم وطأة نسخته ويرد سيف النعمة الى غمده
 وما برحت تطوي الليالي على تلك الحال حتى خامس عشر تموز فانطبق
 عليها من كل فج البراة الاندال يبعثون الفوائل لها ولانجالها ورضعائها
 ويحاولون اختلاس حليها واموالها واستباحة دورها وجميع املاكها .
 فانخلع قلبها وخفقت احشاؤها ورجفت اعضاءها ثم افاقت واستجمعت
 قوى جديدة والتفت تستطلع الاعداء طلع الامر فقالوا انهم مقبلون
 ليخرجوها من خدرها ويسلبوها مالها وحريرتها ويطوحوها في الفلوات
 وينزلوا بها وباولادها الشرور والعذابات

وما دخلوا على الحمامة وصغارها حتى شهروا عليهم وعليهم
 السيوف البتارة والسهام النافذة وهم يقولون لها غادري الساعة خدرك
 يارائعة المحاسن . ابرحي وكرك يا جارية فرها . وامثلي الاوامر
 يا عذراء نجلاء . فاننا اقبلنا لنخطف زهرة عفافك ونسلب قلائد
 فخارك ونشبع ابصارنا من روية محياك الفتان ونتصرف بك كما
 يشاء الهوى ويوسوس الينا الشيطان . ذري حليك وجواهرك ودعي

مصوغاتك ولانك فاننا نوصلها اليك

فمضت تلك السيدة الحصينة والحماسة المسيحية آخذة منها كل ماخذ وقالت لهم . يا الله ! اين الانسانية واين المدنية . اين المبادئ الدينية والاصول الشرعية . اين السنن العادلة والحقوق المرعية . اما قيل لكم « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم [سورة النور] وبعد قليل » فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم . وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى لكم « اذن من اذن لكم ايها السفلة ان تخطوا هذه القصور الرفيعة وتخرقوا هذه الحصون المنيعة . ويحكم من احل لكم ان تهجموا على الحرائر المخدرات وتلجوا اصدار العذارى المحصنات وتفزعوا افئدة الفتيان والفتيات . ترى من اصدر هذه الاوامر الغريبة . من افق هذه الفتاوى الجائرة الخبيثة . اهذا مبدأ يرجع اليه . اهذا شرع يعول عليه . لا بارك الله في مبدأكم وشرعكم . لعمرى ان اوامر كهذه لا يصدرها الكفرة ولا الهمج بل لا يجمع عليها اسافل الناس وسقاطهم . اعلّموا ان عملكم هذا عمل بربري يأذنب منه الطبع البشري وياباه التمييز وينفر منه كل ذي لب . عملٌ يستوجب مقتطفه افضع عقاب واشنع عذاب . عمل اذا ما سطر على صفحات التاريخ استبشعه كل من طالعه واستشعته كل من سمعه . واستغلفه كل اديب واستفظعه كل اريب فصاح من فوره فليقتل الجاني والطاغني ولينكل به . فليعذب الأمر والمنفذ وليمحق اسم هذا وذاك من على الارضين وليخف في بلاليع العدم وليرد اسفل سافلين

ليت شعري اما بينكم احد ذو نخوة وحمية يكف عنا شر
 هذه البلية . اما فيكم انسان ذو اذنة واريحية يمنع عنا هذه الرزية
 اترضى الحكومة ان تنتهك اعراضنا . ايروقها ان تسفك دماوتنا
 ايعجبها ان تسلب اموالنا . والا فكيف ادت بكم القحة والجسارة
 الى الدخول علينا على غرارة

- قدك سفاهة يا نصرانية . الزمي السكوت ياسايطه . واسرعي
 الى الرحيل ولا تتشبي بقال وقيل . فاليوم لا مبدأ ولا شرع ولا
 ولا . . . بل الظلم والعدو والسيف والسلب . . . اذا غادري دارك
 انت وانجالك . لا حاجة ان تأتي بقوت لغذاذك او تحملي ذهباً
 وفضة منك . فانك متى وصلت الى حلب عند قرينك او ابنك ؟
 رأيت كل ما يسرك

- لكنني عرفت ان قريني وشباني قد قضوا مذ اسابيع معدودة
 بالقرب من هذه المدينة المنجوسة فما لك تمود علي الكلام
 - غضبي صوتك يا كذابة وعجلي بالرحيل لتاجتي سائر صواحبك
 والا ضربتك ضربة قاضية وفتكت بك ههنا

والا استيقنت الحماة ان لا مندوحة لها من الخضوع للاوامر
 الاعتدائية استودعت الحكم لله العدل القهار الذي " يقص الحق
 وهو خير الفاصلين " [سورة الانعام] وتاكدت ان بلسه لا يرد عن
 القوم المجرمين [سورة يوسف] ثم التنتت الى صفارها تقول لهم لا
 يشرد عن ذهنكم يا اخواتي واولادي اننا انما وردنا الحياة الدنيا
 لاستحصال حياة اسعد واعذب : ما خلقنا للبقاء في دار الشقاء بل
 للارتحال الى دار المناء والصفاء . الا بجتي عليكم لا تياسوا ولا

تفشلوا فان ربنا معنا ايما توجهنا - اذقن يا بناتي وكناتي المحبوبات
 توشحن ثيابكن الناصعة البيضاء عربوناً لطهارتكين . واشددن
 احقا، كن بدرع القوة تاييداً اديانتكن . ورسن باقدا، كن مجد
 الدنيا وزهوها وانبذن ظهرياً لداذد الحياة ونعمها وبادرن الى
 الاستشهاد حباً لمن قضى على التعليب لابلكن فقيراً عرياناً لغير ما
 سبب . اي بناتي وكناتي العزيزات تشجعن ووشحن هيئتكن
 الانثوية بسالة رجولية ولا تبخلن بانفسكن فانكن لسنن خيراً من
 رجالكن وابائكن وروسائكن

فهبت اذ ذاك عذارى القادي الخواصن وتدرعن بالبسالة والنبانة
 ونسبن شعبهن وبيت ايهن . تركن الاطواق الذهبية والقلائد الثمينة
 والحلال الحريرية واتخذن بيمينهن شمعة الديانة ويسراهن زيتونة
 الامانة وغادرن مقصورتهن جذلات مجهورات وفي اثرهن العذارى
 الغواني مبتهجات وهن ينشدن اهازيج الفرح مسرورات منوقنات
 انهن خارجات الى زفاف عريسين الحمل الطهور

فلما رآهن خادمة العريس في تلك الهيئة اخذوا يتسألون . من
 هولاء اللابسات الحلال البيض ومن اين اتين فقيل لهم : هن اللاتي
 اتين من الضيق الشديد وقد غسلن حلالهن وبيضنهن بدم الحمل . .
 فلا يجعن بعد ولا يعطشن ولا تاخذهن الشمس ولا الحر البتة . لان
 الحمل الذي في وسط العرش يرعاهن ويرشدهن الى ينابيع ماء الحياة
 ويمسح كل دمة من عيونهن (رؤيا ٧)

فيا هيئاً للعذارى الورعات اللاتي بنذن دماء اعناقهن حباً لدينهن

وكلفأ بعريسهن وهن يقطن * لتنت نفسنا موت المستقيمين . ولتكن
آخرتنا كأخرتهم (عدد ٢٣ : ١٠)

الفصل السابع والعشرون

سوق نساء القافلة الاولى

لم يتيسر للمسيحيين الباقين ان يكفوا اعداء الانسانية والدين
عن مواصلة شغلهم وينزلوهم عن نيات قلبهم في شأن استياق النساء
وكثيراً ما التمسوا بالحاح وجاجة من اولياء الامر ان لا يمدوا اليه
اليه فحسبوا التماسهم لغواً . وليلة الخميس ١٥ تموز احاط الجنود
بدور اغنياء الارمن ووجهاتهم فدخل الى دار كل منهم رجل في
يده ورقة نشرها يقرأ ان قد ورد تلغراف عن السيد اغناطيوس مالويان
بامضاء كرمه بنت لولي مخو مفاده " وصلت سالمة الى دياربكر لا
تقلقوا من جهة المطران فانه موقف بعد في دياربكر " فنفر صدق
الاكذوبة والاغلب كذبوها . وبعد مضي ساعتين من الليل
اذاعوا ان قد وردت الرسائل البرقية من رجال الارمن يطلبون اهم
الى حلب . فازداد القلق والاضطراب . ولكن الحاذقات النيهات
استيقن ان قد حان الوقت للرحيل . فارسلت السيدة شموني قرينة
نعوم جناجبي تقول للسيد جبرائيل مطران السريان المجاورة غرفته
لدارها : اننا مستعدون للرحيل باجمعنا فاسالك متى شخص الجنود
ليخرجونا من دارنا ان ترفع يمينك وتباركنا وتدعو لنا بالتأييد
والانتصار . وعند نصف الليل اوقدت السيدة شموني الشموع فاستدل
المطران انها وجميع من عندها مستعدون لقبول الحل الاخير . فنهض

الراعي المحبوب والفاهم راكعين يصلون فقرأ عليهم صورة الحل
وباركهم وودعهم وهو باك . وقبل الفجر اخرجوا السيدة وجميع
الاسرة فلاحظهم السيد جبرائيل من الكوة وكرر لهم الادعية
وودعهم . فخرجوا بلفيفهم وساروا الى شرقي المدينة ينتظرون البقية
واحاط الجند كذلك دار شلمي فاخرجوا جميع من فيه ثم
قصدوا دار بوغوص الكبيرة فاذا بالنساء اجمع حاملات الشموع
لابسات الثياب البيض نازلات الدرج جذلات . فتعجب الجنود من
ذلك وقالوا ما لكن خارجات كذلك كانكن سائرات الى حفلة
عرس شائقة . فقالت لهم الام . اتجهل اننا مستعدات للخروج الى
لقاء العريس الحبيب الذي ينتظرنا . ترانا لذلك حاملات المصابيح
النيرة حتى اذا شاهدنا الحتن مستعدات فتح لنا الباب وادخلنا بترحاب
فانذهل الجنود من تلك الشجاعة . وقالوا لا يتيسر لاحد ان يزحزح
النصارى عن مباديئهم ولو ذاقوا الامرين
ثم ساروا الى دار كسبر وامروا بخروج الجميع دون استثناء .
وقصدوا دار جرما وفعلاوا كذلك واستاقوهم قاطبة الى باب الصور
يقولون ان ثم جحاشاً وحميراً وعجلات للركب وحمل الاثقال . ثم
ذهبوا الى بقية دور الاغنياء والشرفاء وقصدوا دار السيد اغناطيوس
مالويان وفعلاوا ما فعلوا بالدور السالفة الذكر . وقد شاء الله سبحانه
بتدبير رباني ان تفلت من تلك القافلة حنة قرينة مال الله شقيق
المطران اغناطيوس مالويان . ولما حضرت الى ماردين استدعيناها
فقصت علينا ما جرى لها وللنساء بنظام وترتيب . واليك التفصيل
باوجز ما يكون قالت :

ليلة الخميس ١٥ تموز قرع الباب احد الضباط^(١) يقول ان معه نبأ
من السيد اغناطيوس الى الورتيد او هنيس بوطري - وكان الورتيد
في دارنا مذ عشرة ايام - فانشر الورتيد ذلك النبأ فاذا به تقول
كرمه بات لولي منحو " وصلنا سلامة لا تقاوقوا من جهة المطران .
فانه موقوف بعد في ديار بكر " فمنا من صدقه ومنا من كذبه
ودفعنا مجيدين للضابط فذهب . وعند غلس الخميس راينا اربعة
جنود على كل باب جنديين واقفين . واتفق ان مسألة التلغراف
شاعت في البلد فجعلت النساء تتوارد الى دارنا للوقوف على الحقيقة .
وخرج عليهن الخروج منها حتى العصر . فجاها اذ ذاك جماعة
من قبل الحكومة لا ادري منهم سوى توفيق الانصاري فقالوا .
يلزم ان تستعدوا جميعاً للرحيل . ثم كتبوا اسمائنا فكنا عشرين
مع الورتيد . واطلقوا الحرية الزائرات فرجعت كل الى بيتها
واستتلى كبيرهم يقول لنا . ان رجالكم اليوم موجودون في
حلب وقد ارسلوا في طلبكم فلا بد من انجاز رغبتهم . غير اننا
ننصح لكم ان تدفعوا لنا ما عندكم من الحلي لؤلؤاً وذهباً وفضة
لازنا نخاف ان يغير عليكم شذاذ العرب والاكراد ويسلبوكم
اياها . فالخليق بكم ان تستودعونا اياها لنصونها لكم في صندوقنا
الامين ؟ ونحولها اليكم في حلب . فدفعنا لهم صليبين وخاتمين
وساعة ذهبية وسبحة كهرباء . ثم جمعنا ما عندنا من الجواهر
واللؤلؤ والذهب والفضة حتى امتلا الصندوق . فاخذوا ذلك كله

(١) هو ابراهيم الحروبوطي مأمور التلغراف ناشر الاخبار الزورية الذي قصد دور
الاغنياء واتفق لهم الاكاذيب واستحصل منهم الهدايا الوافرة

وقالوا لنا: خذوا معكم ما يكفي لقوتكم يومين لانكم سائرون في طريق فيران شهر . قالوا هذا وانقلبوا راجعين بالصندوق الى دار الحكومة

وفي فجر الجمعة ١٦ تموز اقبل عشرة جند وعدونا واخرجونا ومضوا يحفون بنا حتى وصلنا الى باب الصور وانضمنا الى سائر النساء والرجال . يكتنفنا ستون جندياً نصفهم خيالة من الوجهاء والمنصبين ونصفهم رجاله . اما نحن فركب بعضنا ومشى البقية حتى وصلنا الى تل يبعد عن المدينة زهاء ثلاث ساعات لا ادري ما اسمه . قأمرونا بالجلوس هنيهة لنستريح . وجعلوا يستدعون اربعاً فاربعاً يفتشون ما عندهم حتى افضت بهم المسجية والمطامع فحلوا قمط الاطفال وفتشوها واحداً واحداً . واخذوا ما بقي عندنا من الحلوى والفضة وملاؤها في الحقائب وانكفرتوا الى المدينة . فلم يبق معنا سوى قوم منهم ومن الضباط والمسكر الخمسيني . ثم امرونا فنهضنا واخذنا نغز في السير حتى شارفنا تل ارمن . فتعبت السيدة تريزيا حماي والدة السيد اغناطيوس وكلتحن المشي . فوافى احدهم يقول دعوها هنا الليلة وفي الغد تلحق بكم . فسار معها اثنان منهم قدر رمية حجر وما لبثا ان رجعا فتحققنا انهما قتلاها . اما نحن فبتنا ليلتنا تلك في ضواحي تل ارمن

واتفق ان مرّ بتلك الطريق سليمان نظيف بك ابن سعيد باشا الامدي المشهور بمكارم الاخلاق ومحاسن الخلال فعول على استحياء بعض النساء واستخلصهن من براثن اولئك الذئاب . وكانت غايته على ما اكد ان يمضي بهن الى مقره ويصدر لهن الارزاق والمعاش

ريثا نجبو سعي الحرب الضروس غير ان ممدوحاً لعنه الله تصدى
لسليمان بك وعرض عليه اوامر رشيد الخبيث الناطقة بوجوب سفك
دماء تلك القافلة قاطبة دون استثناء البتة . فقال له سليمان بك . لا يخفك
اني انا ايضاً والي ولي من المقام ما اواليك رشيد فذري انجز رغبتني
واحقق دماء من يتيسر لي من هولاء المسيحين المنكودي الحظ .
فما كان من ممدوح الكافر الا ان عربد عليه ساخطاً وقال له اعرض
عن رايك والا امرت الجنود ان يقبضوا عليك ويسوقوك قسراً الى
دياربكر مخفوداً . فصمت سليمان بك مندهلاً من توحش ممدوح
واصحابه وانصاع الى خيمته مستودعاً الامور الى الواحد العدل القهار
وصباح السبت ١٧ تموز امرنا الجنود بالتاهب للرحيل فنهضنا من
ساعتنا وسرنا ومررنا بسوق قل ارمن فكبنا الاكراد الاجلاف
وحاولوا ان يخطفوا الفتيات والرضعان من احضاننا فاطلق عليهم
العسكر البنادق فتضاربوا وتقاتلوا ساعة ونحن في القاب ولم نصب
باذي حتى بلغنا قرية تدعى عبد الامام

وعند الظهيرة وافى الينا ابن ابراهيم باشا في رجانه وعثمان آغا صاحب
عبد الامام واحتفوا بنا . ومكثنا في تلك القرية حتى العصر معللين
النفس بالرحيل الى ويران شهر غافلين عن ان الذين حضروا ما حضروا
الا لتهينة الحناجر واعداد المقابر . وقصد ابن الباشا من كان معنا من
الرجال كبطرس جناجي . وشكر كسبو وفتح الله شلمي وبولس
مخولي بوغوص وابن نعوم جناجي والورتيد اوهنيس وجعل يخاطبهم
بما فطر عليه من الدهاء ويملثهم بكلامه ويعلمهم بالرحيل والنجاة معاً

الفصل الثامن والعشرون

مذبحة نسوة القافلة الاولى من ١٦-١٧ تموز

غير انه قبل الغروب عاد ابن الباشا فيمن معه واستدعوا الورتيد والرجال المومي اليهم فقاموا اليهم وتبعوهم . فطفقوا يعرونهم وانا اراهم ثم اركبوهم عربة وهم عراة وساروا بهم الى الحفرة القريبة فذبحوهم ورجعوا . وعند ذلك ارتفعت الاصوات وارتجت القلوب ودبّ الفشل فينا جميعاً . فتهددونا بالقتل او نسكت . ثم جعلوا يستدعون اسرة فاسرة يعرون النساء والبنات ويركبنهن العربية الى الحفرة المعهودة فيقتلونهن ويرجعون حالاً . وكانوا قبل القتل يخبرون من اراد الاسلام شفقة عليه . يا المظالمة الكفرة . غير ان الياور اعلن قائلاً قد صدر حكمٌ جزمٌ وامرٌ فصل بقتل الجميع دون استثناء . اما الاكراد فلشديد شبقهم ومزيد حقدهم جعلوا ينتقون من البنات والاولاد الصغار من استحسنوا واستطابوا . ورايت ابن الباشا قد قبض على روزا امرأة شفيق ادم وعلى سبع بنات غيرها فما تماسكت روزا ان رفعت صوتها والتفتت تقول للضباط . « ما بالكم يا هولاء صامتين علام لا تخرجون على هولاء الاوباش ان يخطفونا . . اما قلت انكم ان تبقوا على واحدة منا فهلما انقذونا من يد هولاء الانذال الارجاس واذبجونا كما امرتم » فسارع الضباط وتلقفوها وضمروها الى البقية . غير انهم تركوا منيرة بنت الخواجا يونان قرينة فتح الله شلمي بيد اوائك الاعلاج فاستاقها الشيخ طاهر الانصاري الى مكان قريب وارادها على المنكر فلم تطعه ونصح

لها لتسلم فلم تجبه فسخط عليها وقتلها وعاد بثيابها
 اما السيدة شموني قرينة نعوم جناجني فما كادت تغيب عن عياننا
 حتى نشموا يعرفونها ويعرون الاثني معها فما تمالكت ان صاحت
 باعلى صوتها وقات لهم : قبيحاً لكم ايها الخالعون ما لكم تفصبونا
 على ما لا يجوز . كنا نطلبكم اصحاب دين وانفة ورحمة وشفقة
 ولكنه ناكذ لدينا ان لا دين في صدركم ولا انفة عندكم . والا
 فمن حلل لكم ان تعرفونا . اما تقولون ان اعراض النساء اعراض
 السلطان من مسها من السلطان . فما لكم اذا تقترفون ما لا يحل
 انكم في الحق غليظو الرقاب متوحشو الطباع منغمسون في ردغات
 المخازي منصبون على الفحشاء والنجاسة مع انه تعالى « يامر بالعدل
 والاحسان وابتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى
 يعظكم لعلكم تذكرون [سورة النحل] فتباً لقاوب ما سلم عليها
 اللين ولا ولحيتها رحمة ولا عرفتها رقة - ثم استتلت تقول قد صدر
 الامر بقتلنا فاقتلونا غير مكشفات واخلصوا من وجوهنا ولا تنتهكوا
 اعراضنا . فحقت عليها الملا خليل وقال لها اصمتي ياسفينة اننا
 عرفنا وتحققنا انك خائنة . . . فقاطعه الياور واصدر الاوامر الى
 الاجلاف ان يدعوا بقية النسوة مستورات فاستاقوهن بقمصانهن الى
 البالوعة واعملوا فيهن البنادق والسيوف والخنجر والعصي وذبحوهن
 وقتلوهن دون رحمة وشفقة . وظلت امينة بنت سعيد مخولي
 بوغوص ما بين دواليب العربية مغمياً عليها فظنوها ميتة وتركوها في
 موضعها

واخر الجميع استدعوني لي وجميع آل السيد اغناطيوس مالويان

الى مكان المذبحة فرأينا اولئك الكفرة يجرون جثث القتلى وهي
مخضبة بالدماء الى تلك البالوعة فيكفونها فيها ويعودون . فلما بلغت
نوبتي عرضوا علي الاسلامية فانكرت عليهم ذلك ووضعت ابنتي
ازنيف في الارض امامي وضمت ابني البير الصغير الى حضني وتأهبت
للعذاب . فالحوا علي ان اسلم وانجو فلم ارض . فمطفقا يضربوني
بمخناجرهم زهاء عشرين ضربة حتى أغمي علي وغبت عن حسي وما
عدت اعرف احية انا ام ميتة . ثم سجبوني من قدمي والقوني عريانة
فوق الجثث . وبعد مضي ساعة انتبهت فلم ارا طفلي آلبير اما ابنتي
ازنيف فكان صياحها وهي علي ذراعي العربي يجرح قلبي . وكنت
اسمعها تقول : اريد الذهاب عند امي . فجرت في امري وفاضت
احشاي تعطفاً علي ابنتي وامسيت كالمجنونة لا ادري اين انا وماذا
اصنع . وكان اولئك الاشرار الكفرة قد انكشفوا عنا ولم يبق
سوى عربي واحد وجندي واحد . فقال هذا لذاك هلم نوقد مصباحاً
نفتش عن هي حية لنقتلها . فسارا الى احدي النساء وهي علي
اخر رمق ليقتلها فاذا بها تقول لها ان عفوتما عني اعطيتكما عشر
ليرات . فحلا ضفيرتها واخذوا المبلغ وقتلها . واما وصلا الي التمس
منهما ان يطلقا اي الحرية لاذهب عند ابنتي . اذ كان انينها يزعجني
جداً ويولني . غير ان العسكري ضربني علي فلق راسي ضربات
شتى حتى غبت عن وجدي ثانية فتركني يظن اني مت وانصرف
وبعد مضي ساعة افقت تكراراً وسمعت انين ابنتي وهي مع
رجل عربي اسمه جمعة فاستدعيته وقلت له : خللك الله خلني واصبني
مع ابنتي الى بيتك . فقال اذت بعد في قيد الحياة . قلت لا ادري

ارجوك ان تاخذني اليك . فدفعت الي عباة فتسترت بها وتقفيتها
والدماء تتدفق من راسي وجسمي كله حتى وصلت معه الى قرية
عبد الامام ولما دخلت الى بيته فرش لي ولابنتي فتمت حتى الصباح
فاقبل الخيران يقولون لجمعه اذهب بها الى موضع صواحبها واقتلها .
فقال بل تبقى في جناحي وحماتي . ثم انصرف الى المقتلة ينهش
الجثث فعثر على اربع ليرات فرجع بها مسروراً وقال قد عولت
ان اعالج هذه المرأة حتى تستصح وتعود لها القوي . فاشترى خروفاً
وذبحه ولفني بجلده اربعاً وعشرين ساعة ثم غسل جسمي واستحضر
نوعاً من العلك ودواء آخر مزجه بالسمن البقري ودهن به جسمي
وزاول ذلك مدة ثمانية ايام حتى ائدمت جراحاتي وثابت الي قوتي
ولم اخرج خارج بيته الى اخر كانون الاول ١٩١٥

الى هنا ما نقلته لنا حنة المذكورة التي حضرت الى ماردين في
عاشر تشرين الاول ١٩١٦ وافادنا عبد المسيح سفر مختار السريان
بماردين انه في تشرين عام ١٩١٥ سار في جملة من العملة الى عبد
الامام وقصد المقتلة فاذا هي عبارة عن وادٍ منخوض الى جانب نهر
الزركان ممتليئة كلها من الجثث فيها عظام بلحومها وقد جفت
ونشفت

على هذا المنوع جرت مقتلة الورتيد والرجال والسيدات
والاطفال والرضعان الماردينين يوم السبت سابع عشر تموز وبلغ عددهم
نيفاً ومائتين وستين . وغدا تذكرك قتلهم واستشهادهم مثالا لمن
بقي منهم جليلاً يتباهون به مفتخون . ويصرفون جهدهم في الثبات
والغلو نظيرهم بالدين البتين . ويقصدون ان يخلدوا ذكرهم الطيب

في قلوبهم ويتناقلوا محاسن اعمالهم وحميد خصالهم وهم وجميع ذراريهم
على تتالي السنين

اما انت ايها الاخ المسيحي فلتجد عينك بالدروع على اللابي
كن عفيفات محصنات لازمات اخذارهن في حياتهن وقد حصلن وقت
قتلتهن في الفلوات شريدات طريدات معريات

ونحتم هذا الفصل المؤثر المفجع بما كتبه احد ائمة المسلمين قال
واجاد : يا لله ا ماذا فعلت النسوة والصغار ؟ هل حاربوا الاتراك ام
هل قتلوا احداً منهم . والا فما جريمتهم - جريمتهم انهم ارمن لا
غير - اتعد هذه جريمة ايها المسلمون بالله عليكم فكروا قليلاً .

ما ذنب هولاء التعساء . فلو فرضنا محالاً ان رجال الارمن كانوا
اهلاً لهذه المعاملة فهل يجوز ان تعامل النسوة بهذه المعاملة التي تأتي
الوحوش الضارية ان تعاملهن بمثلها . اما قال الله تعالى في القرآن

الكريم « ولا تزر وازرة وزر اخرى » اي لا احد يجازى عن اخر
والا فاذا فعلت النساء بل ماذا فعل الاطفال . اعند رجال الحكومة
التركية دليل ولو ضعيفاً يجيز لهم هذا العمل البربري . كلا . . . يجوز

لهولاء الاغرار الذين يدعون انهم هم اركان دولة الاسلام واخلافه
وهم حماة المسلمين مخالفة اوامر الله . مخالفة القرآن . مخالفة
الانسانية . والله انهم افتعلوا امراً تاباه الاسلامية وجميع المسلمين

وجميع امم الارض من اسلام ونصارى ويهود ومجوس . والله
انه لامر فظيع لم يسبقهم لمثله احد من الامم التي تعد نفسها متمدنة
ونضيف الى ذلك ان القرآن يشهد للنصارى بانهم ذور رحمة

ورأفة فقد ورد في سورة الحديد « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا

عيني رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله « افتجazy الرحمة بالقسوة والرافة بالتوحش والعفة بارتكاب الفواحش . على انا لا نكتفي بذلك بل نضيف اليه ايضاً ما اورده ابو الفداء في تاريخه [جز ١ ص ٦٦] نقلاً عن جالينوس قال « يظهر من النصرى افعال مثل افعال من تفلسف بالحقيقة وذلك ان عدم جزعهم من الموت امرٌ قد نراه كلنا وكذلك ايضاً عفافهم . . فان منهم قوماً رجالاً ونساءً ايضاً قد بلغ من ضبطهم لانفسهم في التدبير وشدة حرصهم على العدل ان صاروا غير مقصرين عن الدين يتفلسفون بالحقيقة . . . »

الفصل التاسع والعشرون

تبع سوق النساء . اسرة مبارلشي ودقماق . فرض الفي ليرة على طائفة السريان . مذبحه الارمن عند نهر كوكو . بيع القوافل .
شهادة عبد القادر جلبي الفاشوخ

ولما ذبح الاعداء اصحاب قافلة النساء الاولى ولم يذروا منهم احداً انقلبوا مسرعين الى البلد ليواصلوا العمل اذ كان ممدوح الخيـث يهيئ لهم الغنائم سلفة فسكنه . واذاع انه معول على سبي نساء السريان الكاثليك اذ كان عارفاً ان لكلا الطائفتين الارمنية والسريانية علائق مع بعضها وان اولئك يصونون عند هولاء شيئاً من ذهبهم واموالهم وامتعتهم فلا يبقى والحالة هذه لرجال الحكومة شي . بناء عليه اصدر الامر يوم الاثنين ١٩ تموز الى اسرة معمارباشي ودقماق بالتاهب للرحيل . فدبت المخاوف في قلوب السريان وايقنوا

انهم سيهجرون. وطنهم كماخوانهم الارمن

اما السيد جبرائيل مطران السريان فاكبت عليه الموم واقلقتة الافكار وبات ايلته تلك ساهدا يفتكر في انقاذ جماعته المحبوبة من اعتداء الاشرار فاوفد في طلب ممدوح ايتشاورا في الامر وقال له اراك قد اخلفت في كلامك فانك قلت لي في الامس ان نسوان السريان لن يهجرن وطنهن فما لك اُجليت اسرتين شريانيتين بالرغم عن العفو الصادر في حقنا . قال ممدوح يلزم ابنا، جماعتك ان يردوا النبي ليرة ذهبية والا تراجعت الامور الى ما كانت عليه وصدرت الاوامر بابعادهم كالارمن . فصرح له الراعي النبيل بفقر ابنائه وعدم كفاءتهم وتيسر له بعد التيا والتي ان يقنعه بنصف ذلك المبلغ ما عدا ما ابتزه هو من الاسر المثيرة على حدة كقولك اسرة جرباقه ونصري حمال ورفائيل بهال وتبسي وقاووغ الخ ففرض السيد جبرائيل على كل مبالغاً وفوض الى الاب لويس الغيور ليجول ويجمع الذهب سرّاً ويدفعه لممدوح وتمكن بتلك الذريعة ان يكفه عما اضر من سوء والعدوان على السريان . غير انه بعد ما رحل الاسرتين السريانيتين اقسم بالطلاق انه يرجعها ولكنه كذب كعادته واستاقها مع ثمانين نسمة وتبعتهم قافلة ثانية كان فيها الفتى يعقوب شلمي فقافلة ثالثة من جملتها بيت عين ملك وبلغ مجموع الثلاث نيفاً وثلاثمائة وعند خروج القوافل من البلد كان ينزل ممدوح واصحابه ويهتثون الاوعية والاحمال والثياب وياخذون ما يصادفون من الذهب والفضة وسائر الحلي ويعودون . ولما وصلت القوافل الى دنيسر عند تل ارمن اغار عليهم اعلاج الاكراد واخذوا يطلقون الرصاص

ليهلكوهم كالذين سبقوا فاعترضهم القومسيز وبلغهم ان الحكومة قد خرجت ذبيحتهم فانكفتوا راجعين الى قراهم وسار المسيون الى راس العين سالمين وركبوا القطار الحديدي الى حلب فوزعتهم الحكومة في بلاد سوريا كحصص وحاه وبعلبك وزحله والنبك ودمشق ومجدل الشمس وعينطورا (بلبنان) بل لفظت منهم قسماً صالحاً الى طفيله على طريق الحجاز . ذلك لتخلص من اعتدائهم على حقوقها وتحاملهم عليها اذ كانوا مزمعين ان يقوضوا اركانها الابدية القرار

وتواترت مذ ذاك قوافل النساء والصبيان من بلاد ارمينية الى جبال ماردين وبراريها ففي ٢٢ تموز على ما اخبرنا الياس بن حنا استيبو الارمني حشد الخصوم قافلة نسوة وفتيان وفتيات في بالو بلغت نيماً واربعة عشر الفاً وفوضوا الى الياس المذكور والى رفاقه اسكندر فروجي وجرجس حداد ويوسف شامية والياس فرا وغيرهم من السريان اليعاقبة ان يحرسوهم . ولما وصلوا بهم الى ديار بكر ثار بهم جنم فقير من العسكر الخمسيني وتكالبوا على البستهم واشيائهم واحاطوا بهم من كل صوب واستاقوهم جميعاً الى نهر كوكسو . وكانوا في كل مرحلة يفرزون منهم جماعة ويبعدون بهم ويقتاونهم

(١) اعلم انه لما وصلت النسوة المسيحيات الى حاب صادفهن كرتير ونيفاجه الطبيبان الالمانيان واستخبراهن عما جرى في بلادهن فاؤفدتهما عن ذلك فثرا تلك الفواجع والفظائع بالطبع في المانيا فبادر ارلو الامر واحرقوا تلك النشرات وارسلوا في القبض سراً على الطبيين الصادقين فتخلص كرتير الى سويدرا واستبق نيفاجه الى الاستانة وشنق

ويعودون

ولما بلغوا بهم الى النهر المذكور انفجر عليهم عشائر الدنبلية
والشيخانية والسراكية والبارافية وجميع العشائر المترطنة في براري
دياربكر السوداء واختلطوا مع العسكر فاستلبوا اثيابهم وامتعتهم
وخطفوا الفتيات والفتيان واعملوا الضرب في بقيتهم مدة يومين
كاملين وتركوا جثثهم على شاطئ ذلك النهر وانكفتوا الى قراهم
بالغنائم والاسلاب . اما الشبان النصراني فلما راوا ذلك خاطروا
بنفوسهم ولتاهزموا وشخصوا الى مارددين واحتجبوا عن عين الخصوم
ولما ساقوا اهلهم ساقوهم معهم الى حلب وبعلبك وطفيلة وغيرها
ويوم الجمعة ٢٣ تموز ابصرنا قافلة كبيرة قادمة من دياربكر
يحيط بهم اجلاف الاكراد واءالاجهم فكانوا يستذاونهم ويجمعونهم
ويعرونهم ويتعبونهم وكانوا يكلفونهم قبل ان يذبحوهم ان
يهجروا ايمانهم والا فيسارعون الى قتلهم قبل اصحابهم . وبالنتيجة
نقول ان الجبال والبراري امست مدفناً لعامة المسيحيين . واخبرنا
ثقة ان الجنود كانوا يبيعون القوافل للاكراد باسعار متهاودة جداً -
ما احلى من العسل . الحنل بالاثمن - وكان الاكراد يتزايدون عليها
في الاثمان كأنها سلع او بضائع مر عليها الزمان فاقتضى بيعها سريعاً
وجزافاً لئلا يخسر اصحابها الكفار من راس المال . فباعوا والحالة
هذه قافلة بالالف ليرة واخرى بستائة واخرى بنجسمائة الفخ اما الاكراد
فكانوا بعد دفع المبلغ يسوقون الغنائم الى البراري والوديان فيطبقون
عليهم ويعرونهم ويرهونهم بالرصاص ويبقرون بطونهم ويسلتون
امعاهم ويفتشون الخزائر والافرشة والاثياب حتى الاحذية لئلا

يخسروا شيئاً بين راس المال فكانت غالباً بنراتهم رابحة و كفتهم رابحة ويا ويل من كانت له سن ذهبية و... انوا يلقعونها قبل ان يقتلوا صاحبها او صاحبتهما

ويوم الاثنين ٢٦ تموز ساقوا قافلة اخرى من نساء ماردين في الشيوخ والصبيان والرضعان كانت معهم اسرة كجوا الارمنية وسار معهم لسببها عبد القادر بن يحيى جلي الفاشوخ ليحافظ عليها ويكف عنها ايدي الاعداء ويحتمن دماءها ولما وصل الجميع الى القصور تبعتهم قافلة ثانية فثالثة كان معهم بعض الحمير والجمال والبغال لنقل الاثقال. ولما شارفوا دنيسر خرج الاكراد كما دتتهم الى استقبالهم فخاف النصارى ولاذوا بعبد القادر والتمسوا منه ان يصرف العناية في كشف الاكراد عنهم . فبادر عبد القادر نحو قادي عمشاكبي والشيخ قاسم ابن الشيخ ايوب الانصاري ماموري القوافل وقال لهما : ارغب ان تصدر الاوامر الى الاكراد لبيتعدوا عن النصارى . فقالا ان اسلحة العسكر الذي معنا قليلة لا توازي ما مع الاكراد من البنادق ومن ثم فيصعب علينا ان نقاومهم . فالح عبد القادر في الطلب وارسل الى ماردين في استحضار طائفة اخرى من العسكر في عدة من الاسلحة ليقاتلوا الاكراد ويدحروهم . ولما وصلوا الى قرى الكيكية وافي ابن بلالو المشهور في قوم من الداشية وابن كاصو في جبهة من عشائر ديرة وحاولوا ان ينتكروا بالنصارى ويستلبوا الغنائم . وما نشموا في اطلاق البنادق حتى قابلهم العسكر فانهمزوا وبات النصارى ليلتهم في قرية محمد علي آغا وعند الصباح بعث المذكور خمسين من اصحابه ليصونوا المسيحيين ويردعوا عنهم الاعلاج

فساروا معهم الى راس العين واوصلوهم سالمين مطمئنين . كل ذلك
بهمة عبد القادر جلبي ومسايعه . واولاه لفتك الاكراد باغلبهم الم
نقل بكلهم وكان عدد المسيحيين زهاء الالف وخمسمائة نسمة ركبوا
القطار من راس العين الى حلب وسارت جماعة منهم الى دير الزور
وجماعة الى الشداده

وفي سلخ تموز ساق الاعداء قافلة من ماردين زاد عددها على
الف في جملتهم بيت بابيك وكرابيد وحنجور . ولما وصلوا
بهم الى بئر طاوا عند حرين تكووا عليهم وذبحوهم وحزوا
رؤوسهم والقوهم في تلك البئر . اما عبد المسيح حنجور فان جثته
لضخامتها لم يسعها فم البئر فاضطروا لعنهم الله ان يفسخوها شطرين
ويلاقوها في تلك البئر . وقد اكد لنا ذلك سعيد ابن المقدسي وانيس
وكان احد المشكويه قد استجياه وتركه لديه في قرية تومكة
وظل عنده سنتين كاملتين ثم انهزم الى ماردين

وواصل اعداء المسيحيين شغلهم في ماردين فكانوا يجمعون
النساء والاولاد ويحشدونهم في كنيسة الارمن حتى اذا بلغ عددهم
حد الكثرة ساقوهم معاً دون تكلفة ومشقة

ومما يستحق الذكر انهم ابعدوا الشيخ الوقور توما شيطر وهو
في السن الثمانين ولم يذكره كبار المسلمين اصحابه خدمه الجمة
واتعابه بل لم يبقوا على قرينته العجوز وهي سريانية بل ساقوها
كليهما مع غيرها الى حماة بعد ما فتكو بنجليهما المحبوبين الياس
وسعيد

الفصل الثلاثون

اعتكاف الرهبان الافرايميين

تفرد رهبان السريان الافراميون اثناء الغائلة بالاعتكاف ومواصلة الصلوات استجلاباً لمراحم الله الرؤوف على المسيحيين وليكف عنهم ضربات عدله الرهيب . ولما قبض على السيد اغناطيوس والارمن في ثالث حزيران بادر رئيس الدير والرهبان الى الكنائس يعفرون جباههم امام حمل الله يستمنحونه العفو والغفران . وحينئذ يهتفون في اقامة الادعية المتواترة كتلاوة التساعيات والمزمور الداودية . وصالوة السبحة الوردية او صلوات اخرى خشوعية . اذا صار العصر اجتمعوا قاطبة لرياضة درب الصليب ثم خرجوا الى الكنيسة يتنفسون الصعداء ويتأهبون لقبول ما يسمح به سبحانه وتقدس احكامه

وكان المقدسي يوسف ارملة يختلف اذ ذاك الى الدير عند شقيقه حذار ان يعثر به الخونة فيقبضوا عليه ويضموه الى رفاقه السجن . وصباح الاربعاء تاسع حزيران نهض يصلي في بيته ثم الى صحن الدار فكشف راسه وفتح ذراعيه يقول : « اللهم استرحمك في شأن اخي القس اسحق واتوسل اليك ان تجعلني فإني اعذب انا واقتل اعذب لقابي من ان يعذب هو او يقتل » هذا واستودع امه وولديه وسائر ذويه لحماية الله وعنايته وخرج الى الدير كمادته . وعند الظهيرة وافى ضابطان او عفريتان خبا يفتشان الحبر والغرف والكنيسة . وعند عودتهما التقيا بيوسف

الساحة الجوانية فاخذا يجاذبانه بالتركية الشيطانية فعرض عليهما
تذكرة الشمسية فنبذها الضابط ومزقها ثم التفت يقول له « كمال »
تعال وكان اخوه القس واقفاً من بعيد يترقبه ليقف على النتيجة .
فما سمع لفظة (كمال) حتى خفق فواده وجاشت نفسه وترددت
الدموع على خديه . وتعذر عليه ان يدافع عنه او يحسبه او ينقذه
من براثن الاسدين المفترسين لئلا يصح فيه المثل « من تحكك
بالقرب لسعته »

فسارا به الى السجن فاوثقاه مع اصحاب القافلة الاولى واستاقاه
سحر الخمير عاشر حزيران . لا خلف الله عليهما ولا على اصحابهما
وصباح الجمعة ١١ حزيران اوفد السيد جبرائيل تبوني الى رئيس
الدير رسالة اليك نصها :

الى ابناء نيابتنا الاعزاء حضرة الخوارنة والكهنة
وليف الشهب الموقرين البركة والسلام

لما كانت هذه الاوقات الحرجة التي شاء الله ان
يفتقدنا بها قد جعلتنا كسفينة تتلاعب بها امواج المحن
والاخطار من كل صوب حتى صرنا لا ندري ماذا يحل
بنا في كل ساعة واينا ايها الابناء الاعزاء من اقدس
واجباتنا الرعوية ان نوجه الحاظنا اليكم انتم وديعتنا بل
فخرنا امام الله . لئلا تتفرق وحدتكم وتربيع سفينتكم عن
منار الايمان الكاثوليكي المقدس . وعليه نتاوعلى مسامعكم

للمرة الاخيرة كلام الله . وكراع بل كاب حنون نذاش
 باحشاء رحمة ربنا يسوع المسيح ان تتمسكوا بعروة
 المستقيم والطاعة للكرسي الرسولي ولنبطة بطريركنا الج
 الطوبى والاتفاق والمحبة بين بعضكم . وان تستعدوا
 النفس والنفيس صيانة لهذه الوديعة الثمينة التي نسله
 اياها خالية من كل غش وضلال لتكونوا كعبيد ينظ
 سبدهم متى يرجع من العرس حتى اذا جاء وقرع يفت
 له للوقت

هذا وبيننا انا خاضعون الخضوع التام لكل
 ترصمه العناية الالهية نعانتكم فرداً فرداً معانقة
 الاباء لاولادهم المحبوبين . ونودعكم الوداع الاخ
 ونستودعكم في حمي قلب يسوع الاقدس وامه الطاب
 مريم العذراء محاميتنا . فهما يكونان لكم ملجأ و
 امناً ليفرجا عنكم كروبيكم ويقصيا عنكم وعن اولاد
 وذويكم النوائب والاختار المحدقة بكم . ونسالكم
 تقدموا التضمرعات والصلوات اليه عز وجل ليفر
 خطايانا ويجعلنا ان نقضي حتى النفس الاخير من حيا
 في نعمته ومحبه

واذا نفذت فينا احكام المولى باي نوع كان فاننا
 نعين حفظاً للاتفاق حضرة الاب الفاضل الخورفوسقفوس
 افرام احمر دقنه الموقر لينوب مناينا حتى ترد اوامر الروساء
 في تدبير شؤونكم اجمعين . فعليكم ان تخلصوا له الطاعة
 والاحترام وتبدلوا بعضكم لبعض المحبة والاكرام

عن قلاية النيابة البطريكية السريانية بماردين ١١ حزيران ١٩١٥
 † ثاوفيلس جبرائيل تبوني مطران بطنان
 والنائب البطريكي بماردين

ولما قرئت الرسالة في غرفة الرئيس على مسامع الرهبان استيقنوا
 باجمعهم انهم سيصيرون عاجلاً او آجلاً الى ما صار اليه اخوتهم
 الكهنة والجماعة فراحوا يهيئون ذخيرة السفر ويعدون الزاد الاخير
 ليحفظوا عند ربهم بالقرى ويفوزوا بالنبطة
 على ان المطران جبرائيل هدد دفعات شتى بالقبض والسوق والقتل
 كما سترى ولكن الله انقذه . واصل ذلك اليوم وافي الى الدير الثلاثة
 ضباط وامروا ان يجتمع الرهبان في غرفة الدرس فكتبوا اسماءهم
 ولزموا الصمت وهم يحسبون الف حساب لما سيكون . فاستخبرهم
 الرئيس عما جرى لاصحاب القافلة الاولى . فافادوه ان قد وصلوا
 الى شيخان سالمين فذبحوا لهم الذبائح وطبخوا لهم ارزاً ولحماً فاكلوا
 وشربوا ثم توجهوا الى ديار بكر ليستنطقهم الوالي فالخائن يزجه في
 السجن اما من رفعت عنه الشبهة فيعيده الى بيته فلم يثق الرهبان

بكذبهم وخرعوا اياتهم اعلامهم الوكيد انهم قتلوهم وذئبتهم
بجملتهم . وهم كذلك اذا بعشرة من البوايس يتقدمهم القوم
قد اقبلوا وطفقوا يطوفون الغرف والسطوح اكبادهم سوداء وشر
الحقد والدهاء تقدح من بين عينيهم ولما وصاوا الى باب الغرفة
كان الرهبان ضمنها صاحوا بهم فيخرجوا فقال لهم كبيرهم
ان تحفوا عندكم ارمنيا واحداً والاقبضنا عليكم وعاماناكم
معاملة . قال له الرئيس ليس عندنا سوى هذا - واوما الى
نقط المعتوه - فاذا شئتم فيخذوه . فيجدق اليه القوم سير فتبسم
كمادته فتركه وانصرف هو واعوانه

وواصل الرهبان عملهم وثابروا على الطلبات والادعية . وا
يجولون في المدينة ويقبضون على من يشاهدون من قسان وش
وعوام . وتواترت اذ ذلك اخبار الاكاذيب وشاعت التلغيفات ك
ان جيوش الروس دوخوا ارضروم ووان وبتليس وبلغوا
وشارفوا دجلة وعمما قليل يكبسون دياربكر ويوافون الى م
وينقذون النصارى من المعاطب والهلكات . فكان ذلك
اضغاث احلام . وما فترت الحكومة تقبض وتسجن وتسوق وتق
ويوم الاحد رابع تموز وافت قافلة جرارة من بلاد ارم
كان عددها فيما قيل خمسين الفا ولم يبق منهم منذ وطئوا
دياربكر السوداء حتى وصاوا الى ماردن سوى عشرة الاف
ص ٢٦٦] فقتل من قتل وسبي من سبي وبقي من بقي . و
اغلبهم نساء واطفالا وشيوخا . ولما وصاوا الى باب البلد
احاط بهم الضباط وتابور من العسكر مبرطين ساخطين وتها

عليهم ككلاب على الفرائس وانتقوا من بينهم من حسن بعينهم
 الشريرة واستأنفوا البقية الى الدير فكدسوهم كتيبة كتيبة كالذواب
 وكوموهم كومة كومة في ساحتي الدير البرانية والجوازية . وخرجوا
 على الرهبان المصادثة معهم ثم اقبل جماعة من العسكر الخمسيني
 يجولون بينهم ويتكولون عليهم ويلكزونهم باءواد الحطب
 ويصدغونهم بالحجار ويصقرونهم بالعصي ويلسقونهم بالاكف
 ويخطنون من بينهم من استحسنوا من البنات والبنين وكان ضجيجهم
 وعجيجهم يفتت الاكباد

اما مسيحيو البلد فما سمعوا بقدمهم حتى فاضت اجثاوتهم
 تعطفاً فاحضروا الوان الماكل وانواع الحلواء فاقتسموها بينهم شاكرين
 لاصحاب الخير والمعروف . وقد اُجيب ما اتى به المسيحيون من المخاضب
 والاطباق المملوءة من ضروب اطعمة البلد « كالكتل والكبة واليبرق
 والرز والبرغل والمشوي وما يتبعها من الخبز والخبز والزيتون والزبيب
 والبصل والتوابل » فبلغ مجموعها نيفاً ومائة وعشرين مخضباً وطبقاً .
 ذلك دليل على حب المسيحيين لبعضهم وتنازليهم على عمل الخير
 واصطناع المعروف . اذ كانوا يوثملون البقاء في بيوتهم . وفاتهم
 انهم بعد ايام قلائل سيعاملون كهؤلاء المنكودي الحظ ويعذبون
 ويقتلون نظيرهم

وما مكث سبايا الارمن في الدير يومين حتى وافت شردمة من
 الجند والعسكر الخمسيني متفجرين والقوا فيهم صيحة مرعبة ارتجت
 لها افئدتهم وانخلعت قوتهم فاستعجواهم على الرحيل . وكان بينهم
 شيخ هرم قطعت عضده فحاول الفرار فلم يقدر فضربوه فخر قتيلاً

وعات اذ ذاك اصوات البكاء والنحيب وقامت القيامة وتغلل
 ما بينهم يعملون فيهم اوجع الضرب حتى اذا بلغوا الى الباب الخ
 استخاروا من اشتهاوا . ولم يبق سوى عشرة من فتيان و
 مكنعين يابسي القوائم فصفقوهم وصدغوهم كانهم يودون
 وتركوهم على اخر رمق وانقلعوا . ومضوا بتلك القافلة في
 الى الغرس فتكولوا عليهم وقتلوهم عن بكرة ابيهم واحتو
 ما بقي عندهم من الثياب والمتاع والمال وانقلبوا راجعين الى
 مسرورين " فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما
 يكسبون " [سورة التوبة]

وكان المسيحيون في قلق متواصل يندرون الندور ويقف
 الهدايا للكنائس ويلقون فيها التقادم وينصرفون . وفي
 انجحت الدسائس وأعلنت المضمرات فاصدر بدري المتصرف الا
 بسوق النساء الارمنيات واستاقوا معهن من السريان ايضاً
 شريفتين . ونادى المناادي يخرج على بقية المسيحيين ان يصونوا
 شيئاً من اموال اقاربهم وانسابهم

غير ان النساء اللاوي كن يختلفن الى الدير التمسن بلجاجة
 الرئيس ان يتنازل ويقبل منهن الهدايا فرفض الطالب . فبالله
 الاحاح فراح بعض الرهبان نظراً لرفه قلبهم وتعطفهم يتو
 الى رئيسهم ليقبل شيئاً من تلك التقادم والحلي فلم يصعد
 الا قبول الطالب . فتأتى من ذلك ان جملة من السريان وال
 وضعوا عنده امانات وودائع من حلي وذهب وفضة من جملتها
 ليرة ذهبية وحلي لاسرة قاووغ السريانية

واتفق ان ممدوحاً الداهية شعر بذلك . ولما كان صباح الاثنين
٢ اب والكنيسة غاصّة مجاهير المؤمنين احاط بالدير شزيمة من
الجنود ينتقدونهم ممدوح وهرون فانبتوا في الاروقة وعالوا الاساطيح
وتفرقوا في ساحة الدير ينتظرون خروج الراهبان من الكنيسة .
فاستحوذت عليهم الرعبة وشملتهم الحيرة . وانهى ممدوح امر
الى جميع الذين في الكنيسة ان يلزموها . ثم استدعى الرئيس
وقال له : بلغني ان عندك مالا وذهباً كثيراً للارمن فادفعه الي
والا عاقبتك وعاقبت رهبانك . فانكر الرئيس ذلك بتاتاً . فقال
له ممدوح لا مندوحة لك من الاقرار بما عندك وتسليمه الي والي
قتلتك . فانكر الرئيس تكراراً . فارسل ممدوح في طلب السيد
جبرائيل لعله يتلافى الامر فيغمض عن الحاق السوء بالرئيس ورهبانه .
واغتتم الفرصة حين ذاك فاستدعى الراهبان الى غرفة الدرس ودون
اسماءهم فكانوا سبعة كهنة واربعة عشر راهباً . ولما وافى المطران
جبرائيل انفرد بالرئيس واستنصره عما لديه من المودائع وأشار عليه
ان يدفع مبلغاً لممدوح (على السكت) فيغمض وينكفت راجعاً .
بيد ان الرئيس اصر على رايه وانكر مدعى ممدوح على الاطلاق
متوهماً انه يستحق كلامه ويصدقه . بل رفض ايضاً مشورة الراعي
الظن ولم يعبأ بها . والحاصل انه بعد اخذ ورد كثير عاد
المطران الجليل الى الكنيسة . فامر ممدوح للحال ان يتهاى الراهبان
جميعاً فاصطفوا اثنين اثنين واكتنفهم العسكر واستاقوهم الى السجن

الفصل الحادي والثلاثون

الرهبان في السجن

خرج الرهبان من الدير اثنين اثنين لازمين الصمت مطر
 الثرؤوس الى الارض . والافكار آخذة منهم مأخذها فسار
 الجنود في الجادة العامة . ليراهم الناس فيفرح الاعداء والخصوم و
 الاصحاب والاهل . وتبادر الى ظن بقية النصارى الخائفين
 النيران تسعرت من جديد وانه كما قتل الارمن يقتلون . فلزم
 بيته وجلأ مذعوراً وطفق يجأ الى الله تعالى ليحمي الرهبان وي
 عليهم بالنجاة

ولما وصلوا الى مقام الحكومة امرهم ان يجلسوا على الارض
 في الساحة الداخلية . وجعلوا يقتلون شاربهم ويتجهونهم . ويتصد
 الفرص ليردوا بهم غليلهم . ويشبهوا منهم مطامعهم اذ كانوا
 جائعين الى المال عطاشاً الى سفك الدماء . اما ممدوح فسار حالاً الى
 بدري المتصرف بما افعل . وحضرت اذ ذاك والدة القس اس
 وشقيقته الى الشباك فقام ليراهما فزجر عليه احد الجنود ورفع
 ليضربه . فما كان من القس الا ان رجع للحال صامتاً وخائفاً . وعاء
 امه واخته باكيتين مايوسيتين . اما الرئيس فاخذ ورقة يكتب
 فلحها احد الوقوف المتحمسين حتى ابتدر من فوره وخطفها وانص
 بها ترواً الى بدري فاذا بها كلمة « طاولة » وما ادراك ما الطاو
 فان الاعداء شادوا عليها قصوراً شاهقة وعلقوا عليها آمالاً فسي
 واسعة . فارسل المتصرف حالاً في استحضار الرئيس فاستنط

وامره بالرجوع الى الدير واستخراج ما اديه من الذهب والفضة
وسائر الحلي . فذل به ممدوح وانتقى من الرهبان اصغريهما وسار
بهما وبالرئيس وظل الرهبان مستقرين بمكانهم . فاقبل احد الجنود
يقول انهضوا واتبعوني الى السجن . وعند الباب فتشروهم واحداً
واحداً ودكموا هذا في صدره وكفخوا هذا على راسه وقبضوا على
لحية الاخر ونطحوا غيره بحاق حنجورته وكفتوهم قاطبة الى اسفل
والفوا عند احدهم شمعة فقالوا يا لك من لئيم فانك سبقت فاعدت
اللوازم للمغاور . ثم حشروهم في غرفة واغلقوا الباب وخرجوا
عليهم الخروج

وكان اذ ذاك في السجن البادري دانيال الكبوشي والياس
بعبوصي ونصري حمال ونعوم نجله وغيرهم من النصارى . فجلس
الرهبان مصطبرين منتظرين ما يكون من امر الرئيس وامرهم .
اما ممدوح فسار بالرئيس والراهبين الى الدير وقصد غرفة الرئيس
وجلس وجلس الرئيس ايضاً . فقال له ممدوح بالتركية والراهب
فرج الله منصوراتي يترجم

- يلزم ان تدفع لي كل ما عندك من الذهب والحلي
- ليس عندي شي مما تقول
- الم تدفع لي ذلك قتلتك كما قتلت مالويان ومات
- فأوجس الرئيس خيفة وقام الى صندوق المكتبة ورضخ
- امدوح بضع عشر ليرات ظاناً انه يكتفي بها وينصرف
- ممدوح : ما هذا . انا اريد الليرات الكثيرة الموجودة عندك
- ليس عندي شي .

- عندك ودائع شتى ثمينة ولا مناص لك من دفعها الي
 - قلت لك ان لا شيء عندي
 - فنهض ممدوح مغضباً الى المكتبة والتقى بانكتب الى
 فاذا بصرر وعقد وعلب فيها كثير من النقود والحلي والجواهر
 التفت يقول للرئيس . ما لك تموه علي الامر . اليك الودائع والال
 التي اجث عنها

- لكن بها ودائع تخص السريان لا الارمن
 - وانا افتش عن هذه وعن تلك ايضا
 ذلك ان الرئيس لمزيد حرصه على الودائع وشديد امانته
 احجم عن الاقرار بما لديه ولكنه لما رأى ما رأى استحوذ
 الرعب والخجل معا . فقبض ممدوح على لحيته البيضاء وقال
 كيف يسوغ لشيخ مثلك ان ينغم الاكاذيب ويخفي الحقائق
 كأن امدوح الطاغية حقاً صريحاً ودينياً شريعياً على عباد الله يريد
 ياكله هو . كل وتمتع يامبطن فقد عجلت لك الطيبات في الد
 واجلت لمطامعك العذابات في الاخرى

ثم اخرج ممدوح الرئيس من غرفته ومضى بالاخ فرج الله
 الغرفة الداخلية وبيده قضيب رمان وقال له محملاً فيه بصره :
 يا هذا اني عارف انك خادم الرئيس واقف على جميع اموره . فاه
 على مطبورة الذهب والا اشبعك ضرباً واوديت بحياتك .
 له فرج الله ان لا معرفة له بما عند الرئيس . فامر ممدوح ان
 صندوق الحلل الكهنوتية . فقال من فوره هذه حلل مالوي
 قال فرج الله : كلا ياسيدي يل هي حلل عمه المطران متى :

كان يقلب ما في ذلك الصندوق عثر على عابطة صغيرة فيها خواتم
ثمينة فأخذ خاتماً ادرجه في جيبه حالاً لئلا يراه هرون رفيقه وتخرج
بالصليبان والخواتم والملاعق النخ ثم انحدر الى الكنيسة وخاض فيها
فشاهد عند شخص العذراء حلالاً حريرية فقال : لا يجوز لنا ان نأخذ
هدية قدمت لمريمان لان ديننا يقضي بان لا نغرّي الكنائس من زينتها -
ما انزه نفسك يا ممدوح -

وكان توفيق الانصاري يجول مع ممدوح فقال له اليك هذه
السجادات فانها كلها للارمن . قال له ممدوح بما انها خصت بالمسجد
'حرم علينا اخذها واستعمالها ... يا سبحان الله كيف يتبدل الانسان
ويقلب !

وبعد هذا طاف ممدوح الغرف جمعاء وتركها مفتوحة واقام
حارسين او ان شئت فقل لصين سارقين ليحرسا الدير اي لينهباه .
وعاد بالنقود والذهب والرئيس والراهبين يريد مقام السيد جبرائيل
الجليل . فراه ما استحضر وقال له : قلت لك ان عند الرئيس
ذهباً ونقوداً كثيرة فلم تصدقني . اليك الصرر . فبهت المطران
مما راى واطرق ساكناً . ثم اندفع ممدوح يقول للمطران مر الرئيس
ان يدفع لي ما تبقى عنده من الذهب والودائع والا صلبته في
شارع المدينة ليكون عبرة لغيره

فجعل المطران يحادثه بكلام مستعذب ليهدي روعه ويخمد
اجبيج سخطه الى ان قال له بما انك الان قد فزت بمطلوبك فدعه
وشانه واطلق رهبانه

قال ممدوح ان اعفو عنه الم يطاعني على كل ما عنده . فسأله

المطران ان يتركه في البطر كخانة لديه فلم يرض بل قال له
لست أؤذيه وسافرج عن رهبانه كرماناً لك

قال هذا ورجع عند الغروب بالرئيس والراهبين الى الحبس
لسائر الرهبان اني اطلقت لكم الحرية لتبيتوا ليلتكم خارجاً
وقد اطلعت على ما عند رئيسكم فان اقر بالبقية سرحتكم والى
وصباح الغد استدعي الرئيس تكراراً الى مقام المتصرف فاص

ان يستحضر ما تبقى لديه من الودائع والامانات . ثم مضى
ممدوح الى الدير ايضاً وجعل ينقر وينقب . وبعد تفتيش كثير عثر
صندوقة مملوءة من اللؤلؤ والذهب والفضة مما تخلي عنه الموتى
للعدراء مريم بمثابة نذر او هدية . فاخذ تلك الصندوقة و
راجعاً الى البطر كخانة والرئيس معه . وجعل يتهدده في غرفة المد
ويسمه كلاماً جفياً خشناً ويهدده بالصلب والقتل لسبب خيانه
غير المحتملة ؟

وعند ذاك اشار السيد جبرائيل الى الرئيس بالخروج . و
بممدوح وطفق يستعطفه على الرئيس ورهبانه بعبارات دُججت ب
والعدوبة ولكنها لم تؤثر في قلبه القاسي . فعمد الحبر النبيل
معالجة المصلحة بالتوسل والتخضع واستعمال الذرائع لاستراضاء
وصرفه عن خيث مراده . وبعد اخذ ورد كثير تيسر للحبر
ان يقنعه بمخمسة ليرة اخرى ذهبية فائض ما اختلس من ال
والحلي وساعده في ذلك المقدسي حنا هداية اذ كان المطاع ي
التي ليرة . وضرب له مهلة ثمانية ايام لا غير . ثم ودع ال
وترك الرئيس في البطر كخانة لحاظه وانصرف الى دار الخواجان

هداية صديقه ليقتضي فيها ليلته

ولا يسعنا ان نسكت عما ابداه نصري المذكور والمقدسي حنا
نجله الكريم من الغيرة والشهامة في شأن اطلاق الرهبان . فان
مدوحاً ضيفهما قدم لنصري قدحاً ليشربه فانكر فالح عليه فما تماسك
ان قال له : كيف اشرب الكاس وابن خالتي ملقى في السجن .
اني لن اشربها او تعديني الوثق باطلاقه واطلاق رهبانه معه .
قال له ممدوح كنت اجهل ان الرئيس من انسابك . بناء على ما
قلت اشرب الكاس وكن على يقين اني لن اضيق عليه . غير ان
نصري لم يصدقه ولم يشرب الكاس الا بعد ان اقدم براس ابنته
القصيفة انه يخلي سبيله

وعند الصباح شخص المقدسي حنا الى غرفة السيد جبرائيل
ووافى بعده ممدوح فتناوضوا في المسئلة كما اشرفنا وتم الصلح والاتفاق
على ان يدفع الرئيس المبلغ المرقوم اعلاه وقدره خمسمائة ليرة عثمانية عين
حجر لمرور ثمانية ايام من تاريخه . وغب الدفع يخلص البرليجة مظهرة
بالوصول ويقيدها بالحساب الجاري تحريراً في رابع ايلول ١٩١٥
وقضى الرئيس ليلته تلك في البطار كخانة وظل الرهبان في
الحبس يبلبل الحفظة افكارهم ويقلقون ضمائرهم ويلتقون لهم انواع
الاكاذيب . فقالوا ان الرئيس سيق الى ديار بكر ليصلبه رشيد
الطاغية وان اراضي الدير باسرها قد حفرت ونبتش ما فيها وان
الجنود مشغولون بنقل الصناديق من الدير الى غرفة بدري
التصرف الخ الخ

وصباح الخميس ٥ آب اقبل ممدوح الى السجن واستدعى الرهبان

اثنين اثنين وكتب اسماءهم ونصح لهم ان يدعوا للدولة ويخلصوا
لها الطاعة والامانة ثم سرحهم الى الدير فقصدوا البطر كخانة وشكروا
السيد جبرائيل مساعيه واهتمامه في امر نجاتهم من الموت ولما دنا
كنيسة الدير رموا تسيحة الملاذكة الطقسية شكراً للعناية الربانية
التي صانتهم من الاعداء . ثم خرجوا الى غرفهم فاذا بالحفظة قد
نهبوا ما كان فيها . من جملة ذلك ان حسن بك الضابط ابن ابي
علي بك اختلس كل ما وجد في غرفة القس اسحق معلم الرهبان
مما بلغت قيمته نيماً وخمسين ليرة

والاعوان ممدوح على الذهاب الى ديار بكر اوفد القس لور
منصوراتي يقول للرئيس ابعث الي بسجادة عجمية شاهدها في غرفة
فارسلها اليه خوفاً . ثم كتب ممدوح ورقة فاجراها اذ لم ياخذ
البتة من الرئيس وارفدها اليه ليوقعها باسمائه فابي فتهدهد بال
فأمضاها قسراً . وكلف حبس الرهبان وخروجهم اكثر من النبي
عجائيه ذهبية فقط لا غيرها

الفصل الثاني والثلاثون

اتباع سوق النساء في شهر آب

قلنا ان اعداء النصرانية كانوا يواصلون الجولان في الدور يجمعون
النساء والشيوخ والاولاد ويذهبون بهم الى كنيسة الارمن حتى
بلغ عددهم اكثر من مائة استاقوهم الى باب المشكية واركبوا
بعض الحمير والجمال ومضوا بهم الى راس العين . ففي ٢ و ٤
آب ساقوا ثلاث قوافل بلغ عددها نيماً وخمسة مائة كان في جملة

اسرة جاندرى والمقدسي كعيب وسيونجى . وكان سعيد مقدسي
كعيب راكباً جريحاً فتعرض له اعداء الخير والدين وابعدوا به عن
القافلة وقتلوه قبل وصولهم الى تل آرمن واحتووا على اثقاله وافتعلوا
مثل ذلك بغيره ايضا ولما وصل البقية الى راس العين اركبهم القطار
الى حلب ووزعهم في بلاد سوريا وسيروا قسماً صالحاً منهم الى طفيله
وارادوهم على الاسلام فمنهم من اسلم ومنهم من لبث راسخاً في ايمانه
وليلة عيد رمضان ١١ آب استاقوا قافلة نسوة واولاد الى جنوبي
البلد يريدون ان ينجحوا بهم اكراما لعيدهم ولما وصلوا الى بئر
قريبة ذبحوهم قاطبة على فمها والقوا جثثهم بها . وافضى اللوم
والتوحش بنفر منهم فعذبوا بضع عشر نسوة بالخازوق واوغلوا في
التشيل بين وتركوا جثثهن جزراً اوحوش القفر . واتفق ان احد
الاكرات خطف من تلك القافلة المدعوة ملكه بنت جبورش وسار
بها الى بيته ليركب منها الفاحشة فابت كل الاباء فتهددها فلم تصغ
اليه . وظلت عنده اشهرآ وهو يلح عليها في الطاب فوعده بشيء
من الذهب وارسلت الى اهلها بماردين فبعثوا لها بعشرين ليرة دفعتمها
الكردي ونجت بنفسها وغادرت الى بيتها

ويوم الاحد ١٥ اب ساقوا قافلة اخرى من نسوة وشيوخ واولاد
بلغ مجموعهم زهاء اربعمائة من جملتهم ملكي حواوزو وايليا طوبال
وابنه جرجس ورزق الله مالو وجرجس تفنكجى وابنا عبد المسيح
آدم . ولما وصلوا الى دنيسر انضم اليهم نحو ثمانين امرأة وولداً
من تل آرمن فباتوا تلك الليلة في محلهم وعند الفجر ساقوهم الى
عرينه فألقوا ثم درويش بن خضر افندي مدير تل آرمن فانقض عليهم

واختطف اربع نسوة فعارضه مأمور السوق وتهدده فلم يسمع درو
الا ان يردهن . فاستأنفوا المسير الى بانياس فقرية الامير ووج
على الطريق جث قتل القوافل السابقة . ثم وصلوا الى راس
وركبوا القطار الى حلب . وكان في جملتهم جبرائيل خا
صديقنا العزيز

ومذ ذاك اخذ العدد يقل فكان الجنود يجولون كعادتهم
البيوت يفتشون عن المسيحيين في المخابي. ويحشدونهم في ك
الارمن الكبرى ويسوقونهم طبقاً بعد طبق

الفصل الثالث والثلاثون

قافلات شهر ايلول

ونختم هذه الحوادث المفجعة بما نقله لنا الفتى النجيب اسك
كسبو قال يوم الجمعة ١٢ ايلول قبض علي وعلى شقيقي الياس وم
بنا الى الكنيسة واطافونا الى اصحابنا الشيوخ والعجز والعميان وا
ولفيف النساء والاولاد حتى اناف عددنا على الاربعائة ويوم
٢٤ ايلول وافى عبد القادر القومسيرو وقال تهيأوا للرحيل الى المو
ثم نحى فتاتين جميلتين يحاول ان يسير بهما الى بيته فأبثا عليه
فردها حذر ان يشتهر امره . وفي فجر السبت ٢٥ ايلول اق
المسمى الحاج الفداوي في اثني عشر جنديا وقوم من العسكر الخ
معهم بعض الجحاش لايعجز فاستاقونا الى باب الصور فبادر الاكراد
ويسبوا فلم يدعهم القومسيرو . ولما شارفنا باب البويرة انتصب
الفداوي يقول . ادفعوا لي ما عندكم من الدراهم لانكم عما

تشاهدون شذاذ العرب واءلاج الاكراد ينتصون عليكم ليخطفوا
ما عندكم . فان احببتم ان تضنوا بدراهمكم اعطوني اياها فادفعها
لكم في الموصل . فسمعنا نصيح الفداوي وددعنا له كل ما كان
عندنا من بيضاء وصفراء واستأنفنا السير الى حيث نجهل وما مشينا
القليل حتى باغتتنا الاكراد فضربهم الجنود فعادوا ادراجهم . وجعلنا
نغذ في السير فتخلف عنا الشيخ والمرضى والعجز . فقال لهم الفداوي
تربثوا فاحضر لكم دواب . ثم مضى بهم الى بئر قريبة من البويرة
فزجهم فيها وهم احياء وعاد مسرعا . وفي حرين وافي اهل القرية
وملاؤا لنا ماء فشربنا وقلنا خير ان شاء الله . وعللنا النفوس بالحياة
ولما غادرنا القرية شاهدنا اثنين وعشرين جر كسياً ممتطين الخيل فقالوا
للفداوي ارجع الى البلد ونحن نتعهد بحراسة القافلة (اي بذبحها)
فلم يرض . فعربدوا عليه فلم يكثر لهم . فجعلوا يستوضحون
كلأ منا عما عنده من الفضة او الذهب فافدناهم اننا دفعناها كلها
للحاج فتنازع الشراكسة والجنود وتقارعوا ساعة على المال ثم تراضوا
واقبلوا جميعا فاحتفوا بنا
وما سرنا الا القليل حتى امرونا بالعروج الى جهة الغرب يقولون
ان قد وردت الاوامر بوجوب ذهابكم الى راس العين فتدخلنا
الرب والارتعاش وقلنا هذه قضية وراها بلية . فمشينا نصف ساعة
فكسنا الاكراد جهاير جهاير حاملين اسلحتهم ومضوا بنا الى
تل موسى كوره وهناك بئر جرورة مشهورة . فصاح الحاج . مكانكم .
فوقفنا وايقنا بدنو الاجل . فنزلنا عن الدواب فاخذوا الاثقال ودفعوها
الى العسكر وامرونا بالجلوس والاكراد ينظرون الينا شزراً ويتصدون

الفرصة لشرب دمننا . فجعلنا نعول ونسكي . اما الاكراد فقصد
 البئر واحاطوها واقبل العسكر ففصلوا منا عشرة ومضوا بهم الى
 ووافي غيرهم وفرزوا عشرة ومضوا بهم اليها ايضاً وقس عليه البقي
 واتفق لترزيا بنت الياس حيثك ان اختطفها اوصمان الكردي و
 بها الى بيته في القوس فاحس الشيخ جلال المارديني وراح يتهم
 اوصمان ليسلمه اياها فابي عليه ذلك . وصانها عنده مدة ثمانية ايام
 احضرها بنفسه الى ماردين . اما نحن ففني اخر الكل وافي
 العسكر في جملتهم رجل اسمه خليل كان صديقاً لالياس شقيق
 فذكره اخي بسابق الصداقة والتمس منه ان ينقذني وحدي من ا
 فوعده بذلك فاعطاه اخي ساعة وكمية من الفضة بمثابة
 فاخذني خليل . ودفعتني الى كردي يقول له . منه عندك
 المساء . اما الكردي فدفعتني الى خادمه وهدانا ساربي الى بيت
 وانا ذاهب التفت لاري ما حل باخي الياس فاذا هو والم
 الباكون قد غابوا عني وقتلوا والقوا في البئر . وصررت في طرف
 بطائفة من النساء الكرديات حاملات فتياناً وفتيات ماضيات
 الى دورهن ولم اعرف منهم سوى ابنة من بيت البازوعا
 وانا وصلت الى بيت افنديكو الكردي في قرية بغداد ل
 عنده ابناً لجرجس كرابيد آدم وولدين لنصري زلطان . ولما اصب
 شاهدت في تلك القرية قوماً من نسوة ماردين ودياربكر مع اولاد
 غير ان افنديكو لم يعاملني مثلما كنت اظن بل عراني وبعثني
 ابنه الى قرية شيخ اوصمان عند قل هلف . فلمح على صدري ذ
 عود الصليب الكريم فاختمها مني وقفل راجعاً فثار به ابن الش

بجول وضربه ضربة الية شقت جمجمته فاستدعوا طبيباً كردياً عاجله
 زمننا حتى زهقت روحه . وتمت مقتلة القافلة يوم السبت ٢٥ ايلول
 وآخر قافلة استاقها الاعداء في سلخ ايلول عرفنا منهم بيت
 جبرائيل عطاالله وبيت حناوي وبيت سلجاية بلغ عددهم فوق المائتين
 رمضوا بهم الى قلعة اقرص وحملوا عليهم وذبحوهم والقوهم في البئر
 وانقلبوا راجعين بشبابهم واسلابهم . فكانت والحال هذه بداية
 المذابح وخاتمها في القلعة المذكورة . وبعد ذلك كله انفي المسكر
 الحسيني لانهم انهوا العمل فوق ما يرام وادوا الوظيفة حقها بالتمام
 والسلام

الفصل الرابع والثلاثون

في العملة النصارى

نذكر القارىء العزيز بما قلناه (ص ١٢٧) في شأن صدور الامر
 بتوسيع الجادة واصلاح الطرق داخل البلدة وخارجها واتفاق الكلمة
 على تشييد منارة حديثة في الجامع المعروف بالشهيد . فحدثوا لذلك
 عملة من النصارى الداخلين في السن الجنديية ايشتغلوا مجاناً من دون
 ان يعينوا لهم بشي . واقاموا الاستاذ لولي كيسو المشهور اماماً واستاذاً
 ولما اشتد الاضطهاد صدر الامر بازدياد عددهم لانجاز الشغل بسرعة .
 فعينوا قوماً ايقال الحجارة وقوماً لاصلاح الطرق . وطائفة لتقويض
 البيوت . وجماعة لتجديد دار الحكومة وتشييد المنارة
 وبادىء بدء عولوا على توسيع الجادة العمومية استعطافاً لحاظار
 رشيد الطاغية واطلقوا عليها اسم الكريه ليكون بمثابة تذكارة لا

يعرجي من صدر كل من عرفه ووقف على دهائه : فنشموا منذ
 يهدون البيوت والدكاكين وقوضوا جانباً من كنيسة الكرك
 وكنيسة الكبوشيين . وما برحوا يهدون ويقوضون حتى ثالث حوز
 فقبضوا على جبرائيل زاعور وساروا بجبرائيل نهبيه الى كنيسة الا
 يستوضحونه وتهددوه وضربوه وصحنوه باقدامهم وشددوا عليه
 التقرير فقال لهم لست اقدر ان اكذب او اخالف الحق . فان
 شيء في البيعة البتة . فتجمضوا عليه واخذوا فيه حتى اغمى على
 فحمله رجل الى بيته وظل يومين لا يدري أي عالم الاحياء هو
 في عالم الموتى ثم قبضوا عليه و اضافوه الى اصحابه وقتلوه
 ويوم السبت ٥ حزيران اقبل الى البلد اغاوات المشكوية
 يديهم ابن الوزير موثقاً وهم يقولون له لقد صممنا ان نذبح
 بيتك فكيف يتيسر لنا ان نغمض عنك . ثم حضر عبد القادر جاو
 البلدية يقول لالياس بن حنا قوج السرياني رئيس العملة . ان
 جلبي يأمرك ان تنشئ دفترًا تدون فيه اسماء من عندك من
 وتذكر طائفة كل منهم . فقام بالامر حالاً ودفع الدفتر الى الجاو
 غير ان المشكويه والمغرضين كانوا يبوحن الى المنصبين باسماء
 عند الرنس من الارمن فيقبل محمد كبوشو العتل ويقبض عليهم
 وفي ١٢ حزيران وافي فائق افندي معاون القومسيير وخضر جلبي
 شردمة من العسكر الخمسيني فجمعوا العملة عند باب المش
 واستوضحوا كلا منهم عن اصله وفصله وطائفته فافرزوا الا
 ومضوا بهم الى السجن
 ثم اقبل محمد كبوشو يضرس اسنانه ويفتل شاربيه ناظرًا

الياس نظر مسخوط وساقه الى مقام البوليس فاستنطقه المعاون فتأكد انه سرياني فقال له . اطلقتك على ان تخدم افكارنا . فوعده لخوفه وانصرف ايواصل عمله

ويوم الخميس ١٧ حزيران القي القبض على الياس وعلى جميع العملة وعددهم ١٢٠ واستاقوهم الى الثكنة فالقاعة فمكثوا بها خمسة وعشرين يوماً محشورين في غرفة ضيقة حرجة جداً . وكان الجنود يثرون الاكراد ليكبسوهم في محلهم الحرج ويؤذوهم ويضيقوا عليهم . فمن دفع عشرة غروش الى عبد العزيز جزر قضى ليلته خارجاً والا استمر داخلاً فتأذى وتعذب . وكان يوسف التخوماني من احنق الجنود على النصارى وكان يدخل عليهم ويقسر كلا منهم ان يؤدي له رشوة او يضربه قدر ما يشاء من الضربات

ولما رجعت القافلة الثانية من ديابكر انتقوا منهم مائة وثلاثة وتلاثين وساروا بهم الى القلعة وحشروهم في بيت ضيق وحضر ضابط يقول : قد وردت الاوامر بابعادكم ومهاجرتكم ولعلمكم قبل بلوغكم الى المهجر يردكم العفو فلا تضطربوا . قال له الياس كبيرهم « يا افندينا ايشمل امرك هذا العملة » قال كلا . وذهب الى الحجرة الثانية وبلغ ذلك الامر للمائة والثلاثة والتلاثين . فاخرجوهم سحراً في حال يُرثي لها . فكنت تراهم منحدرين والضربات تتساقط عليهم كالصواعق والامطار . وبالغوا في ضرب جرجس نهبيه حتى أعيان عن المسير فتركه الجنود على آخر رمق فاقبلت المطاربة وجعلان يرحمونه حتى فاظ فاتي اهله وحملوه ودفنوه ومضوا بالقافلة الى اقرص فاغار عليهم الداشية والمشكوية . ورجال رشمل وقباله وقتلوهم

باجمعهم وزجوهم في البئر

وظل العملة يتقاون على جمرات الانتظار متوقعين وفود
من يوم الى يوم حتى وافتهم الاوامر بالذهاب الى قرى الكرو
وتل آرمين والابراهيمية ودارا وسائر القرى التي ذبح اهلها النص
ليحصدوا الزروع المسيبة . فاقبل شكري بك المي وبيده دفتر
العملة فاذا باسماء الارمن المتبقين معلمة بجرا حمر مما ينوط است
بالمصرف فقط . فاطلقوا السريان وتركوا الارمن وحدهم . و
عيد رمضان ١١ آب سار الياس الى القلعة ليتفقد العملة الارمن
تخلفوا فيها فليل له انهم قد مضوا بهم الى الزنار والقوهم في
هناك . ولم يفلت منهم سوى الشاب الياس جرجي الذي
في تلك البئر نحو شهر حتى قضى الله بنجاته فعاد الى ماردين
يزال حياً يرزق

اما سائر العملة فواصلوا الشغل داخل البلد اسبوعاً فقط .
ايلول انتقوا من العملة طائفة ليشتغلوا في عقبه الغرس المشهورة
رئاسة اطني القنبور فكان هذا اللئيم يعذبهم جداً ويقسرهم
كل عمل شاق مستصعب من دون ان يعينهم شيئاً . وكان في
امسية ياتي بهم الى باب المشكية فيرفعون المجارف والرفوش والفوا
وسائر آلات العمل الى فوق وينادون ثلاثاً « باد شاهم جوق
وكان هو على قصر قامته ينط ويتفرطرباً فتم فيه ما قيل
لسان العامة

قومي ارقصي لي شويه
يا عقروقة الميه
لما ككت قامتها
طلعت شبرين وشويه

ولما بدأت تتوارد قوافل الارمن من البلاد القاصية كان الاكراد يحملون على المرأة ويهتكرون سترها ويبطحونها ويتناولون الخناجر فيشقونها من ترقوتها ويفتشون عما لعلها ازدردت من الذهب . وكان العملة يشاهدون في كل اصبوحة جثاً مبروثة على الطريق فيبادرون الى دفنها لنلا تنتشر الروائح وتعم العدوى . بل ان الحكومة انارها الله عينت قوماً من العملة لدفن اجسام القتلى الملقاة في الطريق من ديار بكر الى ماردين . لان اغلب الارمن ما قتلوا الا في هذه الاراضي الشقية

الفصل الخامس والثلاثون

حزم المسيحيات وبسالتهن

كلّ القتلّة وملوا واسترخت سواعدهم وعجزوا ولم يتيسر لهم ان يظفروا بأربهم . تثلمت سكاكينهم وفرووسهم وتكسرت خناجرهم وسيوفهم ولم يفوزوا بنجيث نياتهم وفساد شهواتهم . على انهم شاهدوا من النسوة والفتيات ما لم يكن يدور في دماغهم النجس . وفاتهم ان المسيحيين قاطبة اسوا الا جسماً واحداً يرأسه المسيح ربهم وفاديتهم " ليس عبد ولا حرّ ليس ذكر ولا انثى لانهم جميعهم واحد في المسيح يسوع [غلاطية ٣] وكلهم ابناء كنيسة واحدة منتسبون الى اب واحد ومدبر واحد ورب واحد . وقد صحّ ذلك في نسوة زماننا فان كلا منهن !ا مستها البأسا واكتنفتها البرحاء ابدت بسالة وفطنة لم تخطر على قلب الحضم واستطاعت كل شي . في الذي فواها [فيلبي ٤]

على ان الفتاة او المرأة لدى الترغيب والوعد والوعيد والضرب والتعذيب كانت تشعر بدافع قوي يضطرها الى بذل عنقها لخالفها . بل كانت تستجمع قوى جديدة لتناضل عن حقوقها . راحت غير واحدة تعترض اعتراضات معلنة خفيفة وتجاوب اجواب سديدة يعجز عن مثابها امهر الفلاسفة واحذق المنطقيين . ذلك لسم الانجيل البكريم يقول « ضعوا في قلوبكم ان لا تفكروا قبل فيما تحتجون به فاني اعطيكم فماً وحكمة لا يقدر ج مناصبيكم على مقاومتها ولا مناقضتها (لو ٢١) ولا مشاحة فانه اتى وجد الدين راسخاً وجد الحزم ولاحت البسالة وتالأ الك بالذات

وقد ايدت لنا غير واحدة ممن نجت ان الخصم اذ كانوا يجز الرؤوس او يعرون الاجسام كانت الالسن تتشاغل بالاناشيد والترانيم ولا كان السيف فوق هامة الفتاة واليد قابضة على عنقها كان تصيح كريستوس كريستوس او قدوس الله دلالة على غلوها الدين الحق . وكانت البنت تبادر الى الذبح قبل الام وكانت ا تبوء بفلذة كبدها حباً لفاديها وتقول ان اولادي هم بمثابة عو استودعينهم ربي ومتعني بهم الى اجل معدود ثم يقبضهم اليه و يريد وكانت غيرها تسارع الى القتل والسبحة في يدها كأنها تحسب الموت حساباً . اما الفتاة الجميلة فلما كان يخطفها احد الانذال كانت تنهزم من بين يديه وتعود الى المذبح وتعرض عنقها للذبح

اجل ان الجنس الانثوي النحيف البنية غدا بو طيد ايمانه وشده

غرامه بالاه كصخرة صلدة لا تززعها الارياح ولا تزحزحها العواصف
ولا تزعجها سطوة حاكم ولا تغلبها قملقات لثيم ولا تشويقات شهواني
نذل . ففاقت الانثى بذلك رجاءها واباها او نجلها واخاها لانها كانت
مستهدفة لنبال العدو الفاجر اكثر منهم

واها لك ايها الايمان القويم ! ما اشد تاثيرك في النفوس ! انك
تولي المعتصم بك قوة غريبة وتسكره سكرة عجيبة فيستحلي العذاب
ويتشرف بالعمار وينزل الى مضار القتال ويصارع اوحش الوحوش
وينفوز باكليل الغار

سقياً لك يا عروس السيد المسيح وابنة الايمان الصحيح ! يا من
وطئت باخمصك زهر الدنيا وغلبت لذائد العالم وبطشت بالطواغيت .
عقدتِ على راسك تاجاً مرصعاً وطوقت جيدك بقلادة كريمة . مددت
عنقك للذبح ففاح شذا فضحيتك . ما اجمل اعضاءك مخرجة بدمائك .
ما اجمل قدك متنطقاً بجراحك . ما الطف محياك مخضبا بالالوان
اليانعة . انقض الاعداء ليسلبوك جوهرة بكارتك او يثلموا درة
عفتك فامتنت عليهم وخيبت ماربهم . بدلت جمال طلعتك ليستنكفها
الفجرة فيزداد بهاؤك عند ملاقاتك ربك . طوبى لك فان الكنيسة
عروس السيد المسيح تحتفل بعيد انتصارك الباهر وتخلدك الذكر
لطيب كسوسنة ويهوديت وشموني واغنيسة ولوقينة وفبرونيا وبربارة
ريولينا وغيرهن من الشهيديات النبيلات الحازمات الباسلات



الفصل السادس والثلاثون

سفك دماء الابرياء

اذكر ايها القارى . الحبيب ما حل بقاين الحقود امام
وسفاكي الدماء . كيف ان اللعنة لزمته والرعبة ملكته والاد
الخبثية عذبتة حتى انه لا دعا الرب لم يستجبه بل قال له
وشارداً تكون في الارض . وملعون انت من الارض التي فت
فاها لتقبل دماء اخيك من يدك (تكوين ٤) وشاول بما انه
ثمانين كاهنا سقط في الحرب وقتل اشنع قتلة . واحاب ذبح نا
فلحست الكلاب دماءه ودماء ايزابل اللعينة امراته . ذبح الا
زكريا الكاهن واخوته فلعنت ارضهم واجتاحت مدينتهم . وي
ذبح اوريا بن شمعي فلعن ومات ودفن كالحمار . وقد كتب
« ان الدم يدنس الارض ولا يكفر عنها الدم الزكي الذي سفك
الابدم سافكه (سفر العدد ٣٥)

ليت شعري بم يحتج اليوم من اصدر الاوامر في سفك دماء
الابرياء بل بم يحتج الذين سقوها بايديهم الاثيمة . كيف ي
للذين رفعوا ايديهم الخبيثة على مسجاء الرب وذبحوهم وذ
جماعتهم وابنائهم ان يبرئوا ذواتهم ؟
كأني بتلك الدماء الزكية الطاهرة تصرخ كدما . هابيل ونا
وزكريا وغيرهم من قتل الجبال وبطون الابار وسطح الار
الارضية طالبة الانتقام . لعمرى ان التفكير في ذلك يرعش الفرا
ويرعب القلوب . فان سفاكي الدماء الزكية يستوجبون نقمة

نقمة ولعنة فوق لعنة . ولا يمكن الكائن من كان ان يعرف قيمة
الدم البري الا البري الذي سفك دمه الزكي على الصليب حباً لاولاده .
فهنيئاً لكم اذا ايها المسيحيون الابرياء فان طالب دوائكم يقدرها
حق قدرها : سيروا اليه لانكم ذنجتم نظيره خارج المدينة وحماتم
عاره (عبر ١٣) وتمتعوا بمشاهدته الى دهر الدهزين

الفصل السابع والثلاثون

الوان العذابات

استنبط رجال اوربا الاعلام من الغرائب والعجائب ما حير عقول
الانام فاقرؤا لهم بالسبق واثنوا عليهم كل الثناء . نبغ بينهم رجال
حذقوا جميع الصنائع ووقفوا على غوامض الطبائع فاستحدثوا مثلاً
البواخر والمدرعات والبرارج والتلغرافات السلكية واللاسلكية .
وانشأوا المناطيد والطائرات والدراجات والقطارات واوجدوا المطابع
لنشر الكتب والادوية لدرء الامراض والعاهات . اكتشفوا الاثار
والعاديات وفكروا ما أغلق على غيرهم من المشكلات . هذا الى
اصناف المعارف والفنون التي طبأت لها الجلات وزمرت لها الصحف
والنشرات فتهاوت على مطالعتها القراء واثنوا على مخترعيها وكاناتهم
دولهم على اعمالهم احسن المكافاة

فهذا كله لم يعرفه الا تراك الميخادو الانسانية اذناً صاغية بل راحوا
يتفننون في اختراع الآلات الشيطانية للتنكيل بالبشرية . اجالوا اقداح
الاراء في تهية العدد ونزلوا باجمعهم الى ميدان المعارك لا يثنيهم عن
الفظاظة والجفاوة مبدأ ولا تزعمهم شريعة ولا سنة . واليك نتفاً من

اشكال تلك العذابات التي استنبطوها لتبصر فيها وتحكم
يستوجهه مخترعوها

حشدوا اطفالاً في البرية وكرموا فوقهم الحطب واقبسوه النيران
فتسعر كاتون بابل واحرقتهم . وحشروا غيرهم في وادي ووض
فوقهم حسكا وعوسجا ثم ركبوا الخيل واستركضوها فوقهم فوطت
بسنابكها وفتكت بهم . اضطروا جاعة ان يرقدوا تحت عر
القطار الحديدي فسار القطار وهرسهم . واثاروا الكلاب العور
على الفتيان فنهشتهم واكلتهم . جمعوا اطفالاً في المتابن وا
فيها النيران فاحرقتهم والتهمتهم . واوثقوا فريقاً باخشاب ضده
ونشروهم من الهام الى الاقدام . كروا طائفة بالمياسم وبردوا
بالمبارد . واختضروا آذان غيرهم وشرموا آذانهم وفزروا انا
وبتروا اقدامهم وارادوهم على المشي حتى زهقت ارواحهم . سف
طائفة كاللحم المشوي وكروا جباههم وسائر اعضاءهم . وج
اظفار غيرهم عن اصابع يديهم ورجليهم وقلقوا هامهم واقبحافهم
ثقبوا ايدي قوم ورجليهم واذنيهم وعينيهم بمسامير ضخمة وشر
غيرهم بالمدي والواصي حتى فزت جراحهم وتشرجت اجسامهم
وسطوا فينة من الاطفال وقدوهم وضربوا امهاتهم بالوتد حتى ه
فيمن كله . نثفوا حية الاقنيس وشاربيهم واشفاهم وحاجبي
حتى تخضبت وجوههم بالدماء . ثم وضعوا فيهم الخناجر وقتلوهم
شقوا البطون ليستخرجوا ما فيها من التبر والنقود . وذبحوا ق
وحسوا دماهم . جردوا لحم طائفة من عظامهم وكبكبوا
وتركوهم فريسة لجوارح الطير . ودمسوا جماعة في الحناثر والحنا

وضيقوا عليهم حتى فطسوا . زجوا غيرهم في الابار وائلفوهم .
وانتقوا فئة القرا بهم من اماكن شاهقة تجاه امهاتهم حتى استطارت
صدوع اكبادهن من الحنين اليهم . ازلفوا الشيخ في الصبحاري
فملاوا يشكرون الجوع والعطش حتى فاضت ارواحهم . وحفروا للبنات
العنيفات حفائر اميطوهن اليها مكشفتات ورجوهن حتى غاب نصف
بدنهن فتركون كذلك الى ان فاضت ارواحهن . ابلقوا عيون
البعض وقاعوا اسنانهم وجزوا شعورهم وشرموا انافهم وفزروا
اناملهم واقدامهم النخ وعانوها في قنف ليراهم غيرهم فيتعظوا ولا
يخونوا الدولة ؟ القوا داخل البيوت حطباً اقبسوه ناراً فخر السقف
واحترق ما في البيت مع من فيه . استحضروا نعال دواب وضعوها
في النار وكورا بها خدي جماعة والياتهم وسائر جسمهم . وسلقوا
البيض ووضعوه تحت الابطالين وعلى الراحتين حتى نضج اللحم وتفسخ .
بل ان الاتراك استأجروا قصابين دفعوا اكل ليرة كل يوم ليلذبحوا
المسيحين فكانوا يدعون . واحداً واحداً فيسد عنقه صاغراً صامتاً
فيذبحه القصاب فياتي اخر وينقل جثته . هذا الى غير ذلك من
ضروب العذابات الفادحة التي ياباها الله ويشمئزها الطبع ويأنف منها
كل ذي عقل . وانا نضرب الصنم عن اللطم والصنع والضرب
والجلد وما شاكل ذلك مما حسبه المسيحيون من اخف الالام واهونها .
دع الاغتصاب وانتهاك الحرم النخ ولو شئنا لوزنا وكلنا من هذا
الجراب شيئاً كثيراً جداً

ونختم هذا الفصل الموالم الموضع بمادثة غريبة نقلها لنا فتى نجسا
من القتل بطريقة عجيبة قال : لا كنا نسير في الهاجرة بالقرب من

الدريسية اقبل الاكراد وسالوا الحفظة ان ينتقوا من يستحسنوا
النسوة والعذارى فصفوهن اثنتين اثنتين وعرضن جميعاً واستعرضوهن
عليهم . فاختار احدهم امرأة صبيحة الوجه بيدها فتى ذو
اعوام واضطرها ان تشرح عن صواحبها فابت . اما الجند فجد
يقبضون على اثنتين فاثنتين ويدفعونهما الى كرديين واقفين على
البئر فيقولان لهما كماعادة اسلمنا او نقتلكما ثم يذبحانها ويلقيان
فيها حتى اذا كان اخر الكل استدعوا المرأة الحازمة فطنق عات
يراودها عن نفسها ويعدها بالاطياب . فقالت له ببسالة : ألت
ربي واتبعك يا نذل أكفر بديني والزم دينك يا نيم . كلا كلا
اقتلني فاني است افضل من صراحي . قالت هذا وقبضت على
ولدها والقته في البئر بيدها ثم مدت عنقها وقالت لذاك اللعنة
النجس اذبحني اقتلني والحيتني بابني فقتلها سائخاً والقها في الجب
فراحت هي وولدها ترفل بثوب النصر في المجد الابدي

الفصل الثامن والثلاثون

احوال بنية النصارى الذين نجوا من القتل

لك ان تستخاض من كل ما كتبناه حتى الان انه لم يبق
الارمن الكاثليكيين بماردين سوى اربعة بيوت فقط اعني بيت يوس
طازباز ونصيري زرمبا وجرجيس لاو والحياز وسعيد متفونه وبم
نسوة منتميات الى الطائفة السريزية الكاثوليكية والطائفة الكلدانية
اما عامتهم فقتلوا او ربحوا او انوزموا او اسلموا . فتاتي من ذلك
اسواق الكلكة بعد ان كانت يراثة في البلدة ونواحيها ضارب

اطنابها على براريها وضواحيها امتت اليوم كاسدة لا تستغرق الا بيوتاً قليلة اخنى عليها الزمان وكادت تدخل في خبر كان لولا عناية المهين النان

فكان مثلها مثل كرمة يازمة تاصلت في الارض عدوقها وامتدت عروقها . واخضوضرت قضبانها واوراقها . فايذعت عناقيدها واعذوذب مذاقها . وهي لكذلك اذ هاج هائج خصومها فتسرعوا الى خضدها وتترعوا الى سحقها وقرضها . وحاولوا أن يقضبوا قضبانها . وينفضوا اوراقها وينثروا ثمارها ويستاصلوها بالمره ويجعلوها مرعى لوحوش الصحراء ومربعاً للصوص الاوغاد الارديا . يختلفون اليها متى راموا ويتصرفون بها كما احبوا

غير انه تعالى بحكمة ربانية وعناية صمدانية تعهد هذه الكرمه المحبوبة التي غرسها يمينه المباركة الرحيمه واشفق على الخصاصه التي صانتها عينه الصالحه الكريمة . فأطفا سعي احقاد خصومها وكسر شوكة خيانه مناوئها . على ان هيرودس المنافق واصحابه اللثام حاولوا بكل وسعهم ان يستاصلوها من اصلها ويجثوا اثرها تشنياً . ولكن الله سبحانه الى الا ان تبقى فيها خصاصة تذكرهم على المدى بما اسلفوا من الجرائم وتدعوهم الى الرفق بالقريب والاحسان الى البشرية وتحرضهم ان ينبذوا ما كانوا عليه من الفساد واللوم والخيانة . وفي الحق انه لولا ان الرب كان معنا عندما قام البشر علينا لابتلعونا ونحن احياء . . . فتبارك الرب الذي لم يجعلنا لاسنانهم فريسة . نجت نفوسنا مثل العصفور من فخ الصيادين (مز ١٢٣) واننا لمتأكدون ان الذي غرس هذه الكرمه المحبوبة وسقاها بدمه

الكريم وغذاها بجسده الاقدس مزعم ان يعيدها الى سالف جهله
وسابق عزها فتاصل وتنمو وتنتشر كامس وما قبل . فيعد
مذاقها ويذكر طعامها ويتشرف اليها الغريب فيبادر ويستظل بورق
ظلها ويرتشف سائغ شرابها ويسكر بخالص جها ويهيم بغرام
ويود او باء هو ايضاً بدمائه جاً بغارسها وحارسها

ولا غرو فان دم المسيحين يحاكي حبوب حنطة زهيدة زر
في قلب الارض فانت واحدها بثلاثين وستين ومائة . وما اجد
ان نقول مع ابائنا النبلاء القدماء « يا هولا اسجنونا او ثقونا . اصل
اخذونا . اطردونا ضايقونا . عذبونا اسحقونا . فان لنا ابا رو
عطوفا يمكث معنا ويحامي عنا ويحفظنا وينصرنا لانه قال « معك
انا في الضيق فانقذكم وامجدكم (مز ١٠) واجعلكم منتشرين
جميع اقطار الدنيا

الفصل التاسع والثلاثون

في المراثي الوطنية

معلوم ان لكل بلدة لهجة توثر في قلوب سكانها شديد الت
وتدعوهم الى البكاء والندب والعويل . فالماردينيون اثناء الحرب
ولاسيا وقت المذابح والسبي انشأوا كثيراً من المراثي المبخنة المب
وجعلوا ينشدونها ليلاهم ونهارهم ولاسيا اذا حضروا المناعي
بغتهم فاجعة او دهمتهم كارثة . وقد شئنا ان نطرف القراء بن
منها على الوزن المعروف عندهم بناليه ذكرها لما جرى
اتراك لا تعادونا الاكراد من اين جاونا

كل الحسبة حسبنا
 جازنا خبر العدم
 مصطومة^١ حكومة ماردين
 في عصر عيد الجسد
 العسكر كبسوا المطران
 لما وصل السراي
 قالوا جا امر من فوق
 قالوا جيب معك السلاح
 تناخذ افادتك^٢
 نصارى قوموا صلوا
 ابكوا وصلوا بلكي^٣
 امي لخاطر الله
 كل شي كنا نحسبه
 من عصر اشميس بدوا
 في الحبوس وفي القشلة
 بالحبال والزنابير
 بالقضبان وبالقمشات
 الساعة ثمانية بالليل
 كل اربع باربع سوى
 لالاتهم^٤ في رقبتهم

في الذبح ما افكرنا
 اليوم على غفلة
 تودي قفلة بقفلة
 رشيد بعث ممدوح
 وقالوا له قوم تزوح
 ما عملوا له قيام
 تنعدمك اعدام
 وتقدم لقدام
 ونقتك مع الاعوام
 في ها المساوية
 تفك عا المسيحية
 قومي اعلمني لنا حال
 القتل ما كان على البال
 كلهم يسكروهم
 كومات كوموهم
 بدوا يربطوهم
 صاروا يجلدوهم
 راحوا يشددوهم
 بزنجير زنجروهم
 زخمت^٥ ينخموهم

(١) مدمومة (٢) استنطاق (٣) لعل (٤) طرق الحديد

(٥) دفات

طالعوهم	ميسرين ^١	من القشلة ومن الحبس
بذلية	مشيوا	طالقة بطلقة مكتنين
مكوية	قلوبهم هي	منهم حفاية وكلهم
حزينة	والدنيا	طلعت ^٢ تودعهم
العزيمة	من اين	يكسر كم اسلام والمان
الفدواية	ساقوا	نصارى قوموا اطلعوا
مسيحية	كلهم	صلبانهم على صدرهم
النصرانية	كبار	منهم شباب محسنين
محشية	وقلوبهم	ودموعهم على خدودهم
الملية	وكبار	طلع قدامهم ممدوح
مشكوية	خلفهم	حولهم عسكر الخمسين
وداشية	اكراد	لحقوهم مستعجلين
عينلية ^٣	ومعهم	خناجرهم في وسطهم
اساميههم	وقراوا	عدوا النصارى في الباب
اخاوية	كانوا	اساميههم ايش كانوا
اليسوعية	دم	اخاوية ايش كانوا
الاكليزية	ونالوا	كاهنم راحوا للقتل
السريان	عفا	كان طلع امر من فوق
الاعيان	وافقوه	اديب الكافر ما راد
الكلدان	وشباب	ساق الابروط والسريان

ساق الشيخ والشبان
 نصارى ابقوا في بيوتكم
 اياديهم مشددة
 صارت منزلته
 وانتمت مذبحته
 كما كريات الغنم
 قالوا اسلموا ما اسلموا
 في المغاور والجبوب
 وثيابهم اخذوها
 وقبل ما يذبحوهم
 صلى عليهم وحلهم
 يا نصارى اصطبروا
 وان كان السفر تيدوم
 ايش عملتم يا ارمن
 ايمت تيفبك السفر
 وايمت تيدور الفلك
 وان كان ما فك السفر
 الى متى في الجزا
 يا حسرتي على العمر
 يا حيف على النصارى
 ربي انت من عندك
 والاكبار والقسان
 طالعرا مالويان
 على صدره نيشان
 في اراضي شيخان
 في قلعة زيزوان
 والقطمان ساقوهم
 ذبيح ذبحوهم
 حلقوا اجسادهم
 ورجعوا الى بيوتهم
 اختلى معهم المطران
 وناولهم القربان
 هذا السفر ما يدوم
 القيامة تتقوم
 وقعت ورقتيكم
 تطلع حسرتيكم
 تتجي ضربتيكم
 نحن نتبعكم
 والى متى في ها الحال
 راح ضائع وبطال
 اكانوا كلهم ابطال
 تفرج على الاطفال

يا بنتي قومي تعي
 جبي الحبايب معك
 خلي يحضرون معك
 صلوا علينا وقولوا
 رجالنا وشبابنا راحوا
 يكفناكم اترك يكفى
 ملائم شط الدجلة
 تليت مرجة شيخان
 وحياة ربي وربهم
 اسمهم طيب حلو
 عليهم خرب عمري
 يا رب صبر من عندك

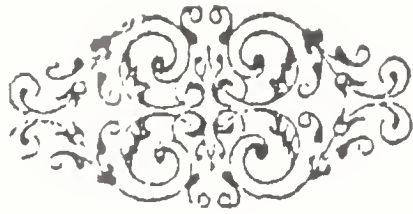
دوري في المغارة
 واحسيها زياره
 قسان : النصارى
 يا حيف عا الخساره
 قصائص خلونا
 اكثير ظلمتونا
 قسان ومطارين
 من جثت الحلوين
 ما يروحون من بالي
 وعلى قلبي غالي
 وتيتموا اطفالي
 انظر الى احوالي

في قافلة النساء

يا رب صبرني سواح
 واستخبر لكل من راح
 قفلة راحت لشيخان
 لعبد الامام ودوهن
 في الحفرة كردسوهن
 اطفالهن على اكتافهن
 من ثيابهن عروهن
 ومن كل واحدة اخذوا

تقعد عا الطريقين
 لين ودوا القافلتين
 وقفلة لراس العين
 ثنتين وراء ثنتين
 كلهن قدام العين
 ابو شهر وشهرين
 مرتين بعد مرتين
 قلادة وقلادتين

شقوا بطونهن طالعوا	ايرات بالكشتين
هرّبوا منهن بنات	عمرهن سنة وستين
كردي دقنه لصدرة	قام وقت الصلاتين
ذبح وهرّب نسران	وما فضل غير مرتين
يا ما يتموا الاولاد	وحرقوا الفواد
يا ما خربوا البلاد	وداسوا حقوق العباد



الجزء الرابع

في مذابح بلاد ما بين النهرين



النصل الاول

نظر عمومي

هلم بنا نبحث عما صار في البلاد والقري المجاورة للمردين
سبت نيران المذبح حتى خمدت . فان اخصوم راسلوا المشايخ
المبادرة الى نجاتهم والاشترار معهم في خيانتهم فلبوهم من ساعة
وبادروا اينساعدوهم على الاثم والعدوان وينغمسوا نظيرهم في
الظلم والطغيان وتم فيهم ما ورد في كتابهم « وكذلك جعلنا
كل قرية اكابر مجرمين ليذكروا فيها وما يكرون الا بانفس
وما يشعرون [سورة الانعام]

على ان الائمة والمشايخ والصوفية والخطباء والقضاة والولاة وسن

اصحاب النفوذ شطروا ونافقوا كثيراً حتى استجلبوا بقية القوم الى
 انجاز امنيتهم طوعاً او قهراً وقد كنا نود لو نرفع قدر قلمنا عن
 تسطير اخبار فسقهم وفجورهم وسرد شاعاتهم . ولكن الحقيقة
 اضطرتنا ان نكتب ما اقرءوا من النكرات قدر ما تسمح لنا
 الظروف والاحوال . اذ لا بد من كشف احوالهم وان كان في
 كشفها بعض المرارة والصعوبة فان في بط القروح النفاة كما لا يخفى
 اذى شديداً والمأ لصاحبها قاسياً اذا صبر عليه وجد بعد ذلك حلاوة
 العافية واطمان قلبه فاثني على الطبيب وقبل يده وشكر له تعبته
 واتخذ الذرائع الفعالة لئلا يسري اليه الداء من جديد
 فالائمة اعلنوا بما اجتمروا انهم خالون من العدل والرحمة عاذمون
 كل مزية سالحة . والا فكيف ساغ لهم ان يكافؤوا الحسنى
 بالسيئة ويستبيحوا الذمار وينتهكوا الحرم ويأمروا بسفك الدماء
 وابتزاز الاموال . اما المشايخ فصموا ، سامعهم عن الصدق والاخلاص
 وجعلوا الكذب والخيانة اصل قورهم ومتم كلامهم فصدقهم الباكون
 وايقنورهم . اما الصوفية المتفانون بنفسهم الراغبون في الحقائق
 المتجنبون الدعاوي النفسانية فقد خرقوا تلك الاصول والمبادئ ،
 وجاروا الخونة في افاعيلهم وهم يعلمون ان عاقبة الخيانة سيئة يذيق
 الله صاحبها وبال امره ويسمه بسمة عار تبقى فيه وفي اعقابه اذ
 لا خري ارجح من ترك الوفاء بالميثاق . ولا سوء اقبح من غدر
 يسوق الى النفاق . واية امة على ما قال الافغاني عطلت نفسها من
 حلية الامانة لا توجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة
 ولا تلبث بعد هذا كله ان تبتلعها بلاييع العدم وتلتهمها امهات

اللهم . اما الخطباء المسمون حمّامات المساجد فلم يذروا وس
لتسفير نيران البغضاء واصلات سيوف النعمة والتحرير على ارت
الشر بكل قوة

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا شراً اذاعوا وان لم يعلموا
فانهم اثاروا الاكراد على النصارى الامناء فجعلوا همهم
الاستيلاء على الارزاق والحاصلات وانفاقها في المعاصي والمنكر
اما القضاة فانهم نسخوا ومسحوا كل شرع وسنة وبتوا اح
جائرة تمكنوا بها من الفوز بما رغبوا مع انهم يقرأون « وان ح
فاحكم بينهم بالقسط » (سورة المائدة) لا بالغدر والافك و
ولله من قال

اذا خان الامير وكاتباه وقاضي الارض داهن في ال
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الارض من قاضي
فما اکتفوا بالحكم في دماء المسيحيين بل افتوا باستباحة امو
واعراضهم ودورهم فامسوا كما قيل

قضاة زماننا اضحوا لوصاً عموماً في البرية لا خصوصاً
فحسبك انهم لو صافحونا لسأوا من خواتنا الفصول
ولا بد لنا من اعادة ما قلناه ذات المرار اعني اننا نحن النص
في كل بلدة وقرية كنا مطمئنين في مساكننا يضربون علينا الضر
فتوذيها يلزموننا بالعائتات فندفعها يضطروننا الى تخلية بيوتنا فنت
عنها يقسروننا على دفع الاموال فندفعها « كنا نشتم فنبارك نض
فنجتمل يشنع علينا فنتضرع (ا قور ٤) ومع هذا كله ما استج
رضاهم . فاين منهم ذلك وهم يقرأون في سورة آل عمران « ولت

منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» ليت شعري اين دعاة الخير واين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ?

الفصل الثاني

مذبحة اورفا (الرها)

ما مر على المذبحة الاولى (ص ٥٣) عشرون عاماً حتى نهض اعداء الانسانيه لاقتراف النطائع تكراراً في مدينة الرها . وقد شئنا ان نلخص لقرائنا اخبار تلك المذابح ليكون كتابنا شاملاً . ففي حزيران ١٩١٥ اصدر ذور النفوذ اوامرهم الى جمهور المسيحيين لينقلوا ما عندهم من الاسلحة الى دار الحكومة فامتنعوا عليهم بادىء بدء ، واكن الحكومة الحنت في الطلب وتهددت المسيحيين باغلظ العقاب وافزع الميئات فاشار عليهم الروساء الروحيون بتسليمها وهم كذلك اذا بجيش عرمرم يتقدمهم قائدان المانيان في مدافع ضخمة وضعوها في القلعة وصوبوها نحو دور النصارى فدكروها واعدموا تحت الردم خلقاً كثيراً . ثم نشموا يكبسون الدور ويذبحون من تبقى

واخيراً جردوا شردمة من الجند الى كنيسة الارمن الغريغوريين فقبضوا على الرئيس وكان شاباً لم يبلغ الاربعين واستاقوه اعنف سوق الى دار الحكومة وابرموا عليه في الجدال ثم قضوا بشنقه . ولما وصاروا به الى منقع العذاب استاذنهم في الكلام فاذنوا له رغبة ان يصيبوا منه حجة تخفف عنهم فطيع جرمهم . ففتح الرئيس فاه وقال بالتركية ما شرحه :

« في ظني ان خطيئتي عظيمة لاني خرجت على جماعتي مقاتل
 الاتراك مع علمي الركيذ بانهم لو قاتلوهم لغلبوهم . . بناء على
 اننا نوت لا لتقصيرنا عن مصارعة اعدائنا بل جبا للدين المسيحي -
 لارمينية المنكودة الحظ . والله العدل قادر ان ينصف لنا من
 ظلم غشوم » وما انتهى كلامه حتى ثار به الخصوم وشنقوه . وقت
 عامة الارمن واستباحوا اموالهم وفتكوا بنقم صالح من السر
 والكلدان واليعاقبة والارمن الكاثليكيين . فقتلوا القس حنا قندلف
 والراهب افريم السريانيين وظل سائر الكهنة منزوين في بيوت
 حتى تجددت اوامر العفر عنهم
 اما الورتبيد ورتان توماسيان رئيس الارمن الكاثليك فاخذت
 ردحا من الزمان عند احد الاصدقاء . وصرف لذلك السبب المبال
 الطائلة ولما درى به ارباب الحكم اصدروا الاوامر بنفيه الى الشت
 ثم سيروه الى اطنه والقوه في السجن وحكموا عليه بالاعدام فر
 الامر الى العاصمة فقضوا عليه بمائة سنة وسنة فاستأنف فحكم
 عليه خمس عشرة سنة فميز فانعموا عليه بالحبس سنتين . غير
 قبل دخول الانكليز والفرنسيين الى اطنه بيومين اوفد الوالي
 استدعائه ولفق عليه الشكايات الكاذبة وقضى بشنقه وامر ان يوثق
 بالحبال ويجر في شوارع الولاية . فتوسل اليه كبار النصارى
 يخفف وطأة العقاب فادعى انه اقم بالطلاق ولا بد من تنفيذ الحكم
 وبعد الاحاف والاحاح تمكنوا من اقناع الوالي في تخفيف القصاص
 ذلك ان الورتبيد ورتان سير به الى المشنقة فصعد الكرسي واوثق
 رقبته بيده وصاح بأعلى صوته اني اموت جبا للدين المسيحي و

لارمينيه وليعلم جميع السامعين اني بري لا ذنب لي البتة « وبعد ان
خرب شهيدا راح المسيحيون لينقلوه بالعربة الى المقبرة . غير ان الوالي
ابي الا ان يضعوا الزبل فوقه وتحتة لثلا يحنث في يمينه الجورية وعلى
هذا النسق شيعوه وخذوه . انظر يا صاح الى اي حد يتصل الانسان
من الكفر والخبث . ليت شعري هل يتعب علينا اذا استمطرنا على
مثل هذا الزنديق وامثاله اللعنات الابدية والنيران الجهنمية ؟

الفصل الثالث

مذبحة دياربكر وما يجاورها

لو شئنا ان نحصي النطائع التي جرت في دياربكر السوداء
ونستقصي الجرائم التي اقترفها محادو الانسانية اطال بنا الشرح وشردنا
عن القصد . وحسبنا ان نقول ان دياربكر السوداء امت جرثومة
النوازل ومغرس الفوائل ولقد صدق من سماها قلعة الدماء . على ان
الاتحاديين نصبوا رشيداً العاتية والياً عليها وخولوه امتيازات سامية
وسلطة واسعة . مطلقاً وزودوه شذمة من القنلة العفاريت المشهورين
بفظ الطباع وقساوة القلب كاحمد بك السرزي ورشدي بك و خليل
بك وممدوح الذائع الصيت وغيرهم

بناء عليه اذاع رشيد الخبيث في خامس نيسان ١٩١٥ ان ستة
ضباط انهزموا من العاصمة ووافوا الى دياربكر ليضرموا فيها جذوات
الشحناء والقتال واستدراكاً لذلك اوفد يفتش عنهم في الكنائس
ودور الوجهاء للقبض عليهم . وكان اولئك الستة الملاحين جواسيس
شياطين اصطفاهم رشيد عينه ووسوس لهم ان يقصدوا كنيسة

الارمن العريفرين متظاهرين بالنصرانية بغية الاطلاع على النيار
والسراير . وما مضى القليل على ذلك حتى تحفز رشيد ذاته ورشد
بك القومندان وجمعا اليهما اطرافهما كالقومسير والضباط ونشما
يجولون في الدور ولما وصلوا الى كنيسة الارمن وصادفوا الجواسيس
نادوا بالويل والثبور وزكبههم ابليس ابو الشرور فأمروا بنبت
الكنيسة ودار المطرنة لاستخراج القنابل والمدافع وثابروا على ذلك
مدة خمسة ايام

وفي تلك الغصون وصل الى ديار بكر السوداء ٨٤٠ من العم
الارمن كانوا يشتغلون مجاناً منذ ايلول ١٩١٤ في طرق ارضرو
وطرابزون و ارزنجان وما كادوا يطأون ارض الولاية حتى ارسل رشيد
الليم تابوراً من العسكر لاستقبالهم فحملوا عليهم حملة شنعاء
وذبحوهم قاطبة وانقلبوا راجعين باسلا بهم الى الولاية يبشرون الوا
القيح الذكر

ويوم الاثنين ١٢ نيسان القي القبض على كرابيد طوربنجي إمام
الارمن وعلى معلمي مدرستهم وعلى مرديك ويكانيين وزجوهم
اعماق السجن . ويوم الثلاثاء ١٣ نيسان قبضوا على نيف وسبعين
وجهاً حي فاتح باشا وساروا بهم الى محل المسافرين (المسافر خانة

(١) كانت المسافر خانة منعم عذاب النصارى والله وحده يعلم ما ارتكب فيه
الظلمة من الفظائم والمذابح على انسه في شتاء سنة ١٩١٩ قوضت الزوابع اركانها
فلم يبق فيها حجر على حجر كأنه جلت احكامه اراد الانتقام منها لما جرى به
من ضروب العذابات . فاذا كان سببها انه اجري ذلك في الابنية فهذا تراه ياقب
القتلة وسفاكي الدماء

وعند المساء اطلقوا من اولئك المسجونين ثمانية توطينا للنصارى .
 ويوم الاربعاء ١٤ نيسان كبسوا البجلة عينها وقبضوا على ثلاثمائة واربعه
 عشر رجلاً من اغنياء الارمن الذين دفعوا البديل العسكري واستاقوهم
 الى السجن . وصباح الغد اكبوا على حيي الحصولي وتمحلوا مائتي
 ارمني وساروا بهم الى الموضع المرقوم . واوفد الوالي من فوره
 الكتاب الى قرى النصارى المجاورة فأغاروا عليهم وقتلوهم واحرقوا
 دورهم

ولما غص السجن بالمسيحيين انطبق عليهم اعداء البشرية وعلقوا
 يعماون فيهم انواع المذابات ولم يكونوا يفترون من التنكيل بهم حتى
 تنهمر دماؤهم على الحضيض فيقتصدون غيرهم . اما الوجهاء فجلفوا
 اظفارهم وبقروا بطونهم وثقبوا يديهم ورجليهم وقلعوا اسنانهم
 حتى قضى عدد غفير منهم داخل السجن فجروهم في شوارع البلد
 والقوم خارجاً

وثالث احد بعد الفصح ٢٥ نيسان اوثقوا ثمانمائة وسبعة رجال
 بالاغلال والحبال واستاقوهم عند الفجر من باب ماردين بالطام والصفع
 والشتم والتشيع وكان في جماتهم الموسيو كزابيان ترجمان القنصل
 الفرنسي فوصلوا الى دجلة واعدوا لهم سبعة عشر كاكاً او طوقاً
 وسار معهم رشدي بك القومندان والنف من الضباط والجنود والجرا كسة
 وما قطعوا من دجلة الا القليل حتى امرتهم بكتابة الرسائل الى
 ذويهم فامضوها وختموها وكان فحواها انهم قاصدون الموصل
 وارادوا بذلك ان يوهوا الحقيقة على اصحابهم انلا يثبطوا الحكومة
 بهيجانهم عن مواصلة شغلها ويمطلوا تدابيرها فلا يتيسر لها ان

تدمرهم بلذيتهم . وبعد هذا انطبقوا عليهم وعروضهم وقتلوهم مضيق عشيرة الرما واحتوا على اموالهم وامتعتهم . والقوا على قتل منهم خشب الاكلاك واحرقوهم وانقأوا الى الولاية مسرعين يوم الثلاثاء ٢٧ نيسان ليواصلوا العمل قبل فوات الفرصة وافضى بهم الخبث والاروم فقبضوا على مطران الارمن الغريغوري ومضوا به الى باب مازدين واجلسوه على كرسي ليرى شعبه عند مرورهم فيزداد الالم وتوجعاً ثم رجعوا به توتاً الى السجن وجعلوا يقبضون على كل من يصادفونه داخل البلدة وخارجها ويسوقونه الى جامع فاتح باشا فيعذبونه او يقطعونه عضواً عضواً او يقلبون عليه زي البترول ويحرقونه وكانوا يشيرون على ذويهم ليحملوا لهم الاطعمة وعند وصولهم الى السجن كانوا يوثقونهم ويضيفونهم الى اصحابهم ثم استدعوا قسان الارمن الاربعة ونفثوا فيهم وفي مطرانهم حمة سخطهم وغضبهم واخرجوهم الى الساحة وركبوهم كالدواب وساقوهم وصنعوهم ثم امرهم ان يكتسوا دار الحكومة وهم راكبون فوقهم كما جرى الامر بمازدين القس يوسف رباني السريا معلم المدرسة . وظلوا يعذبونهم مدة ثلاثة ايام ليل نهار واخيراً فوضوا الى الملاوية (المؤذنين) ان يعذبوهم كما يلهمهم الخنا فقاموا بتلك الخدمة طول الليل بالمتابعة ووضعوا جرنماً ثقيلاً على هامه المطران واضطروه ان يقفز ويرقص ثم سالتوا بيضتين ووضعوا في كل يد بيضة وازادوه على طبقها حتى تهرت اللجان ثم استحضر مسماراً ضخماً ضربوه في ام راسه حتى نفذ من عنقه واذاعوا ان خولط في عقله واخيراً مضوا به الى ساحة دار الحكومة وقلبوا على

زيت البترول واحرقوه وجروه الى الزبلة وانقروه فوقها . اما القسان
الاربعة فاخذوا بمخنتهم حتى صاروا يلعبون كالسمكة في الماء
فتراهن الجنود على قلنسوتهم فمن اصابها صفقوا له استحساناً وما
زالوا يعذبونهم هكذا حتى فاظروا

وبعد ان استاقوا الرجال وذبحوهم طائفوا يجمعون النساء فاخرجوا
طائفة من باب الروم واخرى من باب ماردين واخطفوا الاطفال من
احضانهم . وذكر انا جرجس مرجان القصوراني انه لما كان يجول
في البرية بزى عربي راى في شيركه قافلة سيدات قادمات من ديار بكر
راكبات العجلات وما بلغن الى تلك القرية حتى امرهن بالنزول
ونشموا ينتقون اربعاً فاربعاً الى بئر قريبة فعروهن وقتلوهن على فم
البئر وجرجس يلحظهم . وشاهد قافلة ثانية من شيوخ ديار بكر
ونسائهم واطفالهم في تعليكه واوذي ذبحهم الاعداء قاطبة على فم
الابار . فقصد جرجس عند الصباح احداها ودلى الحبل فنشل اثني
عشر شخصاً من جملتهم داود بن رزق الله وزير وخاتون بنت يوسف
طوراني . وشاهد قافلة ثالثة في عاليه غربي تعليكه ذبحهم الخصوم
عن اخرهم والقوهم في البئر فسار عبد القادر بك في اصحابه ونشل
منهم زهاء خمسين واداهم اطلبهم جرحى فغني بامرهم وعالجهم لكنهم
كلهم ماتوا

اما السيد اندراوس جلبيان مطران الارمن الكاثليك فلسبب
طمع رشيد في الاستيلاء على ثروته ابقى عليه ردهاً من الزمان .
ولما باشر الخصوم يسوقون النساء ساقوه مع ذويه وثلاث راهبات على
طريق حلب فوصلوا به الى خان حبش واضطروه ان ينتصب في

طرف الجادة واخذوا الحجار ورجموه كاسطفانس راس الشهدا
تكرمت الحجار عليه ووارت قامته الا راسه وكتفه الواحدة فامسك
حطبة وتركوه هكذا يتعذب حتى فاضت روحه الطاهرة بيد خالقه
وكان كلما مر المسيحيون بتلك الطريق . قال لهم الجنود « حيد
زوروا مطرانكم » اما شماسه وكان من اسرة طازباز الماردينيين
فهجموا عليه وخنقوه داخل الكنيسة والقوه في بئرها وبقي الار
اوسيب منزوياً في دار المسافرين اثنين وخمسين يوماً فاسنى للوالد
مائة ليرة ذهباً ونجا من القتل

واعلم ان الخنوم بديار بكر على شديد حنقهم وكيدهم ابقوا
على الف ومائتي ارمني بديار بكر جاهرُوا بالاسلامية . اما الارمن
الكاثليك فظل منهم اربعون شخصاً لم يسلموا . واستاقت الحكومة
من جماعة الكلدان اربعة وثمانين بيتاً ومن اليعاقبة ستة وعشرين بيتاً
واسلم منهم ثمانون رجلاً . واسلم من السريان الكاثليك اس
شكال واسرة بابي سوى يوسف وامه واخوته . اما دور النصار
وكنائسهم واموالهم فحدث لها مثلها حدث في ماردين فان رج
الحكومة ضبطوها وحشدوا اموال الارمن فيها وتبايعوا عليها
واليك نتناً من الوان العذابات التي انزلها بالنصارى اعداؤها
على ان كاهن قرية علي بوار الارمني الذي كان عمره خمسة وثلاث
ربيعاً استاقوه الى السجن واستاقوا امراته معه فعروها امامه وركب
منها الفاحشة مراراً ثم سعدوا به الى السطح ودعوه الى اسفل وقطع
اما امراته المسكينة فاغمي عليها وفاظت . ثم انهم نعلوا قدم
بوزو النعلبند وثنذوتيه بنعال ضخمة حتى قضى اجله . وجلفوا اظف

ذكر ان حلوجي عن اصابع يديه ورجليه وضربوه بقضبان رمان
 طريئة حتى اماتوه ونكلوا نظيره باهر (ابراهيم) القصاب وتكاولوا
 عليه بالعصي حتى قضى . وعلقوا جاقوجي بكلاية القصاب وسلخوا
 جلده وقطعوه ارباً ارباً وافتعلوا كذلك بمهران بسطجي . وقس على
 ما صار في دياربكر مذابح النصارى في الابشيرية والجاروخية وسائر
 القرى وفي سويرك ايضاً فان الاتراك لم يبقوا على زدمراني واحد فيها
 والحلاصة ان النيران اثناء المذبحه كانت تلتهم جثث المسيحين داخل
 ولاية الدماء وخارجها

الفصل الرابع

مذبحه ديركه

ديركه قرية الى الجنوب الشمالي من ماردين تكثر فيها الحدائق
 والبساتين واصناف الشجر ولاسيما الزيتون والعنص وفيها المياه الطيبة
 والينابيع الغزيرة . اورد ذكرها مورخو السريان في القرن الثامن
 للمسيح فان اثناسيوس الرابع بطريك السريان اليعاقبة ٧٥٦ - ٧٥٨
 شاد ديراً جليلاً عند تل بسم قرب ديركه ما زالت اطلاله ظاهرة
 حتى اليوم . وكان في ديركه قبل المذبحه زهاء مائتين وخمسين بيتا
 من نصارى الارمن والسريان والبرستان وكان في بيران شمالي ديركه
 نحو عشرين بيتا من الارمن . واليك تفاصيل ما جرى لهم :

يوم الاثنين ٢٤ ايار اوفد رشيد الطاغية الى ديركه مبعوث
 الولاية في ضابطين فسار كهنة الارمن والسريان لزيارتهم في دار
 الحاج اوصمان فتجهموا لهم وكانوا يفتحون العين الواحدة الى القتل

والعين الاخرى الى الأختلاس والخلاعة . وبعد ان عادوا الى كنائسهم
 اوفد المبعوث في طاب توما بجي الارمني الكاثوليكي ونانيل كو
 وكرابيد كركو وبرلس ايلو ومراد بابو وبوغني شامه وجبرائيل قضا
 فامثلوا الامر ما عدا جبرائيل فان ابراهيم صوره ناب منابه
 وما وضعوا اقدامهم في الاسكفة حتى اخذ نائب رشيد الخيد
 يلسنهم ويخني عليهم في الكلام مدعياً ان عندهم اسلحة فاستمهلوا
 ليدافعوا عن انفسهم فابى وامر الجنود من ساعته فضربوهم ورفضوا
 واطمروهم وعلقوا اقدامهم وبالغوا في الضرب حتى ايسوا من المش
 فحملوهم الى بيوتهم بين احياء واموات . وبعد ذلك انقلب هولاء
 الى ديار بكر في ٢٦ ايار وغلب على ظن المسيحيين ان المخاوف
 والاطمارة قد زالت

غير ان الحكومة رقت مجلساً في المكتب تحت رئاسة مصطفى
 المدير ليتصرفوا في الذرائع التي يجب اتخاذها للفتك بجمهور المسيحيين
 وابتزاز اموالهم وامتلاك ارزاقهم فقرروا ان يستدعوا نفراً فنفر
 لعلهم يصيبون منهم الغرض اللايقاع بهم . فانتدبوا جبرائيل قضا
 في جملة من انتدبوا كبواش شامي واوسيب ابن اسقف البراستا
 واربعة غيرهم فاستنهبوهم عن الاسلحة والبنادق فام يؤيدوا عليها
 دعوى فامروهم بالنزول الى اعماق السجن ولبثوا ثم ثمانية ايام ينز
 بهم اصحاب الذمة ضروب النكال . ثم استدعوه ثم ثمانية وقال
 لهم : قد صدر الامر ان تقتلوا جميعاً فمن ادى خمسين ليرة نج
 ومن لم يؤد قتل . فسرخوا الذي دفع وابقوا الذي ابى الدفع
 واتفق ان المستنطق ومدعي العموم الغريبين جعلاً يتعتبان ويدافع

عن المسيحيين ويشنعان على اخصوم فكتب هولاء الى الوالي حالاً
 فاوفد الاوامر في وجوب خروجها عن القرية وذهابها الى وطنها.
 وظل النصارى مسجونين الى يوم الاربعاء ٢ حزيران
 وليلة الخميس ارسلوا في طلب القس ابراهيم كروم السرياني فسار
 من ساعته ومكث ينتظر النتيجة حتى العشر فجاء جندي يقول له
 اننا احضرنالك سهواً فانهض وارجع الى مقرك . ثم استدعوا الاب
 اندراوس خوري الارمن الكاثليك والاب اوهنيس خوري الارمن
 الغريغوريين فاستنطقوا الاخير وسرحوه وتركوا الاول في موضعه
 فرفع الى الجمعية رقعة كتب فيها « بما اننا غداً الخميس معيدون
 فاسترحم ان تاذنوا لي في الذهاب الى كنيسة لاقضي فروضي »
 فاذنوا له . كل ذلك ليكشفوا الفزع عن قلوب المسيحيين ويطمئنوهم
 ويوم الاثنين سابع حزيران قبضوا على توما بجي وجيه الارمن
 الكاثليك وعلى اخيه وعلى انطون قليونجي وعبد المسيح كراكوس
 وغيرهم وكبسوا كنيستهم عند الظهيرة وفتشوها وفتشوا اوراق الاب
 اندراوس وساقوه الى السجن وانتابوا الى كنيسة السريان الكاثليك
 فبحثوا فيها بحثاً عميقاً وتهددوا القس ابراهيم كروم وحنقوا عليه
 واهبطوه الى جب الكنيسة يريدون ان يستخرج منه اسلحة . ولما سجدوه
 ولم يعثروا على شيء القوا حبلاً في عنقه وساقوه بعنف حافياً ونشوا
 ينتفون لحيته البيضاء وجبلوا رماداً لطخوه في وجهه ثم وضعوا على
 راسه طبقاً مملوءاً حجارة وركبه احداهم وجعل يسوقه وتجهز
 الاعلاج والعجايا واخذوا يحصبونه ويرجمونه ويستهزئون به حتى
 اوصلوه على تلك الهيئة المفجعة الموجهة الى دار الحكومة فتناوبوا

في ضربه ودفعه احدهم الى اسفل فتخاينات اعضاءه وكادت تره
روح

ويوم الثلاثاء ٨ حزيران القوا القبض على القس اوھنيس وعلی
ابرهيم معلم البرتستان وبسطوا الايدي على عامة المسيحيين واستاقوهم
الى السجن وعند الغروب استدعوا الاب اندراوس وجاكموه وانزلوا
به اعنف ضرب واعادوه الى السجن وقصدوا القس سميدا السرياني
اليعقوبي فنتقوا لحيته ورفسوه وضربوه . وضربوا توماس بجبي تسع
ضربة ونادوا جبرائيل قصعه وسطحوه على الحضيض ووقف واح
عند راسه واخر عند قدميه وتناوبا في ضربه حتى اغمي عليه
صاحوا بيوسف اخي توماس وجعلوا يضربونه وضربوا غيرهم ايض
واخيراً التفتوا الى الكهنة الاربعة ونشموا يبصقون عليهم ويلاطمونهم
ويضربون بهم الجدار ويتفحشون عليهم في الكلام . وعند ذلك
اقبل مصطفى القائم مقام في رجال الحكومة يتفرجون على مسرح
العذاب والتفت يقول لجبرائيل قصعه ' هل ضربك احد . قال . بلى .
قال قم ارجع الى محلك

وظل المسيحيون في السجن ثمانية ايام ينزل بهم اصحاب المروءة
اشكال العذابات كنتف الشعر وجلف الاظفار وتسمير الاعضاء وتفقيئة
العيون وجلد الاجسام حتى تضرجت الارض بالدماء . وتنادى الخصوم
في التنكيل والتعذيب حتى الاحد ٢٠ حزيران فعلقوا يستدعون
عشرة ف عشرة ويذهبون بهم الى محل قريب من خواروك فينكالون

عليهم ويعرونهم ويقتلونهم ويأتون بأسلابهم الى القائم مقام . اما الكهنة فخنقوهم داخل السجن يوم الاحد ٢٧ حزيران ووضعوهم في خرجين في كل خرج اثنين ومضوا بهم الى شمالي القرية وانقلبوا راجعين بثيابهم

واقبل في تلك الغضون ضابط من ديار بكر فامر المنادي ان ينادي بالعفو عن المسيحيين غير انه اجتمع ايلاً بمجليل بن ابراهيم باشا والياس الحاج اوصمان وجميع المشايخ وقال لهم اياكم ان تدافعوا عن أحد النصارى والا صدر الامر بقتلكم نظيرهم . فاذا كنتم ممن يحب الدولة ويخلص لها الطاعة لزمكم ان تنشطوا لقتال عامة المسيحيين . فقاموا من فورهم وطفقوا يجولون في الازقة ويقبضون على كل من يشاهدونه ويسوقونه الى السجن فازداد الخوف وانصدعت الافئدة . وكان هداية افندي يكتب اسماء المسيحيين ويعريهم ويحفيهم وينزلهم الى السجن . وحضر اذ ذلك فيمن حضر نصري النجيم فلطمه جندي لطمه ذهب بعينه الواحدة ثم سمر اذنه في الجدار وتركه كذلك ليلته كلها . ثم وافى هداية افندي الخبيث والقي جبالاً في عنق توماس افندي وخنقه واغلق الباب وانقلب راجعاً . فاحضر الجند خرجاً وضعوه فيه وساروا به الى كافره كر والقوه ثم ورجعوا

وصباح الإثنين ٢٨ حزيران قصد وكيل رشيد الطاغية محل المسجونين واخذ ورقة الاسماء من هداية وجعل يستدعي واحداً فواحداً فسرح الشيوخ وترك الشبان والكهول فاوثقوهم صباح الغد واستاقوهم الى زناره سعور فقتلوا قسماً منهم وابعدوا بالقسم الاخر الى محل

ثانٍ ففكروا بالجميع وعادوا بالاسلاب
ولم يبق اذ ذاك في السجن سوى ثلاثة وعشرين شخصاً فاطلا
منهم ستة عشر وتركوا البقية فاتفتن اذ ذاك انطون قليونجي ونص
انجيم ويوسف الديار بكري على دفع ثلاثين ليرة الى كركو
الارمني وكيل الصندوق ليعمى في اخراجهم فخرجوا وخرج معه
جميع المسجونين ما عدا جبرائيل قصعه فظل وحده في السجن
وبعد يومين احضر الخصوم الى الحبس عبد المسيح جولخ بعد ما قبل
منه وكيل الوالي خمسين ليرة فشد عليه هداية الظالم بعد ليلتين وغ
رجايه وانزل به الضربات الشتى حتى صاح الموت وضرب عبدال
الارمني وامر اربعة جنود فحملوا عبد المسيح وعبدال الى الغاب القري
وقتلوهما بين اشجار الزيتون

اما جبرائيل قصعه فاختلى به ابرهيم النصييني وكلش الز
وقالا له ان دفعت لنا شيئاً من الذهب اطلقناك والا قتلناك كما قتلت
اصحابك النصاري فاستعملوهما جبرائيل الى الغد . وعند الصباح اقب
اليه هداية واستخبره عن حاله فقال له قتلي خير من بقائي . فاس
اليه هداية بان القائم مقام حرج على الجنود التعرض له . فافاده
ابرهيم وكلش صتما على قتاه ليلة امس فصاح بهما ووبخهما وقال
بحذار ان تبسطا اليد اليه لانه سرياني لا ارمني

وبعد ايام قليلة عاد الجنود يقبضون على الذين سبقوا فسرحوه
ومسا اقاموا في الحبس اربعة ايام حتى استاقوهم جميعاً وذبحوه
واطلقوا جبرائيل على شريطة ان يشتغل الصابون للعسكر مجازاً
وفوض اليه هداية ان يجمع له سرّاً ذهباً وفضة من بقية النصاري

غير ان الحكومة كانت تلاحق عملها فتقبض وتسوق وتفتك بالنصارى
والا بقى منهم عدد يسير نادى المنادي بالعرفو واستدعاهم رجال
الحكومة ليكتبوا اسماءهم ويطلقوا لهم الحرية على قولهم ليستأذنوا
شغلهم فالذي سار ليكتب قبض عليه والذي بقى بقى محتجباً حتى
ليلة عيد رمضان فوثب العسكر على الدور واستاقوا الجميع صباح
العيد على طريق الفراشية فذرعوا ثيابهم وقتلوهم عن اخرهم . وقصد
المقتاة في الغد قوم من الاجلاف فالفوا اناساً بين احياء واموات
فأثخنوا فيهم وقتلوهم وانقلبوا يبشرون اولى الامر بانجاز العمل
وثالث العيد هجموا البيوت وقبضوا على عدة نساء وبنات
واستاقوهن الى كورتا وهتكوا سترهن وقتلوهن وكانت والدة
كركو زياني في جنهتهن فمضوا بها الى بستان قريب وعلقوها في
غصن شجرة واخذوا شجرة ضخمة فسخوها شطرين وتركوها معلقة
وبقي جبرائيل يشتغل زماناً في ديركه حتى استدعاه القاضي والمفتي
وقالا له اننا دلالة على حبنا لك نشير عليك ان ترحل الى الشعب
لتكسب ثم الرزق لك ولعيلك والا فاذا لبثت ههنا اغتالتك ايدي
الاجلاف واودوا بحياتك وحياة عيالك فسار جبرائيل في اهلها الى
تلك القرية ومكث بها ثلاثة اعوام ثم شخص الى ماردن فكان
اول من اتى عليه القبض واخر من افلت من القتل وحرف جبرائيل
العناية في انجاء نفر من المسيحيين الذين سباهم الاكراد كبنت انطون
قليونجي ورافائيل قبلو وسوسان اخته وفهيمه كاتو وغيرهم . اما
تانو النصراني فانه لسوء الحظ هجر دينه حرصاً على دنياه ويمم ماردن
فلقيه يوماً ابن حو اليونس واستخبره عن بقى من النصارى في ديركه

فقال له انهم قتلوا باجمعهم فقال له ابن حمو اعلم يا تازو اني بيد
هذه التي ستاكلها الدود قد ذبحت سبعة وعشرين نفساً واو صعب
بيدي لاتلفت النصارى بلفيفهم

الفصل الخامس

مذبحة ويران شهر

ويران شهر بلدة قديمة (هنا ص ٥٩) عرفت سابقاً بتل مرو
وهي وطن سرجيس اول بطاركة السريان اليعاقبة ٥٣٨ - ١
وبقيت تل موزل في حوزة الروم حتى ظهر المسلمون فملكوها
ما ملكوا من بلاد ما بين النهرين
وكانت النصرانية شائعة فيها تدل على ذلك اثارها وانقاضها
وفي اوائل القرن التاسع عشر هجر اليها قوم من نصارى الرها ومارد
وسويرك . وكان ابراهيم باشا الكردي في زمانه يحسن معاملته
ويشير عليهم ان يبنيوا الدكاكين والدور فراجت اسواق التجارة ف
وكثر العمران . وابتنى فيها الارمن الكاثليك كنيسة كبيرة ع
اسم يوحنا المعمدان انجز بناءها الورتبيد اسحق حولوزو سنة ١١
وفيها السريان الكاثليك ايضاً كنيسة باسم مار افرام . وكان ف
مصلين ايضاً نلارمن الغريغوريين واليعاقبة اما عدد النصارى ف
زها . سبائة بيت اغلبهم من الارمن الكاثليكين

وبعد اعلان الحرب المشؤومة باربعة وعشرين يوماً اضطر قائم
ويران شهر جميع النصارى ليحضروا الى ماردين ويكتبوا كما
فوصفنا ذلك في يومه (هنا ص ٩٤) ولبث المسيحيون مثقلين بال

والعائتات حتى اول ايار ١٩١٥ فكبسوا كنيسة الارمن عند فحمة الليل واخرجوا الورتبيد اسهاك حولوزيان رئيسها خارجاً واستقصوا البحث عن السلاح مدة ثلاث ساعات فلم يجدوا شيئاً . فاستاقوا الورتبيد الى المحكمة واستنطقوه فلم يثبتوا عليه حجة البتة فصرفوه وقصدوا في ٢ ايار كنيسة السريان الكاثليك وفتشوها ولم يصادفوا شيئاً . فكتب القس جبرائيل مناشي الى رئيسه السيد جبرائيل تبوني الجليل يطلعه طلع الامر . وتبادر الى ظنه وظن الورتبيد ان تلك السجابة الكثيفة قد انقضت وانهما قد قتلصا من كل تبعة ودرك ولكن

وثالث عشر ايار ارسل رجال الحكومة في طلب وجهاء الارمن مثل اراكيل وطاطيوس وماردو وعمسيح الفرنجي ووجهاء السريان الكاثليك كبطرس رومي ويوسف اخيه وابراهيم قريو مدعين انهم من الجمعية الارمنية المبهاة (فداوية) ولما وصلوا الى دار الحكومة اندفع سفير والي دياربكر الطاغية يقول لهم : قولوا لي ما اصنع بكم . هل اسركم بالمسامير ام اقتلكم قتلاً . ام انجق عيونكم وافقها . ام اجلدكم وانزل بكم اغلظ العذاب . فقال له ضيا بك راس الضباط الاجدر ان نضوب نحوهم الرصاص ونقتلهم لكن السفير نذير الشونم بعد ما بكتهم وعنفهم صفع كلا منهم صفعات شتى وامرهم ان يلزموا السجن ريثما يتفق مع عصاة الشرور والفاسد كضيا المذكور واحمد رجب رئيس البلدية والملاخايل وحمين الموصلى واولاد ابراهيم باشا وغيرهم على اتخاذ الوسائل اللازمة للفتك بارواحهم قاطبة

ويوم الثلاثاء ١٨ ايار طفق الجنود يجولون في دور الاغنية
والوجهاء ويقبضون عليهم ويسوقونهم الى السجن في ضرب وس
كثير وقصدوا دار عبد الاحد صلبو السرياني وجعلوا يفتشون لعل
يعثرون على شي من الاسلحة . وانزلوا نفراً الى البئر فأخرج
كبيرة ممتلئة من الرصاص كان عبد الرحمان جاويش الخبيث قد
سبق فالقاها فيها انتقاماً من عبد الاحد عدوه كما اقر بلسانه .
رأوا العلبة قالوا لعبد الاحد كيف ادت بك القحة الى ان تخ
الدولة هل تروم مقاتلة رجالها العظام ببنادقك وبواريدك . قا
هذا وجعلوا يكفخونه باعواد الخيزران وقضبان الرمان على ظهر
وصدره حتى تكسرت القضبان . ثم سحبوا سفافيد ستور البدي
وواصلوا الضرب حتى اعوجت والتوت . فامسى عبد الاحد على
رمتي وتضعفت اعضاؤه وتكسرت عظامه وسالت دماؤه . وب
هذا حملوه على ايديهم الى دار الحكومة . فلما رآه الياور حد
النظر اليه وزمجر ساخطاً عليه ثم رفسه برجليه ودفعه فتدحرج
علو الدرج الى اسفل . وكان كل جندي من الجنود الواقفين
الدرج يرفسه ويعجله الى الآخر حتى انتهى المظلوم الى اخر در
فاخذه بستاني الباشا وصفعه ثلاثمائة ضربة وكان رجال الحكو
واقفين يضحكون ظهراً لبطن . ثم امر الياور ان يردوه الى بي
لتراه امه وامراته واخته . فجمله تسعة رجال والدماء تتدفق
عينية واذنيه وقدميه وجميع اعضائه . فلما راته امه خولطت
عقلها . اما اخته فما تمالكته ان قالت لهم علام احضرتموه . لما
لم تقتلوه بالمرّة وتواروه عنا . فتحسر عبد الاحد وقال بصور

خافت : كونوا على ثقة اني بري مما اتهمني هولاء الغدره . فانا قد
قضي قضاي وعمما قليل يدركني اجلي . اما انتم فاحرصوا ان يصيبكم
ما اصابني . وبعد ذلك بدقائق حملوه تكراراً الى السجن

وعند المساء سارت اليه اخته حبر لتعريده فلم ياذن لها البواب
الا بعد ان دفعت له اربع ايرتات . واخذت معها جلد عنز لفت به
اخاها وعادت فرات ثلاثة عشر جندياً واقفين على الباب يقولون
ادفعوا لنا ما بقي عندكم من السلاح . فقالوا لهم كذبت ظنونكم
ليس عندنا شي . مما توهمون فاندفعوا يضربون النساء بالمناوبة ويحمون
السفايد ويكروونهن . واخيراً اوثقوا الام وابنتها وجعلوا يكتنخونها
ويضربونها ويقولون . ان عبد الاحد افادنا انه لا يعرف احد
بمخزن الاسلحة سواكما . فاكدتا لهم ان قولهم افك صريح لا صحة
له . فاخذوا منها خمساً وثلاثين ايرة وانصرفوا . فارسل ضيا
بك يقول لها ينبغي ان تتاكدا اني انا الذي اثرت الجنود ليضربوكما
وسيوصلون العمل حتى ترسلا الي جميله قرينة عبد الاحد والا
قتلتا كلتاكما . فسارت اليه جميله وقالت له اعلم ان قتلي وقتل
حماتي وحبر خير من الاجابة الي طلبك . وتيقن ان لا سلاح عندنا
ثم عادت الي بيتها وفي ٢٨ حزيران ارسل في طلبها اليه وتهدها
بالقتل وحرّج عليها الرجوع الي بيتها

ويوم الخميس ٢٠ ايار ارسل عبد الاحد في طلب اخته وقال
لها اني احمد الله تعالى لان نفسي تراجعت وقد نلت العافية فيخذي
يا اختاه ثيابي الي احدي النساء لتغسلها ولا تريها امي لثلاثين او
تفقد عقلها . فاخذت حبر الثياب فاذا هي مضرجة بالدماء واندفعت

تبكي بكاء اليماء . ثم ودعت اخاها وسارت بالثياب الى امرأ
غسلتها وردتها اليه . وفي ٢٢ ايار استحضروا عبد الاحد للاستنطاق
فقال لاخته اتبعيني ولا باس عليك ان ينالك ما نالني من الضرب
فاني اخوك . فدمعت اخته وتبعته وظلت واقفة على الباب تنتظر
النتيجة . ولما رآه الياور توجهه وقال له علي بالسلاح . قال عبد الاحد
ليس عندي سلاح وقد وضعت دمعي في كفي وما عدت اؤمل الحيا
فاضربوني واقتلوني فان البري يبريه الله الصمد . قال الياور اخرجوا
هذا الكافر الخائن فاني لست اعطي ان اشاهده . فخرج المسكين
ذليلاً مأيوساً . فامسكته اخته وبزات به الى موضعه . وقالت له
اخي المحبوب ارى سيف الموت فوق راسك يتهددك . فحذار ان
تياس او تقنط . حذار ان تنكر ايمانك . استودع نفسك بيد
يدي يسوع ومريم ويوسف . فقال لها يا اختي اني على ما قلت ان
اخون ربي وهو القادر ان يعضدني ويشجعني لانه عارف ببرارتي
اما الورتبيد اسحق رئيس الارمن الكاثليك فبعد ان باغت
الجنود يوم السبت اول ايار وفتشوا غرفته وكنيسته وسجنوه
اطلقوه كبسه في ٢٧ ايار احمد اونباشي وعبد الرحمان جاويش وضابط
آخر يقولون له ان ابن رومي يدعوك فنهض من ساعته وسار الى
دار الحكومة ينتظر النتيجة ولما امست جاء اليه عسكري يقول قد
أرجحت مسألتك الى الغد فابعث في طالب فراش لتنام ههنا . فقضى
ليلته تلك ضيفاً كريماً عند النصارى . وصباح الغد استدعوه واستنطقوا
فلم يجدوا حجة للتمثيل به فردوه الى السجن ولكنهم لم ينكلوا
به . غير ان السهر سلط عليه والنوم امتنع منه فاغتم الفرصة وجعل

يسلي المسجونين ويرطب قلوبهم . ويبحث فيهم النخوة والحماسة ليتجلدوا على العذاب والاهانة ويثبتوا الى آخر رمق في قويم ايمانهم .
 ويوم الجمعة ٢٨ ايار استاق الجنود اراكيل وطاقوس وماردو ورفاقهم المشار اليهم الى المغاور وفتكروا بارواحهم . ويقصر اللسان عن وصف ما ألم بهؤلاء المساكين من صنوف العذابات الفادحة فان الجنود كانوا يتناوبون يومياً في ضربهم وتعذيبهم واراقة دمائهم .
 وتأييداً لشديد الالمهم نقول ان فراشهم وثيابهم حتى صحن الغرفة التي كانوا متزوين بها امست كلها متعصفرة بدمائهم ذلك لان الاعداء المنافقين رفعوا كل رحمة وشفقة من قلوبهم فبالغوا في التنكيل والتمثيل بهم حتى لحقت الدماء بالدماء (هوشع ٤)

ومساء الاربعاء ٢ خزيان ارسل عبد الاحد في طلب امه واخته وقبل يدي الام وعانت الشقيقة وبكى حتى أخضل خديه بدموعه وبكت ابكائه امه واخته . ثم قال لها ارغب اليكما ان تصونا قرينتي قدر مكنتكما . اصرفا كل مالي فهو فداؤكما . . ان لي عند الخوري افرام احمر دقنه بتاردين اثنتين وعشرين ايرة دفعتها اليه منذ اشهر فاقبضاها منه . اليك يا اختي هذه الورقة فاني قد سطرت فيها ما لي وما علي وهي آخر ورقة اكتبها . . واهاً لك يا اختي العزيزة اني افارقك بقلب جريح وفؤاد كسير . اتخذني لك حذاء من حديد وعصاً من فولاذ وتقفيني فانك ما عدت تشاهديني الا في الابدية يوم الدين الرهيب . اودعك واودع امي وجميع اهلي واصحابي . . وبعد هذا عادت الام الكلى والشقيقة الحزينة الى بيتها وجالسا للبكاء والعويل واستيقنتا ان عبد الاحد غاب عنهما الى الابد

وليلة الخميس ٣ . حزيران سيق عبد الاحد مع ثمانية رجال ام
بوغري وفيها سفكت دماؤه مع دمائهم وبراوا ينالون الجزاء المع
للأبرياء الامناء .

وصباح الخميس عيد الجسد استاقوا الورتيند اسحق حواوزو اذ
دياربكر راكباً يكتفه ستة من الضباط . واما شارف البلد ابصر
قوم من النصارى فحيوه تحية السلام فلم يجبههم . وكان عارفاً بم
سيعرض له . ولما وصل الى موضع المسافرين خصت به غرفة سكن
خمسة عشر يوماً منتظراً الفرج على اى اسابوب كان . ويوم الثلاثاء
خامس عشر حزيران مضى به الجنود الطغاة الى تل قريب وفتكرو
به . شلت يمينهم وعميت عيونهم

يا نفس مالك في الدنيا مخلقة
من بعد رحلته عن هذه الدوا
وكيف تمسين فوق الارض ذافاة
ليس جثائه فيها بمقبور
حق على كل " خلى " ان يموت اسى
ليكن ذلك امر غير مقدور
يا نفس فاتشدي لا تهلكي اسفاً
فانت منظومة في سلك معذور

ويوم الاثنين سابع حزيران انتشر الجنود كالجراد في اسواق
ويران شور وبيوتها والقوا القبض على الرجال والفتيان من سن الثانية
عشرة الى السبعين واستاقوهم قاطبة الى الشكنة العسكرية . وراح
ثلاثة الى كنيسة السريان فقبضوا على القس جبرائيل مناشي احمر دقنه
وجعلوا ينتفون لحيته وشاربيه ويخطلون له في كلامهم ويضربونه بشراسة
ويقولون له " انت فرنساوي تحب فرنسا وتصون لديك كتبها
وتحامي عنها . فهلم الى السجن ترها مستعدة لتخلية سيدلك " ثم

بلغوا به الى الشكنة في حال يبكي لها الجناد وضوه الى رفاقه
النصارى وعند الليل اقبل احد الجنود وبيده دقاقة كبيرة ونشم يضربه
بقسوة ضربات شتى حتى تكسرت عظامه ثم التفت يقول للنصارى
المسجونين . من منكم يفديه ؟ فتيحس الشاب عبد النور الارمني
وقال : روحي فداه فتركه ذلك النزال الكافر على اجر رمق وانذفع
يضرب الشاب عوضه وكان كل من الجند يضرب من يشاء كيفما
شاء . واحتشد تلك الليلة في السجن اربعمائة وسبعون من ارمن وسريان
ويعاقبة عذبوهم قاطبة من دون ان يفرطوا منهم احداً
وعند الغروب سار حسين المرصلي في خمسين عسكرياً الى كنيسة
السريان الكاثليك وفتشوها ثم اوصدوا الابواب ودفعوا المفاتيح الى
منش اخت القس يقولون لها احترسي على ما في البيعة واذا فقد شي
الزمنالك به . وما مضى من الليل ثلثه حتى اقبل اليها القائم مقام
والقاضي وضيا بك ومدعي العموم فنجثوا ونقروا ثم اغلقوا الابواب
وانقلبوا

وليلة الخميس عاشر حزيران اشتغل الجنود بربط المسجونين
وغلهم حتى الفجر ثم ساقوهم حفاة اربعة اربعة الى حفماله وذبحوهم
وقتلوهم جميعاً . وحملوا ثيابهم كلها على الحمير والجحاش وعادوا
بها الى البلد واقتسموها كل حسب وظيفته وقدر جهاده وخيانتة .
وقد ايد لنا غير واحد ان ايوب بن حمزة انا اقر مرارا شتى بانه
هو الذي قتل بيده الخبيثة القبر جبرائيل احمر دقنه فاصيبت عينه
بالعمى جزاء لقسوته وفضاظته

ويوم الجمعة ١١ حزيران واصل الاعداء شغلهم فالقوا القبض

على النسوة المثرىات كاسرة اراكيل وماردوميرو وطاطيوس ومريمو
وكيخوا وتبل وسهدو وزابون ويوني وشد وكركو والوس وغيرهم
كثيرات من نساء وصبيان وفتيات حتى بلغ مجموعهم نيفاً والفس
نسبة واستاقوهم قاطبة الى المغاور وعروهم وذبحوهم وفاقوا عيون
البعض منهم ولاسيما عيني مارتا بنت الياس كيخوا واحضروا ثيابهم
وامتعتهم على ظهور الجحاش وتقاسموا بها قسمة ضيزى

ويوم الاثنين ١٤ حزيران استاقوا قافلة ثانية من النساء ما
افرطوا واحدة منهن في قيد الحياة واستحوذوا على امتعتهن . ويوم
الاربعاء ١٦ حزيران شدوا على قافلة ثالثة وافتعلوا بيها ما افتعلوا
بالاثنين السابقتين

ثم استاقوا من بقي من نساء الارمن الى راس العين واستحوذوا
على اموالهن واستباحوا بيوتهن واملاكهن
ثم تعجلوا الى النساء السريانيات كاثوليكيات ويعاقبة واخذوا
منهن كل حلية وذهب ووعدوهن بالبقاء في بيوتهن . ويوم الاحد
عشرين حزيران عاود رجال الحكومة الهجوم دفعة ثالثة على كنيسة
السريان الكاثليك وجمعوا كل ما كان فيها من غال ورخيص
واختلسوا من غرفة القس جبرائيل ما بلغت قيمته نيفاً ومائة وعشرين
ايرة ذهباً واخذوا الكنيسة وجميع الحجر وانصرفوا يقتسمونها بينهم
كغنائم باردة

ولم يبق من النصارى في ويران شهر سوى بعض نساء من يعاقبة
وسريان كاثوليك وثلاثة رجال شيوخ لا غير . وطفق المسلمون
يوذنون يوماً في الكنائس واستحوذوا على الارواح والاملاك

والاموال معاً . . . الا يا ايها الخونة وسناكرو الدماء الغدرة اذكروا انكم « اكلتم ولم تشبعوا شربتم ولم ترتووا اكتسيتم ولم تستدفثوا » (حجاجي الفصل ١) . ونختم هذا الفصل بما كان يقوله ارباب الحكومة يوم قبضوا على الارمن والسريان معاً ونصه : ان لا فرق بين الكلب الاسود والابيض فان النصرى قاطبة كلاب يجب ان يساقوا ويقتلوا كالكلاب - بشر المنافقين بان لهم عذاباً اليماً (سورة النساء)

الفصل السادس

مذبحة رأس العين

راس العين بلدة قديمة شهيرة على ضفاف الخابور كانت في حوزة ملوك الروم ثم ملكها عرب ربيعة وسكنها النمر بن قاسط وفي اواسط القرن السابع دوخها المسلمون وامتلكوها وكانت اسواق النصرانية رائجة فيها واشتهر فيها من السريان عدة مطارين اما في ايامنا فتغلب عليها الجر كس ولم يكن بها من النصرى في هذه الاثناء سوى جماعة معدودة

على ان البارون منكس ابناهم الالاني قصدها قبل الحرب واكتشف فيها على عتائق شتى من حجار ودمى . وكان البارون المشار اليه يوم اعلان الحرب الطاحنة ضيفاً لدى السيد اغناطيوس مالويان فأعززه جداً واطلعه على فوائد كثيرة منوطة باخبار ما بين النهرين والياك ما جرى في تلك الناحية اثناء النازاة الجائحة

عرفت ايها العزيز مما قدمنا ان حكومة ماردين ودياربكر ساقت النساء الى راس العين فحلب فبلاد سوريا ولبث من المسيحيين

في تلك البلدة زهاء مائة من الرجال والنساء والاولاد وكان القائم مقام طيب الاخلاق مفطوراً على الرقة واللطف والرفق فاحسن معاملتهم والقي القبض على ثلاثة من الجراكسة الظلمة وبالغ في ضربهم حتى فزت الدماء من يديهم وقدميهم واخيراً سرحهم وخرج عليهم التعدي على المسيحيين

ولما كان ايلول ١٩١٥ بدأت تتوارد القوافل من سيواس وغيرها فوصل اولاً الى رأس العين في سلخ ايلول زهاء الف وخمسمائة من الارمن عراة حفاة وكانوا لمزيد سغبهم وانعبهم يصرخون المساء لا غير . ولما بلغوا الى النهر لاثنين شربوا بغزارة فمات منهم نحو مائتي نسمة . وفي الغد استلمهم عسكر دير الزور واستاقوهم في شتم وقذح وضرب ولطم فقتلوهم باجمعهم واستولوا على ما عندهم ومذ ذاك كان النصارى يتوافدون قوافل قوافل في القطار الحديدي من ازمير وقونيه وانقره ودرتيول ومرعش وعينتاب ومرسين والزيتونه وغيرها بلغ مجموعهم نيفاً وسبعين الف نسمة في قسانهم واولادهم ونسائهم ومتناعهم ونصبوا لهم خيماً في ضواحي رأس العين كانهم يتوطنون بها . وما مضى عليهم اسبوعان حتى ساقوا منهم اربع قوافل كبيرة اثنتين الى نواحي دير الزور واثنتين الى نواحي الموصل فوصلوا الى المحليين سالمين واوفدوا رسائل الاطمئنان الى ذويهم المتبقين برأس العين

وفي اواخر كانون الثاني ١٩١٦ عزل هذا القائم مقام الطيب الذكر ونصب بدله متصرف وقائم مقام اسمه رفيع بك وكانا كلاهما جركسيين فاستقبلها جراكسة رأس العين احسن استقبال وقدموا

لها الاكرام واخلعوا ابيهما الخلع . ولم يمر شهر حتى اصدرت الاوامر في سوق جميع الارمن من دون كسوة ولا قوت دع الاثقال والامتعة فقصدتهما وجهاء الارمن واستوضحوهما عن السبب فقال لهم القائم مقام . اني ما حضرت الى راس العين الا لكي اشخصكم الى اوطانكم . فاستعدوا للرحيل فاطمأنت افكار الارمن وانقلبوا يهيئون اللوازم للسفر

وفي اوائل اذار ١٩١٦ استدعى القائم مقام ثلاثين من الجراكسة الاشرار القساة يراسهم حسين بك وسار بهم الى منازل الارمن فاحاطوا بخمسين خيمة وامروا سكانها بالتاهب للرحيل من دون شي فنهضوا من فورهم صاغرين فاستاقوهم الى الخابور وجعلوا يضربونهم بالعصي ويكفخونهم ويلطمونهم حتى وصلوا بهم الى الجرجب وهناك ذبحوهم عن اخرهم واحترقوا على ذهبهم وثيابهم وانقلبوا راجعين الى تلك الخيم فجمعوا الاسلاب وساروا بها الى السفح واذاعوا على مسامع النصارى المتبقين انهم يوصلونها الى اصحابها

وبعد خمسة ايام افرزوا من الارمن خمسين خيمة اخرى واستاقوا كل من كان فيها الى الجرجب وافتعلوا بهم ما افتعلوا بالسابقين . وواصلوا ذلك العمل اسبوعاً فاسبوعاً حتى قتلوهم عن بكرة لبيهم واخذوا جميع نقودهم وذهبهم وامتعتهم وحملوها الى السفح وجعلوها كلها في غرفة احكموا اغلاقها وانقلبوا

ولم يبق من اولئك السبعين الا سوى اشخاص مشردين فروا من انياب الجراكسة . فامر القائم مقام ان ينادي المنادي . ان من

اسلم سلم ومن لم يسلم قتل ولم تكن حضرته الشريفة تأذن في ذلك الا لنفر فنفر حتى اذا حذق اصول المذهب الاسلامي وبرع فيه اسلم غيره نظيره

وكان متصرف دير الزور قد ارسل في تلك الاثناء زهاء مائتين بيت الى راس العين وفوض اليهم ان يشيدوا بيوتاً يثرونها . ولما اقبلوا باسروا في البناء . واكملوه حتى السقف وامسوا ينتظرون الحشيش لانجاز العمل . فبهولاء . لما سمعوا المنادي يعرض عليهم الاسلام كتبوا الى القائم مقام واعلنوا انهم يريدون الانضمام الى ذلك المذهب فقال لهم : اني عارف انكم مسلمون نظيرنا فلا حاجة الى عرض حال ولا الى استدعاء . وها اني باعث في استحضار احمد افندي كاتب النفوس ليحرر اسماءكم . فمن كان في السن الجندي اضيف الى رفقة . اما الباقيون فيسرحون ليفلحوا ويواصلوا شغلهم بحريتهم غير انه صباح عيد القيامة ١٩١٦ وثب بهم الجنود والجراكسة معاً واوثقوهم بالرجال واستاقوهم الى الجرجب الصغير فافرزوا الرجال من النساء والفتيان وجعلوا ياخذون خمسة فخمسة يفتشونهم يسلمونهم الى العرب المنتظرين بالوادي القريب فيستلبون ما بقروهم ويقتلونهم . ولما انهم قتل الرجال نسروا في تعرية النساء والاطفال وتفتيشهم ثم دفعوهم الى العرب فذبحوهم واستبقوا غير واحدة من الحسان . ولم ينج من اوائك المظالمين الا ابن بنت يعقوب كشيثر الهاجني . هذا انهزم الى الجرجب الكبير واخبر عما جرى لأصحابه واستلتي يقول : ان الجراكسة احتوا على ذهب كثير وامتع وافرة ثينة . وفي الحق اليقين ان القائم مقام وحده بلغت حصته اكثر

من اربعين الف ليرة . على ان الخواتم والسلاسل الفضية والذهبية وما شاكلها من الحلبي وزعت بينه وبين الجراكسه بالطسات وبما ان التوزيع كان يصير غالباً تحت الليل كان الجراكسة الختارون لشديد صلابه قلبهم وتوحشهم ينتقون فتى سميناً ويمضون به الى مخزن الذهب والامتنعة فيحرقونه بدل المصباح ويقتسمون على ضوءه بالفنائم تفادياً من الكلفة والمصرف . افتح يا صاح افتح اذنيك واصغ ثم قل لعنة الله على كل كفور يطغو

ولم يبق في رأس العين سوى عشرين بيتاً من الارمن من ارباب الصنائع . وافلت من القتل واصف افندي الارمني مامور التبغ فانه استحصل وثيقة باسم سرياني يعقوبي فابق رجال الحكومة عليه وعلى عياله حتى تشرين ١٩١٨ فسافر الى بغداد

وفي اول ايار ١٩١٦ وفدت الاوامر من العاصمة في سوق الارمن المتبقين وقتلهم فالقوا عليهم القبض واوثقوهم واثقوا معهم عبد الجليل برغوث المارديني وحشروهم في الدور التي شادوها ثلاثة ايام فاستفرص عبد الجليل الفرصة وفرّ منهزماً فتبعه قوم من الجنود والجر كس والعرب واطلقوا عليه البنادق ولما ادركوه انزلوا به وجيع الضرب حتى اغمى عليه ثم حملوه الى المحل السابق و اضافوه الى اصحابه واقاموا لحراسته جندياً خصوصياً . غير ان رشيدا الديري اقبل عند الغروب واستدعاء وقال له اذهب في سبيلك فشكر له عبد الجليل وعاد الى بيته . وسحر الغد استاقوا اولئك الارمن برمتهم وعروهم وقتلهم واستولوا على ما كان عندهم واستراحوا .

الفصل السابع

مذبحه دير الزور والشداده

دير الزور بلدة على تهر الفرات تجددت ابنيتهما في اواخر القر
 الماضي وانتقل اليها قوم من النعماري قصد التجارة اغلبهم من مدي
 ماردين وهم من الطوائف الثلاث الارمنية والسريانية والكلدانية
 واكل طائفة كانوا يرعاهم اما شوتونهم البيعية فممنوعة بزوا
 ماردين الروحانيين. واليك ما جرى في تلك البلدة عام ١٩١٥ و ١٩١٦
 في اواخر تموز ١٩١٥ ورد الخبر من راس العين الى جرجس سعي
 كجوا ان اهله واسرة ترزيباشي وبطانه يطالبون حضوره اليهم فراج
 المتصرف فامر ستة من الخيالة ان يرافقه فقصدوا راس العين ف
 باهله وغيرهم راكبين العجلات قادمين الى الدير فرجعوا بهم ووصل
 آمنين مطمئنين . وفي تشرين ١٩٢٥ وافي الى الدير ارمن كثير
 من مرعش وعينتاب وقونية وانقره وبرسا وسيواس وغيرها قافل
 فقايلة حتى بلغ مجموعهم مائة وستين الفا بنيف عين لهم المتصرف
 الكريم المعاش قدر ما امكنه . غير انه في ايار ١٩١٦ غزل
 المتصرف النبيل ونصب بدله متصرف فظ الطباع ليم فاشم من ساع
 راس الجزاكية والعشائر القريبة ويستنهضهم لذبح المسيحيين . وعز
 جميع مديري الاحساج والشداده والصور وهزل ونصب بدلهم رجال
 خبثاء مرداء . واما استب له الامر شرع ياتقي طائفة فطائفة م
 اوئك الارمن ويبعثهم مع الضباط والجزاكية الى جسر الد
 فالشداده فيقتلونهم على الطريق ويعودون بالاسلاب فيقتربون على

ويستغلونها

وذات يوم جمع المتصرف زهاء سبعمائة من البنائين من السن العشرين الى الخامسة والعشرين وبعثهم الى صحارى الدير في قوم من الجراكسة واصحاب الخير فتركوهم من ذون اكل وشرب وكانت الارض فراشهم والسماء غطاءهم مدة ثمانية عشر يوماً . واشد ما نالهم من اذى الجوع اكل بعضهم بعضاً . وبعد هذا ارادوهم على السير فمات منهم كثيرون في الطريق لما اعتراهم من الهزال والضعف ولم يبق من السبعمائة سوى مائتين لا غير اعملوا فيهم الضرب حتى هلكوا عن اخرهم

وبعد ذلك امر المتصرف بسوق النصارى قافلة فقاولة وارسل منادياً ينادي في الدير ان « من آوى اليه ارمنياً استجلت الحكومة عرضه وماله وروحه » فلم يتجرأ والحالة هذه احد المسيحيين ان يأوي اليه احداً . فاستاقوا جميع الارمن رويداً رويداً وبعث معهم المتصرف قوماً من القصابين باجرتهم فاوصلوا منهم زهاء خمسة عشر الفاً الى الشدادة وركب اليهم المتصرف وحياتهم تحية السلام فتبادر الى ظنهم انه قادم لينقذهم ويوسع عليهم . بيد انه ما تأخر ان يرسل في استحضار جماعة من الخيالة انضموا الى القصابين واحاطوا بالمسيحيين وذبحوهم واطلقوا عليهم البنادق وفتكروا باكثرهم . وسارع اهالي جبور لمساعدتهم فالتجم القتال حتى كادوا يذنونهم عن آخرهم . وانتقوا من النساء والاطفال من استطابوا كما لو العادة ثم مضوا بالعداري الى ضفاف انقور فعروهن وركبوا منهن الفواحش والقوهن في النهر . وكروا راجعين الى الشدادة وجمعوا اصحاب الدكاكين

وصوبوا نحوهم البنادق وقتلوهم جميعاً . واما انتهى المتصرف من
المذبحه عاد الى دير الزور جذلاً مسروراً .

اما الاب بيدروس تزيباشي كاهن الارمن بدير الزور فكار
يختلف الى خيم الارمن المهاجرين ويقرا لهم ما يردهم من الرسائل
الارمنية ويعزيهم في غربتهم ويسري عنهم غمومهم . فاستدعا
المتصرف وقال له : بلغني ان الارمن تردهم رسائل جمة من بلادهم
وتذهب انت فتقراها لهم فاصدقني هلا يبعث لهم اصحابهم ذهباً
وكم من المبالغ وصلت اليهم على يدك . قال له الاب لا ادري
الكمية لانه قد مضى على ذلك زمن طويل . قال له المتصرف
انصرف وهلم الي مصر . فسار اليه وألقى في غرفته شاباً موسيقياً
كان المتصرف يودي له ستمائة غرش راتباً شهرياً ليطربه بنغماته ولم
خضر الاب بيدروس امر المتصرف الجنود فاوثقوا ذلك الشاب والقوا
على الحضيض وصفعوه ضربات شتى تجاه الاب حتى تناثرت لحمانه ثم
اندفع المتصرف يقول القس علي بكل ما ورد للارمن من النقود
والا فعلت بك نظير هذا الموسيقار . فرجع الاب الى بيته مغموماً
حائراً في امره لا يدري ما يصنع . فاشار عليه آله ان ينهزم الى
سنجار فلم يستحسن ذلك . غير ان المتصرف استدعاه ثلاثة وطالبه
بالنقود ثم دفعه الى اربعة ضباط فاركبه وساروا به الى الجسر
فراى عبد المسيح شقيقه فودعه وقال لا عدت توصل بقائي في قيد
الحياة ارجع الى بيتك . ثم انضم الى الضباط قوم من الجراكسة
وساقوه الى الصور فسار اليه المتصرف واستنطقه فلم يفر بمطوبه
فامر الجراكسة فمضوا به الى الحابور وقتلوه وانقلبوا راجعين .

فراى عبد المسيح اخوه سايمان الديرى عائداً فاستخبره عما جرى لشقيقه فقال له اننا حسب قواك دفعنا خمساً وعشرين ليرة الى الشراكة ليطاقوا اننا الحرية في دفنه فلم يرضوا فتركناه تحت الشجرة وعدنا

اما ما جرى للمسيحيين في الشداده والصور فانه يتعذر على اللسان والقلم وصفه وترتعش الفرائض لذكره . من ذلك ان الفتى يعقوب بن سعيد ترزيباشي وهو في السن السابعة من العمر بعد ما استاقوه مع والدته وشقيقته في مائتي امراة وولد الى ملاحه قريبة زجوههم في بئر هناك ناكز وهم احياء فصادف يعقوب وامه واخته في تلك البئر مغارة مجوفة لاذوا بها متنجين عن البقية . اما اعداء النصرانية فالقوا فوق اولئك المكومين حطباً وقشاً وقابوا فوقه البترول واعملوا فيه النيران فاحرقتهم ما عدا الثلاثة المحتصنين بالمغارة وغيرهم من الذين لم تصل اليهم النيران فوافى قوم من العرب ودلوا الجبال وانتشلوهم ثم ذبحوا منهم وتركوا البقية فزجوههم نازية في البئر ثم اخرجوهم وقتلوا منهم جماعة والحاصل انه لم يبق سوى خمس نسوة ويعقوب الفتى المذكور . امه اخته زكية فانهزمت الى خيم عرب جبور واخذت تجمع الاعشاب وتتقوت بها مدة ستة اشهر فبحث عنها عمها عبد المسيح واسترجعها الى دير الزور اما يعقوب فحملته امه سوسان بعد ما كسر الكفرة كتفها وشدخوا راس ابنها وتاهت به في الفيافي حتى وصلت الى سنجار فاستقبلها المسيحيون واغاثوها وكشفوا عنهما الضيم . وعام ١٩١٨ عادت به الى دير الزور ثم سارا الى حلب

وافادتنا حبو قرينة جبرائيل نعلبند وغيرها ايضاً انهم راوا
ابوين يسوعين في الشداذة عراهما الكفرة وانزلوا بهما افطع العذاب
ثم صوبوا نحوهما الينادق وفتكوا بهما

وروى جرجس بن عبد المسيح نازا المارديني انه يوم كان في
الشداذة راى بعينه جاهير جاهير من الارمن مبشوثين في تلك البرية
الفسيحة يسرحون كالغنم والجر اكمة الغليظو الرقاب والقساة القلوب
يثبون بهم كالنمورة الهاججة فيعرونهم ويحتوون على اسلابهم
ويعملون فيهم السيوف والخناجر حتى يتخضبوا بدمائهم فيقبل العرب
الشواية فيذبكونهم ويسلمتون امعاءهم ويستخرجون منها ما اتاعه
القتلى من الذهب . اما الاطفال فكانوا يسوقونهم مائة فمائة
وياقرونهم في اخابور او يجمعون القش والشوك ويكومونه فوقهم
ويقذفون فيه النار فتشتعل وتتسع فيرقص اوائك الاطفال داخل
الاتون البابي وترتفع صراخاتهم ونحيبهم حتى تتدمر انفسهم . .
كفالك ايها القلم كفالك اعرض عن الكتابة فان اليد ترتجف والعين
تدمع والقلب يخفق

اخط وداعي الحزن يلى وكلما تعديت سطرار رملته مدامعي
قبيحاً لك يا ابن ادم ما الامك وافظك . ما الذنب الذي اجترمته
الرضعان والاطفال حتى تنزل بهم العذاب والنكال . ما افسد قلبك
واغلظ كبداك . استرسل يا هذا استرسل في الشرور والفظائع فان

(١) يفلب على الظن انه هو الاب بطرس اغاجانيان اليسوعي الذي ساقه المحرم
من اطنه صحبة اخ يسوعي وكان الاب بطرس شاباً بعد لم يمر على رسامته كاهنا
الا عام واحد فقط

الك عذاباً افطع واغلاظ

ثم ان الجراكسة الوحوش كانوا يهجمون على الفتيات غير
المزاهقات ويرتكبون منهن المنكرات ثم يبيعونهن من العرب الشواية
فينكحون شهوات ابدانهم ويدفعونهن الى غيرهم . او يستخرجون
امعاء الحريم ويقسمون النسوة ليسانها تجاههم لعاهم بصادفون فيها
ذهباً . اما الحلبى فكانوا يبقرون رجمها ويستخرجون جنينها على مرأى
منها ثم يقتلونها كليهما او يضطرون الام بعد ما يشقون بطنها ان
تاخذ جنينها على كتفها وتمشي بسرعة والا فيخطنون الجنين ويضربون
به بالصخرة تجاهها وهي تولول . . في اخلق ما عاد يتيسر لي ان
اواصل تدوين فواجع مرة كهذه تجري مدامعي وتجرح فوادي
وترعشني فالسكوت اولى بي ولا باس ان عاودت ما كتبت سابقاً
على لسان داود النبي « يا ابنة بابل الصائرة الى الدمار طوبى لمن
يجزيك ما كافاتنا به . طوبى لمن يمسك اظفالك ويضرب بهم الصخرة
(مر ١٣٦) كما فعلت انت يا شقية يا ائيمة . يا خبيثة يا خائنة .
يا فاجرة يا كافرة . . . »

الفصل الثامن

تواريخ سنجار

سنجار جبان واسع الارحاء خصب تكثر فيه اشجار التين
المضروب به المثل . وكانت النصرانية شائعة ذائعة فيه تشير اليها
آثار الكنائس والاديار الكثيرة الباقية اطلالها حتى يومنا . غير انه
في اواخر القرن الثاني عشر تغلب عليه قوم من اليزيدية اليك شيئاً من

اخبارهم عن نسخة كلدانية سطرت سنة ١١٩٨

اليزيدية ينسبون الى يزيد بن معاوية ويعتقدون بالاه واحد تحت
رئاسته ستة الهة هم يزيد والشيخ عادي والملك طاوس وشرف الدين
وشمس الدين وفخر الدين وعندهم التناسخ وخالود النفس . وكان
ميلاد يزيد سنة ٦٥٩ م وعام ٦٨٨ قتل جميعاً غفيراً من عرب الكوفة
وبصرة . وعام ٨٧٩ تولى امرهم احمد جد الشيخ عادي وخلفه
احمد مسفر ثم عادي فعلم اليزيدية الاعتقاد بكون يزيد الالهاً . وهو
الذي فتك برهبان سنجان في اواخر القرن الثالث عشر وقتل عادي
في الطاق قتله اصحاب هولاء المشهور وقتل ابنه شرف الدين
في الجزيرة

ولليزيدية رئيسان يقال لاحدهما الحاج يصومان كلاهما اربعين
يوماً في الصيف واربعين في الشتاء . وهما متصنان بالرحمة والرفق .
ولهم روساء غيرهما . واذا ولد لهم ولد لبث ابوه في البيت سبعة
ايام ثم يجتمع الاهل فيختنونه وينمسونه بالماء اثناء الصيف . والزواج
والخطف عندهم مباحان في كل السنة الا نيسان . وهم يتزوجون
الى السبع نساء ويساكون الزبيب مع العريس والعروس . ولا يتم
ازواج الا برضى الابوين . ولا فرق عندهم بين البكر والثيب
واذا مات الميت احضروا فرساً وشجوه بالحريز الاحمر وساقوه امام
الجنائز وزفوا امامه بالسيوف والتروس واطلقوا البنادق وذرروا التراب
على رؤوسهم ومزقوا ثيابهم وجزوا شعرهم فوضعوه على ضريح
المتوفى

ولهم ثلاثة اعياد الاول في سلخ الصيف يسمونه عيد الازبعين

ذكرًا لقتل الشيخ عادي والثاني في بدء تشرين الثاني ذكرًا للشيخ
عادي اذ قبض عليه اصحاب هولاءكو. والثالث في اول نيسان ذكرًا
لاستيلاء عادي على دير النسطور

ولا تجوز القراءة والمطاعة عندهم الا لمن ينتمي الى اسرة الشيخ
عادي. وتحت رئاسة الامير خمسة وعشرون اميراً وله الحرية المطلقة
في القتل والنهب والغزل والنصب. وثاني الامراء لا يشرب مسكراً
البتة ولا يدخل اليه من يشرب المسكر. ووظيفة الامير الثالث
الصلاة والتعليم وامره مطاع يصرن في بيته ساسلة وعصى يُبعد بها
الابالسة. والامير الرابع يقضي في امور الزواج وتحت ادارته مشايخ
خاضعون له. اما الخامس فاصحابه يسكنون بحزانه وبجشيقه بالموصل
ويجمعون الصلوات والصدقات ويرسلونها اليه. اما السادس فاصحابه
يسمون قتراء يتزدون بثياب سوداء وهم دراويش اليزيدية يتزوجون
كلهم ما عدا امامهم ويقال له الجاويش. اما السابع فاصحابه
يسمون خواجهكية وعددهم كثير يصومون اربعين يوماً في السنة
ويحجون الى قبر الشيخ عادي ويخطبون الخطب ويقولون اننا حمير
الشيخ عادي

وكان اليزيدية سبعة اضانم نحاسية اهلك المسلمون منها اثنين
وبقيت الخمسة تحاكمي الطيور باشكالها اكل عين واحدة. وعند
اجتماعهم في بيت الامام يضعون الصنم في طست ماء صغيرة ويغنون
بالفارسية هالوم هالوم هالون حتى يرقص الصنم. ذلك لا يصير الا
مرة واحدة في السنة

وسنجان يشمل نيفاً وخمسين قرية اعظمها السموقة والقيران.

وعدددهم في يومنا يبلغ زهاء ثمانية الاف نسمة . يسايرون النصارى
ويغفرون من المسلمين بل ان المسلمين يتطيرون من ذكر اليزيدية
ويستبشعون مذهبهم وغواندهم . غير ان اليزيدية ولاسيا في ايامنا
هذه قد ابدوا شهامة واعمالاً صالحة سطرت لهم في قلب التواريخ
ذكراً طيباً على انهم لم يبدوا يداً عادية على نصرائي واحد بل
احسنوا اليهم وازادوهم لذيهم وحقنوا دماءهم وسهلوا لهم طرق
المعيشة واليك حقيقة ذلك

الفصل التاسع

جالية المسيحيين بسنجار

رأى البعض من النصارى الوطنيين ان في غيوبتهم عن ديارهم
خيراً لهم واصون لحياتهم . لانهم مهما اطاعوا رجال الحكومة
وكانوا الترك لا يحوزون الحظوة لديهم ولا يستجلبون خيوط ابرهم .
فاستدركوا المسألة وجعلوا يتهزمون رويداً رويداً الى جبل سنجل
عند اليزيدية مؤثرين التغرب على التجند موقنين ان من تجند لحقه
العطب والهلاك . فودعوا الاهل والاصحاب وامان حالهم يقولون
الموت بالعز في الغربية خير من الموت بالذل في سبيل حكومة خائنة
والا اقبل ربيع سنة ١٩١٥ اخذت تتوارد اخبار الشوم من وان
اراضروم تصرح بان تركيا قد جردت سيوف سخطها على الارمن
وعلى عامة النصارى وجعلت تترصدهم بالحيازة لتوقع بهم وترديهم . فما
كان من بعض الشبان الا ان طاروا باجنحة الركض او تسللوا الى
سنجار منهزمين من وجوه الخصوم ضناً بحياتهم . فكان مثلهم

مثل يعقوب لما جفاه اخوه عيسر فانهمز من وجهه الى حران او موسى
 لما هرب الى مدين من وجه فرعون الطاغية او ايليا لما لاذ بصارفية
 صيدا خوفاً من احاب التيم

ولما وصلوا الى سنجان استقبلتهم اليزيدية ولاسيا امامهم حمو
 شرو بكل ترحاب وهشاشة واجزواوا لهم العطاء واجاروهم . وفتحوا
 لهم ابواب الارتزاق والمكسب وخصوهم بيوت او خيم . فاستوجبوا
 لذلك الشناء العاطر والشكر الوافر

غير ان الجالية المسيحية ما لبثوا مضطربين قلقين لانقطاع اخبار
 آلم عنهم وكانوا عارفين انهم معرضون للاخطار حاصلون ما بين
 انياب الاعداء الاشرار . فكانت اذلك غيوم الهواجس والاكدار
 مخيمة فوقهم وامواج الاخزان والاشجان تلاطمهم وما وصلوا
 الى شهر تموز حتى ذاعت وانتشرت عندهم اخبار القوافل والمذابح
 وسوق المسيحيين والمسيحيات فتفاقت عدمهم وازدادت همومهم
 وايقنوا ان آلم واصحابهم جميعاً قد امسوا فريسة للوحوش او انزحوا
 عن الوطن

ولما كان تشرين ١٩١٥ تعاقبت بهم الحمى التيفونيدية على
 اختلاف طبقاتها لسبب المخاوف التي شملتهم . فنجم من ذلك
 ان شيوخ اليزيدية ولاسيا عاشور شيخ ماميصة اشأزوا منهم
 والزموهم ان يغادروا بيوتهم خوفا من سريان العدوى اليهم . بل
 افضى الخوف بعاشور فصمم ان يحشر مرضى النصارى في محل واحد
 ليوتوا كلهم ويخلص السنجاريون من اذاهم . فلاذ المسيحيون
 بجلايلهم حمو شرو كبير سنجان فاستدعى عاشوراً وتهدهه واغلفا

له في الكلام فعذل عن رايه . ثم اتفق معه فخصص للمسيحيين
احدى جهات ماميصة ليسكنوها ريثما ينالون البرء التام
واستصعب على المسيحيين ايجاد الوسائل لمعالجة المصابين بالعدوى
وتعذرت عليهم المراسلة الى الموصل او ماردين في استحضار الادوية
فتأتى من ذلك ان عشرين منهم قنوا انفسهم فريسة الحمى فسخط
عليهم عاشور واهل قريته وصمموا ان يخرجوهم قاطبة عن قريتهم
فالتجأ المسيحيون تكراراً الى حمو شرو فجد في استجياتهم وافرز
لهم تلاً كبيراً تناء قريته وفرض اليهم ان يبثوا بيوتاً وعرازيل
من خشب البلوط يشوونها في اخريف حتى اذا اقبل الشتاء يعودون
الى محلهم . وقال لهم انى ارى في بقائكم بالقرب منى خيراً لكم
ولما وافى الشتاء واصبحت السكنى تحت العرازيل شاقة راح النصارى
يشيدون لهم بيوتاً من اللبن فابتنوا بادي بدء غرفة كبيرة يختلفون
اليها كاهم اقتضاء فروضهم الدينية وقيض لهم الله اذ ذاك كاهناً كلدانياً
غيراً اسمه القس يوسف تفتك بى اضطره شديد خوفه ان يغادر
وطنه ماردين ويرحل الى سنجار فجعل يخدم الابريشية الجديدة بوافر
النشاط ويقم لهم الذبيحة الالهية ويوزع عليهم الاسرار المقدسة .
ولما اعتمد على الرجوع الى وطنه بلغ ذلك حمو شرو واعلمه انه قد
نصب المعلم فرج الله كسبو وكيلاً ينوب عنه واستلفت نظر الشيخ
اليه واستعطفه على جميع المسيحيين القاطنين بجواره . فقبل حمو شرو
الوظيفة وتعهد بجماعة المسيحيين ومساعدتهم بكل قدرته
ويقتصر اللسان عن وصف كيفية اجتماع المسيحيين في المعبد
الحديث فانهم كانوا يتلون اولاً السبحة الوردية ثم يقرأ عليهم

المعلم الانجيل الطاهر او فصلاً روحياً وكانوا يقيمون قداساً احتفالياً من دون قس ويرغون الاناشيد التقوية عربية وارمنية . وكان المسيحيون يتقاطرون الى المعبد الجديد من مسافة ساعتين . ويواصلون الادعية الحميمية الى العزة الصمدانية لتكشف عنهم كل ضمير . فضارعوا بذلك اجدادهم المسيحيين الاولين . وزد عليه ان وجودهم . ما بين الزيدية انجابهم ان يكفوا عن الشتم واللعن والسب والتجديف والتفل وذكروا ابليس اخزاه الله وشرب المسكرات لان ذلك كان ممقوتاً عند السنجاريين يأنفون من ذكره ويعاقبون من استعماه . فاصبح المسيحيون والحالة هذه كرهبان ضمهم دير واحد وتمت فيهم وصايا الرسول بولس . فكانت محبتهم بلا رياء . ابغضوا الشر واعتصموا بالحير . أحبوا واکرموا بعضهم بعضاً . عبدوا الرب بجرارة . صبروا في الضيق . واطبوا على الصلاة . اعرضوا عن اللعنة وتشبثوا بالبركة . اعتنوا بالصالحات امام الله والناس معاً (روم ١٢)

وابتنت جالية المسيحيين في سنجان زهاء ستين منزلاً لثوامم خصوا منها منزلاً كبيراً جعلوه كمستشفى نقلوا اليه جميع المرضى وتولى رئاستهم المعلم فرج الله فجمع الحسنات والمصدقات من جميع النصارى لمداواة المرضى ومعيشتهم . وكان يتعهدهم صباح مساء من دون فتور ويهيئ لهم كل ما يفتقرون اليه حتى نالوا العافية التامة ما عدا فرج الله دريج فان داه كان عضالاً تعذر شفاؤه فدفنوه بالصلاة والاكرام

وحدث لتوما بن رافائيل بوصيك انه لما انهزم من ويران شهر الى سنجان تتبعه اصحاب حسين قنجر واطلقوا عليه البنادق فاصاب

احدهم كتفه فانهزم وتوارى بين عرب عتزا ولما قصد سنجان لقيه
ابن ابراهيم باشا الكردي في عصابته فطعنه برمح طعنة كادت تودي
بجياته. غير ان الله تعالى انقذه من الموت باعجوبة فوصل الى سنجان
خائفاً مذعوراً جداً وما مرت عليه اشهر حتى أصيب بالحمى
التي فتوتية فاصطبر على الالم زمناً حتى لفظ روحه وزوده بالاسرار
الالهية القس يوسف تفنكجي الكلداني الغيور وكان عمره تسعة
وثلاثين ربيعاً . ولما بلغ الخبر الى والده مجلب تواجد جداً وتغلبت
عليه الهموم فعاد الى ماردين وقضى حياته كمدأ . ومما يجدر
بالذكر انه اثناء الحرب المشؤومة لم يتجند ولا واحد من اسرة
بوصيك المذكورة

ولما كان اذار ١٩١٦ اخذت تتوارد قوافل الارمن من نواحي
الشداده ودير الزور الى حلف سنجان الجنوبي قصد ان يزيدهم
الاعداء عناء وشقاء فطرحوهم في البراري القحلة ليموتوا رويداً
رويداً . ولما شعر بهم اليزيدية خرجوا اليهم واخطفوا منهم فتياناً
وفتيات جاوا بهم الى الجبل ودفنواهم الى المسيحيين عراة حفاة
نحيفي البنية شمل الهزل اجسامهم وعلا الاصفرار جباههم وامست
عظامهم ظاهرة فكانوا الى الموت اقرب منه الى الحياة . فاستقبلهم
المسيحيون بترحاب وبالغوا في اسعافهم واثنوا على من وافى بهم
وحضر اذ ذلك الى سنجان طائفة من الماردينيين بحال يرثى لها
انهزموا من الشداده وغيرها من فم الذئاب المفترسة وكان في جملتهم
سوسان قرينة سعيد ترزيباشي وابنها يعقوب (هنا ص ٣٦٧) فهذه
لما وصلت الى سنجان كانت ازيد ما الم بها من العذاب قد تبدت

صورتها وتعذر عليها التكلم فبالغ المسيحيون ولاسيما عبد الكريم قره كله في معالجتها حتى نالت العافية . وحضر الى سنجار بعدها كثير من النساء والرجال المنكوبين بلغوا ثلاثائة نسمة اركنوا الى الفرار من امام العدو الغدار فاستقبلهم المسيحيون واغاثوهم واعتنوا بشفائهم

فازداد عدد المسيحيين وتعدرت عليهم بواعث المعيشة فهزت الغيرة الدينية كبراهم فنظّموا اكتتاباً خيراً لساعاتهم وجمعوا لهم مرة الفين واربعمائة غرش ومرة الفين النخ وامتاز بين المتبرعين على اولئك المنكوبين الياس مالو وعبد الكريم قره كله والياس شوحا وغيرهم ولما اقبل صيف ١٩١٦ نشط النصارى ليشتغلوا ويسعوا في استحصال الرزق والمعيشة فراجعوا الزيدية وضمنوا كرومهم وبساتينهم بالمناصفة واستغلوا منها كفافهم . وراسل غيرهم من بقي من اهلهم بماردين فبعثوا اليهم شيئاً من الابر والعلك والسكر والشب والفضة والذهب وما شاكل ذلك فاخذوها وطافوا القرى وبدلوها بالقمح والشعير والعدس لقوتهم وقوت اخوانهم . فتداركهم الرب المنان بالطفاه ووسع عليهم وجوه الارتزاق حتى انهم استحصلوا ما كفافهم وكفى الغريب ايضاً ولما اشتد الفلاء وارتفعت اسعار الحبوب ارتفاعاً فاحشاً وعمّ الجوع جميع من في الجبل . راح النصارى الى عشيرة طي غير مكترئين للاخطار وجاؤا بكمية وافرة من الشعير والدخن والذرة وما شاكلها مما كفافهم مؤونتهم حتى اصبحوا في عيشة راضية كأنهم اخصبوا بعد الجذب والتحط وغدت السننهم تحمد الله وتشكره على فتحه في وجههم ابواب جوده العميم وسخائه الوافر . حتى ان جموشرو لما

راى من النصارى ما راي ما تماسك ان قال « اني لمنذهن اشد الانذهال
منكم يا نصارى . فان بواعث المعيشة تعذرت علينا نحن اصحاب
الرزوع والكروم والمواشي وانفسعت لكم فاحتاج اليكم اولادنا
بارك الله في همتكم واتعابكم » وما هو اغرب من ذلك ان
اليزيدية لما راوا النصارى راواين بجلال العيش الطيب والرخاء تحمضوا
لسلب مؤنتهم فبلغ الخبر مسعي حموشرو فاصدر الامر الى مناد
يقول « من اغتصب او سرق شيئاً من النصارى نهبت بيته ونفيته »
ونفذ امره هذا بنشر من الحلكية المعتصبين

لعمرى ان اللسان يقصر عن تعداد اوصاف حموشرو النبيل
فان النصارى راوا من فرط اكرامه لهم وتوسيعه عليهم ما لم يعهدوه
في غيره ممن كان من اكرم الرجال وفضلهم . وقد كافأه الرب
على مروته وشهامته بان استقامت اموره في الايام الاخيرة وصفت
له الدنيا وانيطت بعهدته مصالح الجبل ونال الحظوة والشرف وخلد
له ذكراً طيباً في قلب كل من عرفه واطلع على اعماله

الفصل العاشر

تسعة حوادث سنجار

وفي ربيع سنة ١٩١٧ انفتح باب بغداد فوافى الى سنجار قوم
من العرب يبلغون النصارى ويخبرونهم في السفر اليها وبذلوا لهم عهد
الامان . فسار معهم ثلاثون شخصاً من الماردنينين دفع لهم كل واحد
ثلاث ليرات . وغب وصولهم الى بغداد على الطائر الميمون بعثوا الى
اصحابهم باخبار السلامة والطمأنينة . اما الاهالي بماردين فكاتبوا

رجالهم او اخوانهم بسنجان ان قد انتشعت سحابة الخطر فلا بأس من حضوركم . غير انهم لم يجسروا على الحضور لعلمهم بان اعداءهم يتصدونهم ليدرروا دماءهم ويضيقوهم الى من سبقهم . فظالوا يواجبون شغلهم في سنجان حتى صيف سنة ١٩١٧ فشيخص منهم قوم ابي سرجي وتل هليف والدربيسية واكتبوا في عملة السكة الحديدية انتجاعاً الرزق ليس الا

وفي اذار ١٩١٨ تعرض الاتراك لمعاداة جبل سنجان واضطرموا حنقاً للاستيلاء عليه والفتك باهاليه . فاوفدوا الى لحنه شردمة من الجنود في مدافعهم وقنابلهم وحصروه . واوفد قائدهم رسالة الى حمو شرو يقول « ابعث الي جميع من عندك من النصارى اللاتنين بك وكل ما لديك من الاسلحة والا اتزت بكم الوبال واخربت دياركم » . وكانت الرسالة موقعة بامضاء « محيي الدين بك القومندان رئيس تعقيبات جبل سنجان »

ولما طالع الرسالة حمو شرو تحمض على القائد وكاشخه بالعداوة وقال : « كيف يتاح لي ان ابعث اليه النصارى وقد بذلت لهم الامان وحلفت بشرفي وبجتي اني لن اخونهم . كلا وحق الخرقه اني لن اسلمه احدا منهم ما دام بعيني ماء . غير اني متى ذبحت انا واولادي فللاعداء ان يذعلوا ما يرون ثم استتلى يقول . ان القومندان يطلب سلاجنا . يا للغرور انبعث اليه بالاسلح ونبقى بمستهدفين لنباله » قال هذا وارسل في استحضار مشايخ الجبل وبلغهم اوامر القومندان السامية العالية وصرح لهم بمكنونات قلبه وخلاصة فكره في انكار

طلبه بتاتاً . لكنهم اسروا الحظ انكسروا على قسمين قسم قضى
بالمقاومة وقسم حتم بالتسليم فالح عليهم الشيخ بالاتفاق جميعاً ففت
ذلك في عضده . وراحوا من عنده وتالبوا في برده من مسلحين وخيموا
في شيب القاسم وهو مقام زيارة لهم

اما حمو شرو فانتقى ذنرا من الفقراء المنتمين اليه فشدوا على
اثره وانحدروا لمقارعة الجنود التركية ومصارعتهم في بوغاز كرسه .
فالتوا ثلاثة توابع من الجيش التركي رابضين في خان يبعد عن الجبل
زهة ساعتين يتربصون الفرصة للمهجوم على الجبل والتشيل بمن به .
ويوم السبت ليلة عيد الفصح تقدم الجنود من الجبل وصاقبوا المضيق
واطلقوا من دفا صوبوه نحو شيب القاسم ارتجت له ارض الجبل
وارتجفت افئدة سكانه هلعاً . ثم جمعوا يتقدمون الهويننا وحمو شرو
ورجاله في الكمين يترصدونهم ليستشفوا العاقبة . ولما دنوا منهم
صوبوا نحوهم البنادق فقتلوا من الترك نحو خمسة عشر . فنزل خلف
السنجاري الى مكان القتلى لياتي باسلحتهم فبغته اربع رصاصات
القتة على الحنفيض واماتته

اما حمو شرو فلما راي قوة العدو وكثرتهم تخوف من تقصير
يقع به او هلاك يناجيه ان استمر في الكمين فراى ان في رجوعه
الى القرية اولى له . ولا سيما لان عدد رجاله قليل . ولما شارف
قريته صاح بالنصاري اعزائه " ابي انصح لكم اشفاقاً على مهجكم
وضناً بانجالكم ان تخرجوا من بيوتكم قاطبة وتأخذوا زادكم
وتبادروا الى الجهة الجنوبية فان العدو على ما ارى مقبل نحونا ."
فنهض النصاري وانهمزوا باجمعهم اقبح هزيمة تاركين اناسهم واتقاهم

وهم يعاون ويضجون كالكسكارى . وتطلعو الى ورائهم اذا بالجند
التركية قد دخلوا ماميصه ونشروا ينهبونها وواصلوا الهجوم حتى بلغوا
عند الاصيل الى قرية النصارى . واول بيت دخوله صادفوا شيخاً
تعذر عليه الانهزام فاطاقوا عليه الرصاص وقتلوه ثم عاثوا في البيوت
وعبثوا بنا فيها ونهبوها

اما النصارى فظلوا يتسلقون مصاعد الجبال ينتضمون المسالك
الصعبة خائفين خائزي القوي لشديد بما استجوز عليهم من الرعب
والهلع . وعلت اصوات النساء والاطفال والراشي معاً فكان القيامة
قامت والوالدة اضاءت ولدها لتفاقم الخطب وتراكم الشر

اما الاتراك فوصلوا الى قرية حمر شر واتفجروا عليها غيظاً
ونهبوها واوقدوا بها النيران واستولوا على ما فيها ثم ساروا الى غيرها
فعلن اليزيدية حيثئذ بالخضوع والتسليم . فاقام الاتراك وكيلاً لهم
في ماميصه ونصبوا خنرة في القرى وانقلبوا راجعين فارتاح اهالي
سنجار . وكان العسكر التركي ينقص رويداً رويداً لانهم ملوا
الاقامة بالجبل . فعاد سبب اليزيدية الى نزعتهم وجرّدوا عزائمهم
للانثار من الترك فمكثوا كلما راوا واحداً وثبوا به وقتلوه واخذوا
سلاحه فما كان من البقية الا ان انهزموا وغادروا الجبل

اما النصارى فان منهم قوماً واصلوا المسير حتى بلغوا خيم
مشايخ طي فلاذوا باحدهم ورضخوا له مبلغاً يسير معهم ويكفيهم
شراء عدياتهم . فاستصحب ذلك الشيخ من ارضاء بدفع الدراهم
وترك الفقير والعاجز . وظل قوم منهم في جنوب سنجار قضوا ثلاث
ليال حزانى مايوسين فراشهم الحضيض وغطاؤهم السماء فادركهم

الضجر والمال فاستصرفوا الله القهار الكارده ووضعوا عليه كل
 اتكالهم وقاموا يسوحن من قرية الى قرية ومن عشيرة الى عشيرة
 حتى وصلوا الى نصيين حفاة جائعين . اما من تخلف منهم في
 سنجار فانضموا تكرارا الى اليزيدية ورجعوا الى قراهم . وكانوا
 كلما تذكروا دوي المدافع توثقت عقد ارتعاشهم وتكاثر خوفهم .
 فكان مثلهم مثل من رشق بسهمين لا يضمده جرحه الاول حتى
 يصاب بجرح ثانٍ

واليك اسماء العيال المسيحية الماردانية التي هجرت الى سنجانار
 فحقت حمر شرو دماءها . الياس مالو وبيت عمه . فرج الله كسبو .
 اسرة كجو . وحنجو . وبلبلي . وخوداي . وابرط . وعمجا .
 ودريج . وطازباز . وحيثك . وبرغوث . وقلينونجي . ونازا . وسرقة
 وبوشه . وبغدي . وسعرتوي . ومنكلو . وفروجي . وشدا
 وخذواه . وبازوءا . وصول الخراب . واصهبان . وماغو . ونعمو
 ومقاسي . عموس . وجمالديني . وتتري . واصار . ونهابند . وغيرهم
 اما الافراد فكانوا من بيت ازرق . وحاجيكه . وماميش .
 ومشقع . ونهيبا . وزرمبا . وسجار . وكويل . وباهي . وكرابيت
 وطماس . وجاير

وكان في سنجانار من السريان الكاثليك اسرة بوسيك . وقره كله
 وصلبو . وجرخي . وجرباقه . ونانو . وبتو . وبنابيلي . وموري
 منصور . وشعبي . ومن الكلدان الياس شوحا . وتمرز

ولك ايها القاريء النجيب ان تعتبر مما اوردناه ان اليزيدية عباد
 الطاووس والشيطان فاقوا وفضلوا بني عثمان برفقهم ومجانبتهم وحسن

معاملتهم للإنسان . فاستخفوا لذلك الثناء العاطر من كل فم ولسان
واذخر الاتراك لهم ولا يتقاهم سوء السمعة وقبيح الذكر على تتالي
الازمان .

اما محيي الدين بك القومندان التركي المذكور الذي حصر سنجار
فان حمو شرو الشيخ الكريم بلغ امره الحاكم السياسي بالموصل
فحكّم عليه بتأدية الفية نيرة ذهبية او مزاولة الاعمال الشاقة مدة
خمس سنوات . وقد ذكر لنا غير واحد انهم راوه يشتغل اليوم مع
العملة في ازقة الموصل . وجزاء سيئة سيئة مثلها

النصل الحادي عشر

مذبحة الجزيرة

الجزيرة او جزيرة ابن عمر وتعرف ببازبدي بلدة على ضفة
دجلة رديئة المناخ كان يسكنها قوم من الكلدان والسريان واليعاقبة
لكل ملة مطران وكنيسة وعدد من القساوسة . وفي نيسان ١٩١٥
سير اليها رشيد الوالي زلفي مبعوث دياربكر (ص ١٥٠) فاثار
الاكراذ وحرضهم على سفك دماء المسيحيين دون استثناء . واتفق
ان السيد يعقوب مطران الكلدان ذهب ليزوره فما كان من زلفي
الا ان تجهمه وسخط عليه وقال له « سيوا في يوم نحمالك فيه مائة
كيلو شعيراً ونسوقك سوق الحمير » فاضطرب المطران وعاد الى
قلايته كئيباً

ولما دبت عقارب المذابح في ارمينية ودياربكر انهزم بهنظام
العقراوي مطران اليعاقبة الى آرزخ وظل المطرانان الكاثليكيان في

مركزيهما حتى اذا كان ٢٧ آب كبرت شردمة من الجند كنيسة
 السريان والقوا القبض على السيد فليانس ميخائيل ملكي وعلى
 الخوري شمعون والقس بولس قسطن الافرامي ومضوا بهم الى السجن
 وانقلبوا الى كنيسة الكادان من بقتة واستاقوا المطران يعقوب
 والقس حنا والقس ايليا والقس مرقس ويوسف سعيد ومضوا بهم
 الى السجن واضافوهم الى الاولين . واتفق ان ايلي بنت اسطيفو
 قصدت نحو السجن لتقف على الخبر فاعطاها السيد ميخائيل صليبه
 وقال لها ارجعي حالاً الى بيتك فصادفيا احد الطواغيت . في الطريق
 فوثب بها واخطف الصليب وهددها بالقتل فاسرعت الى بيتها
 وانزوت . وملاكت الرعبة افئدة المسيحين فاحيوا تلك الليلة
 بالصلوات والطلبات

وليلة ٢٨ اب استدعى دعاة النفاق المطران يعقوب الى المحكمة
 واستنطقوه عما عنده وعند جماعته من السلاح فخرج منهم المطران
 وايد لهم ان ليس عنده وعند ابنائه شي من ذلك بقة . اما الحضور
 فاربذ لونها واستشاطوا غضباً وتناوبوا في ضربه ثم اطلقوا عليه
 ثلاث رصاصات فخر شهيداً وكان عند كل طلقة يرسم على جبهته
 اشارة الصليب الكريم . وبعد هذا حملوه الى خارج الجزيرة وعروه
 وتركوا جسده على ضفاف دجلة وانقلبوا راجعين

ثم استدعوا المطران ميخائيل واستوضحوه كالسابق فلزم الصمت
 لانه ادرك الدسياسة واكتشف الحيلة وايقن انه صائر الى ما صار

(١) ارتقم مطراناً على الجزيرة في ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ بوضع يد غبطة

السيد اغناطيوس افرام رحمانى بطريرك السريان الكاثليك

اليه رفيقه الشهيد . اما اعداء الانسانية المشاحنون فما توقعوا ان
 سطرحوه على الحضيض وعقلوا قدميه وصدموه صنعات شتى حتى كلوا
 وتعبوا فاغدي على الحبر الزبيل ونذا بين حي وميت فاخرجوه خارجاً
 واستهدفوه الرصاص حتى فاقت روحه فاوثقوه وجروه الى موضع
 رفيقه الشهيد وعروه وتركوها كليهما فريسة للوحوش وانقلبوا الى
 دار الحكومة فاعملوا الضرب الوجيع بلفيف الكهنة وزكوا بهم
 اشد التنكيل واستاقوهم على اخر رفق وعروهم وفتكوا بهم اجمع
 وفي ٢٩ آب شد الجنود على دور النصارى وقبضوا على جميع
 الرجال وساروا بهم الى السجن فظلوا اربعة ايام في عيش ضئك
 وضيق شديد ثم استنطقوا الوجهاء عما عندهم من البنادق والقنابل
 واعملوا الضرب في اغلبهم واخيراً اوثقوهم بالسلاسل والحبال
 واستاقوهم الى محل قريب وقتلوهم واستحوذوا على الامتعة والثياب
 وفي اول ايلول حملوا على دور المسيحيين وقبضوا على النساء
 والاطفال وافادوهم انهم مزمعون ان يسيروهم الى الموصل عند
 ذريهم فاستاقوهم قاطبة في بكاء وعويل شديد وقتلوهم واحتوا
 على ما كان عندهم من الثياب والذهب وانتقوا من استحسنوا من
 الفتيان والفتيات ورجعوا بهم الى بيوتهم مسرورين . ولم يبق في
 الجزيرة سوى اربع نسوة احتجبن عن الخصوم في دار احد المسلمين
 فحقت دماهن وكانت من جملةهن عفيفة بنت ملك مهارباشي بذلت
 ذهباً وافراً حتى تيسر لها الحضور الى ماردين سالمة . وكان في الجزيرة
 اثناء النازلة قوم من رجال ماردين كـ محمد رسول ومجيد نازو واخي
 خضر جلبي وغيرهم ممن شاطر التراك في المفاسد واعانوهم على المظالم

الفصل الثاني عشر

مذبحه سعرت

سعرت او سعرد بلدة من ديار ربيعة قريبة من شط دجلة تحيط
 بها الجبال وفيها شي كثير من اشجار التين والرمان والبندق والبطم
 والكروم جميع ذلك عذي لا يسقى . وهي متصرفية خاضعة
 لولاية بتليس وبينها وبين مازدين اربعة ايام . وكان في سعرد وقراها
 قبل المذابح اكثر من اثني عشر الف نسمة من المسيحيين من كلدان
 وارمن ويعاقبة وسريان . وكان يدبر شؤون الكلدان السيد ادى
 شير المورخ والعلامة المشهور تلميذ الابهاء الدومنيكين . وكان في
 سعرت ثلاثة من الابهاء الدومنيكين وهم الاب شاريو والاب ميشيل
 دي بواسيه والاب لويس صانغ لهم دير ومدارس للفتيان والفتيات
 وميتان يقوم بهما ثلاث من راهبات تقدمه العذراء تحت يدهن اربع
 معلقات بلمديات . وكان للدومنيكين كذلك مدرسة يتعلم فيها
 الشبان شيئا من الصنائع . فاذا عرفت ذلك كله هلم نقض عليك
 ما حدث لهولا المسيحيين اجمع اثناء الحرب الشومرية
 ذلك ان رجال الحكومة بعد اشهر الحرب باسابيع اضغاثروا
 الابهاء الدومنيكين والراهبات ان يغادروا سعرت الى اوطانهم
 ففوضوا امور مدارسهم وميتمهم الى الكهنة والمعلمين الوطنيين
 والى وكيلهم سليمان شقيق الخورفستفس افرام حيقاري رئيس دير
 الشرفة بلبنان
 وفي اواسط حزيران ١٩١٥ ثار ثائر اخضوم فكبسوا طائفة من

المسيحيين داخل الدور ونكلوا بهم شديد التنكيل وقتلوهم ثم
القوا القبح على الوجها. كأسرة عبوش النبيلة التي كان افرادها
يناهزون ستين نسمة وامرة ايواز واسرة موسى كوركيس واسرة
اوشو وغيرها حتى بلغ المجموع نيزاً وسبعمائة شخص وزجروهم قاطبة
في اعماق السجن وخرجوا على ذويهم ان يتخذوهم او يحملوا اليهم
الغذاء الجوهري . ثم طفقوا يستدعون الكهنة والوجهاء الى منبغ
العذاب ويستوضحونهم عن منابى، الاسلحة وينزلون بهم ضرب
الالام فعذبوا كهنة الارمن الخمسة وسائر الوجهاء، واغار احمد آغا
كعبه السعدي على القس ابراهيم رئيس السريان المنفصلين وحز هامته
واثار الاجلاف ليلعبوا بها في شوارع المدينة . ثم حمل قاسمه واصحابه
العفاريت على دار القس جبرائيل كبر الكاسداني تليذ الاباء،
الدومنيكين واستاقروا اعنف سوق الى دار الحكومة وما كاد يصل
اليها حتى عروه وتناوبوا في ضربه وتعذيبه بالمدى والشنار وكانوا
في كل طاعة ياحنون عليه ان يباهر بالاسلامية . غير ان الاب
القديس ابي ابيهم ذاك وكان لا يزال يصيح باعلى صوته . اني
اموت على دين المسيح القويم حتى فاضت روحه فقطع الخصوم هامته
ودحرجوها الى اعماق الخندق القريب المعروف بخندق بيت الاغا
وما قضى المسيحيون في الحبس اربعة ايام حتى تكالب عليهم
الاعداء واونقوهم واستاقوهم جميعاً سيراً الى وادي زرياب شمالي
سعدد يبعد عنها مسافة ساعة وهناك تكاثفوا عليهم وجردوا الاسلحة
واختناجر ليفتكروا بهم فنهض القس افرام القصوراني السرياني والتي
عليهم خطاباً وجيزاً حمسهم في ايمانهم وشدد عزائمهم ليخوضوا

غمرات الذنون حباً لن فداهم فعلت حينئذ الصيحات بشدة حتى سمعها من بقى في البلد فكأن الجبال ارتجت وتصدعت والارض اهتزت وتزلزلت . ثم ان الخصوم حملوا عليهم حملة منكرة وذبحوهم عن اخرهم ورجعوا بثيابهم والبستهم الى الباد وتقارعوا عليها وبعد ذلك هجروا البيوت ثالثة وقبضوا على النساء والفتيان والفتيات والذوا منهن ثلاث قوافل استاقوا الواحدة تلو الاخرى وركبوا من اغلبهن النواحش والمنكرات وكانوا المزيد حقدهم واومهم يسرقونهم حفاة عراة جياعاً عطاشاً في مخاصر الطرق الوعرة ايزداد المههم ووجعهم وابقوا على عدد صالح من النتيات غير المراهقات ليشبعوا بهن شهوات قلوبهم الناسدة . ولم يذروا في البلد سوى قوم من الاطفال قدموا لهم المعاش زمناً حتى شارف جنود الروس تلك الاراضي فوثبوا بهم وقتلوهم في سري زينة .

وفي ١٦ اب ١٩١٥ وصل من سمرت الى ماردين ثلاث مبعلمات منتميات الى الرهبنة الدومنيكية وهن وارينا وبرذيت وريجينيا تبعن ثلاث نسوة ايضاً فاستاقهن الجنود النمساوية من سعرد اخر القوافل وكان عددهن ثلاثمائة وخمسين ونيفاً لم يبق منهن سوى بضع عشر نسوة . وكان اعداء الانسانية يعرونهن من الصباح الى العصر ويتركونهن مكشحات تجاه الشمس لتطبخهن بها جرها . ولم يأذنوا لهن البتة ان ياكلن او يشربن وكانوا يضطرونهن الى المسير في مستعجلات الطريق الوعرة . وعند الليل كانوا يحملون عليهن كالحنازير النجسة وفي يديهم المشاعل فيتخيرون من استحسنا الارتكاب ما حرم الله . وجعلوا ذلك ديدنهم الوحيد في كل مرحلة حتى اذا

دنون من ماردين تمكنت النسوة الست من استحصال ثياب مرقومة
تسترن بها وشخصن الى كنيسة السريان الكاثليك فاستحققهن الاب
بيره رئيس الدومنيكين وبلغ امرهن الى السيد جبرائيل ثبوني بمطاران
السريان فصرف المساعي في كشف الخيم بنهن واوفدهن الى دير
الراهبات الافراميات واجرى عليهن الاعطية والمعاش وعني بكسوتهم
وسائر تكاليفهن مدة سنتين كاملتين ثم ارسلهن الى الموصل

اما السيد ادى شير النيل فاشار عليه بثمان اغا الديرشزي ان
يرحل عن سعرد الى دير شو وما مر عليه اسبوع حتى شعر به علي
نقيب الاشراف والقاضي فجردوا اليه العسكر ولما ابصروه وثبوا به
وارادوه على الاسلام فابى فصوبوا نحوه البنادق ليقتلوه فقال لهم :
سالتكم بالله ان تمهلوني هنيئة فيجئا وصلى ثم لبس ثوبه وتقلد صليبه
وركع وقال : اكرم الحرية ان تفعلوا ما يوجبكم فاوغلوا في
تعذيبه وفتكوا به وعادوا بامتعتة الى علي والقاضي . غير ان الله
جلت احكامه انتقم للحال من علي المزبور ومن ابنه ايضاً فقتلا
كلاهما شر قتلة

وتشغل الاعداء بعد ذلك بتوزيع اموال المسيحين واستحلال
ارزاقهم ومساكنهم فجعلوا كنيسة الكلدان الكبرى جامعاً سموه
الجامع الخليلي تيمناً بخليل باشا راس النجوس عندهم . وخصروا
مقام الاباء الدومنيكين بمستشفى العسكر . واكتشفوا على مطامير
النصارى وخزائنهم من جملتها . مطمورة بضائع ثمينة بلغت قيمتها
فوق الاربعة الاف ايرة كان سليمان حيقاري قد اخفاها في غرفة
داخلية بداره وسيع الجدار اثلاً يشهر بها اولو المطامع . واختلسوا

كل ما وجدوه في مخازن النصارى ودكاكينهم من نال ورخيص
وتبايعوا عليه . فنقلوا مثلاً من مخزن سليمان حيقاري بضائع بثلاثة
الاف ليرة تقريباً واختلسوا من مخزن اسرائيل منصور صهره اموالاً
جاوزت قيمتها ثلاثة الاف ليرة ايضاً وقس على ذلك مخازن بطرس
القس اشعيا ودكرمان والمقدسي ميرزا ويوسف حيقاري وغيرهم
وما اجترمه محادو الانسانية في سعرت اجتموه في جميع القرى
فقتلوا وذبحوا واختلسوا وسبوا وافحشوا ولم يدعوا فيها من النصارى
نافع نار

ونحتم هذا الفصل بما جرى لاسرة حيقاري السريانية فان الخصوم
بعدهما فتكوا بكبيرها سليمان لاذت امه وشقيقته وقرينته وانجلمها
بدار احد المنصبين وبذل الوسع في تسفيرهم الى الموصل سنثمان
افندي الكركوكي رئيس شعبة اخذ العسكر الذي كان سكن
احد بيوتهم واخذ منهم بدل ذاك كثيراً من الحلي والجواهر .
ونجا من تلك الاسرة سعيد الموجود اليوم في مرسيليا وشقيقه الدكتور
جورج رئيس معالجة داء الكاب في مكتب الطب الفرنسي ببيروت
وظل هذا مخفياً في جبال لبنان يتاسى الامرين حتى انطفأت
جذوات الحرب العشوم

الفصل الثالث عشر

مذبحة كربوران

كربوران بلدة مخصصة في طور عبيدین اغلب اهلها يغاقبة وارمن
وسريان كاثليك . ولما شبت نيران المذابح استدعى السيد اولاد

على رءوسهم ومشاريح العشاير واستنهبهم ليفتكوا بجمهور المسيحيين
فحملوا من فورهم على البلدة ونصروا النصارى في بيوتهم مدة اربعة
ايام يقاتلونهم فلا يقرون عليهم حتى ادى بهم العجز والضجر الى
كشف سقوف البيوت والقنا، التبن والعشب والقشاشى على الساكنين
واضرموا فيها النيران حتى احترقوا جميعاً. اما الذين انهزموا فحملوا
عليهم وقبضوا على اكثر من ستائة شخص واوثقوهم رويداً رويداً
وساقوهم الى السجن ولم يستحيوا سوى النساء والفتيات الحسن

وبعد ذلك اوفد المدير في طلب يعقوب مطران السريان اليعاقبة
وقال له اعلم ان ليس في مكناتنا مقايمة العشاير او صدهم عن
ارتكاب الجرائم والمنكرات . وفي ظني انهم متى ظفروا بك
قتلوك لا محالة . فهلا تسمع نصيحتي وتجاهر بالاسلامية فان ذلك
احوط لك وابقى لحياتك . فاقتنع المطران لسوء حظه بكلام
المدير ولبث في داره ضيفاً معزواً مكرماً يومين كاملين

والا درى بذلك الشماس يعقوب بن يوسف بامردي وكان مختفياً
عن الخصوم خاطر بنفسه وسار الى دار الحكومة واستأذن في
الدخول فالقى المطران جالساً الى عيني المدير والعمامة البيضاء على راسه
فما تماسك الشماس ان بصق عليه وقال له « واذا لك . كيف
وانت امام الملة نبذت جوهرة ايمانك الثمينة وبعتهما بعمامة بخسة
القيمة طمعاً في حياة وجيزة قصيرة » قال هذا وانقلب راجعاً ونزل
الى الحبس وانضاف الى النصارى اصحابه يندب حالة المطران الشقي
ويتأسف عليه . وفي تلك الليلة ذاتها هجم الجنود والاكراد على
المسيحيين المسجونين فاوثقوهم كافة واخرجوهم زوجاً زوجاً الى

موضع مصاقب ادار الحكومة وقتاورهم جميعا . وكان الشماس يعقوب يبعث فيهم روح الشجاعة ويحسبهم قائلًا لهم بالسريانية ما شرحه « اننا خراف المسيح يازرنا ان نحتمل ما احتمل المسيح لنمك مع المسيح . ثم التفت يقول لابن اخيه تشجع يا ابن اخي المحبوب وتقر فاننا عما قليل نغمض عيننا ونفتحها في السماء ونشاهد المسيح فادينا »

اما يعقوب بلا مطران (كما يقول اليعاقبة) فان مصطفى بن علي رمو قصد بعد المذبحه دار المدير والح عليه ان يسلمه المطران فأبى وقال له لا جناح عليه لانه اسلم فالحف مصطفى في الطلب فرفض المدير . فما كان من مصطفى الا ان وثب بالمطران واوثقه واخرجه قسرا وذهب به الى محل قريب من دار الحكومة وامر اثنين من اعوانه فقتلاه شر قتلة^١

اما الكنائس وما فيها فاستولى عليها الاعداء ولم يبق اليوم في كربوران سوى ثلاثة او اربعة من النصارى هجروا ايمانهم واسلموا

الفصل الرابع عشر

مذبحه دير العمر ودير الصليب وباسبرينا

ما زال حتى اليوم ابراهيم بن شندي واخوته وذووه يدعون بان دير العمر يخص المسلمين وان عمر ابن الخطاب ٦٣٥ - ٦٤٥ هو الذي انشاه واطلق عليه اسمه . ذلك يستغربه كل من له المام

(١) اكدت ذلك امراة شقيق المطران المنكود المظ وكانت اذ ذلك عند المدير

بتواريخ طورعبدین وادیاره ویزداد استغرابنا اکثر فاكثر لدى
 سماعنا بعض ائمة اليعاقبة يقررون ذلك ويؤيدونه امام وجهاء
 الحكومة ويدعون بان عمراً المذكور هو مؤسس الدير مستندين في
 ذلك الى اسمه ~~حسين~~ (العمر) وفاتهم ان العمر انظر سرياني يراى
 به الدير او مسكن الرهبان. ومن اراد ان يطالع على الحقيقة فانه ان
 يراجع ما سطر على صفحات المشرق (١٦ : ٨٣٥) فيرى ان دير العمر
 يخص الكاثوليك لا اليعاقبة لان ابن العبري اليعقوبي ذكر في تاريخه
 اليعبي انه شيد سنة ٣٩٧م اي قبل انفصال اليعاقبة من حوض امهم
 الكنيسة الكاثوليكية بقرن ونصف قرن ثم جدده السريان اليعاقبة
 في اواسط القرن السادس واليك ما جرى الدير اثناء الحرب

في خريف ١٩١٧ جهز شندي المذكور عسكرياً وحمل على
 الدير واراد الحراس الاربعة الذين به على الخروج منه يقول ان الدير
 عائد الي. ثم دخل اليه في اصحابه فوثبوا بالرهبان والقسان وبسبعين
 من نصارى كفر به ومضوا بهم الى محل قريب وقتلوهم قاطبة ولم
 يفلت منهم سوى صبيين فقط انهزم احداهم الى باسبرينا والاخر الى
 عينورد . واستحوذ شندي واصحابه على الدير بما فيه من كتب
 واثاث وذخيرة وما برحوا حتى يومنا مستوطنين فيه

اما من بقي في كفر به من النصارى فدافعوا عن ارواحهم مدة
 ستة اشهر فامنتهم الحكومة ورفعت عنهم الحصار وما مضى على
 ذلك ثلاثة اشهر حتى ثار بهم المشائر وفتكوا بهم داخل بيعة
 مار اسطفانس واحتوا على املاكهم وامنتهم ولم ينج منهم الا نفر
 يسير تفرقوا طرائق في القرى المجاورة

واحتشد من اليعاقبة جم غفیر في دیر الصليب النهر فسار اليهم اولاد علي رءو في عشائهم وحصروهم زماناً فلم يصيبوا منهم الغرض فتركوا عندهم عسكراً ليحفظوهم وتصرف باملاكهم امام قرية زاخرا . وفي ربيع ١٩١٨ بذل لهم علي كلمة الامان ووعدهم بالنجاة من كل سوء ففتحوا له الباب . وما مر القليل حتى تغامر هو واصحابه على قتلهم . فاغاروا على الدیر في سبعة من الجنود وقصبوهم عن اخرهم ولم يعزوا الا على بعض النسوان الحسان واستحلوا الدیر بما فيه

اما نصارى باسبرينا فان الحكومة ارسلت اليهم عشرة جنود ليصونوهم على قولها . فلما راي ملكي حنا حيدر امام القرية ما جرى بنصارى القرى المجاورة ايقن ان العشائر سيهجمون على قريته ايضاً ويفتعلون بالاهالي ما افتعلوا بغيرهم . فاستدعى كبير العسكر وقال له ارى ان تسلمونا سلاحكم لنقاتل العشائر متى وثبوا علينا فلم يرض . فسار اليهم ملكي في جماعة من اهالي القرية واختلسوا سلاحهم واخرجوهم عن القرية ووعدهم ملكي انه لا يضرهم . ولما وصلوا الى مذبات وبلغوا القائم مقام ما صار امتعض اي امتعض وجرى على النصارى وعلق يتحين الفرص الاثثار منهم وفي ربيع ١٩١٧ اوفد القائم مقام الخوري عيسى وجرجو ميثار عيزورد في جماعة من اليعاقبة الى باسبرينا يدعون الاسلحة المختلصة ويطلبون علاوة عليها اسلحتهم ايضاً ووضعوا شزيمة من الجنود عندهم ليحرسوهم . فرضي ملكي بذلك وتبادر الى ثلثه ان سحابة العدوان قد انتشمت وان الحكومة قد عدلت عن سابق فكرها . ولما سمع العشائر طفتوا

يغدون ويروجون وهم يستغلون المسيحيين ليستاصلوا شافتهم . وبعد ذلك طالب الجنود من المختار ان يسلمهم الكنيسة ليبيتوا فيها لياتهم فرضي . ومنذ ذلك ازداد عدد الجنود شيئاً فشيئاً حتى بلغوا المائة وهم داخل الكنيسة وملكبي معهم . واتفق ان العشائر تالبا على القرية وطالبا المختار فاتفق معهم العسكر والقوا القبض عليه واحرقوه

وكانت باسبرينا منقسمة قسمين هذا مع ملكي المقتول وهذا مع الشيخ اوجين فانضم حزب اوجين الى العشائر بعد قتل ملكي بثلاثة اشهر وهجموا على اتباعه ليلاً وفتكروا بكبارهم وصغارهم فتكاً ذريماً . وظلت باسبرينا في قبضة عشيرتي الصاهية والدومانية فاستنحذوا على البيعة والقرية وعلى جميع ما فيها ولم يبق من النصارى سوى زهاء عشرين بيتاً ممن انتموا الى اوجين . وكان قوم من حزب ملكي قد لاذوا بحبيس برصوما فثار بهم اعداؤهم ونقبوا الحبيس واحرقوهم عامة

ولما سمع علي بطبي امام عشيرة المنير كان با جري اصديقه ملكي حيدو ارسل فاستحضر الى مزيزخ جبرائيل (كوريه) عمه وامراته وامراة شمعون اخيه الذي كان مجبوراً معه في خربوط قبل الحرب فافرد لهم داراً لسكناهم وادبرهم ودر لهم الارزاق لمعيشتهم

الفصل الخامس عشر

مذبحة مذيات وصالح

مذيات قصبه طورعبدین . موقعها في بطحاء . فسيحة تحلق بها

الروابي والتلال الزدانة بالكروم والاشجار . واهلها يشربون مياه
الابار وكان عددهم يناهز السبعة الاف اغلبيهم يعاقبة وكان فيها
ثمانون بيتاً من البرستان وخمسون من الاسلام وثلاثون من السريان
والارمن والكلدان الكاثايك واليك ما حدث لهم اثناء الغزاة

يوم الاحد سادس حزيران شخص الى مذيّات حسين الضابط
المارديني واذاع ان مدير حصن كينا وامين آغا فتكا بالنصارى الذين
كانوا في ذلك الحصن فاحس القائم مقام وارسل فقبض عليه وكذب
مقالته الصادقة وضربه وزجه في الحبس . وفي عصر ذلك النهار
وصل الى مذيّات ثلاثة من نصارى الحصن واكدوا مقالة حسين
فدب الرعب في قلوب النصارى وتجهزوا للمدافعة . وفي ١١ حزيران
صار الى حبسناس مشايخ اشكفتا والرمااء فعارضهم اسلام القرية
وراجعوا القائم مقام فاوفد شردمة من الجنود قتلوا من العشائر شخصين
وكشّنوهم عن حبسناس ورجعوا

وفجر الاثنين ٢١ حزيران تحفز الجنود التطواف في بيوت
المسيحيين ليفتشوا عن الاسلحة . وكان مع الجوالاة القس افرام
اليغقوبي وحنا سفر وعيسى زته وعزيزاغا رئيس البلدية يتقدمهم راوف
بك قومندان التابور السيار فلما افاق النصارى وراوهم على الابواب
ذعروا واندهشوا . وخرج من كل بيت كبيره يستفسر عن السبب
فقالوا لهم اننا طبقاً لاوامر الحكومة جئنا ننقر عن الاسلحة فاذا
وجدنا شيئا اخذناه والا رجعت . فانكر النصارى عليهم الدخول
بتاتا . فالتفت راوف بك يقول للقس وللنصارى الذين معه « انتم
تعرفون لهجتهم فرضوهم اندخل ونبحث »

فجعل الجنود ومن معهم يطوفون بيتاً فبيتاً كأنهم يريدون التفتيش عن السلاح . والقوا القبض على نيف ومائة زجل من الارمن والبرتستان وساقوهم الى سجن سفاكي الدماء ، وخلوهم ثم اسبوعاً كاملاً . فاخذ القاق من النصارى ماخذ وساروا فيما يصنعون .

وليلة الاثنين ٢٨ حزيران نثم الجنود في القاء الاغلال باعناق المسجونين واكتافهم وعولوا على استياقهم . فوصل الخبر الى اليعاقبة فتصد القس افرام وحننا سفر دار الحكومة وقالوا للقائم مقام بانغيا ان المسجونين يساقون الليلة . فثرى ان تامر منادياً ينادي ان لا يخرج احد من بيته لئلا يحدث شغب وفتنة . اما القائم مقام فاصدر الامر بسوقهم عند الظهر في هرج ومرج فغادروا مذيات الى استل فالشولالات ثم اتعرجوا عن الطريق وصبأروا الى كفر حوار فبئر سيطة . وهناك اذاقوهم الرأب العذاب ثم عروهم كمالوف العنادة وذبحوهم وزجوهم في البئر وما برحت اصداوهم فيها حتى هذا اليوم ويوم الجمعة ٢ تموز اشار القائم مقام الى الحاج بشار بك فاوفد الخبر الى حسنو مختار صلح ليضم اليه العشائر ويحرضهم على الفتك بالمسيحيين . وصباح السبت ٣ تموز اكدتف الجنود والعشائر معاً بالقرية فاخذ المسيحيون اسلحتهم ليدافعوا عن نفسهم ولكن العسكر

(١) ما خرجت القافاة من مذيات حتى التفت جبرائيل (كاله) هرمن يقول
لنا سفر كبير السريان اليعاقبة « اعلم يا حنا انا بدسانك ودسان اصحابك
وصدا الى هذه الحال . فنحن قد قضي امرنا وعلما قابل نصير الى عالم الموتى . اما
انت وبعاقنتك فتنتعوا بالحياة الدنيا . ولكن لا يفتك انك ستقتل انت ايضاً شر
قتلة « وفي الحق ان حنا سفر يوم دارت الدوائر على اليعاقبة قُتل داخل مذيات
ولعب الاعداء بهامته تلاعبهم بهامة اذل الحيوانات راخبيها

لكثرتهم تغلبوا فقتلوا عامة النصارى داخل دورهم واستثنوا منهم النساء الحسن فاستبدوا بهن ولم يفلت من نصارى صلاح سوى بعض اشخاص كانوا في حفره واربعة كانوا اثنا المذبحة غائبين وما زالوا حتى اليوم في قيد الحياة يخدمون رئيس البلدية . وبعد ذلك كله نهبوا الاموال والواشي وتصرف حسنو بالاملاك والاراضي ولما راي اليعاقبة ما حدث لجماعتهم في صلاح اخذوا يمتاطون لانفسهم ويبحثون عن اسلحة ليقاوموا بها هجمات اعدائهم . فلما شعر بذلك القائم مقام استدعى شيوخ اليعاقبة ومختاريهم وبلغهم انه يريد ان يضع في دار كل منهم انفارا من العسكر صيانة لحياتهم غير انهم لم يستصوبوا كلامه ولم يعتمدوا على رايه بل لاذوا ببيوتهم وجلين وآلوا على انفسهم ان يلزموها ريثما يهدون ذريعة التماس من دواهي القائم مقام . اما سعادته فاصر يطلب وضع الجنود في البيوت للحراسة او ان شئت فقل للخيانة . فتأكد اليعاقبة اذ ذاك ان لا بد من قتلهم كما قتل الذين سبقوهم

وسادس عشر تموز امر القائم مقام عامة الجند ان يطلقوا الرصاص على دور اليعاقبة . فنهض اليعاقبة لمعارضتهم ومقابلتهم وظلوا يتخاربون من مفتتح اليوم الى مختتمه . فارسل القائم مقام في استحضار العشارين من نواحي ديار بكر وماردين وسمرقند والجزيرة فلبوه صاغرين طائعين وشيخووا الى مذيات وظلوا يقاتلون النصارى اسبوعاً كاملاً حتى فتكروا بهم داخل البيوت وخارجها وذبحوا الاطفال والرضعان ثم عروهم وجمعوا جثثهم حول البلد واحرقوها والقوا بعضها في الابار . فقتل من النصارى زهاء عشرة الاف نسمة منهم القس هرمرز دنجو

ولم ينج سوى الالف نسمة تقريباً انهزموا تحت الليل التي عينورد وكان معهم القس بطرس حمال

وبعد هذا طاف العسكر والجنود واغتلسوا ونهبوا وصادفوا في الاسراب والمخابر . زهاء خمسمائة من رجال وصبيان فاستاقوهم جميعاً الى خان موسي الشماس جرجس وحبسوهم يومين ثم افرزوا من كان من السن السبعين الى السن الخامسة وساروا بهم ليلاً على طريق استل وقتلواهم ورجعوا . اما الاطفال فمضوا بهم الى النخل وقالوا للنصارى الموجودين ثم خذوا نصاراكم وربوهم

وكان فرج الله مرزا عند الحاج بشار بك فاخذ من ٢٥٠ ليرة وابتد جميع امواله وامتعته وسنيره مع من ذكرنا اعلاه الى استل فقتل كرفاقه

واعلم ان رجال اليعاقبة على كثرة ما اصابهم من التعدي كالقتل والسلب والسبي كانوا يحاولون اهلاك النصارى المتبقين في مذيات ونواحيها من غير طائفتهم ولاسيا داود بن جبرائيل هرمرز البرتستاني واليك ما كتبوه في هذا الشأن بتاريخ ٢١ جوز ١٣٢٤ اغني ١٩١٨ م الى متصرف ماردين بتصرف قليل :

« المعروض اننا نحن جماعة اليعاقبة ما زلنا مذالنا وخمسمائة سنة تحت ظل الملة الاسلامية والدولة العلية العثمانية . ونؤيد ان اموالنا وارواحنا هي فدى لها : كل ذلك يويده جميع من هاشرهم وعرفهم . . غير ان داود بن جبرائيل هرمرز احد وجهاء البرتستان بمذيات ما برح متحداً مع اليزيدية وهو احد اعضاء الجمعية المنتمية الى الامين والاذكر ايز والامير كان . وقد اقاموه بمثابة جاسوس يسمى

في ما يوتول لانتصار الارمن والاميركان . بل هو من وجهاء
 الخيمية الخنجكيانية الارمنية مذ عام ١٣١٧ وعام ١٣٢٠ و١٣٢٧
 و١٣٢٨ وهذا داود انهزم هو وابن اخيه جرجس وابن اخته بولس
 وقت سرق القافلات من وجه الحكومة الى النخل وعينورد وباسبرينا
 وخباب وسائر قرى اليعاقبة واليزيدية واثاروا الاكراد الجهال المغفلين
 وقتلواهم ليقاوموا الحكومة السنية . وما فتشوا مذ ثلاثة اعوام على
 هذه الحال . بل ان داود منذ استاقت الحكومة والده واخوته لا
 يفتر من ان يثير الفتن والمشاغب على الحكومة ويحاول ان يسترجع
 اموال والده واملاكه الخازمة اليوم في حوزتها ويتظاهر بانه منتم
 الى اليعاقبة قصد التورز بغايته هذه : مع انه يفرغ كل جسده في
 القدح في اعراضنا ليثير الحكومة علينا . بل زاد يتنقش الحكومة
 ويصرح للاهالي بانها جانرة ظالمة غدارة . ولا يخفى انه اذا استمر
 في مذييات ازداد الفساد واستفحل الشر

بناء على ما ذكر نسترحم ان تصدروا في حقه اوامر الزففي
 (بالشفرة) والخفية لئلا يطالع اصحابه ولاسيما المنصبون فيباغوه ذلك
 ويستعجلوه على الحرب كما جرى الامر منذ سنتين . فنسترحم اذا
 ان تجروا به مثلما يستحق جرمه ذلك تاميناً لحقوق اليعاقبة الاذلاء
 الساكنين وصيانة لحياتهم واطلاق الحرية لهم في الاخذ والعطاء . والا
 سلبت الامنية بالمرّة وازداد الفساد والاضطراب «

هذا والغبطة مرقومة بالتركية وهي محفوظة لدى داود المذكور
 ممضية باسم الخوري عيسى والقس جبرائيل ومجي كور ومختار اليعاقبة
 وموسى اسمر العضو النصراني ورشيد بن عبد العزيز العضو المسلم

وحجبي مختار الاسلام بمذيات

ولما وصلت المضبطة الى متصرف ماردين دفعها الى حسن افندي المتولي ليجري في داود ما يستوجهه فسار الى مذيات وواجهه ولكن الله سبحانه باحكامه الغامضة انقذه من دهاء اعدائه وكيدهم بقي ان نورد كلمة في شان كنيسة السريان الكاثليك بمذيات على ان رجال الحكومة كانوا منذ اذار ١٩١٥ قد جمعوا مائة وعشرين من العملة النصارى فهدوا الجامع العتيق ليجددوه ويوسعوه . فباشر العملة في التقويض والبناء من دون اجرة ولما وصلوا الى النصف ثارت نيران الشحنة وخاضت الحكومة في الدماء فابطلت العملة والفت البناء . وفي ربيع ١٩١٦ نهض شاكر افندي ابن الملا زبير المارديني وكيل جامع مذيات يريد انجاز العمل فجمع ثلاثين من النصارى وامرهم بتقويض كنيسة السريان الكاثليك فدكوها من الراس الى الاسباس ونقلوا حجارتها كلها الى الجامع وارسل شاكر الى ماردين فاستحضر حنا صاني الارمني الذي اسلم ووكل اليه ان ينجز البناء ويشيد منارة الى جانب الجامع فابتنى بالحجار ما ابنتى وقتل راجعاً الى ماردين ولم يكمل بناء الجامع والمنارة حتى يومنا

الفصل السادس عشر

المعروف والاحسان او الدكتور نعمان

ليت شعري هل من رذيلة اقبح من نكران الجميل وغمط الاحسان . ايروق الأب ان يرى ابنه يعاديه ويحاول ان يتلفه ويرديه أيهون على قلب المحسن ان يرى من احسن اليه يدبر هلى تدميره .

اعجب السيد ان يرى عبده بعدما فكاه من الرق ينقلب فيعقه ويسمى
 بكل طاقته ليفتك به . اعبري ان ذلك الا وحش ضائر بل
 اوحش من الوحوش . لان الوحوش تشفق على اولادها وتذكر
 المعروف اما ابن آدم فكأنود عتق لا يكثر للاحسان بل يستفرص
 الفرص ليوقع بولي نعمته ويعذبه ويهتك سره ويهدر دمه
 فالدكتور نيمان بن يوسف قره كله تكلف المشقات الوافرة
 ومصرف البالغ الطائلة وقضى سبع عشرة سنة يزاول الدروس في
 البلاد الناصية حتى اتقن علم الطب وحذقه . ولما ان بلغ اشده
 جاء سنة ١٩١٢ الى ماردين وطنه مستصحباً قرينته الفاضلة التقيّة
 الوردية استيلا بنت حنا طولو البلتمورية الكاثوليكية وهي في ريعان
 العمر . وباشر يشتغل بجد واجتهاد في تريض ذوي العاهات . حتى
 اذا كانت سنة ١٩١٤ الشوومة فوض اليه رجال الحكومة شؤون
 العسكر المرضى فخدمهم وعالجهم ستة اشهر . وفي اذار سنة ١٩١٥
 الدموية ارفدوه الى مدينت وعهدوا اليه تريض التابور السيار تحت
 رئاسة راوف بك القومندان . فوضع الدكتور للاوامر وسار من
 ساعته مع نجده فيليب الصغير وقرينته الكريمة الى محل وظيفته وقام
 بدواوة العسكر ومعالجتهم خير القيام
 غير ان القائم مقام والقومندان ابيا الا نث سمها . القتال بين
 خدم وتعب وعرق وسهر لاجل الحكومة ورجالها . على انهما من بعد
 قتل اليعاقبة وسوق من تبقى وذبجهم . استدعيا الدكتور النجيب
 ودفعا اليه تاغرافاً ملفقاً منطوقه « تحولت ماموريتك الى ماردين .
 يلزم حضورك اليها عاجلاً ، والا فستغرب ويهلك سكانها قاطبة ؟ »

ثم انعما عليه بشي من ماله الذي سرق قبل بضعة ايام واستعجب لاه
على السفر . وقال له القائم مقام اني عربوناً لإتعابك امرت الجنود
ان يحضروا حصاني الخاص لتركيه . وقال راوف بك القومندان
اني مرسل معك حفظة يوصلونك بالسلاية (بالخيانة) الى ماردن
فاطمان قلب الدكتور نوعاً واءلم قرينته النبيلة فقالت لا بد
من السفر والا اضطرونا ان نغادر مديات قسراً . فاحضروا الفرسين
فاردف الدكتور نجله فيليب وراه وخرج العروس والعريس يتبعانها
شرذمة من الجنود الارجاس الخالعون يتقدمهم صالح بن احمد
الخلوصي المارديني وكان قد اسر اليه القومندان ان يقتلها ويستحي
الصبي ويرده اليه

ولما وصلوا الى شول الات امرهما بالنزول عن حصانيهما
وعروهما من ثوبيهما واحاطوا بهما كالكلاب الكلبة وحركوا
اذنابهم كالحنازير النجسة ونشموا في ضربيهما وقضيهما بالمناوبه ضربة
لهذا وضربة لتلك . وكانوا يقولون للدكتور . اما تعجبك الادوية
التي كنت تصنها لنا . خذ لك دواء يصلح لك . مكافاة لاتعابك ؟
وكانوا اذا رقعوا السيدة استيلا او هجضوها يقولون لها بمانت اجنبية
غريبة عن تركيا فيقتضي ان نغزك ونحترمك اكثر من زوجك
ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد وفتكروا بهما بالضرب والتنكيل .
غير ان قوماً حبيت اليهم الخلاعة والفحشاء وكره اليهم الطهر والحياء
ابوا الا ارتكاب ما هو اشنع وافظع . فانهم عروا حلياة الدكتور
الطاهرة وركبوا منها الفاحشة الواحد بعد الاخر بالمناوبه كالحليل
الشموسة الجموحة مدة ثلاث ساعات والدكتور يرى ذلك بعينه .

وزوجته المسكينة متخفرة صامته صابرة تتمنى لو ساخت بها الارض
 لشدة خجلها . فاغمي عليها لكثرة ما كابدت من الاذى والعذاب .
 افتح اذنيك يا صاح فاستمع وعينيك وباصرتيك فانظر وتبصر
 واحكم . وبعد ان اكملوا شهوات قلوبهم اذروا راسيهما والقوهما
 في البئر واستحلوا ثيابهما وذهبهما وانقلبوا راجعين بالطفل وسلّموه
 الى راوف القومندان وقالوا له اننا ادينا الفرض وقمنا بالخدمة اكثر
 مما تتمنى ويتمنى القائم مقام

هذا جزاء المعروف والاحسان . كذا فليكن الرجال والا فلا
 ما رايك ايها القاري العزيز . ما كنت تصنع بهؤلاء الوحوش لو
 حصلوا في قبضتك . اهذه مكافأة من جدّ وتعب في خدمة الحكومة
 اهذه مجازاة من صرف زهرة عمره وخاطر بحياته جأً لتمرير
 الجنود . . وانكن انى للشوك ان ينبت ورداً . وانى للعليق ان
 يشر عنباً . وانى لمن يتنافس في ارتكاب الخنى والفواحش ويتفاخر
 بالشناعات وسفاسف الشؤنون ان يتجافى عن مضاجع الانام ويأذف
 من خسانس الشهوات البهيمية واللذات الحيوانية

على ان رجال الحكومة سبقوا فعرفوا للدكتور نعمان احسانه
 وقدروا له خدمته حتى قدرها فاستاقوا والده يوسف واخاه سليماً
 وقتلوهما في ١٠ حزيران في اراضي شيخان ليزداد نشاط الابن في
 خدمة الجنود ويغار على صوابح الدولة

اما راوف القومندان فبعد ان صان فيليب منجل الدكتور زماناً
 عافته امراته واخذت عليه ان يرسله الى اهله فاستدعى الشيخ موسى
 ابن الخلوصي ودفعه اليه فجاء به الى ماردين وارسل في استدعاء

عمته جميله . ولم يسلمها اياه الا بعد ان قبض منها عشر ليرات .
وما مر الشهر حتى استدعاهما تكراراً وقال اعطيني اربع ليرات
لابعث في استحضار امه استيلاً فدفعت له المبلغ لحسن ظنيها . وفاتها
انها هي وزوجها الكريم قد قضى صالح ابن الخلوصي امرهما بما
فطر عليه من النذالة والتوحش . اما فيليب نجل الدكتور فما ابث
عند عمته خمسة وعشرين يوماً حتى قضى نحبه . . لا غرو ان مخفي
الفظائع مسطور . ومستور الفضائح يوم الحشر مشهور . والديان
العدل لا يذر يومئذ سريرة الا ابداهها . ولا يغادر هغيرة ولا كبيرة
الا احصاها . وعاقب من اتاها

الفصل السابع عشر

حصار عينورد

عينورد قرية بطورعبدین قرية من منديات مشيدة على رابية عالية
جميع سكانها من السريان اليعاقبة لهم كنيسة كبيرة قديمة تشبه
معتلاً حصيناً . واشتهر منها اخنوخ ويشوع ويوحنا بن قوفر بطاركة
طورعبدین . ورجالها متصفون بشدة الغزيرة والتأفف من الدنيا ولم
نسمع ان احداً في بلاد ما بين النهرين عارض الاترك وقاومهم سوى
اهاليها واهالي ازخ

ذلك ان امام عينورد مسعود الامريزخي الشجاع ضم اليه

(١) هذا بعد حادثة عينورد سار الى انخل وانام بها حولاً كاملاً وطاف قري
النصارى ينصح لهم ليتفوا على مقاتلة عدوهم . وفي كانون ١٩١٨ كبسه عشائر
دالينه وبيت حاجو في كفره وفشكروا به

الرجال والشبان وبعث فيهم روح التحمس والنخوة واستنهضهم ليدافعوا عن نفوسهم ويقاقلوا الاتراك حتى آخر نفس وسار اذ ذاك الى عينورد قوم من نصارى مديات وباقه وزاز وحبسناس وكفره وكفرزه حتى ناهزوا الستة الاف وافادوا مسعوداً عما ارتكبه اعداء النصارى في قراهم من المنكرات والجرائم فاتفقوا جميعاً على مناوشتهم القتال بكل طاقتهم

اما قائم مقام مديات فاوفد في طلب مشايخ القرى وبلغهم ان يجمعوا قواهم ويحشدوا رجالهم ويرزعوهم فرقتين فرقة يبعثون بها الى النحل وفرقة الى عينورد فيقاتلوا عامة المسيحيين ويستاصلوا اثرهم . غير ان عزيزا آغا رئيس البلدية قال للقائم مقام : لا يسمعنا ان نحارب كلتا القريتين في آن واحد بل الاحوط ان نعمل باجمعنا على عينورد ونستفرغ كل قوة وحيلة في اتلاف سكانها ومتى تم لنا الفوز بهم انقلنا الى النحل وافئنا اهاليها مثلهم . فاستطاب القائم مقام كلامه وعول الجميع على رايه فاحتشد الرجال في مديات عشائر عرناس ومزينخ والرمة ورجال احمد آغا وسالم آغا وسائر عشائر ماردين حتى اربوا على الثلاثة عشر الفا وخصص لهم القائم مقام المعاش على كيس الحكومة ودفع لهم من البنادق شيئاً كثيراً فساروا باجمعهم في اتقاهم وعددهم ونسائهم الى عينورد وعلقوا يحاربونهم حرباً عنيفة حتى استحوذوا على الراية المطلة على القرية وكادوا يدو خونها الا ان الرصاص نقصهم فارسلوا في استحضار غيره من ديار بكر وماردين فبعث اليهم رشيد وبدري بكل ما طلبوا وزادا على ذلك انها ارسلوا اليهم صعبة شوكت بك ابن محمد سعيد آغا مدفعاً

ضخماً يسع نصف رطل من البارود ورصاصة تزن اكثر من رطل فواصلوا مقاتلة العينورديين بكل طاقتهم يوماً بواحد وامتلاك ارزاقهم وخطف حريمهم . وظلوا كذلك عشرين يوماً قتل منهم في اثناؤها زهاء مائتين وقتل من اهالي عينورد زهاء ثلاثمائة

واتفق ان عبد الكريم نصري سعيد (مقدسي نانو) السرياني التحصيلدار انهزم وقت المعركة الى عينورد مع حماته وقرينته وناصر ابنه فما لمح الشيخ صدقي واصحابه المنافقون حتى اغاروا عليه وفتكوا به وبامراته وحماته وابقوا على نجله فمضى به صدقي الى بيته ولبث عنده سنتين فاوفد السيد جبرائيل تبوني مطران السريان واشتراه وبعث به الى حلب عند عمه

اما اهالي عينورد فان مسعوداً امامهم افرز منهم طائفة لصب الرصاص فلم يذروا في بيوتهم نحاساً او رصاصاً الا ذوبوه وصاغوه وقاتلوا به اعداءهم . فاخبر الخصوم القائم مقام فارس في طلب شيخ دارا ورجاله ليرافوا وينجدوا الاكراد . ولما وصل هذا الشيخ الى عينورد استدعى ثلاثة من النصاري وبذل لهم كلمة الامان وحلف لهم بالطلاق انه لا يغدر بهم . ولما ساروا اليه قال لهم : اعلموا انكم بمقاومتكم الدولة تجلبون عليكم وعلى لفينب النصاري العطب والدمار . فالحلوق بكم ان تسلمونا اسلحتكم ونحن نعهد بحقن دماءكم . فقالوا قد طاب لنا نصحك فذرتنا نعود الى القرية وننصح للاهالي ليقوموا بشورتك وينفذوا امرك فسرهم على هذا الشرط . غير ان النصاري بعد ما استقبحوا

الاراء في ذلك نبدوا المشورة ظهرياً وقالوا اننا اذا دفعنا لهم السلاح
اقتلوا بنا من الفظائع والشنائع اكثر مما افتعلوا بغيرنا ممن صدقهم
وعليه فلئن نقتل فرادى خير لنا من ان نقتل جميعاً . فاستحسنوا
الراي وظلوا يقاومون الإعداء .

اما الخصوم فركبهم شيطان الغضب والسخط فشدوا القتال
وعاودوا الحصار مدة ثلاثين يوماً ليلاً ونهاراً حتى اعياهم الامر
وضجروا : فاوفدوا الى متصرف ماردين يعلمونه فعمد سعادته الى
الحيلة شأن الضعيف الغدور وارسل الى عینورد الراهب يشوع وحنا
القس السريانيين اليعقوبيين ليقنعا الاهالي في التسليم واخضوع . واكن
العینورديين لم يكثرثوا لنصيحتها بل قالوا لها : تيقنا انكما بشورتكما
هذه تعرضانا للملكة . فرجع السفيران بنجني حنين وظل الاكراد
يحصرون القرية

على ان اللسان قاصر عن وصف ما الم بالنصارى المحاصرين من
الضيق والضنك والعذاب والجوع والمخاوف حتى ان عدداً غفيراً من
النساء والاطفال زهقت ارواحهم لشديد رعبهم وظلت جثثهم على
وجه الارض فانبعثت منها الروائح واعدت قسماً صالحاً من المقاتلين
وزد عليه ان الذخيرة نقتت جدا حتى ألجئ المسيحيون ان يذبحوا
عامه غنمهم وبقرةم ويتقوتوا بها . اخيراً عجز العشاير وضجروا
من المحاصرة وارسلوا الى النصارى يقولون ان اهالي انحل قد
جاهروا بالاسلامية ونالوا العفو فاصنعوا مثلهم تخلصوا . ثم بعثوا
اليهم وفداً يقول لهم كفاكم تقاتلون . اعتمدوا على من ترومون
ليتوسط في الصلح واطفاء نيران المشاحن . فقال لهم النصارى ان

صح قولكم ابعثوا الشيخ فتح الله ابن الشيخ ابراهيم كبير عين كاف
فسر اليه بمكنونات صدرنا . ولما حضر الشيخ المذكور انحدر اليه
ثلاثة من نخبة النصارى وقبلوا يده وفوضوا امورهم الي ذمته وامانته
وقالوا له لا دليل لنا بعد الله سواك . واننا راضون بما تامر وتحمم .
فامنهم الشيخ وقصد رجال الحكومة فاكدوا له انهم يرحلون
الاكراد عن قريتهم ولن يبسطوا اليد اليهم . وبعد ان تم القرار
جمعوا الاسلحة كلها وسيروها الي الشيخ فكشف عنهم العسائر
والعساكر معاً ونهبهم وحذرهم ان لا يؤذوا نصرانياً ابداً واستغرقت
مدة الحصار اثنين وخمسين يوماً . وظل النصارى في قريتهم لا
يجسرون على الخروج عنها خيفة من اهالي عرناس وهلخ ومزينخ
الذين كانوا يترصدونهم ليفتكوا بهم . وطالما فدروا بهم وخانومهم
وقتلوا منهم عدداً غفيراً من جعلتهم القس بطرس حمال فانه بعد ما
ظل في عينورد الي شتاء سنة ١٩١٧ اوفد الي السيد جبرائيل تبوني
يطلب منه ما يلزم لاقامة الذبيحة الالهية فاشار عليه المطران بالشخص
الي ماردين فخاف . ولما كان يوماً راجعاً من مديات الي عينورد
ثار به الاعداء وقتلوه . فكان عدد القتلى غيلة بعد رفع الحصار منهم
اكثر من عددهم وقت المحاصرة . ذلك دليل مقنع وبرهان ساطع على
ان الخائن يفعل غالباً بدهائه ما لا يفضله البطل الباسل بقوته

الفصل الثامن عشر

مذبحة كفرجوزة وبناته

كان في كفرجوزة قوم من النصارى الكلدان يشتغلون في الفلاحة

وكان المسلمون يعزّونهم ويودونهم ويكلفونهم المشقات فيقومون
 بخدمهم . ولما صار ما صار بمذيات اوفد يوسف حسن شمدن آغا
 في طلب النصارى المنتمين اليه وبلغهم انه يدافع عنهم ويحميهم من
 هجمات خصومهم . غير انه لما رجع من عينوزد ركب راسه وانقلب
 عامراً حبه خراباً فحشد ذكور النصارى واستاقهم حفاة عراة الى النهر
 القريب والقاهم فيه قاطبة . وكانوا في مسيرهم ينشدون الترانيم
 بالسريانية ويحسب بعضهم بعضاً لنيل اكليل الشهادة . وثابروا على
 ذلك حتى بلغوا النهر فاغرقهم اخصوم وانقلبوا راجعين . وكان
 ذورهم ينوحون ويبكون عليهم ويتالمون شديد الالم لفراقهم . اما
 يوسف آغا فلما رجع الى القرية غير خطته الاولى وسام بقية النصارى
 خسفاً وبالغ في القدح في اعراضهم وانفتابهم فنفروا منه وتسللوا
 الى مذيات وتركوا املاكهم وارزاقهم وجميع اثارهم تراثاً له
 ثم ان جميلاً ونجيماناً ولدي اوصاني صاحبي باته جمعا اليها
 اعلاج الاكراد ليزنتكروا بنصارى قريتها فيحصرها نصفهم في كنيسة
 اليعاقبة والنصف الاخر في كنيسة السريان الكاثليك ثم كبسوا
 الكنيستين كليهما وانزروا بالنصارى هروب العذابات واخيراً كوموا
 الحطب واحرقوهم جميعاً ولم يفلت منهم سوى بعض اشخاص فروا
 الى عينوزد . وكان للسريان الكاثليك في تلك القرية كاهنان وهما
 القس دنحو والقس ملكي فاصابهما ما اصاب سائر المسيحيين وراحا
 ينالان الجزاء المعد للابرياء الصالحين

الفصل التاسع عشر

مذبحة قلت وحصن كيفا

كان للسريان اليعاقبة في قلت كنيسة قديمة على اسم سمعان القناني الرسول ويوحنا الديلمي يخدمها خمسة كهنة . وكان للسريان للاكاثليك كنيسة شيدت سنة ١٨٨١ يقوم بخدمتها القس بولس هيمو القلائي . وكان نصارى القرية عاشرين في الرخاء والسعة لكل منهم اراض مخصصة ومواش كثيرة . ولما صدرت الاوامر بذبح المسيحيين استدعى رجال الحكومة مشايخ القرى القريبة ليبادروا الى نجدتهم ومشاركتهم في خيانتهم وخباثتهم فابتدر اليهم احمد اغا وسالم اغا من العرين ومحمدي شرو وغيرهم وشنوا الغارة على قلت فتلّفوا عليها يحاولون سفك دماء نصاراها

فبادر النصارى كعادتهم الى الكنيسة فحمل عليهم العشائر وقتلوهم بلفيفهم واحرقوهم ثم انقلبوا الى البيوت وانكالوا على الباقين وذبحوهم عن آخرهم واستحذوا بعد ذلك على الاموال والامتعة والمواشي والاراضي وتصرفوا بها كما افتعلوا في كل محل وطئه اقدمهم النجسة

اما حصن كيفا وكان نصاراها نحو خمسمائة نسمة من يعاقبة وارمن وبرتستان فان الفتنة نارت بها منذ ٥ حزيران ١٩١٥ ذلك ان قائم مقام مديات ارسل ابي احمد منير مدير الحصن في استدعاء الاكراد الاندال ليفتكوا بجميع المسيحيين . فسارع امين ابن الحاج عبد الله شيخ الشكوتيا في عدة من الاعلاج ولما وصلوا الى الحصن انضم اليهم

مائة من الجنود فوافدوا الى الاهالي ان يفتحوا لهم باب القلعة فابى المسلمون فالحقوا في الطاب فنزل مدير الحصن ليقف على السبب فكاشفه الشيخ بما اضره وصرح له بأمر القائم مقام فاخذ المدير بيد الشيخ ودخلا كلاهما الى الحصن واقاما جماعة من العسكر على الباب يعرجان الخروج على النصارى

ولما توسطت القلعة طينقا يستدعيان الجنود والاكراد ويوزعانهم على بيوت المسيحيين ويشيران اليهم ان يفتكروا بهم . فانهزم بعض الشبان فادركهم الاكراد والقوا بهم من ذلك العلو الشاهق الى اسفل حتى ترخضت اعضاؤهم وفاظوا . ثم حملوا على بيت فيبت وقتلوا كل مسيحي وجدوه ونهبوا الامتعة والاموال والقوا القبض على جرجس كبير البرستان وعلى زاخي امام اليعاقبة وزجوهما في السجن . وواعمل الجنود والاكراد يذبجون ويعذبون مدة اربع ساعات لا يستحرمون شيئاً البتة . وتعرش غير واحد من النصارى بالصخور فانهزموا الى كفرجوزه فمذيات . اما النساء المتبقيات فالتقين بانفسهن الى دجلة وغرقن

واخيراً قصد المدير وامين اغا السجن ووثبها بجرجس وزاخي المشار اليهما وبنصرانيين آخرين وهبهم بالسيوف وطعنهم بالخنجر حتى تضرجت اجسامهم بدمائهم وفاضت ارواحهم . ولم يبق في الحصن نصراي واحد . ودخات الاموال وسائر الامتعة والاثاث في حوزة الامامين المزبورين طبقاً للقاعدة المطردة

الفصل العشرون

مذبحه الصور

كان يسكن الصور جماعة من النصرى الارمن والسريان (المشرق
 ١٦ : ٥٧٢) يبلغ عددهم ثلاثمائة نسمة . وعام ١٩١٢ سار اليهم
 السيد اغناطيوس مالويان ووعدهم بارسال كاهن اليهم لقضاء فروضهم
 الدينية . وفي اواخر حزيران ١٩١٥ اجتمع بيكواتها (شيوخها)
 المشهورون وراسلوا ماردن فيما يجب ان يفعلوا بالنصرى المتوطنين
 عندهم . فكان اجواب اطلاق الحرية لافتمال كل محذور ومحذور
 وارتكاب كل جريمة . فالتقوا القبض على جميع الرجال والشبان
 وحبسوهم وعذبوهم ثم استاقوهم وقتلواهم . وبعد اسابيع ثلاثة
 استدعوا الاربعة الرجال المتبقين في السجن وقالوا ليوسف ابن المعلم
 الياس كبيرهم اننا معولون على رحيلكم الى ماردن وما خرجوا
 بهم عن الصور الا مسافة قصيرة حتى فتكروا بهم وانقابوا وطافقوا
 يطوفون البيوت ويقولون للنساء ادفعن لنا الذهب والفضة والحلي
 فنسلمكن ايها في ماردن . لان الحكومة اوصلت اليها رجالا
 وقضت بان تلحقن بهم . فاستلبوا ما استلبوا وقبضوا على النساء والاطفال
 واستاقوهم الى التكنة وانقروا الابواب واوفدوا الاعلاج فنقلوا ما
 فيها من غال ورخيص وكثير وقليل الى دار الحكومة . وظلت
 النسوة والاطفال والرضعان في ذلك الموضع يومين كاملين يبست
 السنتهم من العطش وضمرت بطونهم من الجوع وانهكت قواهم
 من البكاء والعيول . ثم حضر حسن بك المختار ومصطوف عنفيص

وحمده واسماعيل الدفا وغيرهم يقولون تجهزن . فاخرجوهن اثنتين
 اثنتين والاطفال بيدهن وعلى صدرهن والاجنة في رحمن واستاقوهن
 بعنف وشراسة وهن حافيات خائرات القوى متضورات من الجوع
 والعطش والبكاء . ولما وصلن الى الخربة نسم الجنود يطلقون
 الرصاص عليهن ويقذفونهن ويدبجونهن بحد السيف . فقتلوا طائفة
 واستاقوا البقية الى باقيسه وعروهن بالمرّة وطفقوا يفتشون في الثياب
 على الاصفر والابيض . ولا يمكن لقلنا ان يسطر ما افتعله اذ
 ذاك هولاء الاوباش الخالعو العذار من الفواحش والمنكرات بالنساء .
 المكشفات

وما استراحت النسوان في باقيسه حتى اضطرهن الوحوش البرابرة
 الى مواصلة السير وتفضلوا عليهن بما يسترهن ولما شارفوا رشل وقبالة
 اقبل رجال كلتا القريتين واختطفوا من اجبوا من البنين والبنات
 فاخذت النساء يتوجعن ويسجنن كحمامات خطف البزاة افراخهن .
 وبعد هذا تعاوروهن بالخناجر والسيوف والهراوى حتى وصلوا بهن
 الى راس الميدان شرقي ماردن . فسار الاهالي واختطفوا من الاولاد
 الصغار من استحلوا واشتبهوا . واضطرهن الجنود الى استئناف السير
 حالاً الى حرين تحت الليل . ثم صرن الى نصيبين ومنها الى خراب
 كورت . فاطلق هن حينئذ الجنود الحريّة التامة المطلقة الكاملة
 ليسترحن من اتعاب الطريق . ولا يفتك ايها القلري النجيب انهن
 مذ خرجهن من بيوتهن لم يدقن شيئاً ابداً

وعند الصباح تعجلوا اليهن بالسير فاقبل اكراد تلك القرى
 وطفقوا ياخذون واحدة فواحدة يهرونها ويضربونها على ام راسها

ويلقونها في الجب . و آخر الكل ضربوا مريم بنت عبد المسيح قلايلي
على يافوخها وزجوها في البئر لتسوت على مهلها
واتفق ان خضر بن الصوفي مراد الادخي مرآ بتلك البئر فسمع
انين المرأة فقال لها اريد ان انقذك . قالت ان اخرجتني من البئر
قتلتني . فاقسم لها بحظه وحفظ دولته انه لن يقتلها . فقالت لو
كان للدولة بخت لما أمرت بايصال الاذى الى الحرم واعراضهن
عندها كعرض السلطان . فاعجب خضراً كلامها وامنها والقى اليها
منديلاً تستتر به ثم دلى الجبل وانتشلها وسار بها الى بيته واستحضر
طبيباً عاجلها و ابراهما . واخيراً عادت الى ماردين ونزلت في بيت عمها
عبد الاحد شكرو

الفصل الحادي والعشرون

مذبحه نصيبين ودارا

نصيبين بلدة شهيرة بقدمها كثيرة الحدائق والبساتين يمتد فيها
نهر الهرماس وكانت حدود الدولتين الرومية والفرسية ثم اصبحت
عاصمة ديار ربيعة واخيراً ملكها المسلمون في القرن السابع (المشرق
١٦ : ٨٤٩) وابتنى الاهالي على انقاضها الدور باللبن الا كنيسة
مار يعقوب القديعة ودير فيرونيا والسكنة وكان فيها قوم من اليهود
وجماعة من النصارى الكلدان والارمن والسريان واليعاقبة قريب
الاربعمائة نسمة وكان القس حنا شوحا (هنا ص ١٤٠) الكلداني
يقوم بشؤونهم الروحية

وسنة ١٩١٦ وما بعدها شغلها الالمان وابتنوا في جبلها الشمالي

دوراً واسعة حصينة ونسبوا المحل La quatrième Division اي
مركز الفرقة الرابعة حشدوا فيه الذخائر والعدد واوصاوا الخط
الحديدي الى البلد . واليك ما جرى للمسيحيين اثناء النازلة

يوم الجمعة ٤ حزيران شخص رزو بن نجمه الى دار جرجي
ابرط يقول ان مدعي العموم يطالبك فسار من ساعته فاوثقه وسيره
صباح الاحد ٦ حزيران الى ماردين فانضم الى المسيحيين وسيق وقتل
معهم في ١٠ حزيران

اما عبد الكريم وحبیب ابرط فانهمزما الى الدعدوشية عند
الشيخ ابراهيم وكان شيخ طي ضيفاً عنده فاكدها انه يمكن دمهما
ودم امرتھما . ويوم الاحد قبض الاعداء على رجال النصاري بنصيبين
وركب عبدالله بك اجر كسي وعبد العزيز الداشي الى القرى المجاورة
وكبسوا المسيحيين واستاقوهم الى نصيبين واستاقوا معهم عبد الكريم
وسجنوهم وكان يعقوب زركو امام الكلدان يؤكد لهم انهم في
تلك الليلة عنها يرحلون الى الدار الباقية

وعند نصف الليل اقبل رضى راس الضباط واستدهى عبد
الكريم ونجبة من المسيحيين وفتشهم واعادهم الى السجن الا عبد
الكريم فانه وجد عنده رسالة مضى بها حالاً الى مدعي العموم
فاستدعاه وقال له ما معنى قول جرجي اخيك في الرسالة « قل
لنومان الغنام لياخذ حمل الاجاص الى سنجار . ما مراده بالاجاص .
وكيف ترسلون سنجار وسنجار خصم للدولة . افدني الحقيقة والا
قتلتك شر قتلة » قال عبد الكريم هوذا الاجاص بعد في البيت فابعث
من يستحقه . فامر به المدعي بالعودة الى السجن

واتفق ان فريدة والدته قصدت الحاج ابراهيم القنطرجي رئيس البلدية تستوضحه عن سبب حبس المسيحيين ولاسيا والديها . فقال لها اعلمي ان والديك هما من الجامعة النداوية . فلا بد من سفك دمها غدا العذر . اما مالويان (السيد اغناطيوس) الذي تتباهون به فقد قضي امره وقتل . فرجعت الام والدموع على خديها وعوامل الحزن آخذة منها اشد ماخذ ولكنها لم تجبر والديها بما نقل لها
الحاج ابراهيم

ويوم الاثنين ١٤ حزيران استدعى المأمور جسيع السريان اليعاقة المحبوسين وقال لهم ان الدواة انعمت عليكم بالعفو فاذهبوا الى دوركم وحافظوا على عهد الامانة . وعند العصر اقبل الى السجن محمود شوكت ابن عم ممدوح اللثيم وشاكر بك الحاج كوزه والحاج اسعد جابي ورفيق افندي وقدور بك وتم قرارهم على اطلاق المسجونين اجمع فانهزم عبد الكريم وشقيقه باسيل الى سنجار فتقتناهما احمد اليوسف في اربعة عشر من الخيالة فلم يدر كوهما

ويوم الثلاثاء ١٥ حزيران احاط الجنود تكرارا بدور الارمن والسريان والكردان والقوا القبض على جميع الرجال والشبان وزجروهم في السجن واستاقوهم نعت الليل الى خراب كورث وذبحوهم ثم نظمت الحكومة لجنة للفتك بارواح عامة المسيحيين المستوطنين في القرى المجاورة وخصت رئاسة اللجنة برفيق بن نظام الدين وقدور بك وسليمان مجر . فارسلوا رسلا الى المشايخ في قتل المسيحيين . من ذلك ان ابراهيم اغا خزنة اخرج النصارى من قريته وذبحهم قاطبة . واحمد اليوسف صاحب السيحة جمع نصارى القرى المصاوبة

لقريته وذبحهم بيده . ومحمد العباس آغا الدوكر استعان بقدر
بك ملازم العسكر الخمسيني فاوفد اليه العسكر فقتلوا جميع النصاري .
وعلي العيسى صاحب الخلوة فتك بالنصاري المتوطنين عنده بمشورة
قدور بك واستولى على اموالهم وكان فيها كثير من الاغنياء كبيت
ايليو البودا وغيره

ثم سار قدور في اصحابه وضم اليه احمد العباس وابراهيم الخليل
وعمر الاوسي اغا الدكشورية فقتلوا نصاري الحركة وكركي شامو
واخويته ولم يذروا منهم احدا . غير ان سليمان العباس اطلق الحرية
لنصاري كرشيران قريته فانهبوا ولم يقتل منهم احدا . اما مسيحيو
السروجية وكرييا وغيرهما فتفرقوا في البراري شذر مذر

وفي ٢٨ حزيران مضى قدور الى دار فريدة ابرط وقال لها
هامي كنانك الى داري وحسبك ان تقولي اسلمت ولو بالفهم
فتخلصي انت وهن فانكرت عليه مشورته . ومساء ذلك النهار
القي القبض على جميع النسوة والصبيان وسيقوا الى بيعة مار يعقوب
فحمل عليهم الجنود فافرزوا النتيان والفتيات ومضوا بهم الى بيت
ججكي النجار واستاقوا النساء الى خراب كورت فذبحوهن
واستحوذوا على ثيابهن وانقلبوا فاستاقوا الصغار الى البرية واوثقوهم
بالجمال واستركضوا الدواب فدرستهم بجوافرها وهرستهم . وخلصوا
من شرهم وخيانتهم . ولولا ذلك لتعطلت الاشغال وانقلت الاحبال
وصال الاستبداد وطال . ما أمركم ايها اللثام بل ما اغلظ قلوبكم
واجفائها . نافقوا وتمردوا ولا يعزب عن فكركم ان كل نفس
ستوفي ما اقترفت

ولا يسفنا الصمت عن وصف الافراح التي شملت قلوب المسيحيات
لدى سوقهن . فانهن كن يترنمن باهازيج الطرب وانشيد الفرح
كانهن سائرات الى احوال الاعراس ليتمتعن بشاهدة حبيب قلبهن
المفدى حمل الله الذبيح لاجلهن

ثم اجتمع ابرهيم بشيره واخوه مخلوف ومحمود شوكت وانسميل
جاويش وخشوا في دور المسيحيين ونقلوا الاموال والامتعة الى بيوتهم
واقسموها ما بينهم . وسبي غير واحد منهم جملة من البنات
والبنين واضطروهم ان يسلموا

ولا بد لنا من ذكر كلمة في شان محمد شيخ طي فانه اوضى
من ينتمي اليه ان يحقن دم كل نصراني يلوذ به . وبعث عدداً
من المسيحيين الى صديقه الحميم حمو شرو صاحب سنجار . ولم
يستحسن ان ياخذ او يلبس شيئاً من اسلاب الارمن المظالمين . قيل
ان اعداء الدين المسيحي عرضوا عليه يوماً خاتماً ثميناً جداً ليشتريه
فاستفسرهم عن صاحبه فقالوا . نصراني . فقال لا يهون على قلبي
ان اتمتع بما لم يتمتع به صاحبه الشرعي . فمسحوا صخرة جبينهم
الصلبة من عرق الخجل ؟ وهو الذي قصد قدور بك وقسره ان
يسلمه ولدين لاسرة ابرط كانا لديه فاردفهما على حصانه واحضرهما
الى سنجار ودفعهما الى عميها . لا غرو ان كل نفس تجزى بما
تسعى . فالشقي في الدنيا سعيد في الاخرى والسعيد ههنا شقي هناك
اما دارا فلم يكن بها من النصارى اثناء المذابح سوى مائة
وخمسين نسمة من الارمن الكاثليك كانوا يسكنون في الجهة
الغربية وكان لهم كنيسة . وكاهن يتعاطى خدمة نفوسهم . ودارا

هذه تضرب الامثال باسراها الضيقة الطويلة وبارها الكثرة
ومغاورها الواسعة التي ملاءها الخصوم في ايامنا المشؤومة من جثث
القتلى النصارى

وفي ١٠ حزيران بادر الى ارمن دارا جيرانهم واخرجوهم عن
دورهم بعنف واوثقوهم جميعاً بالحبال ومضوا بهم الى بئر قريبة
فانزلوا بهم الوان العذابات وقتلوهم ولم يفلت منهم سوى رجلين
انهزما الى البكيره عريانيين وهما يوسف بن جرجس بسمه وجرجس
الذي اشتغل اثناء الحرب في حفر التراب العسكر الموتى

الانصال الثاني والعشرون

حوادث دير الزعفران

دير الزعفران اقدم دير للسريان اليعاقبة وهو كرسي بطاركتهم
منذ القرن الثاني عشر فيه كنيسة جميلة على شكل صليب طولها
١٧ متراً وعرضها ١٢ متراً وفي الطابق الاعلى كنيسة الكرسي شيدت
سنة ١٦٩٦ - ١٦٩٩ وحول مذبحتها كتابة سطرنجيلية تتضمن
ايات الانصال ١٦ من النجيل متى التي تشير الى رئاسة بطرس زعيم
الرسول . وكان هذا الدير حصناً منيعاً للروم في غابر الزمان تحيط
به من الجهة الشمالية صوامع الرهبان كصومعة سيده الناطف ومار
يعقوب ومار عزرائيل وغيرها

والاستاق الخصوم قافلة نصارى ماردين الاولى في ١٠ حزيران
بادر الى الدير سريان قلعة الراه وبنابيل وكان عددهم نيفاً وسبعمئة
معهم شي من البواريد والبنادق ليتحصنوا به ويمنعوا عنهم غارات

الاکراد . وفي اوائل تموز سار الاعداء الى باقرقره واستدعوا خليلاً
غزاله وارادوه على حشد الدايشه واكراد العمريان ورشل وقباله
وغيرها ليكبسوا الدير ويفتكروا بين فيه . فتمعجلوا اليه في دوابهم
ونسائهم والبع عليهم خليل غزاله واحمد مرزو ونوري البدليسي
راس العسكر الحفظة ليتمتحووا الابواب فابوا . وقال للنصارى عبد الاحد
(بحوني) يونو البنابيلي المشهور من فتح الباب ضربناه بالخناجر
واخرجناه . فامتثل الجميع مشورته وتبجنت الشجاعة في اشدتهم
وظلوا يقاومون . اخيراً توسل اليهم احمد مرزو ان يجروا الى
سطح الدير بالحبال فلم يرضوا فجلاب لهم بالله العظيم وجمع الى
اليمن بالله يمينا بالطلاق انه ان يؤذيهم فما صدقوا . فاحتدم غيظاً
وانقلب فاثار الاكراد والعشائر فجعلوا يطلقون البواريد على النصارى
من صباح الاحد ٤ تموز حتى المساء فلم يقتلوا احداً البتة . على
ان النصارى المحاصرين ما اکتفوا باطلاق ما عندهم من الرصاص بل
جسروا الخجار وقذفوها عليهم ودحروهم ولم يبق منهم حول الدير
سوى القليلين تركبوا الفرصة زمناً للهجوم فلم يفوزوا بنجيبات زياتهم
فنكصوا على اعقابهم مايوسين

اما نوري البدليسي فنفر عليهم وجعل منذ ذاك يستنزف منهم
الذهب والفضة شهراً فشهراً حتى اثرى . وبناراه في طامعه عبد الاحد
دلالة فاستحل حصة من الذهب ودفع الحصة الكبرى الى نوري بل
افضى به اللوم والطمع الى ان اسر الى نوري باسم الفارين من
التجند فكان يزعمهم ويقتنص منهم الذهب والفضة . وظل النصارى
محشورين في الدير مدة ثلاثة اشهر حتى اذا كان تشرين رجع البنابية

الى قريتهم وتفرق اهالي القلعة في سنجار والخابور وعلى هذا النمط
استنجدى الدير ومن فيه من دهاء الخصوم وهجاتهم
واتفق ان خمسة رجال من ارمن بيران انهزموا الى الدير من
وجه الاكراد فثار بهم الجنود وافرزوههم واستاقوهم الى جنوبي
الدير وفتكوا بهم

الفصل الثالث والعشرون

مذبحة قلعة المراه

قلعة المراه قرية مشهورة شرقي ماردين بينها وبين دير الزعفران
اهلها كلهم نصارى من السريان المنفصلين والسريان الكاثايك لكلا
الطائفتين كنيسة على اسم جرجس الشهيد . وللبراتستان فيها مصلى
ومدرسة

١ ويوم الجمعة ١١ حزيران ١٩١٥ وافت الى ماردين نسوة من
القلعة وافدن مطران السريان والوجهاء ان الاكراد متحذرون ليتوثبوا
على القرية ويفتكوا بمن بها فاشاروا عليهن بالانضمام مع ذويهن الى
الدير فحملوا امتعتهم وذخائرهم وقصدوا الدير . فشر بامرهم
ابراهيم بن علي محمودي الدايشي واحمد مرزو وابنه فتبعوهم وطمنوهم
لكني النصارى ابوا الراحيل

وصباح الاحد ١٣ حزيران خرج منهم اربعة وخمسون وقصدوا
القلعة في استحضار ما تبقى في بيوتهم وسار معهم خاو وعبيدي
المسكريان ليحافظاهم . غير انهما اثارا الدايشية فادركوهم عند
الشرفة وجثعوا رؤوسهم بالسيوف واعملوا فيهم المدى وذبحوهم

ولم يفلت منهم الا جرجس بن عبي وشمعون بن ملكى يعقوب
فانهزما الى ماردين فلقيهما عند الفردوس ابن الشيخ محمد علي
فارادهما على الدخول الى البستان فابيا وواصل السير فقصد جرجس
مستشفى البرتستان فعالجه الدكتور تام و ابراء

ولما بلغ خبر مذبحتهم اهالي القرية دفعت الحماسة قوماً منهم
فشخصوا الى المقتلة وملاوا الجثث في الاعدال وحملوها الى الكنيسة
ليلحدوها فاطلق عليهم الداشية الرصاص لكن الله انجاهم جميعاً
فدفنوا القتلى وعادوا الى الدير . وبعد هذا سار منهم زهاء ستين
رجلاً ليقطعوا عناباً من كروم القرية فشد عليهم الداشية وفتكروا
بثمانية منهم واحرقوا يوسف حنو وفر الباقون الى الدير

ويوم الخميس ٢٤ حزيران قحم نوري البديسي والقي القبض
على اربعمائة وخمسين شخصاً واخرجهم قسراً من الدير ليأتي بهم
الى البلد ويضيفهم الى العسكر العملة وكان ما بينهم خمسة عشر
ارمنياً انهزموا من بيران فنحوهم عن البقية وذبحوهم عند مقطع
خاجو والقوا جثثهم في المغارة وساروا بالسريان الى ماردين وضموهم
الى عملة الاعبثة . لكنهم ما تاخروا ان تسربوا الى الدير واحداً
فواحداً بعد ان رشوا المامور كمألوف العادة . وعند وصولهم الى
الدير فرض نوري البديسي على كل منهم مجيدين في الشهر وظلوا
كذلك حتى رفع عنهم الحصار . غير ان الامراض المعدية فشت في
معظمهم حتى انه في يومنا لم يبق من اهالي القلعة سوى ثلاثين بيتاً
نصنهم في القرية والنصف الاخر في الخابور

الفصل الرابع والعشرون

مذبحة معصرتا وبافاوا وبنابيل

معصرتا قرية الى الشمال الشرقي كان يسكنها زهاء ثمانمائة نسمة من السريان المنفصلين دابهم فلاحه الكروم ونسج الاعبنة . وفي اواسط حزيران ١٩١٥ فر منهم ثلاثة رجال الى بنابيل فدير الزعفران فاخبروا المسيحيين بما جرى لهم قالوا : قصد شيخ معصرتا واسمه حسين بكر ووجهاء ماردين وشاورهم في امر نصارى قريته فباغوه ان يتاصلهم قاطبة فانقلب الى القرية راكباً راسه واستدعى من فوره النصارى ليبلغهم على قوله كلمة الامان والعفو . ولما شخصوا الى داره الفوها مكتظة باجلاف الاكراد . وما وطئوا بالساحة الخارجية حتى ناروا بهم واوثقوهم واستاقوا نساءهم وجميع عيالهم معهم الى الابار القريبة وافحشوا في ضربهم وذبحوهم بلفينهم والقوا جثثهم في تلك الابار . ولاذ ملكي يعقوب ويعقوب واخوه بمغارة مجاورة وظلوا فيها ثلاثة ايام كالمنزوعي الروح ثم انهزموا الى بنابيل فدير الزعفران . وابتز الاكراد امتعتهم واموالهم واستحلوا ارزاقهم واراضيتهم واستراحوا

ولما بلغ الخبر نصارى بافاوا رجفت ابدانهم وطاروا في امرهم وظلوا يومين على تلك الصورة فشد عليهم حسين شيخ القرية في رجاله وكبسوهم في دورهم وتعاوروهم بالمدى والشفار والخناجر حتى افنؤهم واستلبوا اموالهم وتركوا بيوتهم بلقماً . وافلت منهم ثلاثة رجال ايضاً فروا الى بنابيل واخبروا النصارى بما صار

اما البنايلية (ص ٥٧) فلما بلغتهم اخبار تلك الفواجع ايقنوا انهم عما قليل يساهمون اصحابهم المسيحيين فحملوا بنادقهم وتفرقوا في البساتين والكروم وارساوا نساءهم واطفالهم الى دير الزعفران . وفي سلخ حزيران اغار عليهم اكراد الغمريان المحمود كيسة واهالي رشل في اولادهم ونسائهم ودوابهم واتساقوا قلة الجبل المطل على القرية يحاوان النزول المقتل والسلب . فقصد النصارى الجنديين المدين عندهم والحوا عليها ان يصدرا الامر الى الاكراد لينكشفوا عن القرية او يبعثوا الى ماردين في استحضر العسكر ليقاتلوهم او يضطروهم الى مغادرة القرية فقصد احدهما البلد وظل الاكراد على قمة الجبل يحددون النظر ويستفرصون الفرص للمهبط الى القرية وقتل المسيحيين واستلابهم

ولما استبطا النصارى رجوع السفير بعثوا نخبة منهم الى خليل غزاله كبير العمريان صديقهم ليروا في الى نجدتهم فسار خليل في ستين رجلا واوصى اخاه احمد ان يلحقهم في رجاله ايضاً . فاستقبلهم النصارى بترحاب شاكرين لهم اخلاصهم واعدوا لهم الاطعمة والفواكه فوعدوهم انهم يقاتلون الاعداء ولا يغادرون القرية الا بعد ان يهزموهم . وعند غروب ذلك اليوم عاد السفير الى القرية في ١٨ جندياً وبقوا واستدعوا النصارى ووعدوهم انهم يزيحون عنهم الاكراد غير ان البنايلية لم يصدقوا كلام العسكر فظلوا في بساتينهم

وعند الفجر انحدر الاكراد الى القرية واحتفوا بها كالجراد في حميرهم وججاشهم ونسائهم واولادهم وكان عددهم فوق العشرة آلاف بينهم قوم من الداشية وغيرهم . فاطلقوا اولاً البنادق ليختبروا

قوة النصارى . اما البناوية فازموا السكوت يقولون : ان قاوم
العسكر اعداءهم لاذوا بالصمت والا دافعوا بكل طاقتهم . غير ان
العسكر ما تأخروا ان اتفقوا مع الاعلاج وطافوا البيوت معهم
للاختلاس والسلب . فنهض البناوية وشدوا على الاعداء واطلقوا
عليهم الرصاص فقتلوا ثلاثة رجال وامراتين وهزموهم الى البساتين .
فاستدعى العسكر اذ ذاك خايلا غزاله وقالوا له « قاتلك الله علام
تحمي عن النصارى الكفار . او تجهل ان الحكومة ترمي الى قتلهم
فذرهم وشانهم وارجع الى قرينتك » اما خليل فام يكثر للتوبيخ
بل ظل على العهود والمواثيق

فعمد الجنود الى الحيلة واختلقوا مضبطة كتبوها هم ووقعوها
بامضاء خضر جلبي وعبد الرزاق شهتنا وشوكت بك ومحمد علي
ابن الحاج علي وكان فحواها : « ان من دافع عن النصارى قتال
وسلبت امواله . ومن سعى في قتلهم فاز بالحظوة لدى الحكومة »
وسيروا المضبطة الى خليل (وهي عنده الى اليوم) فلما اطلع على
مضمونها قال اعلموا يا هولاء ان البناوية ابطل شجعان لا يهابون
احدا . فالاجدر ان نتحيل عليهم ونستدعيهم الى الكنيسة ونحصرهم
ونفتك بهم . فاعجبهم كلامه وارسلوا اليهم متو الداشي يقول
لم ان صديقكم خايلا يدعوكم ليوقفكم على مضمرات قلبه
ويلقنكم الوسائل لتدافعوا عن نفوسكم وتدحزوا الاعداء . غير
ان البناوية المحنكين قالوا له ارجع وقل لخليل ليحضر هو الينا
لاننا عارفون حق المعرفة ان في حضورنا اليه هلاكنا . فشخص اليهم
خليل صديقهم في رجالة وسار معه عشرون من مشايخ الاكراد وما

لمحهم البنايلية حتى تعرش قوم منهم بأشجار الشمس وجعلوا يقطفون
 الثمار ويطعمونهم . وفر منهم قوم الى دير الزعفران فاستدعاهم
 خليل وقال علام تنهزمون اما تصدقوني . ثم قلب لهم ظهر المعجن
 واندفع يشتمهم ويلعنهم ويستنهض الاكراد ليقتلوهم . فانحدر
 البنايلية عندئذ من الاشجار واستجاروا الله ولاذوا بالهزيمة . غير ان
 الشيخ قبض على نعمه بن حنا خاتوني واخذ بندقيته وضربه بها ففر
 من بين يديه ولحق اصحابه الى دير الزعفران والاكراد والعشائر
 يركضون في اثرهم ويطلقون عليهم الرصاص فقتلوا منهم اثني عشر
 رجلاً فقط . وكان النتيان النصارى يرعون الغنم والبقر في ضواحي
 القرية فقصد نحوهم خليل وزملاؤه وارادوهم على سوق المواشي الى
 الكرمية فتكالبوا عليهم وذبحوهم كافة ما عدا فارساً بن شمر
 فانه اركن الى الفرار واطلع اله على ما صار

ولما صار البنايلية الى الدير انوا نساءهم خارجاً والجنود يخرجون
 عليهم الدخول ويبالغون في تعذيبهم . فسخط البنايلية على العسكر
 وتسلقوا الحيطان وخطفوا المفتاح ففتحو الابواب وادخلوهن وهن
 ينحن ويعوان . فامتعض نوري البدليسي وقبض على يوسف بروكي
 وابراهيم يوسفني وجرجس برو واوثقهم وسيرهم الى البلد فبعثوهم
 الى ديار بكر وقتلوهم . فخاف سائر البنايلية وكانوا سبعين رجلاً
 وخرجوا من الدير واختفوا في سرب قريب مدة ثلاثة ايام ثم عادوا
 الى قريتهم واخصنوا بالمغاور والكهوف . وكانوا يبحثون ايلاً
 عن الحشائش والبقول ويقتاتون بها ثم سعدوا الى الحبس وارسلوا
 يستحضرون الطجين من الدير وهم ينتظرون الفرج . واتفق لحسن

بيزي التخومي ان مرّ هناك فسمع صوتهم وبادر الى البساتين واستدعى الاعداء ليقتلوهم فسارعوا الى الحبيس وسارع معهم قوم من الاكراد يقولون . قد حصلتم في حوزتنا . فقال لهم البنايلية . اضربونا ولا تقصروا فنحن قد جعلنا دمنا في كفنا . قال الاكراد : اسلموا تخلصوا . قال البنايلية . انترك عيسى ونتبع محمداً يا حمقى كلا . انا نجيا ونموت على دين المسيح . فقد قتلتم كثيرين من اخوتنا النصارى فمثلنا مثلهم . ولما راي النصارى كثرتهم ايقنوا بقرب المنون وانحدروا عند نصف الليل من الحبيس وتوغلوا في القرية فاطلقت عليهم الخصوم البنادق كالطر فاهم يصيبوا احدا . ولما شخصوا الى الدير سالوا المطران الياس هلولة ان يفتح لهم الباب فقصد نوري البديسي ودفع له خمساً وثلاثين ليرة جمعها من البنايلية على ان ياذن لهم في الدخول فتسلقوا السطح ومكثوا في الدير نحو ثلاثة اشهر يدفع كل منهم لنوري راتباً شهرياً

ولما قلع نوري ونصب مكانه ابراهيم الجاكي عرض عليهم الاسلامية فابوا . فالج فلم يفلح فاستحضر عشرين عسكرياً فاوثقوا البنايلية جميعاً واخرجوهم في حال يرثى لها . وكتب ابراهيم المزبور الى فرحان الداشي بقاعة الراء يقول « استعجل في استحضار عدد كاف ليفتكروا بالبنايلية قاطبة » لكنه تعذر عليه ذلك لفوت الفرصة فوصلوا الى ماردين وفرقتهم الحكومة في القرى ايجصدوا الغلال . وكان الحفظة اذا نهى الحصادون شغلهم تكالبوا عليهم وقتلوهم مجازاة لتعبهم . فقتلوا من قتلوا وانهزم الباقون الى قريتهم ولاذوا بالجبال وما زالوا كذاك حتى انطغأت نيران الحرب

الفصل الخامس والعشرون

مذبحه المنصورية

المنصورية (ص ٥٨) اقرب قرية من بلد ماردين تشمل اربعمائة بيت نصفهم نصارى ونصفهم داشية وهم من السريان المنفصلين والسريان الكاثليكين لكلا الطائفتين كنيسة باسم اسيا الطيب .^١ وصناعة اهلها الحياكة واشتهر من هذه القرية بيلاطس بطريك اليعاقبة † ١٥٩٧ وعبد الغني اخوه.

وكان الداشية اثناء الحرب يحدّون النظر الى جيرانهم ليقعوا بهم وافضت بهم الامة الى ان بلغوا اسماءهم الى الحكومة فقبضوا على كثير منهم وبعثوهم الى ساحات الوغى واضطروا الباقين الى تادية الغرامات الشتى . وما هو اعظم من ذلك كله ان اليعاقبة عينهم افادوا الحكومة عن شبان السريان الكاثليك الذين كانوا يعاقبة سابقاً فجمعت تبعت عنهم وتلحف في طلبهم للتجنّد كما حدث الامر للقس يوسف رزقو المنصوري^١ تلميذ دير الشرفة ببلبان

(١) كان القس يوسف يعقوبي النحلة وانضم الى الكنيسة الكاثليكية منذ نعومة اظفاره فثار عليه اهل وطنه وبلغوا رجال الحكومة فقبضوا عليه وحبسوه يومين كاملين ثم اجتمعوا وقرروا ان يلزم مذهب آباءه حتى يبلغ رشده وبعثوه الى بطريك اليعاقبة عبد الله سطوف في ثمانية جنود فاضطره البطريرك ان يسير الى الزعفران ويزاول الشغل في المطبعة فثار على ذلك سبع سنوات وهو يرسل الروساء الكاثليكين سرّاً فشعر بذلك المطران جرجس وامر وكيل الدير القس بطرس فضربه ضربات شتى حتى كسر اصابعه . وما تأخر صليبا ان فرّ من الزعفران وقصد السيد جبرائيل تبوني . مطران السريان الكاثليك فاوفده الى دير

فاضطر الاب الملاكور ان يغادر ديريه ويظوف اديرة السريان الموارنة حتى انتهت الحرب الطاحنة . وحدث مثل ذلك ارفيقه الحور فسقفس بشاره حداد السرباني فعضده الشيخ يوسف جيش النبيل وكف عنه تغدي الخصوم

وليله الاربعاء ١٦ حزيران ثار الداشية على نصارى المنصورية وقصدوا اولاً بيادرهم ونشموا يطلقون الرصاص ثم انقلبوا الى دار دلي بن خليو كبيرهم وصاروا يصيحون باعلى اصواتهم فانهزم اغلب النصارى الى الكنيسة وازم البقية بيوتهم خائنين

اما جبانو سيراتي فتظاهر باذنه يدافع عنهم وتسلق سطح الكنيسة كأنه يخرج على الداشية اصحابه الدخول اليها . ولكنه ما مر القليل حتى انحدر وفتح الباب على وجه الامانة فكبس الداشية عامة المسيحيين وتعجلوا اليهم بالضرب والرفس والصفع وقتلوا اكثر من اربعين رجلاً وامرأة واحدة ثم اوقدوا المصابيح واستدعوا توما اخا القس عبد الاحد ومجدو موسى وذهبوا بهما الى بيت الاخرس ليستخرجوا المطامير والكنوز فبحثوا بحثاً شديداً ولم يعثروا على شيء . فاحتدموا بسخداً والبسوا ذينك الرجلين ثوبين جديدين وقلبوا عليهما زيت البترول فاحرقوهما . وانزمت اذ ذلك خرمه امرأة عبد الاحد اخرس الى بيت اوصهاني الداشي فتالب الداشية وفتشوها واخذوا منها ثلاثمائة ليرة وقتلوا . وكان زوجها وابنها واقفين على سطح الكنيسة فما سمعا بقتلها حتى الفيا

الشرفة فترا العلوم الكنوتية وحذقها حتى اذا كان ٥ ايار ١٩١٨ ارتسم كاهنا باسم يوسف ويقيم ماردين بشتغل في فلاحه كرم الرب بنبرة ونشاط

بنفسهما الى اسفل وتهورا فتعاورهما الداشية بالسيوف وحزوا راسيهما وقتاورهما ايضاً

واستمرت النساء على سطح الكنيسة وانهمزم الرجال . فتشاغل الداشية بنقل الاموال والامتعة والاثاث الى بيوتهم حتى بقي من الليل ثلثه فبلغ الخبر وكيل المتصرف بماردين فامر الجنود بالمسير الى القرية عاجلاً . واما شارفوها دقوا الابواق فانهمزم الداشية الى بيوتهم في الغنائم والاموال . واما وصل الجنود قالوا للداشية «لانية «الرماد في راسكم علام تركتم منوم بقية . لماذا لم تستاصلوا شافتهم بالارة » و صباح الخميس ١٧ حزيران بادر نصارى القرية باجمعهم الى المدينة وحلوا في كنيسة اليعاقبة نافذين يدهم من اموالهم واملاكهم وظلوا عشرة ايام حائرين . فسار مطرانهم الى المتصرف وساله الافراج عنهم . فاوفد سبعة جند يقولون : هلسوا معنا الى القرية واستحضروا ما تحتاجون اليه . وبذلوا لهم الامان وسرجوا لهم الاحاديث وقالوا انهم يصونونهم في الذهب والاب . فاجمر زهاء سبعين امرأة على الخي . وحملت كل منهن شيئاً مما تبقى في بيتها من الزاد ورجعن . وعند النخزية بادر الداشية واحاطوا بهن واستاقوهن في اثقالهن الى مغارة القيصرية وفتكروا بارواحهن واحرقوا اجسادهن ولم يفلت منهن سوى امراتين احدهما خرساء فرت الى المدينة عريانة على اخر رمى واخبرت بالحادثة

غير ان الحكومة ارادتهم على المضي تكررًا وعاهدتهم بالايان المغلظة انها تحقن دماءهم وتسعى في دفع الخصوم عنهم . فذهب نازية نحو مائة امرأة ومكثن ثم شهرا . وذات ليلة نار الداشية

بهن وساقوهن الى موضع يُعرف بجب القرقوعة على طريق بسانس
 فذبحوهن قاطبة والقوا جثثهن في البئر . واوثقوا ايليا باكاني مع
 كلب واستاقوه على تلك الصورة الى بساتين الزنار يسخرون منه
 ويطعنون عليه وعلى دينه حتى اذا كان الغد عادوا به الى تلك البئر
 وقالوا له اعو نفلتك . فجعل ينجح ويعوي وهم يضحكون وقد
 يبس لسانه من الجوع والعطش ثم قتلوه والقوه في البئر فوق القتيلى
 ومنذ ذلك لم يتجرا احد على الذهاب الى المنصورية . غير ان
 امراتين ذهبتا يوماً واستحضرتا شيئاً من الذهب المطور في بيتيهما ولما
 وصاتا الى الفخرية انقض عايهما الداشية فاخذوا ما استحضرا وقتاوها
 وقتلوا معها صبية وعروهن ولفنوا سراويلهن في اعناقهن وانصرفوا
 ولم يذر الخصوم شيئاً في الكنيسة من الامتعة والاموال . ولما
 جاء المهاجرون الى ماردين سirt الحكومة قسماً منهم الى القرية
 فقاموا الاخشاب واحرقوها وباعوها . وقوضوا المساكن ودكوها
 ولم يعفوا الا على الكنيسة فقط
 واليك اسماء اشهر مشايخ الداشية الذين استباحوا وانتهكوا
 واستجأوا ما حرم الله تعالى : حسين بلالو و خليل وعثمان اخواه .
 ودلي برو خليلو . وحسن اوصماني . والحاج بدرو . والحاج بنيه
 وبيت شيخي . وبيت عجو . وحسي الحاج علي . وخلو مصطفى
 وعلي الجبلي . وفرحو عرفي وغيرهم
 وما زال اهالي المنصورية مستوطنين في ماردين يشتغلون الحياكة
 بنشاط وجد . وقد تحسنت احوالهم وكثرت اموالهم وتوفرت
 بواعث نجاحهم

الفصل السادس والعشرون

مذبة القصور

القصور او الكولية (ص ٥٥) قرية في جنوبي ماردين بيوتها مبنية باللبن ما عدا كنيسة السريان اليعاقبة التي جددوها سنة ١٧٢٧ وكنيسة السريان الكاثليك التي انشأت سنة ١٨٧٢ بمساعي السيد ليون القاصد الرسولي . ولما حضر اليها الالمان عام ١٩١٧ نقلوا حجارة كنيسة الكاثليك وابتنوا بها بيوتاً لشواهم واليك ما جرى لنصارها في هذه الاونة

في ٢ تموز قدم من قل ارمن الى القصور عشائر الملية والدقورية والميرسنية والككية والحلجه والعربانية والمشكينية والسوركية والديركاوية والدنباية وانضم اليهم اكراد جبل عفس والغرس وشيخان وعرب البغاره والخراجه وحرب يتقدمهم الداشية والمشكوية والتفوا بها عند الظهيرة ونشوا يطلقون الرصاص فهلع النصارى جداً وقصدوا الحفظة وكانوا مائة وعشرين وسألوهم ان يكفوهم شرهم فحملوا عليهم وكشفوهم عن القرية

وعند الغروب اوفد الاكراد الى محمد بك المي ويوسف بن نوري البدليسي رئيسي العسكر يستاذنونهما في الهجوم . فامر محمد بك عسكره ان يحيطوا بالقرية ويخرجوا الخروج على النصارى . ولما جن الليل ارسلوا خليل بن بلالو وسعدو بن كاصو وخليلاً عبدالو وجاجان بك العرباني الى محمد بك يقولون مر النصارى ان يدفعوا ثلاثمائة ليرة ذهبية نبتعد عنهم . فقصد محمد ورجاله دار ايليا جبور

كنعوا كبير المريان وصرحوا له بنية العشائر فاستعملهم الى الصباح
فابوا وخرجوا من داره ساخطين

وفي الساعة الثامنة ليلا بوق البوق طبقاً للموامرة فشد العشائر
على القرية فارسا محمد بك الى ايليا يشير عليه ان يمشد النصارى
في بيته فيأتي هو واصحابه ويزحزون الاكراد عنهم . غير ان
الاکراد ما دخلوا القرية حتى انضم اليهم العسكر اخونة وصاروا
يتواثبون في الدور ويترامسون على السطوح ويندججون اخيرا كاسوا
دار ايليا كنعوا وكانت على راسها غاصة بجماهير المسيحيين داخل
وخارجا فانغمس فيهم اولئك الازدال وجعلوا يذبحونهم بعد السيوف
والشفار حتى رويت الارض من الدماء وامست عبارة عن حوض ماء
ثم ارادوا الذين كانوا داخلوا على الخروج فانكروا فصاروا الى
السطح وناجوه حتى خر السقف عليهم فخذفوا زيت البترول واحرقوهم
فانتشرت الروائح وتعجج الجو من الدخان

وبعد هذا راحوا يمحرون جثث القتلى الى الابار ويقطعونها
ويأقرونها بها . واكد لنا الكئيرون ان شيوخ الاكراد ولاسيما الذين
مرحوا لحيتهم ورفسرها كانوا ينتصبون على فم البئر وفي يمينهم
الخبيثة الشفرة او المدية فيقولون البسلة على كل فرد ويندجونه
ويهبطونه الى رضام البئر . وكانت نساءهم الفاجرات يتمجان اليهم
ويقبلن لهم فسبحوا لنا انخضر نحن ابشاً يدنا بسنك دماء اعدائنا
فكانوا ياذنون لمن لنا يبقى بقلبي . وبلغنا ان رجلاً وحشياً من
القوس قبض على عدة اطنال وصعد بهم الى السطح ونشم يقبض على
قدمي واحد فواحد ويحمله كالمقلع ويلقي به الى اسفل ويقول

للطافل اذهب ازرع السخلان وللطذلة اذهبي انظري القنأة وفتك
على هذا المذوال بخمسين طفلاً وطفلة . وهذا غاية التوحش والقسوة
يا ربنا افتح عينك وانظار . لسمع ابها السيد اصغ واصنع .
لا تبطى ، (دانيال ٩) . وأحسني عدد القتلى في دار ايليا كنعم
فقط فكان اكثر من ألفي نسمة . ولم يبق اليوم من نصارى القصور
سوى مائتي نسمة فروا الى تومك فحقن خيلوا صاحبها دماءهم
ودرت لهم الارزاق وصانهم ليدى حتى هددت الثورة فسرحتهم الى
بيوتهم واذا خرا له اسماً صالحاً استوجب اعطار الشكر والثناء .

الفصل السابع والعشرون

مذبحة تل آرمين

عرفت ايها القارى العزيز ان نيران المدوان قدحت زنادها في
قرية تل آرمين ومنها اندرا الحريث والنتشر لان درويش مديرها هو
اول من نثم في الشر . ففيا كتبت تلك المضبطة الشيطانية في
تدمير الارمن واهلاكهم . ومنها أرسلت الكتب الى الولاية وغيرها
في محق النصارى وسحقهم . فيها لفتت الشكاوى على المسيحيين
واستدعي سر كيس الى ديوان ابلانس ايضى المضبطة . في تل آرمين
أعد اعوان هلمان الاجاجي الخشبة ليعانوا عليها مردكابي الامين وسائر
الارمن المسيحيين والكاثليكيين . ولم يقر قرارهم حتى ادركوا
اوطارهم فقلبوا القرية ظهراً لبطن ودمروها وجعلوا عليها سافلها

(١) كتبت المضبطة في محل اسحق الخاوصي ووقع عليها درويش المدير وعبد
الرحمن الفراس ونجم مدير بنك الزراعة ونعمود تبدالر

ولا يفتك ايها الحبيب ان نصارى تل آرمين المنيفين على الستة
الاف نسمة كانوا كاثليكيين قحين يغفلون في دينهم ويتنافسون
في الخلال الحسنة . ولما راوا مطرانهم الشهم وقسانهم النبلاء
وجاعة ماردين قد سيقوا وقتلوا ايقنوا انهم سيصيرون الى ما صاروا
وفي ١١ حزيران سارت اليها شزيمة عسكر من ماردين
واستحضروا القس انطون والقس ميناس والوجهاء وصندوهم وساقوهم
الى شيخان وقتلوهم . وبعد اسبوع اي يوم الجمعة ١٨ حزيران
القوا القبض على عشرة اخرين منهم غزو سيدوب وميخائيل مكبي
وجرجس جدعان وساقوهم الى قلعة ماردين فظالوا ثمانية ايام والخصوم
يتغامزون على قتلهم . لكنهم راوا ان يعيدوهم الى قريتهم
ليتمكنوا بتلك الذريعة من اكتساحهم عن بكرة ابيهم . وما مضى
الاسبوع حتى انتقى المدير منهم سبعين شخصاً وفوض اليهم ان
يقوموا بخدمة الغادي والرائح من الجنود وفي ٢٨ حزيران استاقوهم
الى دار الحكومة . فانهزم بولس بن اوسي القس فاطلقوا عليه
الرصاص وقتلوه . ثم قبضوا على النصارى من السن العاشرة الى
السبعين واستاقوهم الى الكنيسة . واستدعوا رعاة الاغنام فمرحوا
المسالم وأبقوا النصراني واستحوذوا على جميع المواشي والخيول
وجمعوها في محل واحد . واحتشد من بغة اكراد القرى المجاورة
وانضموا الى العسكر ينتظرون اوامر درويش

اما النساء فصرن الى المدير يستفسرن عن الامر فتجاهل وقال
لا خوف عليكم ولا على رجالكن وانجالكن فعادت النسوة الى
بيوتهن خائفات مذعورات . وكان جرجس بن حنا المنصوري لاثداً

بكوخ الدجاج فشر به الجند واستاقوه الى البيعة . اما درويش
 فارسى جماعة من العسكر الى الابراهيمية فقبضوا على ستين من
 اليعاقبة والارمن وعلى ابراهيم السرياني واحضروهم الى كنيسة تل ارمن
 فسالوا القس عن مذهبه فقال سرياني قديم . فبذلوا له كرامة الامان
 وصرقوه وصرقوا معه جماعته وجرس المنصوراتى المذكور ولما
 وصلوا الى الابراهيمية شن عليهم الغارة جميع الاكراد يتقدمهم
 شيخى شهتنا ودرويش المدير واعلوا فيهم البنادق والخناجر حتى
 قتلوهم قاطبة . وحزوا هامة القس ابراهيم وجعلوا يلعبون بها لعبهم
 بجمجمة احقر الحيوانات واستاقوا النساء والاطفال الى تل ارمن
 وحشروهم فى الكنيسة . ثم انتقوا مائة رجل واوثقوهم اربعة
 اربعة ورجموا غزو سيروب قبل الجميع وقتلوه وساروا بالبقية فى
 اول تموز على طريق التصور وفتكروا بهم واعدوا الى الكنيسة
 ومعهم عبدالله جلبي ابن الحاج كرمو فى رجاله وشركانه وطفقوا
 يعرفون المسيحيين والمسيحيات ويقتطفون رؤوسهم ويذبحونهم بالسيف
 والمدى والخناجر حتى تعصرت اراضي الكنيسة وحيطانها بالدماء
 وعند ذلك حزن جرجس المنصوراتى طفله وقصد الموفه لينجو
 به من الضرب والقتل . فاقبل كردي يحاول ضربه فتاوت . فعراه
 من ثيابه وهو صامت وانصرف يظنه قد فاظ اما النصارى الذين لم
 يصبهم الضرب فتكردسوا فوق بعضهم اربعة اربعة وخمسة خمسة
 وعلا ضجيجهم وصرائحهم حتى كادت الكنيسة تتصدع وتتشقق .
 وركب جرجس المذكور خمسة اشخاص الواحد فوق الاخر فظل
 تحت الجميع صامتا ممدودا على الدماء وابنه الى صدره وروحه

تتردد الى حنجرتي . . . وبادرت فتاة الى موضعه فهجم عليها الاندال وعرضوا عليها الاسلام فابت فضربوها وهسي على فيخذه وقتلواها وما انتهى الاوباش من الذبحة وغادروا الكنيسة حتى دخلت ثلاث كرديات وقلن ارجنهن أعطونا السكاكين والخناجر لنخضرن بيدينا . شلت تلك اليد . ويبس ذلك اللسان . . . وجعلن يهجنن الجثث ويضربن من شئن حتى انتهين الى القتل الكرومين فبرق جرجس فقلبنهم وضربن المذكور في فيخذه فلم يتحرك فانصرفن وعند الغروب اقبل الجنود الى الكنيسة وشيظلمهم في جوفهم وقالوا من كان حياً فلينهض ولا يمكث . لان الحكومة امرت ان لا تستغرق المذبحة اكثر من ثلاث ساعات . فنهض اربعة من الجرحى وتبعوهم فخرجوا بهم خارجاً وقتلواهم . اما النساء فذهبوا بهن الى حيث شاءوا . وما اكتفوا بالقتل بل اخرجوا الجثث واحرقوها جميعاً والقوها في البئر . وجمعوا الاطفال والرضعان في ارض البية ودرسوهم كالقمح كاهم وقتلواهم وخلصوا من تعديهم ؟ واستحيوا زهاء سبعين امرأة وفتاة استاقوهن الى ميدان الشكنة وعروهن وركبوا منهن الفواحش علانية دون حياء وتركوهن هكذا اسبوعاً كاملاً حتى انقابت صورتهم ثم شرعوا يقتلون من ارادوا ويسبون من استهوا وكان منصور سجار مريضاً فعمل الاقامة في مخبائه وتردى كالاكراد وقصد البلد فالنى في طريقه قوماً من المسكر الخمسيني فاستفسروه عن اصله وفصله ومقامه فانكر حتى وصل الى بيته

(١) اكد انا غير واحد ان درويش المدير اغتصب خانم بنت يعقوب القدس

حفيد البطريرك بوغوص وركب منها الفاحشة طوان الليل ولما اصبح امر بتلها

فلم يعرفه اهله لتبدل سحنة وجهه ولبث مختفياً الى آب ثم انهزم
الى ستجار

اما جرجس المنصوراتي فظل في الكنيسة ثلاثة ايام صابراً على
احكام الله ثم اخذ عمته وامراة اخيه وجرجس متفوناً وقصدوا
قرية الكولية عراة حفاة . فاستوضحهم الجند عن شأنهم فقالوا :
ان الحكومة رحلتنا من ويران شهر فثار بنا الاكراد وعرونا . ولبث
جرجس واصحابه زماناً في الكولية يستعطون ثم شخصوا الى ماردين
كذا جرت مذبحة تل ارمن وبختامها نخم اخبار المذابح
والفظائع . . فهلا اصاب دعاة الشر والقتلة الظلمة ما اصاب هامان
الحائن فيسكن الغضب وتسرد الطمانينة . قال ميخا النبي (ص ٢)
« ويل للذين يفكرون في الاثم ويخترعون الشر في مضاجعهم ثم في
نور الصباح يصنعونه . . ويشتهون حقولاً فيغتصبونها وبيروتاً فيحوزونها
ويظلمون الرجل وبيته والانسان وميراثه »
وأحصي عدد القتلى في ولاية ديار بكر السرداء فكان ستمائة
وعشرين النأ فقط . ولا ندري هل شبع الظلمة ام لا . واكن لا
يشهد عنهم ما قيل

تنام عينك والمظالم منتبه يدعوك عليك وعين الله لم تنم
وبما من عبد ظلم فشيخس ببصره الى السماء الا قال له الله عز
وعلا : لبيك عبدي حقاً لانصرتك ولو بعد حين

الفصل الثامن والعشرون

شذرات

حدثنا يوسف بولس كعيب قال : قصدت دار بطاني مساء الجمعة ٤ حزيران فاذا بهم يبكون ويصلون وقد حضر فرنسيس احدهم من ديار بكر يقص لهم ما حدث بها من الفظائع . وبعد الغروب بساعتين ودعتهم وما وصلت الى قدام دار جناحي حتى اكتنفتني عشرة جنود من جملتهم ابن قاعو وجعلوا يضربوني وساقوني هكذا الى دير الراهبات الفرنسيسيات واوثقوا قدمي وضربوني اربعمائة ضربة ثم اراقوا علي الماء واستحضر سميد الجرموكي خللاً غسل جراحي وسقاني خمرًا . واطعمني حتى تراجعت قوتي وامر اثنين فحملاني الى بيتي

وصباح الاثنين ٧ حزيران مرت بكنيسة مار يوسف فتكالب علي الجنود تكررًا وطفقوا يضربوني باعواد البندقيات فدفعت لهم وثيقتي فتركوني وزحمت كالسليحفة الى بيتي وما عتم ان انضمت الى العملة رفاقي ثم قصدت دار الاميركان ولبثت بها الى اواسط ايلول فشرع بي الجنود واستاقوني مع ٢٢٧ شخصاً نصرانياً الى قرى ديار بكر لتحصد الاغلال . ولما وصلنا الى ديار بكر اهبطونا الى السجن وعرونا ولم يدعوا علينا سوى ما يسترنا وانزلوا واحداً فواحدًا الى اعماق السجن وأرونا زناجيل ممتليئة من اسنان المسيحيين وآذانهم واصابعهم وانوفهم الخ (هنا ص ٢١٩) فاقشعر جسمنا وملكتنا الرعبة . ثم وزعونا في القرى فسرت انا ورزق الله كروم وفرنسيس

دبس و ابرهيم الكلداني ورجلان اخران الى توله قرية عبد المسيح صباغ وفي اواسط تشرين الاول شاهدنا قريب عشرة الاف نسمة من ارمن طرابزون وما والاها فذبحوهم الاعداء كلهم بشفرة اصحاب التبغ . وارتكبوا المنكرات من الحریم ثم ضحوا بهم وسلتوا امعاءهم طمأ في الذهب . وحضر بعد ذلك قافلة ثانية من موش وكيغبي كانوا اكثر من ست عشرة نسمة ذبحوهم كالسابقين بالسكاكين وواصلنا العمل حتى شهر كانون الاول فساقونا الى خانكه ثم الى ميافرقين فأمر القائم مقام ان يحمل كل منا على ظهره ستين اقة قمحاً الى سعرد فسرنا كالذواب ما بين الثلوج ومات منا في الطريق ستة وعشرون رجلاً . ولما وصلنا الى سعرد لذت وحدي بالهزيمة . حتى وافى الالمان فنزلت واشتغلت مع العملة الى انتهاء الحرب واخبرنا جرجس عبد المسيح حنجر قال : عوات بعد استياق اهلي على الهرب الى سنجار فتلفت بازار النساء وقصدت بيت الحدوب فلمحني فارس بن حمو اليونس عند الجامع الكبير وقبض عليّ واستغاث برفاقه ليسارعوا اليه فالتقت الازار والحذاء وفررت فادركني الجند فقلت قتلي ههنا خير من مجيئي معكم فاقسموا لي بالطلاق الثلاث انهم لا يقتلوني وساروا بي هكذا الى مقام البوليس وعند الليل وافى ممدوح وبدرى وهرون وغيرهم من المسيطرين واستنطقوني والحوا علي ان اعرفهم بكان سعيد اخي فتجاهلتا فطلبوا مني مائة ليرة فوعدتهم فانقلبوا راجعين وعند نصف الليل استخضروا شاباً ارمنياً قتلوه تجاهي والقوه في البئر ولما اصبغوا اطلقوني فدفعت لهم خمساً وعشرين ليرة ووعدتهم بدفع الباقي

وانهمزمت ليلاً ولحقت بالجرا كسة وسرت معهم الى السفح فسنجار .
 اما اخي داود فقدر به المشكوية بعد ما استضافوه زمناً ومضوا به
 الى السجن فمضى فيه شهراً ثم قتل

وروى عبد المسيح سفر السرياني قال : سرت في شباط ١٩١٦
 الى عبد الامام في ثمانية عملة ورايت جثث نساء القافلة الاولى (ص
 ٢٨٣) ثم عدت الى دكوك وشاهدت الجركس منهمكين في
 الفواحش مشتغلين ببيع الذهب والفضة . ومرّ اذ ذاك حلمي بك
 متصرف مارددين الشهم فعرفني واستخبرني عما جرى بمارددين فافدته
 فجماني كتاباً الى السيد جبرائيل تبوني يعرب فيه عن شديد حزنه
 ويعزتي المطران . ثم صرت الى نصيين فابصرت شاباً نحيف البنية
 مكسور الساق يرعى الاعشاب فاستوضحته عن امره فقال : ساقوني
 من اطنه مع الزن نسة حتى وصلنا الى هنا فقتلوا الجميع وضربوني
 رصاصتين وقطعوا ساقبي وجمعوا الجثث وكوموها في هذا البيت
 الكبير (و اشار اليّ به) فدخاته فاذا هو ممتلى من الجثث كله .
 فرثيت لحال الفتى وودعته وسرت الى دير قابه وكنت كلما خطوت
 ورايت جثاً على طريقي دفنتها انا واصحابي

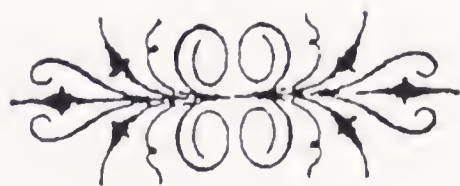
وحدثنا ميخائيل صلبو السرياني قال : كنت اشتغل السروج
 في الخيم عند حلف سنجار حتى صيف ١٩١٦ وشاهدت قوافل شتى
 اقبلت من بلاد ارمينية ببحال يرثى لها طوحهم الاندال في قرى
 الوردية والجدالة وابجرا والبول وعين غزال وباد والعمو وطريق
 البديع الخ . فسرت في ثلاثة من اليزيدية ليلاً الى قرية ام الديبان
 وها منا ١٧ رجلاً و ١٢ طفلاً و ٢٦ امرأة وثلاثة حمير وجنا بهم

الى حمو شرو شيخ سنيجار الكريم فاثني علينا ونشطنا لنتحضر
غيرهم . وذهبت يوماً لزيارة محمد بئر الموصللي فقال لي ابشرك
يا صاح اني خطفت ثلاث نسوة ارمنييات لي ولاخوي وهن من
اجمل النساء . فذهبت النفس تلك الليلة ثم قصدت اصحابي اليزيدية
واحضرت ٢٢ شخصاً وسرنا ليلاً الى محل محمد فاستدعينا واحدة
واحدة وجئنا بالثلاث الى شيخ سنيجار فشكر لنا . وكانت الراحدة
استير قرينة مامور التبغ باطنه وكان اسم الثانية اوسيا والثالثة
خاتون . فانضمت الثلاث الى لفيف المسيحيين ولبن بسنيجار . ووافي
بعد ذلك من الاحسجا اكثر من ثلاثة الاف نسمة يحيط بهم عسكر
دير الزور والشراكسة فاغار عليهم العرب وخطنوا منهم ستة عشر
شخصاً دفعوا بدل كل شخص فرساً شقراء وعشرين ايرة وكان ذلك
بحضوري . واقبل عند ذلك خضر الكسوما ويدها وثيابه مخضبة
بالدماء وقال للجنود « والله اني قتلت اليوم اثنتين وستين امرأة
وسلخت ثلاث نسوة بسيفي وعثرت ببطونهن على اكثر من ثلاثين
ايرة وانتقيت ابنتين جميلتين تقولان انهما من ازمير ومضيت بهما الى
بيتي وليلة دخولي بالواحدة رايت في ضفيرتها حجر الماس وسبع
عشرة ايرة وعلبة فضية فيها اثنتان وسبعون قطعة مئنة صورت فيها
ضروب الحيوانات كالسمكة والعقرب والسبع والفيل والغنم » الخ
ولما ذهبت اليه يوماً اراني ذلك كله واراني ايضاً صليبا ذهبياً
مرصعاً بحجارة كريمة

وحدثنا رزق الله بطرس جرما قال : كنت اشتغل اثناء المذابح

عند الالمان في محطة ابي فجا قرب راس العين وفي اب ١٩١٥ هجم

علي وعلى ستة نصارى بينهم سليم صوفيه عشرون من جنود الترك
والجركس يتقدمهم اصلان بك واخوه وعربان والملا عيدو الزعامي
وما مرنا الا القليل حتى عرونا واستمعجلونا على المسير الى الجرجب
الكبير فاستاذناهم في الشرب فاحضر الملا طساً ملاحا ماء ومزجه
بالتبغ وقال لنا اشربوا منه تاسياً بمسيحكم الذي شرب المرّ على
قولكم . فجرع كل منا جرعة ونحن كذلك اذا بنخيل يستركض
جواده وبيده ورقة تنطق بصدور العنود عنا . فلما اطلع عليها اصلان
خرج على البقية الخاق الضرر بنا . فاعترضوا عليه فقال لهم « اعلموا
يا هولاء اننا لا نضع خطية هولاء في رقبتنا لانهم لم يؤذونا ابداً
فلو تعدوا على حرمنا او قتلوا احداً من عشيرتنا او نهبوا دورنا لحق
لنا ان نشتر منهم . والا فكيف يجوز لنا ان نرتكب هذا الاثم .
والله لولا اوامر الحكومة لا عذبنا وقتلنا النصارى ابداً . فالحكومة
هي المسؤولة عن سفك الدماء اما نحن فمأمورون لا غير » قال هذا
وعاد بالسة الى راس العين فشكروا له واستأنفوا عملهم
والحوادث عندنا في هذا الصدد كثيرة جداً جداً اکتفينا بما
اوردناه منها ليطالع القراء على ما حاق بقية المسيحيين من الاذى
والجفاء



الجزء الخامس

توابع المذابح ولواحق النكبات وخاتمتها

من سنة ١٩١٦ - ١٩١٨



الفصل الاول

سوق المزايدة

او طفت يا هذا في بلاد ما بين النهرين بعد المذابح والسبي
اشاهدت خصوم المسيحيين يبحثون عن حمالين ونقالين ويذهبون
بهم الى البيوت والمخازن والدكاكين ويحملونهم الامتعة والبضائع
الى محل عمومي او الى احدى الكنائس كي يتبايعوا عليها ويكثروا
اثانها على قولهم في صندوق الحكومة الخميص . على انا في هذا
الجزء الاخير لا نقصد البحث الاعما جري في ماردن بعد الفطائع

والمذابح فنقول

بعد ما فتك الاعداء بارواح النصارى وطعنهم البلى بكلكله
 حاولوا الاستيلاء على الاموال والاملاك فعهدوا الامر الى طائفة من
 المنصبين كحجابي افندي ونجم بن امين افندي وعبد الكريم افندي
 يراسهم حسين المفتي ومحمد علي جلبي وصادق بن سري افندي
 فانتقوا جماعة من العسكر النصارى فيهم نعمه بن ياسو السخلة
 اليعقوبي لينقوا البضائع والامتعة والاقمشة والطنافس والافرشة
 والاشباب والاسرة الى ميخزن واحد او الى كنيسة الارمن ودار
 جناجي ليتابعوا عليها فزاوروا العمل بمجد ونشاط قبل حضور المهاجرين
 المسلمين من ارمينية . وكان اذا عثر احد المأمورين على حزمة تلفت
 بها واخذها الى بيته لئلا يشعر به البقية فيغصبوه اياها

وبادى بدء استحلوا دفاتر التجار وسنداتهم وباعوها باسعار
 متهاودة تشاطروها على السكت . ثم شمروا للبيع والشراء اولاً على
 سطح سوق الصياغ وكان الدالون ولاسيما اسمعيل امامهم قد كمشوا
 الاذيال واخذوا ينادون باعلى اصواتهم والسلع بيدهم يتزايد الحضور
 في ثمنها ويدفعون القيمة الى مامور الصندوق من دون ان يتصفحوا
 البضاعة او يقابوها . فاشتروا الكثير باليسير والغالي بالرخيص كتاجر
 استجله السفر فباع امواله جزافاً لئلا تنوته النرمس . وبعد ما باعوا
 وابتاعوا البضائع قصدوا دار جناجي وتبايسوا على ما سبقوا فحشدوا
 بها من الاسلاب . ثم ازدحموا على الكنيستين المشار اليهما وتبايعوا
 على الاواني المقدسة والحلال الثمينة والقناديل والثريات والحوذ
 والصوالة والصلبان الذهبية والفضية وغير ذلك مما تقادم عهده وندر

وجوده وكثير ثمنه . واننا ليعرونا الحزن والاسف معاً لدى وقوفنا على ما افتعله صاغة اليعاقبة الذين كسروا تلك الاواني وباعوها في البلاد بأرباح طيبة تآثروا بها واثروا . ولا ندري كيف طاوعتهم قلوبهم او سمحت لهم ضمائرهم ان يتصرفوا بناخص بيت الله وهم يعلمون انه سحت حرام . اعمرى انهم ماتمومون بردها كلوها الى اصحابها والا فخطيئتهم غير مغفورة طبقاً للنص : لا تغفر الذنوب ما لم يرد المسلوب اما الكتب الارمنية والكتب القديمة فحصلت في يد العطارين ونفعتهم لصر السالع وهلم جرأاً ولما فرغوا من البيع راحوا يفتكرون في مكيدة اخرى يكيدونها ولقمة ثانية يطعمونها

الفصل الثاني

الدفائن والمطامير

نفس بعض النصارى باموالهم وذهبهم فدفنوها بقلب الارض ثلاثاً يستبد بها احد غيرهم . وفاتهم ان الخصور احكم وامر منهم فانهم اصطفوا قوماً يدعون بصناعة الرمل ومعرفة المطامير والكنوز كالقس الياس دولباني وابراهيم المسقوف واسكندر تنورجي السريان اليعاقبة ورفعة ابن الشيخ افندي مختار حي النصارى وكلفوهم ان يطوفوا في سوت التجار ويجفروها وينبشوا ما بها كدار جاندرى وسوسي (جنانجي) ومعمار باشي وعبدالله وكجو وبطاني وتاجر وخوجا الخ فاستخرجوا منها الدفائن وساموها الى اولى الامر فرضخوا لهم شيئاً وصرفوهم

وتفرد بدرى المتصرف بدار اسكندر ادم ونبش ثلاث مطامير

كانت احداها عبارة عن علبة كبيرة ممتلئة من الملاءق والسكاكين والاوراق الفضية . والثانية كانت صندوقة تضمنت حلياً ثمينة من قلائد وسلاسل وشنوف وخواتم واسبور ذهبية مما قلت زنته وكثرت قيمته . وكانت الثالثة عبارة عن طنافس وبضائع وصور وسمن وحبوب وهلم جرا . وما اكتفى بدري بنبش ذلك كله بل غلب على ظنه ان في الدار كنوزاً اخرى فاوفد في استحضار زيزف ابنة اسكندر ادم وقال للجندي قل لها ان امرأة المتصرف تدعوك . فقامت زيزف من فراش الحمى وسارت فاقبلت امرأة بدري في نفر أرنأوطي تقده شرارات السخط من بين عينيه وابتدا يقول : افيدينا عن المخابى ، والا اهلكناك واهلكنا بنتي اخيك اللتين استخلصتهما من الذبح . فخافت زيزف وقالت له . آمني اطلعك على المطامير . ثم قامت وقام معها الأرنأوطي وامرأة بدري الى الحجره العاليه وقالت له افتح الكوة ففتحها فاذا هي خاوية خالية فبهتت المرأة وملكتهما الرعبه . فقال لها الأرنأوطي هل حسبنا سخريه فكتمت عنا الحقيقه اقري بالمطامير والا قتلتك . فقالت له زيزف لعلي سهوت لان الدوار آخذ براسي فامهني لاستريح . ثم نزلوا بها الى مراح الدواب فقالت استدعوا يوسف حاوا لانه يعرف المحل فاستحضروه على العجله فدخل وقال من فوره هذا مكان الطموره وقد نبشت فسخطوا عليه وضربوه ضربات شتى وشدخوا رأسه وكسروا كتفه واخرجوه . ولبثت زيزف وحدها تبكي على ما اصابها وكان ذروها واقفين على الباب ينتظرون النتيجة فاشفتت عليها حرم رئيس المحاسبه وتوسطن في امرها لدى امرأة بدري فقالت لها اذهبي وارجمي الى

في الغد . فخرجت زيزف الى بيتها وبلغت السيد جبرائيل تبوني امرها
 فعالج السناة وانقذها من دهاء عدوها الغدار
 واقتص آثار بدري احمد بك ابن الحاج سليمان اذا معاون القومسير
 فاحتال على حبو الخوجا امراة جرجس حندولـه واختلس منها ١٨
 ليرة واضطرها ان تستخرج من دار ابوها مطمورتين باغت قيمتهما
 نيفاً وستين ايرة . وقس عليه

الفصل الثالث

قدوم المهاجرين وسكنام في دور المسيحيين

بعد ذبح رجال المسيحيين ونسائهم اذاع الخصم انه عما قايل
 يوافي الى ماردين رجال مسلمون بتر الارمن اعضاءهم وقطعوا ارجلهم
 واكتافهم وفتقوا عيونهم وشوهوا جباههم . وستاتي معهم نسوتهم
 وثديهن مسلوخة ووجوههن مخدوشة مسوخة . غير انه لما جاء
 المهاجرون جاوا بافرشتهم وامتعتهم وكانت اكياسهم ممتلئة من
 الاصفر والابيض وصدور نسوتهم ملطوخة بالحلي والجواهر . ولم نر
 واحدا او واحدة منهم على ما وصف الخراصون الكذبة . فاستقبلوا
 بالترحاب وأسكنوا في دور الارمن واثقين من نفوسهم انهم
 استحلوها وامتلكوها بتاتا . فعاشوا فيها عيشا حتى ظهرت عليها علامت
 البلى والدمار وتصدمت حيطانها وتداعت سطوحها ولم تاذن لهم
 اشغالهم المهمة ان يداروها ويتلافوا خرابها . ولما اقبل الشتاء حفروا
 القاعات والباحات وفتشوا عن الكنوز فالقوا شيئا كثيرا التهوا
 به زمانا

ومما يجدر بالذكر ان هولاء المهاجرين كانوا ميالين الى الوسخ
والقذر فكانوا يجمعون الزبل ويكومونه كوماً كوماً لئلا يضيع .
فتأتى من ذلك ان الروائح الخبيثة انتشرت وعمت العدوى فيهم وفي
من جاورهم . وانفضى النفاق ببعضهم الى ان اقتاعوا الاخشاب
وقضبان الحديد وباعوها فعدت الدور العامرة كبيوت قرية دوخها
العدوى وضعضع ابنتها . وما قولنا في الكنف والمراحيض فانهم سودت
وجوههم بعد ان ملأوها فتجروا غيرها داخل الدور حيث يقومون
ويقعدون وياكلون ويشربون . ومحصول الكلام ان دور الارمن في
محلة سورب كورك تداعت وانهدمت وفي غربي الباند تقعوشت
وتقوضت وفي حي الشكية امست كالمزبلة . وما زالت دور
الوجهاء الى يوم كتابة هذه الاسطر تحت قبضتهم . لاننا من حيث
وجودنا في قعر الدنيا قل من يفتكر في امرنا . ذلك يؤكد لنا
ان لا معين ولا محامي لنا البتة سوى الاله الواحد القهار

الفصل الرابع

الوباء

اعلم انه منذ ١٦ شباط ١٩١٦ اخذت الجنود الترك تتوارد
الى ماردين افواجاً فامر اولو الحل والعقد ان تخلى لهم الكنائس والجوامع
والدور الكبيرة فازدادت من ثم النوب السود وتتابعت المتروك من
مرض وجوع وفقر الى غير ذلك من الافات التي جلبتها الحرب
اللاقح على البشرية . لانه من الحرب كما لا يخفى تتلد الوبنة
والمجاعات والفقر وخراب الديار . فصح فينا ما كتبه حزقيال

(ص ٧) « السيف من خارج والوباء والجوع من داخل . فالذي في الصحراء مات بالسيف والذي في المدينة اكله الجوع والوباء » بناء عليه سرت الامراض العضالة كالدمامل والقروح والاخرجة والاورام والحميات الطليقة وشحات الانسان والحيران معاً ولم تعرف الشيخ والشاب ولا الكبير والصغير حتى امتلات المقابر وعجز الاحياء عن الدفن . فكنا اذا حضرنا جنازة متوفى عزيزنا آله وحرصناهم ليشكروا الله لانه تزود وكفن وصلي عليه وشيع ودفن خلافاً لآخوته الذين امسوا في البراري طعمة للوحوش الضواري . وبالتالي اُذنت الاسماع بذكر الموت ولم يعد احد يهابه كاس وما قبل . وبلغ عدد المتوفين من جماعة السريان الكاثوليك فقط خمسمائة نسمة بنيف

• اما رفعة دكتور البلدية فاعب كعبه وقت الوباء وراح يستنبط الادوية لاستحصال الذهب وكان يرسل الى بيت كل ميت قنينة ماء يزرجه بشي من السليمانى ويقبض بدل ذلك قدر ما يريد . والويل لمن لم يكن يتعالج عنده فكان يرافعه الى الحكومة وينجسه المبالغ الوافرة او يامر بحرق فراشه واثاث دارة . من ذلك انه لما توفيت حبة قرينة جرجس . اران خرج عليهم رفعة دفنها ولكنها لما قبض من زوجها خمساً وسبعين ليرة ذهبية سمح عنده الدفن ورخص فيه . وكان قد اقام اللجنة على باب البلد يخرجون دفن من لم يحمل تذكرة جواز مخصصة بنتم رفعة والا استوجب اصحاب المتوفى سخط الدكتور فامر بنهب القبر ليفحص الميت كما افعل ذلك بيوسف سفر السرياني وغيره

الفصل الخامس

الجبانات

تخير اولو الامر مدينة ماردن لشوى العسكر المرضى نظراً
اطيب مناخها ومن ثم فلما وصلنا الى اذار ١٩١٦ احتشد العسكر
في الكنائس والجموع ودير السريان ومقام البرتستان ودور وجهاء
الارمن والسريان الكاثوليك كدار جناجبي وشلمي وكندير ودقماق
وجاندرى وسوسي وفروجي وكجو وبطاني وغيرها فشغلها العسكر
باجمعها. وتأتى من ذلك ان الهواء تبدل وانشب الوباء فيهم مخالفة
الجراحة واصبحت البلدة كلها مستشفيات للعسكر المبتلين بالامراض
والعاهات . وحدثت لسبب فساد المناخ اوبئة جارفة اكتسحت قسماً
من العسكر جسيماً . فاقاموا حفارين في طرفي البلد الشرقي والغربي
للحفر والاحد . وكان رئيس الحفارين حبيب طوراني السرياني .
فكان هو واصحابه يحفرون كل اصبوحة خندقاً طوله خمسون ذراعاً
في عرض ذراعين يدفنون فيه يومياً من الستين الى الاربعين عسكرياً
يحمل الميت نفران على الخشب حتى اذا وصل به الى الجبانة عريا
وعادا بثيابه ليلبسها غيره فيصاب بالعدوى نظيره

وزاول الحنارون شغلهم سنة كاملة حتى ضاقت الارض بالجثث
فامتلات اراضي بنج علي وعين مسافر وجبانة السريان الكاثوليك
وما جاورها ونواحي باب الصور برمتها كأن الله العدل اراد الانتقام
ممن سبب اهدار دم الابرياء . ولما كانت سنة ١٩١٢ قل عدد
الجنود فقلت الوفيات وصارت تتراوح يومياً بين العشرين الى الثلاثين

واحصي عدد الجنود الذين دفنوا في غربي البلد فقط من اذار ١٩١٦ الى ايلول ١٩١٧ فكان خمسة وعشرين الفا ومد تشرين ١٩١٧ الى ايلول ١٩١٨ نحو الفين ٥٠٠ من مات وولد في شرقي البلد ٠ ومات من عسكر الالمان ثمانية لحدوا في مقبرة الارمن ثم نقلت اجسامهم الى راس الميدان ووضعت فوق ارماسهم الصليبان والويل لمن كان يجتاز بشوارع البلد اثناء ذلك فان الجنود كانوا يضطرونه ان يحمل الميت على ظهره الى المقبرة كما حدث الامر لكثيرين من جرائمهم افرام بردعازي السرياني الذي همساقه احد الجنود الى دار جناحي وحمله ميتا ولما شارف كنيسة السريان اليعاقبة وتعب جداً دفع للعسكري خمسة غروش وانصرف ٠ فمر غيره فكلفه العسكري ان يحمل ذلك الميت فاعطاه شيئاً وانهزم واخيراً حمله العسكري عينه الى المقبرة

الفصل السادس

المجاعة

لا يزال دوي الجياع يطرق مسامعنا وهيئتهم الموجهة تتمثل لمخيلتنا فتشير في قلبنا عوامل الحزن والتاسف اذ كنا نراهم يقصدون الابواب ويقرعونها ليلاً ونهاراً طالبين كسرة خبز اسد جوعهم وكانوا يستطيون خبز الشعير والنخالة والبلوط وحب القطن والذرة والكشني بل شاهدنا غير واحد من اولاد الدروب يلتقطون من على المزابل بعض الحبوب فيلتقمونها ويلتظونها ولعمري ان رجال الحكومة كان في وسعهم ان يخففوا عنا

ويلات المجاعة ولكنهم لم يعنهم امرنا بل حشدوا في بيوتهم القمح والطحين وغمضوا عن الفقراء والبائسين . اما النصارى فلشديد رعبهم ما كانوا يتجراون ان يراجعوا الحكومة لثلاث تقضي بهلاكهم كما افعلت بسريان الكمبية (بديار بكر) فانهم وقت المذابح انهزموا الى الولاية ولما ضاقت عليهم بوائث المعيشة راجعوا عبد النور مطرانهم فمرض امرهم على رشيد الخبيث فامر مدير الناحية الشرفية فمضى بهم الى قريرتهم ايشغلهم في الزراعة على زعمه . ودون اسماءهم - انلا يحرم احد من سخائه وكرمه - ولما وصلوا وزع على كل رغبنا . وفي تلك الليلة عينها استاقهم الى ناحية ديركه يقول انه يريهم الاراضي التي يلزم حرثها ولكنهم ما ساروا الا القليل حتى انصب عليهم الجنود وفتكروا بهم واتلفوهم بالفوس والقضبان والسياط والحجار وكانوا خمسمائة واربعة وستين شخصاً . هذا جزاء من سال الحكومة قوتاً

ومما زاد الطين بلة انه بعد مذبحه نصارى القرى قحج المشايخ والوجهاء على المخازن والاهراء وامتصوا خيراتها واقتنصوا ريعها بل بلغت الامة من اصحاب الطامع الاشعية ان استسلموا اصحاب الزروع ذهباً كثيراً واستحصلوا منهم الحبوب وخرنوها في الاهراء ليبيعوها من الالمان اصحاب السكة الحديدية وكان من خيث نيتهم ان يوصلوا اسعارها الى حد يستبطله البشر عامة فيستأثرون من الحياة وتبقى الدنيا بما فيها لهم وحدهم . واكثه تعالت احكامه الغامضة لهم قلوب اقطاب الارض الكرماء فاخذتهم اواصر الشفقة وناذوا بالهدنة والصلح فهبطت الاسعار وحبطت امال التجار وشكر الجميع

للمولى الكريم واثنوا على من انقذهم من الهلكة والدمار

الفصل السابع

ميتم السريان الكاثليك ومستشفاهم

اصبحت كنيسة السريان الكاثليك منذ سنة ١٩١٦ الى ربيع سنة ١٩١٨ كمستشفى وميتم وماوى للغرباء والمعوزين والمجلىين والبائسين فكانوا يقصدونها ويستعطفون رئيسها السخي الكريم ليكفيهم البأسا والبرحاء . ولما راي السيد جبرائيل تبوني ما صار اليه هولاء المنكودو الحظ نهض نهضة اباء الكنيسة الاولين وبذل قصي الوسع في كشف الضيم والظنك عنهم فاستقرض المبالغ الوافرة واشترى الذخائر والمون من قمع وشعير ودخن وبلوط وسعى في نسج الثياب والالبسة فتيسر له بتلك الوسيلة ان يجرتهم من مخالب الموت وما اكتفى الحبر الشهم بذلك بل تعطف على الذين اصبوا باصناف الامراض فاعد لهم الادوية واقام لهم مرضين يبنون بامرهم وفوض الى القس يوسف رباني وكالة الميتم والمستشفى فنهض الاب النشيط وائف جمعية خيرية اشترك فيها زهاء ثلاثائة من المؤمنين كانوا يؤدون له اسعافاً شهرياً فيوزعه الاب على المنكوبين . وكان يقدم في كل احد القداس الالهني في شان المسعفين الاسخياء ليجود الرب عليهم بسوابغ نعمه وبركاته

وساعد الاب يوسف في تلك الاعمال المبرورة حنا جرجور (بشطا) واستنسلاس بردعاني ونعوم حمال فهذا كان يعالج المرضى ولاسيما الذين كانوا شعث الشعور غير الالوان او اصبوا بالصلع

والقرع لقلّة النظافة اما الشبان الاولان فكانا بجولان البيوت يتعهدان
 المرضى والفقراء ويصفان لهم الادوية ويدران عليهم العطاء . وقتلا
 الليالي هما والقس يوسف في سبيل ذلك المشروع الخيري حتى انه
 ليلة سابع شباط ١٩١٨ اذ كان الاب يراجع دفتر الفقراء مع
 استئناس قلب عليه زيت الغاز فاحترقت يداه ووجنتاه وعنقه واذناه
 فعالجه زمناً الدكتور قسطنطين الكريم وشفاه نوءاً بعد ما قاسى
 من الالام اشدها مدة ثلاثة اشهر ثم استجمع قواه وواصل شغله
 اما ساثر الكهنة فكانوا يلقتونهم مبادئ التعليم المسيحي ويهيئون
 الصغار منهم الى المناولة الاولى وصرفوا في ذلك الايام الطويلة
 فجات اتعابهم باشهي الثار . وما اكثر ما كان يتغزى قلب راعي
 الكنيسة واقسته الغير وجمهور المسيحيين اذ كانوا يشاهدون اولئك
 اليتامى والفقراء الارمن والسريان متشحنين بالحلل البيضاء مقبلين نحو
 قدس الاقداس ليتناولوا الحمل الذبيح من يد ممثله ونائبه الغيور
 وكانت تهباً لهم الاطعمة وينزل الخبر وقسانه ويتناولون معهم
 الطعام فكانوا يشكرون ويقولون : اللهم جاز المحسنين وانعم على
 من تعب لاجانا بالاجور الابدية . ولا يسعنا ان نورد في هذا
 المختصر اكثر مما قلنا . وللقارى ان يستتج من ذلك ان مبرات
 الكنيسة المقدسة واعمالها الخيرية تلوح خاصة وقت المعامع والنكبات .
 وحسبنا ان نقول ان السيد جبرائيل انقذ كثيرين من الموت والوباء
 وصرف على المنكوبين اكثر من ثلاثة الاف ليرة ذهبية والفضل في
 ذلك راجع الى السيد البطريك مار اغناطيوس افرام رحمني الجزيل

الفصل الثامن

سفينة تلاطمها الامواج او مآثر السيد ثيوفيلس جبرائيل تبوني

راعي السريان الكاثليك

لم ندرج في مختصرنا حتى الان لآنتفاً يسيرة من مآثر السيد ثيوفيلس جبرائيل تبوني مطران السريان المفضال وقد حان لنا الساعة ان نسرده للقراء خلاصة ما انتابه اثناء النوازل من جسيم الاخطار وما اصطنعه من المبررات . على انه كان يود من كل قلبه لو يسلب كل ماله وللكنيسة في سبيل القطيع الذي استودعه اياه راعي الرعاة بل كان يوثر بذل نفسه جماً خرافه انجازاً للنص الالهي « الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف » ونقول القول الفصل انه تعالى اوفده الى ماردن رحمة ومغوثة للبائسين والمنكوبين

ولد السيد ثيوفيلس في الموصل في ٣ تشرين الاول ١٨٢٩ ورضع افالوين العلوم الدينية في دير الاباء الدومنيكين. وارتسم كاهناً في ٩ تشرين الثاني ١٩٠٢ وعام ١٩٠٨ اصطفاه السيد يوحنا درور القاصد الرسولي كاتباً لاسراره وفي ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ رقااه السيد اغناطيوس افرام رحباني المثلث الطوبى الى الدرجة المطرانية ونصبه وكيلاً عاماً في ماردن . فكان عمره والحالة هذه يوم قصد ماردن اربعة وثلاثين ربيعاً فقط . وأبدى اعمالاً سامية وهمة عالية لم يتصل اليها الا القليلون . وكان الرب يساعده في جميع اموره واليك الحقيقة ذلك لما كان وجهاء الطائفة مسجونين مع الارمن اخوتهم شخص اليه اول دفعة ممدوح واعوانه في ٨ حزيران وطفقوا يطارحونه الاسئلة

في شأن ما له وانعطية بطريركه من المواصلات والعلائق بالحبر الاعظم
رأس الكنيسة الجامعة فقال لهم المطران انا الواصلة مواصلة دينية
والعلاقة علاقة روحية

قال له ممدوح : كيف الامر عندكم في امر السياسة وكيف
ينتخب البطريرك ومن يؤيده

- المطران : لا سياسة في الوسط غير ان الاساقفة بعد اتفاقهم
على انتخاب البطريرك يسترحمون الباب العالي ليستعرفه وينعم عليه
بالفرمان والنوط ولا يخفى ان غبطة بطريركنا حائز اليوم على النوط
الرصع الثمين وهو اول بطريرك فاز به

ممدوح : اني اعرف حتى المعرفة انكم تراجعون فرنسا

- المطران : نراجعها في امر المدارس اضيق ذات يدنا عن القيام
بالنفقات الضرورية للمعلمين والكتب وسائر ما يلزم

ثم استفسروه عن وطنه وآله فاجابهم المطران على ذلك كله
فانصرفوا وظلّ المطران تتقاسمه الهموم وتتلاعب في مخيلته امواج
الافكار كن ينتظر آخر موجة تغرقه [انظر ص ٢٩٥]

ولم يتجرأ ممدوح ان يقبض عليه اذ ذاك لكونه غريب الوطن
فما نظن فراح يستنبط الحيل الايقاع به واستياقه وقتله فارسل اليه
مع احدي النساء غير مرة شيئاً من الالبسة السيد اغناطيوس مالويان
اعله يقبلها او يشتريها فيتسنى له ان يتحامل عليه ويلحقه باولاده
واكنه والحمد لله لم تنجح دسيسته لان الحبر النطن استدرك المسئلة
فلم يأخذ من تلك الالبسة شيئاً البتة . وصباح الجمعة ١١ حزيران
كبس ثانياً الكنيسة شرذمة من الجند فاتحين اعين السوء مادّين

أيدي التمدي للقبض على الخبر النبيل فصعد اليه احدهم واشهر عليه السلاح واستعجله على مغادرة غرفته فاستمهله الخبر هنيهة ليعد اوازمه فزجره الجندي الخبيث وقال له بادر فان فائق افندي المعاون ينتظرك فأنحدر المطران مهرولاً مذعوراً حتى وصل الى باب الكنيسة فلهسه المعاون وقال له ارجع الى حجرتك فرجع وقلبه يخفق . وفي ذلك اليوم عينه استدعى من كتب له عرضاً رفهه الى شفيق بك المتصرف السابق (وكان بعد في ماردين) يلتبس منه ان يخلي سبيل السريان وأوفد العرض مع احدى النساء فلم يأذن لما الاعداء في الدخول فارسبها ثانية فلم يدعها الخصوم ان تتعدى التوتة فعادت مأیوسة . ولم يتيسر للمراعي ان يبعث اذ ذاك رجلاً كفواً بالمصلحة لان الرجال كافة كانوا مختفين خائفين

وثالث دفعة راح ترفيق ياور والي ديار بكر الخبيث يخلتق الحجج الواهية ليصيب الغرض من المطران فبلغه ورقة دس فيها ما وسوس اليه ابليس ورفعها الى شفيق بك يتهدده ويحثه ان ينهي الخبر ويقتله . فاوفد شفيق في طلبه وقال له متبسماً ان عندي اوراقاً ترذن بنفسك وقتلك . لكنني اعرف انها مختلفة كاذبة لا اصل لها . وعربوناً اصدق مودتي انك قد راجعت الوالي واكدت له وثيق امانتك وصدق اخلاصك للدولة . فارجع الى مقرك مطمئناً فشكر له المطران معروفه وعاد الى غرفته

ولما عزل شفيق بك ونصب بدري المحالف القتل حاول غير مرة ان يقبض على المطران ويسوقه . ولما لم يجد فرصة لانجاز الارب استدعاه وقال له جهرة : اعلم اني كنت معولاً على استياقك

ونفيك وانزال العقوبة بك بيد ان مدير التحزيرات وخضر جلبي
رئيس البلدية عارضاني وحاميا عنك . فارجع الى مقرك والزم الحياض
والاخلاص للدولة

وراني اليه ممدوح خامس مرة وشرط عليه . ان يجمع مبلغاً
جسيماً من الذهب من ابناء الطائفة وضرب له ثلاثة ايام مهلة .
فشملته المهوم وبادر الى الكنيسة وانطرح يصلي باخبات ليلهمه الله
ما به الخير والنجاة . ثم اختلى بالاباء الدومنيكين الثلاثة واستشارهم
فقال له رئيسهم الاب بيرة : الاجدر ان تدفعوا المبلغ لانكم بهذه
الذريعة تماطلون الاعداء وتتمكنون من ايصال الخبر الى اولي الامر
لعلهم يبهثون الاوامر ببنجانكم . ولا يخفي انه حين اشتداد
شوكة العدو يجب ان تجعل الاموال ترساً للمدافعة عن الارواح .
فسعى الخبر في جمع المال وارسل رجلاً أميناً الى ممثل جمهورية
اميركا بجلب يطلعه على الاحوال لعله يتدارك الامر ويستحصل
العفو عن تبقئ (هذا ص ٢٨٩)

ويضيق بنا الذرع عن استيعاب المتاعب التي تكلفها هذا الخبر
اجليل في تلك الاثناء المخطرة حتى تمكن من ابلاغ الحوادث على
جليتها الى المقام البطريكي . فانه كتب الى البطريك الغبوط
يطلعه بالرموز والالغاز عما جرى فكتب له نارة ان الحاجة الى
حسنة التمداديس غدت اقل من ذي قبل . مريداً بذلك ان عدد
القسان نقص . وكتب الى غبطته ايضاً ان مسيحيي ماردين مفتقرون
الى ادعية متواصلة ليمنحهم الرب ما منح المسيحيين الاولين من النعم
المتازة . وكتب اليه ايضاً اننا نطالع في هذه الايام الاصحاح

الثاني من انجيل متى : يشير بذلك الى قوله « صوت سمع بالرامة بكاءً وعويل كثير راحيل تبكي على بنيتها وقد ابت ان تتعزى لانهم ليسوا في الوجود »

وكتب رسالة اوفدها الى ممثل اميركا نجلب دون فيها حالة المسيحيين ووجوب المبادرة الى استنقاذهم وبعثها مع رجل دفع له مبلغاً وافراً فاكل المبلغ واضاع الرسالة . ولم يشعر البطريرك المغبوط بما نال جماعته من الاخطار والمذابح الا في ١١ اب ١٩١٥ فاوفد اذ ذاك الى السيد جبرائيل نائبه على لسان البرق ما نصه « دولة قائد الفيلق الرابع العام « جمال باشا » ادن الاستعلام من ولاية دياربكر بلغنا ان جماعتنا هناك مشمولون بحسن انعطاف الحكومة السنية . كذلك وكيلنا بالاستانة تيلنا صورة التوصيات السامية الى اولياء الامور بحق جماعتنا . فواصلوا رفع الادعية بشأن الدولة العلية » واوفد تلغرافين آخرين الى الوالي والى نائبه في ذلك المعنى

واما انشبت المنية اذفارها في والده المرحوم داود تبوني في ٢٩ كانون الثاني ١٩١٧ اقبات شردمة من الجند في اليوم عينه واضطرته ان يخرج من غرفته ليشغلها قائم مقام العسكرية فنقل حالاً الى الطبقة السفلى وظلت الحكومة واضعة عليها اليد حتى غاية الحرب وفي الحق ان الطائفة بل جميع المسيحيين ما اطمانوا الا بعد استحصال تلك الاوامر والفضل كل الفضل في ذلك لغبطة السيد البطريرك

والى هذا الخبر الغيور يرجع الفضل في انقاذ عدد كثير من اولاد الارمن ونسائهم بعد ما صرف لسبب ذلك المبالغ الوافرة وتكبد الاتعاب الجمة . واليك اسماء الذين سعى في فكهم من

الاسر والعبودية

روزا واغانا ويعقوب اولاد غبطو بن اسكند آدم . وابنة انطون
 لكسبو . وحنه قرينة مال الله شقيق السيد اغناطيوس مالويان .
 وناصر بن عبد الكريم سعيد . وفهم بن حنا قزازيان . وبيدروس
 بن كورك جليان وارسله الى ديار بكر عند الاب اوسيب . واغانيف
 قرينة عبد المسيح قاووغ . ومعلمات سعرد الثلاث . وجميله الفتاة
 الرهاوية التي القاها الخصوم من السطح فانكسرت ساقها . وابن وبت
 لاسرة شعيا الكلدانية السمرتية كانا عند احد بكوات الضور ويا
 وافى هذا البيك يلتبس من المطران ان يراجع الدكتور قسطنطين
 صديقه الحميم في مسألة معالجته بشرط عليه المطران ان يبعث له
 الولدين المشار اليهما فانجز البيك الشرط وبعث الولدين الى المطران
 فارسلها الى سعرت . ونضيف الى هولاء امرأة شمعون الازمني
 وكانت في العوين وايليزه وامها وكايمتا من ارض روم . وابناً لشقيق
 الدكتور ارميناك خاخاميان من قونيه . ومنصور طوباجيان الذي
 عمده السيد جبرائيل وتبناه القس يوسف رباني الى ان جاء عمه واخذه
 والخلصة ان هذا الراعي النبيل لم ينتسب عن خرافه ولاسيا عن
 الارمن اثناء النوازل والكوارث بشئ . من الكد والكدح ولم
 يرضن عليهم . بالعوارف والاحسانات قدر ما تمكن . ومن شاء الاطلاع
 مفصلاً على مبرات هذا الراعي الغيور فليطاب الكتاب المزمع ان
 ينشره بالفرنساوية الاب يوسف رباني السرياني المطمع على اعمال سيادته
 اذ كان في تلك الغضون كاتباً لسره ووكيلاً للفقراء والبائسين

الفصل التاسع

الفرنساوي الغريب

نشأت الدولة الفرنسية على الكرم والارمحية وأشربت منذ نعومة اظفارها حليب التعطف على البشرية وأولعت ببذل المبرات المناشئة المسيحية وبثت هذا الروح الطيب في قلب شعبها حتى صار يشار اليها بالبنان في هذا الشأن ويتباهي بفضلها وجودها كل انسان . وقد قيض الله عز شأنه اوثني ماردين اثناء النكبات آباء فرنسيين افاضل امتازوا كدولتهم بحب الخير والمكارم وصرفوا عنايتهم في التوسيع على الملهوفين فباعثقوا جمهوراً صالحاً من السبي والذبح وانقذوهم من المجاعات والابوتة وخذلوا لهم الذكر الطيب على توالي الزمان

ذلك انه في ٢٦ كانون الاول ١٩١٤ شخص من الموصل الى ماردين ثلاثة آباء ذومنكيين اعني الاب دومنيك بييه رئيس الرسالة والاب يعقوب رتوره وكيل القصادة والاب سمعان ياسنت معلم المدرسة وحاوا ضيفاً كرماء عند السيد ثوفيلس جبرائيل تبوني مطران السريان فتوسل الى صديقه حلمي بك المتصرف ان يستحصل لهم الاذن في الكت لديه اثناء الحرب فراجع المصادر العالية وافاز الطران بما تمنى . وكان مع الاباء خادم موصلي اسمه جرجس قبض عليه الجند في ١٢ حزيران وساقوه الى شيخان وفتكروا به (هنا ج ٣ ف ١٢) فتأسف الاباء عليه واضربوا عن مراجعة اديب النائب خيفة ان يهريق عليهم اكواب الغضب والعطب ولزموا غرفهم

وتهياؤا غير مرة للرحيل . غير انه تعالى ابقى عليهم لعمل اسمى
وافضل اعني لمواساة الحزانى وابعالة الفقراء واليتامى واعتاق الاسرى
على انهم لما راوا الاعداء يبيعون اولاد الارمن في الازقة
كالسلع فوضوا الى قوم من المسيحيين ليشتروهم ويحضروهم الى
كنيسة السريان فكان الابهاء يواسونهم ويبالغون في الاعتناء بهم
وصرف المكاره عنهم . ولما ضاقت بهم حجر الكنيسة وزعجهم
في البيوت وانفقوا عليهم ما يازم لكسوتهم وقوتهم مما بلغت قيمته
اكثر من عشرة آلاف فرنك على ما نحن

وطال مكث الابهاء في الدار البطريركية السريانية الى ١٨
تشرين الثاني ١٩١٦ وهم مثابرون على اصطناع المعروف والخير
وزاد الاب بيره على ذلك كله انه نطق الكنيسة الكاثدرائية وزين
مذبحي قلب يسوع وسيدة سالت بنقوش مستبدعة مستظرفة تستلفت
الانظار فرسم حول المذبح الاول جفنة ذات زرجونات فنواء وعناقيد
حمراء وسنابل خضراء تاخذ بمجامع الافئدة . ودبج مذبح العذراء
بضروب الزنبق والبنفسج وانواع الزهور الرائعة تحف بها اخراز
السبحة الوردية على شكل لآلٍ نفيسة غاية في الرونق والبهاء . ثم
بذل الجهد والتعب في هندسة مذبح مار يوسف فاستحضر حجراً
اصفر رسم هيئته بيده ولقن النحات فاشتغل نقوشه الدقيقة الرفيعة
على احسن طرز ودفع قيمة ما صرف عليه الاب يوسف رباني الموصل
فغدا ذلك المذبح نوهة للناظرين ومجلبة لانذهال المرئنين . اما الاب
يعقوب فكان يطوف ما بين اليتامى والبائسين ويبذل لهم النصائح
الابوية ويسري عنهم الغموم . وراح الاب سمعان يلقي الدروس

على التلامذة الذين رجعوا من المدرسة الدومنيكية ويخدم المرضى ويعزي الارمن المذكورين اذ كان متضملاً بالارمنية والتركية معاً
 ومما يجدر بالذكر ان المدارس الاقابرسية في بلاد تركيا أغلقت
 جميعها الا مدرسة السريان الكاثليك بطريركية العروفة بمدرسة الشرفة^١
 في لبنان . فان غبطة السيد اثناطيوس افرام رحماني بطريرك السريان
 الكاثليك نهض نهضة الابطال وجمع اليها شتات التلامذة السريان من
 دير اليسوعيين ببيروت ودير البندكتيين باورشليم ومدرسة مار لويس
 الكبوشية بالقسطنطينية وشملهم بانظاره الابوية وقام باعباء جميع
 حاجاتهم اثناء الحرب كلها وتفضل عليهم من جيبه الخاص بجميع
 ما لزمهم لخروجهم من تلك الازمة سالمين مواصلين دروسهم ودافع
 عنهم بكل طاقتة يوم صمت تركيا ان تخرجهم من ديارهم وتجندهم
 ولاقى لسبب ذلك اتعاباً جزيلة وانفق مبالغ طائلة فتيسر له بعد جسيم
 العناء ان يرقى الى الدرجة الكهنوتية في ٢٤ ايار ١٩١٥ القس ميخائيل
 آجيا الحلبي ورسم في ٧ ايار ١٩١٦ القس يوحنا رحماني والقس بهنام يوحنا
 عزو الموصلين والقس يوسف مجوده البغدادي والقس جرجس
 حمال المارديني والقس بطرس شهله النيكبي . ورقى كذلك في ٥
 ايار ١٩١٨ الى الدرجة الكهنوتية القس يوسف رزق المنصوري ووضع
 اليد في ١٣ نيسان ١٩١٩ على القس اسطفان بنجاش الحلبي والقس افرام

(١) ضارع دير الشرفة في مواصلة الدروس الكهنوتية غير واحد من اديرة
 الروم الكاثليك واديرة السريان الموارنة في جبل لبنان ولاسيما المدرسة الاقابرسية
 للرهبنة المخاصية ومدرسة المرسلين اللبنانيين بدير الكرم بالرغم عن المشتات
 الكثيرة والكلف الوافرة

حنا فرنساوي الموصلي . وبذلك اولى الطائفة السريانية خيراً عظيماً
وعوّض عن اكثر من اربعين كاهناً سريانياً ذبحتهم الاعداء في بلاد
ما بين النهرين

هذا ولما استحصل الابطاء الدومنيكيون الاذن من العاصمة وغادروا
ماردين وصاروا الى حلب أصيب الاب سمعان بالحمى التيفوئيدية فلزم
دار الخراجات مركوبي الايطاليين وضمن الاب بيده والاب يعقوب
الى قونيه في كانون الاول ١٩١٦ وسار معها الاب دانيال الكبوشي
وظال الاب سمعان متزويماً في دار اسرة مركوبي النبيلة حتى ايار
١٩١٨ فاتهمه اعداء الخير تهمة منكرة ونددوا به واخرجوه
من خلوته وزجوه في السجن وبعد ما وقفوا على برارته حكموا
عليه بالسجن سنتين لكونه فرنساوياً نجماً وستري كيفية ذلك في خاتمة
كتابنا هذا

الفصل العاشر

اليتيم الشارد

مكازك ايها الفتى النجيب . مهلاً ايها المسيحي الحبيب . مالي
اراك مجال نكدة موهبة تركبني من بيت الى بيت تتحوج وتستعطي
ما يسد جوعك . ما بال اباسك مرقعاً وثوبك ممزقاً . ما لك تقطع
الطرق حافياً وقد علا الغبار جبهتك وبدل هينتك . اراك مسلوت
الراس مكشوفه . موشخ البدن ضعيفه . يالوح لي من نسيتك ورشاقة
قدك وجمال بلبجتك انك ذو حسب ونسب منتم الى اصل شريف
أثيل وعنصر طيب نبيل . فبحقي عايلك تربث ريثاً اشبع بصري من

روية محياك واشنف اذني بعذب خطابك . اما في ودك ان توردي شيئا عن احوالك وتكاشفني بمضمرات فوادك . وتفيدني عما جرى لك حتى اوصاتك بوائق الايام الى هذا الحال المشؤوم . رحماك لا تخف عني شيئا البتة فاني استعذب معادنتك ولو طالت واحب الوقوف على اخبارك ولو تخللها ما يكرب خاطر ويجري المدامع فهلم هلم اضمك الى صدري وارطب بتفاوضتك لهيب شوقي . . . تعال نجلس ههنا رديحا من الزمان ثم تعود الى مواصلة مهنتك المحزنة المؤثرة !

ما اسمك ايها النبي العزيز - اسمي كذا

ابن من انت - انا ابن فلان من الاسرة النملانية كنت البس البرود واتقلب في خفض عيش فهجم ذات ليلة على دارنا شرذمة من الجنود الاوغاد فاعترانا الفرع واللمع لمنظرهم واستجود على والدي واخوتي واخواتي الخوف والوجل فيجعلنا نصيح وناصح كبنات آوى وذنوح نوح بنات النعام على ما بغتنا

ثم ماذا

فتيح اولئك الاندال الابواب قسرا وانتقروا علينا كالبراة الجارحة وحملقوا فينا الابصار ونشعوا يضربونا ويوثقونا وقالوا انهم مزعمون ان يسوقونا ويرحلونا فحازت امي في امرها وازداد خفقان قلبها وجعلت تسح الدموع السخينة على وجنتيها اللطيفتين ملتسمة منهم ان يشفقوا علينا ويعرجوا عنا فما كان من كبيرهم الا ان انتضى سيف سخطه وقطب وجهه وقال البدار البدار والا ذبحتم كلكم في بيتكم . وكان لي اخ رضيع في المزد أوده شديد الود فاضطروا امي ان تحمل قمطه فطابق بيكي بكاء مرأا اثر في قلبي وتناول من

ساعته ندي امي وجعل يرتغشها بلهوجة وقبض على ساعديها كأنه يريد ان تبقى مستقرة بموضعها فسخط احد اوانك القساء العتاة .
وسفقه على خديه الذخيفتين وانتضى خنجره فخنجر جيده كما تنحر الشاة فتفجر دمه النقي وخصب ثوب امي الكلي المسكينة . فجعلت تندبه باكية قاناة " اي فلذة كبدي وحشاشتي اني غدوتك رضيعاً وفقدتك سريعاً " لقد جرحت قلبي وادميت فوادي . ما ذنبك يا ولدي . . الذنب ذنبي لاني لم اوف امنية الخضم عاجلاً . ارحل اذا الى من صررك في مستودعي فاني اليه استودعك وعليه القمي ثقتي واياهم الصبر الجميل على فقدك راغبا اليه ان يورديني ويوسد اخوتك تشرب كأس المرائز بمدك حباً له ولايمانه

الم يتيسر لوالدك ان يعرضهم ويقدهم عن ارتكاب هذا

الفعل الشنيع المنكر

والدي ! آء والدي المحبوب . تستخبرني عن والدي . . زوالدي العزيز قبل ذلك بأسابيع . . مدودة قبض عليه الجنود الوحوش واستاقوه الى السجن وانزلوا به العذاب ثم استاقوه مع اصحابه الى شيخان وهناك على ما فهمت ناشبوا عليه وجندلوه ثم اعملوا فيه سيوفهم كسائر رفاقه المسيحين . . والمغني عليك يا ابتاه !

وماذا افعل الجنود بكم

اخرجونا من دارنا ولم يذرونا ناخذ شيئاً معنا من الزاد والمتاع ثم اقفلوا الابواب وغلقوها وجعلوا يهمزونا وينخسوننا ويستركضونا الى باب الصور وهناك اعدوا لنا حميراً وجحاشاً دون بردعة فأثرنا المسير على الركوب حتى شافهنا قرية يتقل لها حرين فلم يدعونا نستريح

بل استاقونا الى جهة تل ارمن بعذاب شديد فاستيقنت اذ ذاك والدي بقرب اجلنا فاستدبتنا اليها فاحطنا بها احاطة الهالة بالبدر وجعلت تنصح لنا لتتشدد في ايماننا وتنشطنا لنخوض غمرات الالام كيجمع مخلصنا

ايخطر ببالك شي . من تلك المحادثة الرقيقة اللطيفة كيف لا تخطر ببالي وقد خلفتها في قلبي بمثابة اثن تذكاري واشهى شي ، على قلبي . على ان امي بمفاوضتها تلك ضارعت لوقينة الشهيرة وبنقراتيوس نجلها الورد حسبها افادني معلمي في المدرسة عن فذلكة تلك المخاطبة . فقالت لنا انشدكم ايها الاولاد البررة ان تتذكروا التعاليم التي لقتكم ايها منذ صغركم وتخطروا ببالكتم المبادى ، التي درستوها على معلميكم الافاضل واياكم والجزع او القنوط . . . وبعد ان هيجت في افئدتنا عوامل الحماسة والتجلد على العذابات وضعت يمينها المباركة على هامة واحد فواحد منا فيخررنا امامها وادزينا تلك اليمين من فينا وجعلنا نقبلها ونقول : لا تخشين يا امامنا فانا واثقون بعناية ربنا ان لا يصدر منا الا ما يسر خاطرنا . اننا ناثقون بجامع قلبنا الى توضيحية دمننا كتابينا المحبوب ولا بد لنا من اقتفار آثاره . فكروني مطمئنة البال يا امامنا . ثم اسندنا راسنا الى صدرها وحدقنا الابصار الى ميجياها الوضاح ودهشنا من امارات الحنو والابيه اللائحة عليه

ثم ماذا صنعت والدتك المحبوبة

قالت لنا بصوت متقطع متهدج والدموع ترفض من عينيها النجلاوين وتبلل خديها الحمراروين : اني لا اكم عنكم ان والدم

الكريم جاد بنفسه لدن تهافت الضربات على راسه . فينا جدا لو
اصابنا ما اصابه . فان قصارى منيتي ان تخوضوا المعركة معي وتخرجوا
منها . مظفرين منصورين بعون ربي . ولا تبتأسوا او تتحسروا على
خسارتي ذهبي وحلي التي استلبها الظلمة الغدرة تجاهكم فانتم حلي
وحلي . . . وبعد ان انتهت كلامها الحلو المستعذب اخذت تصلي
على حدة

اني اشعر بشديد تاثرك وكرمك ايها الفتى الحديد الفؤاد السريع
في الاجابة لاني ما كنت استخبرك عن حالك حتى اتسعت في الكلام
وافضت في التعبير من دون ان يتلعم لسانك . والكنك قد جرحت
قلبي والمتني جدا بتاوهك واسفك

كيف لا اتاوه واناسف وقد فقدت ابوي واخوتي وخسرت مالي
وثروتي وحرمت جميع ما كان لابي . وبت لا املك شروي نقير
واضطرت ان اسوح من زقاق الى زقاق واطوف من بيت الى بيت
اكدي لاحصل على بلغة اسد بها جوعي . وزد عليه انه لم يبق لي
قريب أبيت لديه ولا محل التجيء اليه . فلا تمسي علي الامسية حتى
الوذ باخرية دكاكين الارمن ذوي التمساء واسند راسي الى حجارة
لينة طرية حتى اذا بدا ضوء الصبح قمت للاستعطاء والتسول . فهذا
داي مذ رجعت من القافلة حتى هذه الساعة

فاتني ان اسالك عما جرى لوالدتك واخوتك

رحمك ايها الجليل لا تجدد جراحي وتثير في لواعج الكمد
والأسى فان القصة طويلة عريضة افتقر في سردها واستيعابها الى
ساعات ولا يسعني ان اعرب لك عن علاقتها وتفصيلها على جليتها .

غير اني اعتباراً لتمامك اقص عليك شيئاً ولو نزرًا مما حفظته ذاكرتي الضئيلة . ذلك لما غادرت البلد مع امي واخوتي على الصورة التي شرحتها آنفاً ووصلنا الى اول مرحلة وعجنا بها قليلاً اخرجت امي خبزاً من الحقيبة اتطعمنا . فهبهم اولك الظلمة والتفوق فبتنا نشكو الطوى ونستسقي الماء لارواء ظمائنا فلا يسقينا احد . ثم استهدجنا البرية واختصمنا الطريق حتى يمينا قرية تدعى عبد الامام وهناك نالنا علاج الاكراد والخبث لانيح على صورهم المسوخة والدهاء مجشروا في قلوبهم الغايضة . وعقدوا عزائمهم على الفتك بنا قاطبة فنظروا الينا نظرة فهود جموحة ووقعوا فينا صيحة عظيمة حاكت خوار الوحوش الضارية . فارتجت اعضاؤنا وايقنا بحلول الاجل . ثم نشموا ينفذون من افواههم النجسة كل قبيحة وشنيعة وجدفوا على الله تعالى وعلى مسيحه وعلى الدين واسراره . ثم اقبلوا فعمرونا وجرونا وطفقوا يرمونا بالحجارة واستاقونا هكذا طبقاتاً الى حفرة قريبة وثقت اسموا بابليس رأسهم انهم لا يذرون منا احداً . فبقيت انا في جوف القتلى لا ادري اني عالم الاحياء انا ام في عالم الموتى وغند الفجر واني ثلاثة اعلاج وانعمسوا ما بين القتلي كأنهم دواب قاموا على المعلق ينشون فسلتوا الامعاء واستخرجوا منها الذهب وانا الحظهم صامتاً جامداً . ثم واروا الجثث في تلك البالوعة المرعبة - غير اني نسيت ان اذكر لك عن والدتي المحبوبة فان الجنود ضربوها نحو ثلاثين خنجرًا ولمحت شفيتها اذ ذاك تتحركان اذ لم يكن خيط حياتها قطع بعد ثم رايتها ترسم بيمينها علامة الخلاص على جبهتها وبعد هذا فاضت روحها بيد خالقها فبكيتها بكاءً مرًا ثم انشيت

اعزى نفسي بانها صارت لي شفيعة في السماء . اما انا فاشفق عليّ
اولئك الثلاثة كما اشفق عليهم علي من كان مثلي في السن والقدر
واستخرجوني من بين الرفات ومضوا بي الى بيوتهم واطعموني حتى
تراجعت نفسي

ثم ماذا عرض لك

سرت مع اولئك الاوغاد مردداً في فكري ما اصاب والدي
واخوتي مرثياً مع اشعيا النبي " ستفرح البرية وتبتهج البادية . هوذا
الحكم النعمة آتية . مكافأة الله حاجرة (ص ٣٥) ومكثت عند احد
اولئك الثلاثة اخذمه بلبستي حتى اذا تحرم الخريف والشتاء واقبل
ربيع ١٩١٦ وضعت دمي بكفي وخاطرت بحياتي وبرزت من عنده
وانهزمت متقلبا من قرية الى قرية اتقوت بالحبوب والاعشاب البرية
واحتجب عن وجوه الانذال حتى وصلت الى بلدي . وكنت لبسطة
قلبي اظن اني سارى دورنا معمورة وامتعنا باقية ولكنه خاب املي
كما عرفت واخذت رجاي وما عاد لي دار ولا عقار وتركت على انقي
من الراحة واضطرت الى التسول والاستعطاء . وامصيتي وشقائي
فان حالتي جلبت الي منت الناس ونفورهم علاوة على نواثبي الكثيرة .
ليت شعري متى تتصرم هذه الايام النحسة ويمنُّ الرب على شعبه
بالنجاة من المظالم

- كفاك ايها الفتى الحاضر الذهن . حسبك ايها اليتيم الكسير

القلب فقد اسال بكائك مدامعي وافار اشجاني

نهنه دموعك كل حي فان واصبر لقرع نواثب الحدثان

- تريد ان تكلفني ما لا اطيق واحبس نفسي عن البكاء وفي

المثل هو ابكى من يتيم . بناء عليه يجمل بي ان اندب حالي وابكي
حتى تفيض روحي

اذكر ايها الفتى العزيز انه ما من احد تحت الزرقاء . نجا من البلايا
والرزايا فانصح لك مع القائل

هون عليك الامور واعلم ان لها مورداً ومصدر
واصبر اذا ما بايت يوماً فان ما قد سلمت اكثر

ثم اعلم انه لا بد من يوم تنكشف فيه غياهب القدر وتلوح
شموس الحق والعدل فترفع رفيعتك لا الى حكّام الارض بل الى
حاكم الحكام وقاضي القضاة فيسحت كل من بسط الى البري يد
الاثم والتعدي بافطع العذابات ويدهوره الى قعر الدركات ويدفعه
الى راسه ومعلمه ابليس عث اللعنات فيزجر عليه زجرة ابدية ويقبض
على عنقه بمخالبه النارية ويمتص دماؤه القدرة ويقذفه في جوف النيران
الجهنمية فيتقل الى ابد الابد

الفصل الحادي عشر

قدوم انور باشا والامان الى ماردين

وفي ايار ١٩١٦ بلغنا ان انور باشا مزع ان يتفقد البلاد ويتعهد
حالة العباد . فاعد رجال الحكومة المدرسة الاعدادية لحلولة . وصباح
١٤ ايار خرج النصبون والضباط والجنود والوجهاء افواجاً افواجاً
للاستقبال . فاقبل انور باشا راكباً اوتوموبيلاً كبيراً يتبعه اوتوموبيلان
آخران في كل منهما قائدان المانيان فدخلا البلد بكبكرة عظيمة
وما استقروا بالمحل المهيأ لهم حتى توصدوا القلعة وتعهدوها ثم عادوا

الى المحل المعد لهم . وسار الى زيارته بعد الاستئذان مطارئة الكلدان
والسريان واليعاقبة فاستوضح كلاً منهم عن اسمه وملمته وعن الصنائع
الرائجة في البلد فافادوه عن ذلك بالتفصيل غير ان المطران الياس هاوله
قال للباشا ان الكاثليك يساعدهم بابا رومة اما طائفتنا فنقيرة لا
ملاذ لها الا الدولة العلية . فقال الباشا في ظني ان اهالي مذيات منتمون
الى طائفتك وقد تردوا على الدولة فاكتب اليهم وانصح لهم ليودوا
ابا الخضوع والطاعة . قال المطران ذلك منوط برئيس الملة الذي
يسكن اليوم في الموصل . اخيراً ودعهم الباشا الى الباب باكرام
وترحاب .

وما استمر الباشا في ماردن الا ثلاث ساعات ولم يأذن للوجهاء
ان يزوروه وركب هو والامان الى الوصل . ومنذ ذاك صار الامان
يتوافدون لفولجاء افواجاً الى بلاد ما بين النهرين . حتى يشغلوها .
وتفردوا بالسكنى في راس الميدان والفردوس ودار اسكندر ادم
وشلمي وجعلوا مركز البلدية مستشفى لجنودهم وانتقوا طائفة من
العملة ليشتغلوا في طريق السكة حتى اوصلوا الخط الى ماردن في
شباط ١٩١٨

ومعما اصطنع الامان من الخير لعملة الخطريق لم نرهم اسعفوا غامة
المسيحيين وقت المخاطر والشدائد بل غمضوا احياناً عن مساعدة العملة
انفسهم . من ذلك ان عبد المسيح يوني الارمني المارديني الذي قضى
زهرة عمزه في حلب شخص الى العراق في تلك الاثناء ليشتغل في
السكة تحت ادارة الامان فاوفدوا الى ماردن ليشتري كلساً فقبض
عليه وعلى رفيقه نفر من الجند واستاقوهما الى السجن فارسل عمده

المسيح الى ذويه ايسعوا في انقاذه فراجعوا الايمان فوعدوهم خيراً
ولكنهم نكثوا وكذبوا وظال عبد المسيح مسجوناً بخيمة وعشرين
يوماً لا يدافع عنه احد فمضى الجند به وبزوفيقه الى جنوبي الباسد
وقتلوهما كليهما عند الباسيق . وبلغنا ان قزصلاً الانيا مرّ بهرية ماردين
واشترى من الاكراد قوماً من الارمن ودفع لهم ديتهم فسر الارمن
بذلك وشكروا له معروفاً غير ان القبهل ما تأخر ان استودع اوائك
الارمن المظلومين الى الخصوم ليتصرفوا بهم كما يهرون

الفصل الثاني عشر

في الآبار والجبال والبراري والتلال

لو قصدت التطواف في براري بلاد ما بين النهرين وجبالها
وتجسست آبارها وتجوّفت مغاورها لشملتك الرعبه والقشعريرة فخلعت
نعليك من قدميك وقات هذه امشكنة شربت دماء الابرياء ووارت
اصداً المسيحيين من كل صنف وقد . وقد بلغنا ان قوماً من الالمان
جالوا البراري والفيافي للوقوف على حقيقة ذلك ثم تناولوا راجعين
فكنت ترى يا هذا سنة ١٩١٥ و ١٩١٦ رجالاً ونساءً من كل
طبقة يمدودين على الطريق منهم من التي على وجهه والشبس
قد جففت جثته وسودتها ومنهم من بُترت اعضاءه او قطعت هامته
وتراهم جميعاً راقدين رقاداً ابدياً الطنل بجانب امه والاخ عند اخته
والرضيع على ثدي مرضعه

وقد احصى لنا الذين طافوا في تلك الامكنة اكثر من ستين
بئراً ناكزة وخمسين مغارة واسعة ضمت اليها رفات البشر فتحوّلت

الاجان تراباً وانقلبت النظام سواداً . واشهر تلك البئار والمقاور
بئار دارا وحرين والقوس والقصور والابراهيمية والتوراط وخربة
عبيد وتل كبس والعاليه وحفتاله ودير كيه والعراده والجراجب وراس
العين . وشداده ودير الزور وارياف الخابور واقراص وشيخان وزرزوان
وطريق ديار بكر الخ على ان القتلة شلت يدهم لم يسعهم ان يخفروا
القابر للاصداء لئلا تفوتهم الفرص فعوضوا عنها بارماس محفورة منذ
قديم الزمان اعني بالاجباب الناشفة والابار الواسعة العميقة . ومما يجدر
بالذكر انهم بعد ما ذبحوا نصارى ويران شهر في حفتاله استدعوا
اليزيدية من اوانغجي واضطروهم ان يجمعوا الجثث ويلقوها في
المقاور فتأمل

الفصل الثالث عشر

السخرة

لم يكن ممكناً للمسيحيين ان يجولوا في الشوارع بعد المذابح
لان الجنود كانوا واقفين لهم بالمرصاد حتى اذا لمحووا احداً من بعيد
صاحوا به وامسكوه وحملوه الاحمال الثقال . واتفق لاحد الرهبان
اذ كان في السوق ان انقض عليه المسكر وكلفوه ان يحمل خشبة
ضخمة الى دار الحكومة ولما اوصلها اضطروه ان يذهب ويستحضر
غيرها فزاوّل النقل حتى المساء فقال له المأمور اذهب ولا تنس ان
تعود ايضاً في الغد . . .

وصنعوا يوماً ان ينقلوا خلقيناً كبيراً الى الثكنة فكان كلما
مرّ احد بتلك الطريق ولو شيخاً تغضبوا عليه واغتصبوه حمله او

الزموه ان يؤدي لهم شيئاً من الدراهم فجمعوا مائة وثمانين غرشاً وما
اوصلوا الخلقين الى نصف الطريق فاحسب يا هذا كم من المبالغ
جمعوا حتى اوصلوه الى الثكنة

وارادوا يوماً ان يربطوا حزمة ثياب للعسكر فعازتهم اشبار
من الجبل فقصدوا الدكاكين وجمعوا عشرين جبلاً وكلفوا اصحابها
ان يحملوها الى الرئيس . ولك ان تحزر هل كفت تلك الجبال
لربط الحزمة ام لا

وحدث يوماً لبعده الجليل اينغو ان الجنود اطبقوا عليه وصاروا
به الى المستشفى وسخروه ان يحمل الافرشة الوسخة الى مقام البرتستان
فحملها صابراً ولما استقلها اوتح الجندي شيئاً من النقود والقاهها
عنه وانهمز الى بيته وعلى الاطلاق نقول انه لم يفلت احد من السخرة
اما اصحاب البساتين فكان الجنود يترقبونهم حتى اذا وصلوا
الى باب البلد ذهبوا بما استحضروا من الثمار الى بيوتهم ودفعوا لهم
ورقاً بدل الفضة فكانوا ياخذون الورق مصطبرين على القضاء والقدر ؟
واذا اتفق لمثل هولاء ان يجلبوا تبغاً او عنصراً او ملحاً او غير ذلك
مما له دخل في مسائل الانصبا والاعشار راجت هناك اسواق الظامة
ولعب كعبهم فيضطر اصحابها ان يخلوا ما احضروا ويغنوا أنفسهم
والا فيستحوز الغاصب على تلك الاشياء ويلزم صاحبها ان يؤدي
جزاءً نقدياً . وقس على هولاء اصحاب الفحج والخطب فانهم ما
كانوا يصلون الى احد بابي البلد حتى يتغامز عليهم العسكر ويلتقموهم
وياخذون احلامهم وينصرفونهم دون ثمن او يرضخون لهم ورقة فيقبضها
الكردي ويلفها بعمامته ويعود الى قريته مصحماً ان يقطع رجله عن

المجبي؛ ثانياً الى البلد . فتأتى من ذلك ان اسعار الثار والغلات
والقمح والحب ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً وتعبرت بواث المعيشة . ولو
طالت الحرب على هذا النوع لهلك البشر

الفصل الرابع عشر

الاطباء المسكريون

اعلم انه منذ ربيع عام ١٩١٦ ازداد عدد الجنود ونصب لكل
فنية طبيب يتفقدهم يومياً ويعالجهم ولكنه قبل ما كان يفيدهم
الدواء لسوء الإدارة ولعدم النظافة . وقد تعرفنا بعدد صالح من
اولئك الاطباء النصارى كالدكتور قسطنطين العزيز وبتوني وبكريان
وجورج وانجلوس وليونيداس وكراييد وقره كوز وغيرهم فكانوا
ياجمعهم نصارى الا راسهم فكان تركياً . وكانوا يخافونه ويمثلون
اوامره لئلا يسخط عليهم فيطرحهم في القرى وينقص عليهم عيشهم
ولما كان الراتب لا يكفي لعيشة الراس استحدثت تاليف جمعية
من الاطباء انحص المتجندين فاذا وحد احداهم مريضاً حرص عليه
واستنزف منه مبالغاً واعطاء ورقة تؤذن باعفائه الى سنة او بضع اشهر .
وعرفنا من جملة الذين انعم عليهم بتذكرة كذا واخذ منهم اكثر
من عشر ايرات : حنا شلمي وانطون شمعي ونعوم جمال وحنا جرجور
واسكندر جمال وملكبي كاتو . يوسف اسطنبولي والياس كجبي
وابراهيم قيس اسحق وداود منصور وسليم قسطن . ويخطر ببالنا انه
اجتمع يوماً عند راس الاطباء زهاء مائتي رجل ليفحصهم على قوله
فمن كانت تذكرته مرقومة بعلامة منه سرحه ولو لم يكن مريضاً

والا اضطره ان يواصل خدمته . وكان اذا ملا جعبته من الاصفر سارع في معالجة استعفائه وانطلاقه الى بلد اسمن انلا يذيع امره وينكشف سره فيخسر اللعبة ويُعزل . فيأتي غيره ويجدد الامر قبل حلول المدة المعينة من سالفه ايخص المعينين فمن دفع نجا ومن لم يدفع مزقت تذكركه واعيد الى رفقته وقضى النصارى على هذا النوع سنتين حتى غلبت عليهم الشقوة واصفروا

واعلم ان من كانت علة ظاهرة وهو خالي الرفاض كان يقسره الرئيس على التجند مع علمه انه بانضمامه الى الجند يلحق بهم النفور او الضرر او العدوى . من ذلك ان الياس كدا المبتلى بداء الصرع رفع اليه ذات المرار امره فلم يجب الى طلبه بل اضطره ان يساق الى القلعة نارة وطوراً الى المستشفى فائته النوبة فسرجه المأمور الى بيته خلافاً لامر الطبيب وقس عليه

الفصل الخامس عشر

روساء الشعبة العسكرية

لستفرص الفرصة روساء الشعبة العسكرية لخرق الحقوق وابتزاز المال فالقوا شباكهم للقمص واصابوا الغاية واحرزوا ثروة طائلة ولاسيا توفيق بك وعاكف بك وحسيد بك فانهم هم والذين انتموا اليهم اشتطوا وطمطوا ووحشوا بظونهم بالالبانسين والمعوزين فاستنبطوا في سنة الحرب الثالثة اصنافاً سبورها المنافع العمومية ليوسعوا على الجنود فيواصلوا البيع والشراء والاخذ والعتاء . وشملت تلك المنافع صناعة الخياطين والنماجين والخنافرين والتجارين والدباغين والحدادين

على اختلاف طبقاتهم وكان للنصارى في ذلك الامتياز لانه قل من يحترف حرفة يتكسب بها سواهم . غير انه ما كان يتيسر للنصراني ان يفوز بذلك الحظ السعيد ويكتب في خدمة المنافع الا بعد دفع المبالغ لرئيس الشعبة فيسجل الرئيس اسمه وكنيته في الدفتر ويتخوص منه مبلغاً شهرياً ويبعثه الى بيته

ولما ازداد عدد اصحاب المنافع امر الرئيس ان يربط كل منهم على كتفه خرقة حمراء كتبت فيها عبارة « المنافع العمومية » ثم بدلت بعبارة « مدافعة الملة » ثم اخترعوا شكلاً آخر سموه « الخدمة الخفيفة » خصوا به من كان منعرف الزواج نحيف البنية وتقاضوا منه مبلغاً شهرياً . وكان الرئيس اذا اتلف ما جمع فرض على الذين ذكرنا ان يحددوا الوثائق (لانها بليت ورثت) ذلك ليكون الابتزاز متواصلاً والدفع والقبض غير مجذوذ فيضطرون جميعاً ان يدفعوا له شيئاً والا اعارهم طرف التعرز ومد لوثيقتهم يد التعرز ولحظهم شزراً وسرحهم وبعد هذا كان يضيف اوراقهم الى غيرها ويجعل نصيبها الحريق او الضياع

اما رجال دائرة اليركو فاذا عوا ان لا مندوحة لاصحاب الصنائع من تدوين اسمائهم في تلك الدائرة وقسروا كل شخص ان يدفع لهم اكثر من خمسمائة غرش ولربما اتصل المبلغ الى الالف والخمسمائة وكانوا يقولون له انه غدا بتلك الوسيلة معني من تبعات الجندية واثقالها بالمره ولكنهم بعد القبض كانوا يقسرونهم ان يواصلوا العمل . والتزم هولاء ان يحملوا الوثيقة على صدرهم كانها ذخيرة ثمينة لتلا تضيع فيلتموا ان يحددوها بمشقة وكلفة وذهب ونفضة

الفصل السادس عشر

الدياقونيون والفرّون

يعرف كل خير انه منذ اعلان الدستور رفع روساء الملل
النصرانية المعاريض الى العاصمة يطلبون اعفاء الاقليس من التجند
واجابت الدولة الى طلبهم . غير انه ما اعلنت الحرب الشعواء حتى
انتقضت تلك الاوامر وخرقت تلك الحقوق وألغيت الانعامات
وابطلت الامتيازات فغدا الشمامسة خاصة كغيرهم ملتزمين بالتجند
فكان اولو الامر يزمجرون عليهم ويخوفونهم ويقبضون منهم المبالغ
ليؤيدوا رسامتهم ويثبتوها - والا اضطروهم الى التجند بالرغم عن
الاوامر الشاهانية ولو كانوا من اقدم الدياقونيين وأخبرهم . وبعد
ان قبضوا ما قبضوا او فداوا الى الرؤساء ليعينوا لكل كنيسة ومصلي
دياقوناً فاكثرت فكتب الرؤساء الاسماء والاعمار وارساوها فمن دفع
شيئاً صحت رسامته والا حطّ واضيف الى الجند

ولما قل عدد الدياقونيين لسبب القتل او الموت رسم الرؤساء
غيرهم ورفعوا اسماءهم الى حبيب بك رئيس الشعبة فاوفد محمد
افندي الجاويش وشاكراً الخاوصي فراجعا الدفتر ورفعوا الاسماء الى
الراس فأيدهم . ولكنه بعد مضي زمن وجيز اضطر كل شماس دون
الثلاثين ان يلازم العمل في المنافع العمومية . والنتيجة ان الشمامسة
اصبحوا كغيرهم من قرن الحرب الى قدمها

اما الفرّون فكانت مسئلتهم منوطة بالبوليس فكانوا يتندحون
منتشرين في الشوارع فاغرّين الافواه ليستاكلوهم او كانوا يباغتونهم

داخل البيوت فيقمشون ويتلقفون ما يجدون ريثما يشاهدون الفار
 فيقسرونه على المسير معهم او يدفع لهم راتباً شهرياً ليسكتوا عليه
 وما اكثر ما تجنوا على المسيحيين ولاسيما على النساء . على انا نعرض
 عن سرد الحوادث الخسنة ونكتفي بان نقول انهم لم يذروا امرأة
 الا انزلوا بها الضرب حتى تدفع لهم من الصفر او البيض او تقدم
 لهم ما كلاً ملهوجاً وفاكهة حاضرة فينكحون على عقبهم ويوجاون
 نفت سموم الى فرصة اخرى اطيب واحسن . وعلى الاطلاق نقول
 ان البوايس استرسلوا في كل الشرور والفساد حتى انهم لم يتركوا
 باباً للعدو الا فتحوه ولا طريقاً للظلم الا وسعوه ولا قبيحاً الا تشفروا
 فيه ولا سوءاً الا ارتكبوه .

ودخلوا مرة بيت شاب اضناه المرض منذ اشهر فصاحوا به
 صيحة كادت تخلع روحه واضطروا اهله ان يحملوه الى القومسيه
 ولما وصلوا به اليه اضطره ان يلزم احد المستشفيات النظيفة ؟ فتفانم
 مرضه ومات حتف انفه . وكبوا رجلاً ثانياً وارادوه على المسير
 معهم فادى لهم مبلغاً استصغروه واستزادوا فلم يزداهم فاخذوا ما
 اخذوا ومضوا به الى القومسيه فاستبشر به وشمله بنظره حتى استحصل
 منه شيئاً ورده الى بيته معافى . ودخلوا يوماً بيت جرجس خباز
 فبادر جرجس والتف بالحصير فدخلوا وبحثوا عنه زمناً فلم يجدوه
 وقصد احداهم الحصير والتقى به الى الارض فسمع صوت كهوت
 مطرقة الحداد فضحكوا وضربه احداهم ضربة اتبعها برفسة واضطروه
 على المسير الى مقام البوليس . والفوا رجلاً بزي امرأة متوسداً فلم
 يثبتوه فخرجوا وسالوا طفله فقال هوذا ابي في الفراش فانقلبوا

ضاحكين مقهقهين ومضوا به على تلك الصورة الى مقام البوليس .
 ووجدوا غيره ممتنفاً في صندوق فجملوه هكذا . وانصبروا مرة
 على امرأة تغسل الثياب والحوا عليها في تسليم ابنها فافادتهم انه في
 ديار بكر فلم يصدقوها بل اخذوا يعزرونها والقوا قدميها بالثلق
 (العقلة) وعاقوا يضربونها فمر بتلك الطريق رجل نصراني وسمع
 الصياح فشملة الرافة ودخل الى البيت فاكد لهم ان زوجها بديار بكر
 فانصرفوا . والقصاص في هذا المعنى كثيرة نكتني بما اوردناه ليطلع
 القراء على ما افتمل البوليس من الحيف والاءتساف وركوب كل
 منكر وتحليل كل محرم

الفصل السابع عشر

معرفة الجميل

من المقرر ان شكر المحسن قرض واجب والثناء على صاحب
 المعروف والكرم ضربة لازب على انه وجد اثنا النوازل رجال
 نبلاء اشفقوا على المسيحين وافرخوا عنهم واغاثتهم في مصائبهم
 فغدونا ملتزمين ان نؤدي منترض الشكر لاريجيتهم ونسطر على
 صفحات كتابنا اسماهم بلعين بايراد شي من مناقبهم سائلين المولى
 الكريم ان يجزل لهم المثوبة ويصرف عنهم المشقة ويلحظهم بعين
 الرافة والشفقة

واول هولاء المحسنين : حلمي بك متصرف ماردين الذي كان
 من افهم الرجال واذكاهم وكان رحب الذراع مواظباً على الحسنى
 رفيع الهمة رفيقاً بالتوسع على الرعية وكان يحب السيد اغناطيوس

مالويان والسيد جبرائيل تبوني واسر اليهما بمكنونات الاعداء
ومضمراتهم الناسدة . ودافع عن المسيحين جهده . غير ان الوالي
اللثيم ابي الا ان يعزله وينصب بدله اديباً كما ذكرنا ذلك في محله
تعباً لا يام تحط ذوي العلى وتعلي حطيط النفس والقدر والفخر
فالفاضل لا يعرف قدره ما لم يظهر امره ولا يحمده ذكره ما
لم يجرب غيره ففي غياب حلمي بك واقامة خليل اديب لاحت الامانة
والخيانة وظهرت الصداقة والعداوة

ثانيهم : شفيق بك متصرف ماردين فانه بعد ما سيق الرجال
وذبحوا بذل وسعه في تخفيف الريلات على النصارى وحقن دماء
النساء والاطفال ولكن اعداء الخير غلبوه وعزلوه ونصبوا مكانه
بدري التبيح الذكر

ثالثهم : مخلص بك مدير التحريرات الكريم الذي تولى شؤون
البلد في غياب بدري بك وشكري بك وقدرى بك واداف بك
حكام ماردين . خص بدمائة الاخلاق ولين الجانب واتصف بالمعاملة
والمسايرة . وحذر اعوان الشرور مراراً شتى وجنبهم ركوب المنكرات
فلم يتصفوا اليه . وهاصل بعد العناء الجسيم الى كشف بعض الضيم
عنهم والمعاملة عن ذمارهم وساعد السيد جبرائيل تبوني الجليل في
نكباته وخزف الرزايا عنه وعن جماعته

رابعهم : حسن تحسين بك الكركوكي النيل رئيس الجاندرمة
بماردين فانه منذ يمينا نشر على المسيحين سجوف المعاماة وفيأهم باظلال
اللطف والاحسان حتى طابن اسمه سماء فامسن الى الجميع وكان
وفوده علينا وفود الغيث على الارض الظمأى فاصبحنا نلهج بذكر

فضله وعوارفه ونباهى بجاسنه ومبراته . هو الذي عضد السيد
جبرائيل في ملهاته واسعفه في حاجاته ومهد له الصعوبات ودحر عنه
جيوش النكبات . وبواسطته انقذ الخبر الغيور طائفة من المسيحيين
المسيبين فتم فيه ما قيل

صديقي من يقاسمني همومي ويرمي بالعداوة من رماني
ويحفظني اذا ما غبت عنه وارجوه لتأبئة الزمان

خامسهم : فارس جابي بن الحاج عبد الغني الحاج كرمو كان
نازه النفس حريصاً على الخير أبى مشاركة الخصوم وشنع على اهل
السعاية والنسيبة ولكنهم اتخذوا قوله مطراً فلزم داره وقت
مشتعل الفتن وكان كلما قصده ذور النفوذ نصح لهم ليكفروا عن
القسوة والتعدي فلم ينتصروا وكان يقول لهم مع ابي العتاهية
ارحم الناس جميعاً فهم ابنا جنك
ابغ للناس من الـ خير كما تبغي لنفسك

وهو قول مقتضب من نص الانجيل الكريم « كل ما تريدون ان
يفعل الناس بكم فافعلوه انتم بهم » (متى ٧)

سادسهم : خضر جلبي الكومري رئيس البلدية الذي دافع عن
العملة جهده ولم يدع مجالاً للعسكر الخمسيني ان يتعدوا عليهم
ويفتكوا بهم وحامى كذلك عن السيد ثيوفيلس جبرائيل تبوني يوم
حاول بدري المتصرف ان يستاقه (هنا ف ٨ ص ٤٥٩)

ونضيف الى هؤلاء الاجلاء كامل افندي بن سري افندي
واجوته الثلاثة الذين اشتهروا بجهنم للانسانية وتأسلوا اباهم الكريم
وضارعه في شمله . ولكن كاملاً فاق الجميع باخلاصه واحماضه

الود السيد جبرائيل تبوني ولاسيما لما تحامل عليه الخصور وحاولوا قتله كما ستري . وزد عليهم عبد القادر جابي الناشوخ الذي خص التفاته بأسرة كيجو حتى انه يوم انزاعجوها عن الوطن (هنا ج ٣ ف ٢٩) سار معها وانستقذها وراحها الى حلب . واغاث القس يوسف تفنكجني الكاداني في ملته وانقذ الشاب عبد الكريم حنا قره كله من هجمات الخصور وغاثة القتل . ونذكر ايضاً بين هولاء النبلاء صائب افندي مدير الديون العمومية الذي افاد جرجس افندي وعزيز افندي عن موآمرة الاعداء في شان امداد دماء النصارى ثم صرف عنايته في انقاذها وارسالها الى حلب اذ لم يكن يبغي حينئذ في بلاد ما بين النهرين كلها مأمور نصراني غيرها

اخيراً نذكر عبد الرزاق جلبي الدباغ المعروف بابن الويل فانه هو الوحيد الذي قصد مطران السريان الكاثليك وقت اشتباك الملاحم وتمهد انه يذهب معه الى الموصل وينقذه من الفوائل فشكر له الخبر وابان له انه لا يستطيع الى ذلك سبيلاً اذ كان يستصعب مفارقة غنمه وقت هجوم الذئاب عليها . واستقرض منه الخبر المشار اليه مبلغاً من الذهب دون ربح وصرفه في سبيل الفقراء والمعوزين . فما عدا هولاء الذين اوردنا اسماهم لم نر احداً تصدى للمحاربة عن المسيحيين وسعى في درء الخاشي عنهم اللهم الا من لم يكن له نفوذ وكلمة . ونختم الكلام بالدعاء الى المهيمن المنان ان يرضي على هولاء وعلى من حاكاهم ثوب النعم ويبلغهم من الدنيا والاخرة خير الامال ويشملهم باطالة البقاء ويجزل لهم بواعث السرور والهناء ويكافئهم على اتعابهم باوفر الجزاء

الفصل الثامن عشر

خاتمة النكبات

اصبح مسيحيو تركيا ولاسيا بقية الكاثايك في ما بين النهرين سنة ١٩١٨ بين احياء واموات يتوقعون انقلاع جرثومة الافات وانقطاع مدة النكبات وانقشاع سحب المتالف والمخاوف . وكانت تتوارد اذ ذاك البشائر على لسان البرق ان الاب الاقدس ماربندكتس الخامس عشر راس الكنيسة الجامعة مستند الوسع في ذبيح الدول ليضعوا حداً للمذابح ويخمدوا اجيج العارك . وكان قداسته ينهج لهم الطرق التي يجب ان يعولوا عليها الفوز بالامن والراحة . وحرص لتلك الغاية ليف الاقليس الكاثليكي لاقامة الذبيحة الالهية في ٢٩ حزيران ١٩١٨ ودعا الكرادلة والاساقفة والكهنة والرهبان والراهبات الى الكنيسة الوايكانية فأحيوا تلك الليلة ساجدين امام الحمل الذبيح وكان الاب الاقدس يتاو الصلوات بصوت عالٍ يسمعه الجميع وهو يسأل الله تعالى ان ينشر على العالم جناح تعطفه ويسيل للبشر جداول السلام والطهارة

فينا كنا على تلك الحال دهمتنا نكبة اخرى زادت في طين سالف نوابنا بلة وازافت الى طنبرة مخارفنا واطارنا نعمة وحققت لنا ان الضغائن قادمة بعدُ على المسيحيين والعداوات وافرة على ائمة الدين . يزيد بذلك حادثة السيد ثوفيلس جبرائيل تبوني مطران السريان بماردين ورفاقه في السجون والعذابات والمشقات واليك التفصيل :
ركب القطار من حلب الى ماردين سعيد معمارباشي السرياني

وبطرس ابن اخيه وكان بطرس فتى لم يبلغ الاثني عشر ربيعاً زحاته
الحكومة الى حلب في تموز ١٩١٥ مع والدته بنت عبد المسيح
جنانجي واخوته الصغار (هنا ص ٢٨٨) ولما وصل بطرس وعمه الى
الدربيسية قرب ماردين تعرض لهما رجل مهاجر لثيم نفخ ابليس في
اذنه ريح الغدر والخيانة فانتزع من الفتى محفظة دراهمه ودفتره وقلبه
فاذا في احدى صفحاته قد نسخ الفتى بخط يده نتفاً من الاخبار
مما لها علاقة بالحرب والصلح التقطها في حلب من ذويه واصحابه ومن
الاب سيمون الدومنكي المذوي في دار الخواجات مر كوبلي وافتكر
ان يبلغها السيد جبرائيل تبوني مطرانه فكتب لذلك اسمه في راس
الورقة . ولما قراها ذلك المهاجر الخبيث دفعها الى مامور السكة
فأخذها الى جماعة من الموظفين كانوا متوجهين في فيلق يدعى الفيلق
الاسلامي الى بلاد الفرس يرأسهم نوري باشا شقيق انور وتوفيق بك
اركاني حرب مدير القسم السياسي وصادق بك مدير التحريرات وتحسين
معاون القومسيرو. وعلي القوقاسي وثروة وهداية واحمد ومحمد . وكان
فيهم جواسيس يتوكفون الاخبار ويهينون لكل حق باطلاً ولكل
حيي قاتلاً . ولما وقفوا على مضمون تلك الورقة شادوا عليها قصوراً
وصروحاً وعلقوا عليها آمالاً فسيحة فقبضوا على الفتى وعلى عمه وعلى
اربعة من المسلمين الاغنياء وذهبوا بهم الى تل هليف وبلغوا المسئلة
للقومندان فحوّلها الى توفيق بك المذكور وسار هو الى الموصل في طيار
ولما درى توفيق بما عند سعيد من الاصفر والابيض استحكمت
فيه الطماعية منه وحاول ان ياكل الغنيمة لكنه تخوف فاحجم واجل
الاكلة واستدعى سعيداً وبطرس وضربهما وارادهما على كشف

المحجوبات والمضمرات . غير ان شركاء سعيد في الدراهم ناضلوا عنه
ودفعوا مبلغاً وافراً لتوفيق واستخلصوا بقية الفضة وانقلبوا الى بيوتهم
فبقي بطرس وعمه في تاهليف يستدعيها لتوفيق كل اصبوحة وامسية
ويضربها ايترأ بما يريد هراء لا بالحقيقة . ولما ظن الفيلق الى نواحي
الموصل في ٢٥ نيسان وصفا الجو لتوفيق وحده استدعاهما وروءها
وضربها بشدة حتى انتفخت رجلاها ويدهاها وجرت الدماء منها وكان
يقول للفتى اراك متضلماً من السياسة خيرا بالامور فاذهب وافكر
ملياً ثم عد واطلعتني عن استكتبك الورقة والى من قال لك ان
تبلغها فاذا اظهرت لي ذلك كافأتك اعظم مكافأة والا قتلتك شر
قتلة . ولما كل توفيق وملا من معالجة المسئلة بالتهديد والتوريط
والتلميق والوعد استفتح الشيطان ابا الحباثت وراح هو وانخزابه يتلعون
اعناقهم الموقوصة الى مناوأة السيد جبرائيل تبوني اذ كان الى ذلك
العهد مشحولاً بالتعطفات والانظار السامية وجرّد عزيمته على ان يرشقه
بانبل الكيد والدهاء لينصيب منه الغرض . فاختلى ببطرس ودفع له
عشرين ليرة ورقاً وقال له . اني تعديت عليك بعد ما وقفت على
برارتك وهذا مرّحلك الى بيتك غير اني ارجب ان تفعل ما اقول
اك . ثم دفع اليه ورقة بيضاء وقال له اكتب ما القنك او بالحري
ما يوسع الي عدو الانسانية . . وبعد هذا جعل توفيق يملي وبطرس
يكتب ويده مرتجئة وقلبه يحنق : « الى المطران جبرائيل . . بشرى .
الصلاح يتم بعد شهرين . . قيصر المانيا راسه مشدوخ ورجله مجروحة .
ولي عهده مقتول . . ابنه الثاني مجروح . . غوغا . في برلين . فرنسا
منتصرة . . جنود الانكليز وصلوا الى دير الزور وعن قريب يدوخون

الوصول . . . بلغ القس يوسف الكلداني ان حلب اسعارها غالية الخ الخ «
وبعد ان استنسخه الورقة الشيطانية كلفه ان يعرضها على سعيد
عمه ويشاوره ويرد اليه الجواب . فسار بطرس الى خيمة عمه فسبقه
اليها توفيق المكار ليتنصت ولكنه تعذر عليه ان يصيب منها الغاية
فاستدعى اليه بطرس تكراراً وقال له خذ الورقة التي استنسختك
الى جبرائيل مطرانك واطلب منه الجواب عاجلاً وهلم به الي واحذر
ان تفضح الوأمره والا اهلكك واهلكت اهلك وجميع من
ينتمي الى عشيرتك

فاخذ الفتى الورقة والهدية وركب القطار الى ماردين فوصل نصف
الليل الى المحطة والفتى عبدالقادر نازو فاوفد معه نفراً اوصله بسرعة
الى البلد فسار توتاً الى دار سعيد سيدي وافاده عن المسئلة . ولما
اصبح قصد دار منصور جبوري وعرض عليه الورقة واستأشاره فقال
له : است اثبتت بمسئلة كهذه إبدأ . فعاد الفتى الى دار سعيد
سيدي فقصدوا مقام البطريكية السريانية وسار معها حنا جرجور
ودفع بطرس تلك الورقة الى السيد جبرائيل الجليل وصرح له بمجباثة
توفيق وكيده وكشف له ما اسرّ اليه . فتنبه المطران للمكيدة
وزجر بطرس وانتهره واخرجه من غرفته وردّ اليه الورقة وقال له
أعدها لمن اعطاكها . فقصد بطرس بيت عمه وما لبث الا القليل حتى
بغته صالح البوليس واستعجله على المضي معه الى مقام البوليس فاختلى
به القومسيير واستوضحه عما افتعل وعما دار بينه وبين المطران من
الحديث فافاده ان المطران انتهره واخرجه من غرفته ساخطاً . فشدّد
عليه القومسيير واراده علي طلب المطران تكراراً ليكتب الجواب

فلم يصغ اليه بطرس فضربه وامر بحبسه وجعل يستنطقه كل يوم مرتين . وحضر من خلاص بك مدير التحريرات ايضاً واستجوبه فلم يثبت عليه حجة ثم هجم عليه محمد كبوشو ونشم يضربه ويلطمه ويقول له ان اعدل عن ضربك ما لم تدفع لي العشرين ليرة التي اعطاكها توفيق بك فدفعوا له وظل محبوساً

وصباح اول ايار وافى الى مقام البوليس المستنطق ومدعي العموم وجماعة من الموظفين استدعوا بطرس وتهددوه بالذبح واضطروه ان يقصد المطران ريطالبه بالجواب فتضع وقال قتلي خير من ذهابي . فاستاقوه الى دار الحكومة واوفدوا شرذمة من الجند قبضوا على الخبر البري ومضوا به الى مقام البوليس فدائرة الاستنطاق واستجوبوه واستجوبوا بطرس بحضوره فلم يثبتوا عليها كليهما حجة . فسرحوا الفتى والزموا الخبر الجليل ان يبيت ليلته تلك في احدى غرف المامورين فتخلى له صديقه عبد الصمد افندي راس الجاندرمة عن غرفته عربوناً لاختلاصه ومحبته وراح يعالج المصلحة لدى مدعي العموم لعله يطلقه . غير ان المدعي اللئيم أصر على رايه وكتب الاوراق وسيرها الى المجلس المر في بديار بكر عش المفاسد . وادخل في التهمة القس يوسف الكاداني وسعيد سيدي وعبد المسيح سفر ومنصوراً جبوري كنهو وجيه طائفة السريان القديم وامر بحبسهم ثلاثة ايام . اما مدير التحريرات وعبد الصمد افندي وغيرهما من الاصدقاء فانهم افرغوا جلّ الساعي حتى اطلقوهم جميعاً تحت كفالة ريثما ترجع الاوراق من بديار بكر . وخرجوا على المطران الخروج من غرفته . ولا يسعنا ان نورد ما احاق بالراعي اثناء ذلك من الافكار الزعجة والمواجس المقلقة وما تتابع على قلبه .

من الضوم والاكدار ان كان يتوقع اجواب بذهاب الصبر وينتكر
في العاقبة ويقول ان امامي عقبة كوردا لا بد لي من الورد عليها
لاني عارف حق المعرفة ان الاعداء متحذرون علي يبغون لي الفوائل
غير ما سباب

ويوم الخميس ٩ ايار تعجل الى البلد توفيق بك الداهية واوفد
من فوره يطالب بطرس صاحبه فلما رآه توجهه وعطاف عليه عطفة
الحق المتعاطف وقال له تبا لك من كافر خانن بحث بالسر الى الطران
وما تنجزت . امنتك ثم قام اليه واطمه وطارده وقال لا بد من قتلتك
عقبا خباثتك اما بطرس فانهمزم الى حلب بعد ما رشى البوايس .
وليلة وصوله اوفد نهاد باشا في طلبه اليه تحت الليل فالتى القبض
عليه وعلى اخويه الصغيرين واستاقوهم ثلاثتهم الى مقام الضباط
بالعزيرية فاستطلقهم جهال بك ارثاني حرب ثم سرحهم الواحد تلو
الاخر . اكن اخصوم باردن قنادوا في غيهم واصروا على رايهم
فاصطفوا محمدا كبوشو الشهور وبعثوه في اوراق الى حكومة حلب
ليرجع ببطرس الى ماردن . ولما طالعتها القومسير ارسل من قبض على
الفتي وزجه في السجن فظل ١٢ يوماً وشيخ اليه كبوشو واراده
على الرجوع . غير ان فتح الله جرباقه توسط في المصلحة وعرض
الامر على جهال بك فاضطر كبوشو ان ينقلب الى ماردن وحده .
واستدعى جهال بك الاب سيمون الدومنيكي وبطرس وقرأ الورقة
عليها فانكراها فصرف البادري وقال لبطرس يلزمك الحضور الي
متى استدعتك . وصادف كبوشو يوماً الفتى في الطريق فدس اليه
ان يخلط امرة جناحبي وامرة كمنو في حكايته وقال له ان فعلت

ذلك فزت برضى الحكومة واحرزت شرفاً وسيماً
 اما السيد جبرائيل المحبوب فكان يتململ على فراش الاضطراب
 ينتظر الجواب من رضوان بك رئيس المجلس العربي بديار بكر ولبث
 اربعة واربعين يوماً تساوره الافكار وتورقه الهموم حتى ذبلت عيناه
 الكريمتان من الكرب وازدادت بنيتهم النحيقة ضعفاً ووهناً . وكان
 نائب المتصرف مخلص بك واصحابه يترددون اليه ويسألونه

وفي ١٣ حزيران ورده الامر بالشخوص الى حلب المحاكمة
 فغادر ابرشيته انغريزة يوم الاثنين ١٧ حزيران وسافر معه حقي البوايس
 وجميع المشتركين معه في المسئلة كالقس يوسف تفنكجي الكلداني
 وسعيد سيدي وسعيد ميمارباشي وعبد المسيح سحر الا منصور جبوري
 فان بعض ذوي النفوذ ابقوا عليه لاجل غير محدود باجرة معلومة
 ولما وصل الخبر الجليل الى حلب قصد كنيسة السريان الكاثليك
 ليبيت فيها ليلته فلم يذره الوكيل فتنصص المطران واستودع امره الى
 رب الحول والعضد وعاد القهقري مصطبراً على محن الزمان وكوارثه
 وقصد مركز الدرك بالانغريزية وبات تلك الليلة السوداء الحضيض فراشه
 والسقف غطاؤه وظل على تلك الحال ثلاثة ايام

ويوم السبت ٢٢ حزيران استدعي الى الادارة فاستنطقه الرئيس
 فلم يثبت عليه حجة فاعاده الى الحبس وبعد ثلاثة ايام نقلوه الى
 غرفة دنيئة موسخة لاقى فيها ضنكاً شديداً واذى كثيراً ولم يكن
 فيها الا يوزباشيان فقط حبسا فيها جريمة كبرى ارتكباها . وخرجوا
 على خادمه الدخول اليه بتاتاً . وعند ذلك تجهز القس يوسف كاتب
 سره الذي سبقه الى حلب وطبق يراجع اولي النفوذ ويبحث عن

الطرائق الرصاة الى نجاة السجين العزيز كيفما كان الامر فاشار عليه المطران ان يقصد جبل لبنان وينيد السيد البطريرك عن المسئلة ليتلافها سريعاً فبادر الكاهن النشيط وصار الى دير الشرفة والحلف على غبطة السيد البطريرك ان يسارع في انقاذ الراعي من العدو العاتي . فراجع غبطته حالاً قنابي المانيا والنمسا وكتب الى السيد دوجي القاصد الرسولي في العاصمة كي يتدارك الامر لدى الباب العالي ويبدل وسعه في انحاء مطرانه المحبوب . ثم قال القس يوسف اعلم يا ولدي في مستعد ان ابذل كل غال وثمين في سبيل السيد جبرائيل فارجع امسراً الى حلب ومتى وثقت بامر نجاته حول علي بكل ما يقتضي لذلك بشرط ان تنصم المسئلة تماماً . فشكر القس يوسف لغبطته واستجمع قواد وركب الى حلب مسرعاً وظان غبطة السيد البطريرك يرسل اراجع العالية ليفوز بالامل

اما السجين العزيز فكان الخصوم يجاولون ان يجنحوه ويوثقوه ويبعدون عن مكيدة تمكثهم من سحقه واتلافه غير ان الله جات احكامه ابي الا انقاده من دهانهم والهمة الثقة والبسالة وجعله كصرح لا ترحزه اعصار الراجيف ولا تفرزه الاهوال والاختطار بل آتاه الصبر الجميل على احتمال كل مشقة واذى . على ان الاعداء احضروا الى غرفته في ١٠ آب قوماً من الرعاع والسفلة واضطروهم ان يلزموها فلبدت فيها الروايع المستكرهة وعمم الوسخ المسجونين كافة فقمضوا تلك الايام بالمرار والضيقات . ثم راح الخصوم يلنقون الشكاوى على المسجونين مع السيد جبرائيل ليصيبوا منهم الغرض وارسلوا في استحضار منصور جبوري من ماردين واضافوه اليهم

وزجوا معهم في السجن ففتح الله جرباقه وحاولوا ان يجلسوا كل من انتمى اليهم . ولما ايسروا من اثبات حجة عليهم استنزفوا منهم قسماً من المال وسرحوهم في ٢٤ اب فاطلقوا اولاً منصوراً كنعو وفتح الله جرباقه والقس يوسف تفنكجي الكلداني^١

(١) المّت بالقس يوسف المذكور نواب كثيرة جداً اليك خلاصتها : انهزم اولاً الى سنجار في ٥ تشرين الاول ١٩١٥ وخدم ثم جالبه المسيحيين خدمة نصوحاً ولا سيما لما فشّت فيهم العدوى حتى انه حمل غير واحد من المتوفين وذهب بهم ولحدهم . وفي ١٤ تشرين الاول ١٩١٦ عاد الى ماردين فأحسّ به الاعداء وادعوا انه جاسوس لفرنسا بعثته ابتجس الاخبار ويراسها في شؤون الارمن ويوتقها على سرائر تركيا واعمالها الخفية . ولما كان ١٩ كانون الثاني ١٩١٧ كبس بيته مصطفى معاون القومسيبر وكبشو وحقي البوليسان وساروا به الى قدري بك المتصرف . فاستفسره عن اصله ووطنه واستوضحه عن مدرسته وعمّ اذا صار الى سنجار فاجابه على ذلك كله فأمر بانزاله الى السجن . فنهض عليه نوري البدليسي وضربه ضربات شتى حتى وتمت اظفاره عن اصابع رجله . وفي ١٤ اذار ١٩١٧ سُيّر الى ديار بكر فاستكشبه مصطفى نوري رئيس المجلس العربي عن حاله ثلاث عشرة دفعة وارسل اوراقه الى مصطفى كمال باشا قومندان الفيلق الثاني . وظل الاب المسكين في حبس ديار بكر ينزل به اصحاب المروّة اعني التوبة الوان العذاب كتنف الشعر وبلف الاظفار وحلق الراس دَع الضرب والجلد والرفس واللطم . وطالت في مساكن الظلمة اقامته لا يجد ذريعة للتخلص من نفيته حتى ١٦ حزيران فوافي أمر اعدامه فسار اليه الملاً وعرض عليه الاسلام فسخر من كلامه وقال له : موتي في سبيل ايماني خير من حياتي مسلماً . ثم ميّز الحكم بمساعدة رضوان بك والمطران سليمان واستحصل نسخه في ١٥ آب . وفي ١١ تشرين الثاني رافعه ايضاً وبرروه فعاد الى ماردين في ٢٧ شباط ١٩١٨ خائر القوى ضعيف البنية لكثرة ما ساموه من سوء العذاب وجرعوه من المرائر ثم صار له ما صار كما ترى في المتن . وعلى من شاء الوقوف على تفاصيل اخباره ان يراجع الكتاب المزمع ان ينشره بالفرنسية تحت عنوان

واستمر المطران الجليل في تلك الغرفة القذرة في عيش نكد .
 أكله متزور وسهره متواصل وقلبه مجروح لا رافد ولا مساعد له
 الا رب السماء . وكان البراب لا جزاه الله خيراً يتهدده بالضرب
 والتنكيل وسفك الدم حتى انه ثار عليه ثأره يوم الثلاثاء ٢٧ اب
 فانتقى سيفه ليضحي بالحبر البري فوعده المطران بهدية ثمينة صرفته
 عن خبيث نيته . غير ان المخاوف تواترت والهجوم ازدادت والاطار
 تفاقمت . واذاع الخصوم في حلب انهم مزعمون ان يجربوا اسماء
 السريان الكاثليك ونشمووا في الامر فكان ذلك ضغطاً على ابالة
 وشملت المخاوف جميع افراد الطائفة

ويوم الخميس ٥ ايلول استاقوا المطران الى جبل سمعان في ١٥
 زهرانياً وحشروهم في مغارة ضيقة كادوا يُختنقون فألهم الله احد
 الجند الشفقة فأذن لهم في الخروج رداً من الزمان لاستنشاق الهواء
 ثم اهبطهم الى المغارة . وفي ٧ ايلول استدعوا الحبر النبيل الى الادارة
 العرفية واستاقوه الى المجلس العام حيث راي جملة من كهنة الارمن
 ووجهانهم

ويوم الاربعاء ١٨ ايلول غدا الحبر طريح الفراش يمضه الالم والوجع
 داخل السجن فاستصرف الله المكاره والمضايق وسأله القوة والشجاعة
 واقر يذنبه عند احد الكهنة المسجونين وتبياً للرحيل الى دار البقاء .
 غير ان المولى الكريم من عليه بالعافية وظل كذلك حتى ٢٩ ايلول
 فطلبه المجلس العرفي واستجوبه شكري بك الرئيس وعمر فخري
 بك رئيس التحقيقات وادعوا ان الدولة الانكليزية نصبتة اماماً
 الجوابيس باردين وكلفته ان يطلعها على حركات الاتراك ويهرب

اسراها . فما سمع المطران تلك التهم حتى اعتراه الدهول والعجب
فانكرها بتاتاً وقال : كنت اظن اني لغير هذا السبب أحضرت .
على اني اقول بصراحة : كيف يتيسر لي وانا مقيم في جبل ماردين
المنفرد ان ارسل الانكليز . بل كيف يمكنني ان اهرب اسراهم .
اما ترون انتم ان هذه الشكاية ملفقة زوربة ؟

اخيراً لما كان صباح تشرين الاول لاذ الخبر بشفاعة سلطنة
الوردية ونذر ان يكرس لها ابرشيته ويذيع عبادتها بكل مكنته
وفي اليوم عينه استدعوه واستدعوا الاب سيمون وسعيداً سيدي وسعيداً
معمارباشي والفتي واستنطقوهم تجاه بعضهم بعض فحكوا بتبرئة
المطران مما قرره به توفيق بك جرثومة النمنة وقضوا على الاب سيمون ان
يلزم السجن سنتين بعد ما تحققت عندهم برارته . واخيراً قالوا لبطرس
امض اليوم الى بيتك وومتي بلغت الرشد حكمتنا عليك بالسجن ثلاث
سنوات . فقال بطرس « الله كريم . من الان الى ثلاث سنوات
من يعرف ماذا يصير »

على ان غبطة السيد البطريرك والسيد دولجي القاصد الرسولي
أبديا في مسئلة المطران جبرائيل غيرة وشهامة وتكبدا اتعاباً وافرة
استوجبها افضل الجزاء من الرب المنان وخلدا لها اجمل الذكر في
كل قلب ولسان . وبعد ان خرج السيد جبرائيل من سجنه قصد
الكنيسة شاكرراً للرب وظل في البطر كخانة حتى ١٦ تشرين الاول
فعول على الرجوع الى ابرشيته فتوسل اليه الحلبيون ان يكث عنهم
فأبى وغادرهم في ١٧ تشرين الاول ومساء الغد وصل الى ماردين
فخرج المسيحيون لملاقاته مسرورين شاكرين المولى الذي صانه من

أنعواثل في ذهابه وعذابه وسجنه واياه . وفي الحق ان هذا الخبر النبيل شوهد وقت المعامع والشدائد ثباتاً وقوراً وحين ورود المكاره والنواب جاداً صبوراً . وفي ايار ١٩١٩ ورده الامر من غبطة السيد البطيريك ان يصير الى حاب عاهدأ اليه في غيابه النيابة العامة على الطائفة . لا برح مقيماً في كنف ستره تعالى متقلباً في فضله مرموقاً بعين تعطفه مشمولاً بتوفيقاته في جميع المشاريع الخيرية

النصل التاسع عشر

آئمة حوادث الحرب

وبيئنا كان الاتراك واصحابهم يضحكون الى الدنيا والدنيا تضحك اليهم وقد عقدوا الامال على النصر النهائي اذا بجيوش الحلفاء قد اقبلوا الى سواحل البحر المتوسط فذوخوا الثغور ودخلوا فلسطين والشام وملكوا بغداد والارسل وهزموا الالمان اقبح هزيمة ودخلوا الى حلب في ٢٦ تشرين الاول وواصلوا السير حتى تل ابيض . فاضطرت تركيا ان تطلب الهدنة فتوقفت حينئذ جيوش الحلفاء وظل الاتراك يشغلون بقية بلاد ما بين النهرين الى يومنا

وشخص الى ماردين في ١٦ كانون الثاني ١٩١٩ مفتش انكليزي صار توتاً الى مركز النقطة العسكرية فانتهره البواب وخرج عليه الدخول فعاد المفتش الى مقام المرسلين الامير كمين ولاء بلغ ذلك خضر جلبي رئيس البلدية بادر اليه مستعذراً وذهب به الى داره . وفي الغد كتب المفتش اعلاناً اشار ان يوضع في المقامات الروسية ليجرى به وجهه . وكانت خلاصته التحذير من التعدي وخرق الحقوق والقتل كأمس

وما قبل . وما عرّال المفتش على ركوب القطار ثبّطه الضباط وازعجوا
خاطره فلم يكثرث لتهديدهم فركب الى حلب . ومذ ذاك جعل
الانتشون الانكليز يمتلفون الى هذه البلاد بغية ان تسود الطمانينة
والسلامة

ووصل الى ماردين في ١١ تشرين الاول ١٩١٩ السيد بيدروس
قوينيان مطران الارمن الكاثليك بصفة زائر عام ليلىم شعث الطائفة
العزيزة ويرّمهم ما تهدّم ويصلح ما تقوّض واقام الاب اندراوس
احمراني مدبرا للابرشية المحبوبة ريثما تصطليح الاحوال ويملك الامن
والسلام

الى هنا ما امكنا ان نسطره اليوم ملتسين من المولى الكريم
ان يجعل تعبنا آثلا لمجده وانتصار امنا الكنيسة الكاثليكية عروسه
المحبوبة آمين



صفحة	فصل	صفحة	فصل
	الجزء الثاني		الجزء الاول
	نكبات الحرب العامة		حوادث ما بين النهرين الفابرة
٦٧	١ اعلان الحرب	١	١ ماردين
٧٠	٢ تركياً والحرب	٣	٢ النصرانية
	٣ احتجاج على المانيا	٤	٣ الحوادث السياسية
٧٢	والنمسا	٥	٤ العرب
٧٧	٤ اعتداء الاتراك	٧	٥ المسلمون
٨٢	٥ ماردين والحرب	١٠	٦ الدولة الارتقية
٨٥	٦ بداءة الحرب		٧ الامارة القرقوينية
٨٨	٧ الحرب الى ٢٠ اب	١٢	والايقونية
٩٣	٨ الى ٣١ آب	١٣	٨ الدولة العثمانية
٩٦	٩ الى ١٥ ايلول	١٦	٩ مساوى ولاية دياربكر
١٠١	١٠ الى ٣٠ ايلول	١٧	١٠ الدولة الارمنية
١٠٤	١١ في تشرين ا	٢٢	١١ الكنيسة الارمنية
١٠٧	١٢ الى ١٥ تشرين ٢	٣١	١٢ السريانية
١١١	١٣ الى آخر	٣٤	١٣ الكلدانية
١١٤	١٤ في كانون ا	٣٦	١٤ المرساون اللاتينيون
١١٨	١٥ ليلة راس السنة	٣٩	١٥ المرساون البرتستان
١٢١	١٦ الحرب في كانون ٢		١٦ نكبات سنة ١٨٩٥
١٢٥	١٧ في شباط	٤٢	المعروفة بالثورة
١٢٧	١٨ في اذار		

صفحة	فصل	صفحة	فصل
٢١٢	استشهاد ٩٩ مسيحياً	١٣٠	١٩ الحرب في نيسان
٢١٥	القافلة الثانية في ديار بكر	١٤	٢٠ نبوءة السيد اغناطيوس
	عودة القافلة وفصل	١٥	١٣٤ مالويان
٢٢٠	الارمن	١٣٩	٢١ بدء الدسائس والمذابح
	تفاصيل عذابات بعض	١٦	الجزء الثالث
٢٢٦	المسيحيين		الخبوس والمذابح والسبي وسائر الفظائع
	عذابات الارمن وسوقهم	١٧	١ جرائم الشر
٢٣٧	وقتهم	١٥٧	٢ الغاء الامتيازات
٢٤١	ذكر الذين قتلوا	١٥٩	٣ صفات اعداء الانسانية
	الى فرنسا - نكبات	١٩	٤ القبض على مطران الارمن
	الراهبات الفرنسيات	١٦١	والكهننة والجماعة
٢٤٤	وقتل الاب ليونزد	١٧٢	٥ محاكمة مطران الارمن
٢٥٢	اغلاق الكنائس	٢٠	٦ ذهاب النساء الى
	الارمن الجاحدون	٢١	السجن
٢٥٥	ايانهم	١٨٤	٧ سوق القافلة الاولى
٢٥٩	المآدب	٢٢	٨ وقفة على سطح دير مار
	قدوم القوافل من	٢٣	افرام
٢٦١	ارمينيه	١٨٦	٩ مذبحه القافلة الاولى
٢٦٧	مصرع انطون معمارباشي	٢٤	١٠ تلفيات القتلة
٢٧١	قوافل ديار بكر	٢٥	١١ صلوات المسيحيين
	انقضاض البزاة على	٢٦	ونذورهم
٢٧٤	العداري المحصنات	٢٠٧	١٢ القافلة الثانية

صفحة	فصل	صفحة	فصل
٣٥٩	مذبحة راس العين	٢٧٨	٢٧ قافلة النساء الاولى
	= دير الزور	٧	٢٨ مذبحة نسوة القافلة
٣٦٤	والشداداء	٢٨٣	الاولى
٣٦٩	تواريوخ سنجار	٨	٢٩ تتبع سوق النساء
٣٧٢	جالية المسيحيين بسنجار	٩	٣٠ رهبان السريان
٣٧٨	تتمة حوادث سنجار	١٠	الافراميون
٣٨٣	مذبحة الجزيرة	١١	٣١ الرهبان في السجن
٣٨٦	= سمعت	١٢	٣٢ تتبع سوق النساء
٣٩٠	= كربولان	١٣	٣٣ قوافل شهر ايلول
	= دير العمر ودير	١٤	٣٤ العملة النصارى
٣٩٢	الصليب وباسبرينا	٣١٧	٣٥ غزم المسيحيات
٣٩٥	مذبحة مذياب وصلاح	١٥	٣٦ سفك دماء الابرياء
	= الدكتور نعمان	١٦	٣٧ الوان العذابات
٤٠١	قره كاه وقرينته	٣٢٤	٣٨ حالة بقية النصارى
٤٠٥	حصار عينورن	١٧	٣٩ المراتي الوطنية
٤٠٩	مذبحة كفر جوزه وباته	١٨	الجزء الرابع
	= قلت وحصن	١٩	مذابح بلاد ما بين النهرين
٤١١	كيفا	٣٣٢	١ نظر عمومي
٤١٣	= الصور	٢٠	٢ مذبحة اورفا
٤١٥	= نضيبين وداوا	٢١	٣ = دياربكر
٤٢٠	حوادث دير الزعفران	٢٢	٤ = ديركه
٤٢٢	مذبحة قلعة المرأة	٢٣	٥ = ويران شهر

صفحة	فصل	صفحة	فصل
٤٥٥	ميتم السريان	٧	معصرنا وبافاوا
	مآثر مطران السريان	٨	٤٢٤ وبنا بيل
٤٥٧	الكاثليك	٤٢٩	٢٥ = المنهوزية
٤٦٣	الفرنساوي الغريب	٩	٤٣٣ = القصور
٤٦٦	اليتيم الشارد	١٠	٤٣٥ = تل آرمين
٤٧٣	قدوم انرر باشا والالمان	١١	٤٤٠ شذرات
	الآبار والجبالي والبراري	١٢	
٤٧٥	وانتلال		الجزء الخامس
٤٧٦	السخره	١٣	توابع المذابح وانواع النكبات وخاتمها
٤٧٨	الاطباء العسكريون	١٤	
٤٧٩	روساء الشعبة العسكرية	١٥	٤٤٥ سوق المزايدة
٤٨١	الدياقونيون والفارون	١٦	٤٤٧ الدفائن والمطامير
٤٨٣	معرفة الجميل	١٧	٤٤٩ قدوم المهاجرين
٤٨٧	خاتمة النكبات	١٨	٤٥٠ الوباء
٤٩٨	تتمه حوادث الحرب	١٩	٤٥٢ الجبانات
		٤٥٣	٦ المجاعة



اصلاح غلط

وقع اغلاط طفيفة عدلنا عن اصلاحها لانتباه القارئ اليها
واكتفينا بالاشارة الى بعضها : ص ١٤ س ٢ خاضعت بدل خاضعة .
وص ٢٨ س ١١ دعقا - دعقا ، وص ٣٣ س ١١ ودير - وديراً
وص ٣٨ س ١١ منها - منها وص ٤١ س ١١ يستطيعوا - يستطيعا
وص ٧٢ س ١ واستبداها - واستبداها وص ٨٨ س ١٣ ثلاثين -
ثلاثون وص ١١٨ س ١٥ ويلشطوهم - وينشطوهم وص ١٣٩ س ١٣
عشر - والعشرون وص ٢٠٣ س ١٣ ينزع - ينزع وص ٢٣٨ س ١٨
محالى - مخابنى ، وص ٢٧٣ س ٧ وفضوحهن - وفضوحهن وص ٢٧٧
كناتي - كنانتي وص ٢٧٩ س ٩ التجهل - التجهلون وص ٣٠٧ س
١٥ ايلول - آب وص ٣٦٧ س ١٦ امه - امأ وص ٤٥٧ س ٤
مختصرنا . . لا - مختصرنا . . الأ وص ٤٨٣ س ٦ زوجها - ابنها
ووردت بعض المرار الايادي بدل الايدي ومختار بدل مختار . . .

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب سنة الف وتسعمائة وتسع عشرة
واعيد طبعه على الاوفيت سنة الف وتسعمائة واحدى وسبعين

سلسلة كنوز التراث المسيحي

- 1 - مجموعة العظات، للقديس يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية (ت 407 م)، ترجمة الأب جرجس عيسى الباسيلي الشويري والشيخ ناصيف اليازجي.
- 2 - مجموعة المقالات للقديس يوحنا فم الذهب، ترجمة البطريرك الإنطاكي أثناسيوس. تحقيق ناشد سركييس.
- 3 - الاستعداد للموت وفيه عقائد المسيحية في الحياة بعد الموت لمعلم الكنيسة القديس ألفونسوس دي ليكوري (ت 1787)، تقديم الأب بطرس فرماج اليسوعي.
- 4 - روضة الواعظ، في أسرار الكنيسة وعقائدها وتصوّفها لمعلم الكنيسة القديس ألفونسوس دي ليكوري. ترجمة الأب أنطون آصاف.



مكتبة توما الأكويني معلّم معلّمي الكنيسة

- 1 - مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، للقديس توما الأكويني وهو تفنيد ونقد لنظريات الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وعلماء الكلام على ضوء الفلسفة المسيحية. ترجمة وتعليق المطران نعمة الله أبي كرم.
- 2 - الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الأكويني، وهو موسوعة شاملة في الفلسفة والعقائد والفرق المسيحية، ترجمة المطران بولس عواد. 5 أجزاء.
- 3 - توما الأكويني وأثره عبر العصور، بحوث في سيرته وفلسفته الإلهية والاجتماعية، تحقيق وترجمة وتأليف د. لويس صليبا.
- 4 - هكذا علّم توما الأكويني، مدخل إلى مؤلفاته ويليهِ كتابي الأنبياء الكذبة والوجود والماهية ونصوص أخرى، دراسة وترجمة د. لويس صليبا.
- 5 - توما الأكويني والإسلام، بحوث في مصادره الإسلامية وردوده على الفلاسفة، دراسة وتحقيق د. لويس صليبا.
- 6 - فلسفة مسيحية في أرض الإسلام: التوماوية فلاسفتها ودورها في الحوار المسيحي الإسلامي، للدكتور لويس صليبا.
- 7 - رسالة في الردّ على المسلمين للقديس توما الأكويني، دراسة وتحقيق د. لويس صليبا.
- 8 - قاموس الفلسفة المسيحية، التوماوية مصادرها وفلاسفتها، للدكتور لويس صليبا.



سلسلة الموارد تاريخ وتراث

- 1 - منارة الأقداس (1 - 2) للبطريك أسطفان الدويهي، تحقيق رشيد الخوري الشرتوني. 1350 ص
- 2 - البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة للمطران يوسف دريان 206 ص
- 3 - أصل الموارنة واستقلالهم بجبل لبنان من قديم الزمان إلى الآن للمطران يوسف دريان، تقديم يوسف السودا. 316 ص
- 4 - حقيقة أمر الطائفة المارونية، بحث نقدي تاريخي في أصلها واسمها وديانتها وأحوالها للمطران يوسف دريان. 365 ص
- 5 - كتاب الحمامة عن الموارنة وقديسيهم، تأليف القس إفرام الديراني. 550 ص
- 6 - الكوكب السيار، سيرة البطريك الياس الحويك ورحلاته إلى اسطنبول وباريس للموسينيور بطرس حبيقة والقس أوغوسطين البستاني. 535 ص
- 7 - شربل رفيقنا الصامت، حكاية قداسة عنوانها الصمت. د. لويس صليبا، تصدير الأب جوزف قزّي. 240 ص
- 8 - تاريخ الطائفة المارونية للبطريك أسطفان الدويهي، تحقيق رشيد الخوري الشرتوني. 400 ص



دار ومكتبة بيليوج

جبيل - لبنان

موسوعة تاريخ الموارنة

- 1 - موسوعة تاريخ الموارنة: تاريخ الكنيسة الإنطاكية المارونية من أقدم العصور إلى اليوم للخوري ميخائيل غبرئيل الشبّابي. 864 ص، \$20
- 2 - سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للبطريك اسطفان الدويهي، تحقيق وتعليق رشيد الخوري الشرتوني. 300 ص، \$9
- 3 - تاريخ أساقفة الموارنة من القرن السادس عشر حتى العشرين لـ يوسف خطار غانم. 390 ص، \$10
- 4 - شهداء الموارنة، مستندات تاريخية بشأنهم، سيرة واستشهاد البطريك حجولا وآخرين نشرها البطريك أنطون عريضة. 155 ص، \$6
- 5 - اليد المارونية في ارتداد الكنائس الشرقية للأب بطرس روفائيل مع ملحق عن علاقة الموارنة بالكنائس الشرقية. 225 ص، \$8
- 6 - تاريخ الموارنة في مصر (1745 - 1927) للقس بطرس خويري.



دار ومكتبة بيبليون

جبيل - لبنان

سلسلة المسيحية والإسلام بين الجدل والحوار

- 1 - هم... ونحن، دراسة مقارنة بين المسيحية وسائر المذاهب والديانات للأب جبرائيل كليجا. 400 ص
- 2 - كتاب الدعامة، محاورات حول المسيحية والأديان والمذاهب الأخرى نشره الأب جرجس دير أروتين الكاثوليكي. 400 ص
- 3 - الباكورة الشهية في الروايات الدينية، مناظرة وحوار بين علماء مسيحيين ومسلمين. 168 ص
- 4 - الأزاهير المضمومة في الدين والحكومة للشيخ أمين خيرالله صليبا، وتسبقه دراسة للدكتور لويس صليبا: مفكر مسيحي طالب بالإسلام ديناً للدولة. 640 ص
- 5 - مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، للقديس توما الأكويني وهو تنفيذ ونقد لنظريات الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وعلماء الكلام على ضوء الفلسفة المسيحية. ترجمة وتعليق المطران نعمة الله أبي كرم. 560 ص
- 6 - موجز عن الإسلام، تأليف الأب يواكيم مبارك، تقديم الشيخ صبحي الصالح. 143 ص
- 7 - الرد على سير الأوزاعي: سيرة المسلمين في معاملة أهل الذمة والحرب والمرتدين لصاحب أبي حنيفة الأمام أبي يوسف بن إبراهيم الأنصاري تحقيق أبو الوفا الأفغاني. 145 ص
- 8 - توما الأكويني وردوده على فلاسفة الإسلام، بحوث في مآثره وآثاره وتأثيره، دراسة وتحقيق د. لويس صليبا. 630 ص



سلسلة أديان ... وكتب مقدّسة

صدر منها

- 1 - الكيتا كتاب الهندوسية المقدّس. ترجمة ودراسة د. ماكن لال شودري.
155 ص
- 2 - أقدم كتاب في العالم: ريك قيدا، دراسة، ترجمة وتعليقات بقلم د. لويس صليبا.
590 ص
- 3 - كتاب الأقدس، كتاب البهائية المقدّس مع مدخل إلى الدين البهائي تاريخه وعقائده.
260 ص
- 4 - مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله نزلت بعد كتاب الأقدس ويليها ردّ على تحذير جبهة العلماء.
270 ص
- 5 - كتّب البابية المقدّسة، فهرسها ونشرها وقدم لها المستشرق إدورد براون.
270 ص
- 6 - ديانة السيخ بين الإسلام والهندوسية: تاريخها عقائدها، صراعها مع الإسلام وأبرز نصوصها المقدّسة. د. لويس صليبا.
- 7 - الدهمآبادا: كتاب البوذية المقدّس. ترجمة سحبان مروّة. 220 ص
- 8 - التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري إسحق الصوري، دراسة وتقديم سحبان مروّة. 360 ص

يصدر لاحقاً:

- التوراة السامرية.

- كنزا رباً.



دار ومكتبة بيليون

جبيل - لبنان

سلسلة الصمت في التصوّف والأديان المقارنة

يصدرها ويشرف عليها د. لويس صليباً

صدر منها

- 1 - مقامات الصمت والمدن المقدّسة، ويليه ملحق في الصمت واليوغا
تقديم المستشرق البروفسور بيير لوري.
- 2 - الصمت في الهندوسية واليوغا: تعاليمه واختباراته في الفيدا وسير
الحكماء المعاصرين.
- 3 - الصمت في اليهودية: تقاليد في التوراة والتلمود وعند الحسيديم.
وإيليا نبي الإصغاء إلى الصمت، قدّم له أ. إميل عقيقي.
- 4 - الصمت في المسيحية: مفهومه الإنجيلي واختباراته في كنائس
المشرق والغرب، تقديم الأب د. جوزف قرّي.
- 5 - شربل رفيقنا الصامت: حكاية قداسة لبنانية عنوانها الصمت، قدّم
له الأب د. جوزف قرّي.

يصدر لاحقاً

- 6 - الصمت في الإسلام: آدابه في سير الرسول وآل بيته والصوفيّة.
- 7 - الصمت في البوذية.
- 8 - التأمل واليوغا.



دار ومكتبة بيليون

جبيل - لبنان

كتب للدكتور لويس صليبا

صدرت عن دار ومكتبة بيليون

I في الدراسات الإسلامية

- 1 - بحث في جذور النظرة الذكورية إلى المرأة في الثقافة الإسلامية، دراسة وتحقيق لكتاب بستان الراغبين لمحمد مصطفى العدوي. طبعة ثالثة. (ط3)، 250 ص
- 2 - النساطرة والإسلام: جدلية علاقة منذ ما قبل البعثة إلى ما بعد سقوط العباسيين/دراسة وتقديم لكتاب المجدل للاستبصار والجدل. ط2، 420 ص
- 3 - من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام/جمع، ترجمة، وتقديم لدراسات للمستشرق البروفسور بير لوري. ط3، 315 ص
- 4 - مفكر مسيحي طالب بالإسلام ديناً للدولة/دراسة وتحقيق لكتاب الأزاهير المضمومة في الدين والحكومة لأمين خيرالله صليبا. 640 ص
- 5 - صدام الأديان والمذاهب في لبنان: شهادة من الماضي عبرة للآتي، دراسة وتحقيق وملاحق لكتاب مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، لميخائيل مشاققة. ط2، 721 ص
- 6 - معراج محمد/المخطوطة الأندلسية الضائعة: ترجمة لنصّها اللاتيني مع دراسة وتعليقات وبحث في جذور النظرة الغربية إلى الإسلام، تقديم سحبان مروة. ط2، 370 ص
- 7 - المعراج في الوجدان الشعبي: دراسة لأثره في نشأة الفرق والفنون والأسفار المنحولة في الإسلام. ط2، 340 ص
- 8 - المعراج من منظور الأديان المقارنة، دراسة لمصادره السابقة للإسلام ولأبحاث المستشرقين فيه، تقديم د. جوزف قزي. ط2، 422 ص
- 9 - الاغتراب اللبناني ملحمة أم مأساة، دراسة وتذييل لكتاب تاريخ المهاجرة اللبنانية مع دراسة لأوضاع المسيحيين في الولايات العثمانية. 433 ص
- 10 - كتاب قتل كاتبه، دراسة، تعليق وتحقيق لـ تنقيح الأبحاث للملث الثلاث لابن كمّونة الإسرائيلي، (ت 683 هـ)، تقديم سحبان مروة. ط2، 590 ص
- 11 - الرغبة المبتسرة: أبحاث ومحاولات في المحرّم. تقديم ماجدة داغر. 260 ص
- 12 - دراسة للأثر اليهودي في الحديث النبوي والتفسير، مدخل نقدي وتنقيح وترجمة كتاب كعب الأخبار لإسرائيل ولفنسون. 284 ص
- 13 - توما الأكويني وردوده على فلاسفة الإسلام: التوماوية في أرض الإسلام ودورها في الحوار المسيحي - الإسلامي.

II - في الدراسات الهندية والثيوية

- 14- L'Hindouisme et son influence sur la pensée musulmane selon Al-Bîrûnî (m1048), Paris, 1995, 2^{ème} édition, 2009, 250 p.
- 15 - الأيورفيدا والطب العربي: دراسة في الطب الهندي وأثره في الإسلام. مع تحقيق لمقالة من جوامع كتب الهند للطبري. ط3. 350 ص
- 16 - أقدم كتاب في العالم : ريك فيدا، دراسة، ترجمة وتعليقات. ط3. 590 ص
- 17 - موسوعة الأيورفيدا(الطب الهندي): دراسة علمية، ودليل عملي للتداوي، وحفظ العافية. ط2. 770 ص
- 18 - ديانة السيخ بين الهندوسية والإسلام: تاريخها، عقائدها، صراعها مع الإسلام مع نصوص من كتابها المقدس. ط2. 320 ص
- 19 - الصمت في الهندوسية واليوغا، تعاليمه واختباراته في الفيدا وسير الحكماء المعاصرين. ط2. 300 ص

III - في التصوف

- 20 - إشارات، شطحات ... وريحيل: أناشيد ومختارات صوفية مع أبرز شطحات الحلاج والبسطامي ولوحات لعدد منها، ودراسة لظاهرة الشطح في التصوف، بقلم المستشرق بيير لوري. ط2. 180 ص
- 21 - مرآة القلب: حكايات وأغنيات عاشق. ومحاولات في العشق الصوفي، مع مختارات من الأتهارفاثيدا وكتابات الشركسي الصوفي، مقدمة بقلم جاد حاتم، مع ذيل في القبلة في التصوف والأديان. ط2. 190 ص
- 22 - المعراج بين المحدثين والمتكلمين والمتصوفين، دراسة ونشر وتعليق لكتاب المعراج للقشيري. ط2. 340 ص
- 23 - مقامات الصمت والمدن المقدسة: مع ملحقات في الصمت واليوغا ومقدمة للمستشرق بيير لوري. ط2. 260 ص

IV - في الدراسات اليهودية

- 24 - صراع اليهودية والإسلام من منظور يهودي: دراسة وتحقيق لكتاب تاريخ اليهود في الجاهلية وصدر الإسلام لإسرائيل ولفنسون، ط2. 350 ص
- 25 - الفكر اليهودي بين الخصوصية والشمولية دراسة ومدخل لكتاب خلاصة الفكر اليهودي عبر التاريخ للحاخام هرتس. ط2. 650 ص
- 26 - الفلسفة اليهودية: جسر تواصل بين العرب والغرب. دراسة وتكملة لكتاب تاريخ الفلسفة والعلوم اليهودية في أرض الإسلام لسليم شعشوع. ط2. 405 ص
- 27 - من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام، دراسة لجذورها في المشرق، وتلفيقاتها لتاريخه ورد على كتاب يقظة العالم اليهودي. ط2. 310 + 320 ص
- 28 - الصمت في اليهودية: تقاليد في التوراة والتلمود وعند الحسيديم وإيليا نبي الصمت، تقديم أ. إميل عقيقي. ط2. 350 ص

V - في الدراسات المسيحية

- 29 - الصمت في المسيحية: مفهومه واختباراته في الإنجيل وكنائس المشرق والغرب تقديم د. جوزف قزي. ط2. 425 ص
- 30 - شربل رفيقنا الصامت: حكاية قداسة لبنانية عنوانها الصمت. ط2. 240 ص
- 31 - توما الأكويني وأثره عبر العصور، بحوث في سيرته وفلسفته الإلهية والاجتماعية.
- 32 - هكذا تكلم توما الأكويني، مدخل إلى مؤلفاته يليه كتابا الأنبياء الكذبة والوجود والماهية ونصوص أخرى. 420 ص
- 33 - قاموس الفلسفة المسيحية، التوماوية مصادرها وفلاسفتها.

مجموعة مؤلفاته نحوستانه لوبون

- 1 - حياة الحقائق، بحث في الأديان والفلسفات الكبرى ومصادرها وتحولاتها. ويليه حضارة بابل وأشور 2/1. ترجمة عادل زعيتز. 400 ص
- 2 - الجماعات أفكارها ومعتقداتها، بحث في روح الجماعات ومعتقداتها وصبغتها الدينية وتقلبها. ويليه روح السياسة، وجوامع الكلم، ترجمة أحمد فتحي زغلول وعادل زعيتز 3/1. 600 ص
- 3 - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتز. 160 ص
- 4 - الآراء والمعتقدات ويليه السنن النفسية لتطور الأمم 1/2، 405 ص.
- 5 - حضارة العرب، موسوعة في تاريخ الإسلام، وحضارته وعلومه وفنونه. 670 ص.
- 6 - حضارات الهند موسوعة في تاريخ الهند وأديانها وعلومها وفنونها. 740 ص.



دار بيبليون

باريس

avons adressé nos remerciements à ceux qui ont protégé les chrétiens et contribué pour leur part à les soulager dans leur détresse; et nous n'avons pas pensé achever mieux notre ouvrage qu'en racontant dans leurs détails l'arrestation de M^{sr} Gabriel Tappouni, sa comparition devant la Cour Martiale à Alep, son emprisonnement avec le R. P. Simon, supplices variés, enfin libération et retour à Mardin; armistice, occupation de la Syrie jusqu'à Fall-Abiad par les armées des alliés; arrivée à Mardin de M^{sr} Pierre Koyinian visiteur apostolique pour les arméniens catholiques, le 11 Octobre 1919.

Et ce malheureux pays théâtre des crimes les plus révoltants et des abominations les plus infâmes en plein siècle de civilisation, languit encore jusqu'aujourd'hui sous le joug de ses bourreaux; nous espérons qu'on mettra enfin un terme à ces boucheries humaines qui ont dépeuplé ces régions autrefois si florissantes, et que pour prix du sang de tant de martyrs si injustement répandu ces pauvres pays obtiennent de voir des temps plus calmes et des jours meilleurs, pour le développement et l'extension du christianisme et le triomphe de la croix!



tion de son Église, et l'a protégé en d'autres circonstances encore non moins difficiles, p. 295; emprisonnement des moines de S^t Ephrem, leur libération; suite du récit de la déportation des femmes jusqu'à la fin de Septembre; leur courage intrépide au milieu des tortures.

Dans la 4^e Partie nous avons parlé longuement des massacres de Mésopotamie à Orfa, Diarbékir, Déreké, Ouairan-Chahr, Ras-el-Ain, Deir-el-Zor; chrétiens exilés à Sinjar; massacres à El-Jézireh, Séert (mission des P.P. Dominicains), Karboran, et aux villages de Tour Abdin: Deir-el-Oumor, Deir-es-Salib, Bassebrina, Mediath, et Salah; au chapitre 16, p. 401 nous avons parlé du massacre du docteur Naman Kara-Golla avec sa femme Stella, fille de Jean Tolo de Baltimore; siège de Ain-Ouârd à Tour-Abdin; massacre à Kafar-Josa, Baté Kelleth, Hessen-Kifa, Es-Sor, Nsibin et Dara; couvent El-Zafaran, pour les Syriens-Jacobites; massacre des chrétiens de Kalét-Mara, Maçarta, Bafaoua, Banabil, El-Mansouryé et El-Gollyé; nous terminons cette 4^e Partie par le récit des massacres à Tall-Arman.

La 5^e Partie embrasse un peu plus de 50 pages: vente des biens des Arméniens, découverte de leur argent et objets précieux cachés; arrivée à Mardin des Turcs d'Arménie pour occuper les maisons des Arméniens massacrés; la peste; les cimetières, la famine, orphelinat et hôpital des Syriens catholiques; dangers qu'a courus M^{sr} Gabriel Tappouni en sauvant beaucoup d'enfants arméniens; les trois Pères Dominicains retirés dans l'église des Syriens catholiques du 26 Décembre 1914 au 18 Novembre 1916; un orphelin sauvé du massacre; arrivée en Mésopotamie d'Anwar Pacha avec des officiers allemands; puits, grottes et montagnes qui ont servi de lieu de sépulture aux cadavres des chrétiens; l'armée, les diacres et les fuyards; au chapitre 17 nous

prisons; on verra au chapitre 5 comment les turcs ont jugé M^{sr} Malauian et l'ont condamné aux supplices les plus affreux; dans les chapitres qui suivent nous avons parlé tout au long de l'arrestation des chrétiens, de leur emprisonnement, de la déportation du 1^{er} convoi composé de M^{sr} Malauian, des prêtres de divers rites, et de 417 chrétiens catholiques, et leur massacre, p. 184-198; chapitre 10: nouvelles mensongères répandues au sujet du 1^{er} convoi; chapitre 11: prières et vœux des chrétiens; chapitre 12, p. 207, déportation d'un second convoi; chapitre 13: massacre de 84 chrétiens; chapitre 15, retour à Mardin des survivants du deuxième convoi, renvoi des Syriens chez eux, pour laisser dans les prisons les arméniens seuls; chapitre 16, tortures imaginées par la barbarie turque, détails d'après le récit de ceux-là mêmes qui ont subi ces tourments affreux, p. 226-237; au chapitre 17, massacre du reste des Arméniens; nous avons consacré le chapitre 19, p. 224-251, à la France protectrice des chrétiens; nous y parlons aussi du massacre d'un Père Capucin français le P. Léonard qui a eu la bienveillance de nous donner à copier les nouvelles qui se passaient journellement à Mardin; fermeture des églises; certains arméniens sont contraints d'abjurer la foi pour embrasser l'islamisme; conduite scandaleuse des fonctionnaires turcs et leurs crimes; arrivée des convois d'Arménie; massacre du jeune Antoine Mamarbachi par Gobecho emprisonné plus tard à Alep; chapitre 27, p. 278, déportation de Mardin du 1^{er} convoi de femmes et leur massacre, p. 283; nous avons parlé ensuite des moines du couvent de S^t Ephrem pour les Syriens catholiques, et la lettre d'adieux à ses fidèles de M^{sr} Gabriel Tappouni, vicaire patriarcal à Mardin, qui dans ces jours de persécution et d'injustice se disposait lui aussi au martyre, mais le bon Dieu l'a conservé pour l'édifica-

1 chapitres qui suivent on trouvera depuis son origine l'histoire de l'Eglise Arménienne, Syrienne et Chaldéenne, de la mission latine des P.P. Capucins, et de la mission protestante; au chapitre 16, nous avons parlé des massacres de 1895 à Diarbékir, Orfa, Mardin et ses alentours.

Dans la 2^e Partie, p. 67-147, nous avons groupé les nouvelles de la guerre depuis sa déclaration jusqu'au mois de Juin 1915, nous avons essayé dans les 5 premiers chapitres d'exposer les causes de la guerre, et protesté contre les Etats qui n'ont point voulu défendre la cause des chrétiens innocents; dans les chapitres qui suivent sont relatées au jour le jour les nouvelles de Mardin; au chapitre 14, p. 114, nous avons parlé des P.P. Capucins, des Sœurs Franciscaines et de trois Pères Dominicains, les R.R. P.P. D. Berré, J. Rhétoré, et H. Simon; au chapitre 18 nous avons dit comment les soldats turcs ont envahi les églises pour arrêter les jeunes gens qui ont atteint l'âge requis pour le service militaire; au chapitre 19 nous avons parlé du Firman et de la Décoration envoyés de Constantinople à M^{gr} Malauian, de l'occupation de l'église des Arméniens, et nous avons reproduit textuellement la lettre d'adieux de M^{gr} Malauian adressée à ses fidèles pour les exhorter à persévérer dans la foi, p. 135; au chapitre 21 arrestation et massacre du P. Jean Chouha, prêtre chaldéen.

Dans la 3^e Partie nous parlons des déportations, des emprisonnements et des massacres, p. 118-331; nous avons nommé d'abord les auteurs des maux infligés aux chrétiens, tels que Rachid Wali de Diarbékir, Hadj Zelfi député de Diarbékir, Khalil Adib, le Mutésarif Bâdri, l'odieux Mamdouh, et autres ...; au chapitre 4, p. 161, arrestation de M^{gr} Malauian avec une partie de ses fidèles, et tortures qu'ils eurent à subir dans les

AU LECTEUR



Au début même des hostilités qui éclatèrent entre les puissances de l'Europe, en août 1914, nous avons commencé à mettre par écrit la suite des événements qui se passaient à Mardin et ses environs; lors des sanglants massacres d'avril 1915, qui désolèrent l'Arménie, nous avons été obligés de continuer notre travail sur la marge de vieux livres tenus cachés pour les soustraire aux recherches du gouvernement turc. Nous nous sommes efforcés d'être le plus exact possible, pour cela nous avons tenu à ne citer dans notre ouvrage que les récits que nous avons entendus de la bouche même de ces rares survivants échappés à la mort.

Nous avons divisé notre livre en cinq parties dans le but de le rendre plus utile au lecteur désireux de connaître les méfaits de la Turquie, et les persécutions continues dont les habitants de ces contrées malheureuses ont été l'objet de temps immémorial.

La 1^e Partie renferme en résumé les événements de la Mésopotamie jusqu'en 1895; dans les 9 premiers chapitres, p. 1-66, nous avons traité l'histoire de ce pays et particulièrement de Mardin; au chapitre 10 nous avons dit quelques mots sur le royaume d'Arménie; dans les

AL-QOUÇARA

FI NAKABAT ANNAÇARA

(Les Calamités Des Chrétiens)

Par

Un Témoin Occulaire

Document authentique rare, relatant les plus amples détails, la martyrisation des Chrétiens en Turquie et en Mésopotamie, et notamment à Mardine, supportant - avec courage et audace - les oppressions, agressions, enlèvements, déportations, captivités, massacres et toutes sortes de crimes, et ce en 1895, et durant la période allant de 1914 à 1919.

القصاصي

في كتابات النصاصي

بقلم

شاهريان

العلامة الاب إسحق أرملة

وثيقة تاريخية نادرة تسجل بشمول وتفصيل ما لحق
بالسبيين في تركيا وبلاد ما بين النهرين وبلاد
في قاردين، من الظلم والتعدي والظف والنفي
والسبي والذبح والقتل وسائر القضايع
وذلك في سنة ١٨٩٥ وفيما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٩

دار ومكتبة بيلانيون



بيروت - لبنان